ذاكرة للمستقبل

موسوعة الكاتبة العربية



العراق و فلسطين و الأردن
و المغرب العربي





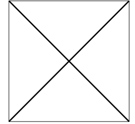
ذاكرة للمستقبل

موسوعة الكاتبة العربية

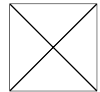
[١٨٧٣ – ١٩٩٩]

موسوعة الكاتبة العربية
الجزء الثالث: العراق وفلسطين والأردن والمغرب العربى

الطبعة الأولي ، ٢٠٠٤



المجلس الأعلي للثقافة
شارع الجبلاية بالأوبرا ، الجزيرة ، القاهرة
ت : ٩٦ ٢٣ ٧٣٥ (٠٢) ٢ ++ - فاكس : ٨٤ ٠٨ ٧٣٥ (٠٢) ٢ ++



مؤسسة نور لدراسات وأبحاث المرأة العربية
مبني الخبراء العرب ، ٤ شارع الأهرام ، الهضبة العليا ، المقطم ، القاهرة
ت : ١٩٢ ٠٨ ٥٠ (٠٢) ٢ ++ - فاكس : ١٩٤ ٠٨ ٥٠ (٠٢) ٢ ++

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٠٤/١٣٥٦٢
الترقيم الدولى للكتاب : ISBN **977-305-757-7**

هيئة التحرير :
رضوي عاشور
فريال غزول
أمينة رشيد
محمد برادة
حسناء مكداشى
عماد أبو غازى

التوثيق البيبليوغرافى : عماد أبو غازى

التدقيق : عماد أبو غازى ، منال يس ، عبد المجيد إبراهيم

التصحيح الطباعى : علاء فاروق ، مجدى عبدالله ، حسن كامل عبدالسلام

مديرة المشروع : حسناء رضا مكداشى
المديرة التنفيذية لمؤسسة «نور» لدراسات وأبحاث المرأة العربية

ذاكرة للمستقبل

موسوعة الكاتبة العربية

[١٨٧٣ - ١٩٩٩]

المجلد الثاث

العراق

فلسطين والأردن

المغرب

الفصل الخامس

العراق

(أ)
الدراسة

(ب)
المنتخبات

(ج)
البيبليوغرافيا

فريال جبوري غزول

قبل البدء

عرفانا وتقديرا للمجهود الذى قام به الآخرون لمساعدتى فى الحصول علي معلومات ومصادر للإبداع الأدبى للمرأة العراقية فى القرن العشرين، أتوجه بالشكر لكل من الدكتورة هيام الدواف (قسم علم المكتبات والمعلومات، جامعة المستنصرية، بغداد)، والشاعر سامى مهدى (رئيس تحرير جريدة «الثورة»، بغداد)، لإسهامهما القيم فى تزويدى بمراجع ودراسات من المكتبات العراقية ترتبط بموضوعى. كما أقدم شكرى للأستاذ فوزى تادروس من مكتبة الكونجرس الأمريكية فى واشنطن، لما بذله من مساعدة وتوجيه لى فى أثناء بحثى. كما يسعدنى أن أعبّر عن بالغ امتنانى للأديبات العراقيات اللواتى قدّمن لى معلومات عن أنفسهن وعن غيرهن من المبدعات العراقيات، بالإضافة إلي فريق «نور» العامل علي موسوعة «إبداع المرأة العربية فى القرن العشرين» الذى راجع دراستى واختياراتى. وأشكر مجموعة من الصديقات والأصدقاء الذين قدموا معونتهم مشكورين، وأخص بالذكر صافيناز كاظم وميسون ملك ومى مظفر ومحسن الموسوى وجوزيف زيدان ونادية بدران وسعاد المانع. وقد قامت المساعدتان لى الباحثتان داليا مصطفي ومروة النجار مشكورتين بالطباعة والمراجعة. وتجدر الإشارة إلي أن البيو-بيبليوغرافيا والثبت المرجعى بأعمال الأديبات العراقيات يقتصر علي من نشرن كتبا أدبية وعلي هذه الكتب، دون الرجوع إلي ما نشرن من أعمال أدبية فى الصحف والمجلات، كما يجدر الذكر بأن هذه محاولة أولية يسعدنى أن أتلقي التصحيحات والإضافات لما ورد فيها. وقد استفدت فى تجميع مواد البيو-بيبليوغرافيا لإبداع المرأة العراقية فى القرن العشرين، من المراجع التالية:

بدوى طبانة، أدب المرأة العراقية فى القرن العشرين (بيروت: دار الثقافة، الطبعة الثانية [مزيدة ومنقحة]، ١٩٧٤).

عبد الحميد العلوجى، النتاج النسوى فى العراق خلال ١٩٢٣-١٩٧٤ (بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧٥).

صبيحة الشيخ داود، أول الطريق إلي النهضة النسوية فى العراق (بغداد: مطابع الرابطة، ١٩٥٨).

فؤاد يوسف قزانجى، النتاج الفكرى العراقى لعام ١٩٧٥ (بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧٧).

................، النتاج الفكرى العراقى لعام ١٩٧٧ (بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٨١).

عبد الجبار عبد الرحمن، فهرست المطبوعات العراقية ١٨٥٦-١٩٧٢ (بغداد: وزارة

المرأة العراقية أديبةً فى القرن العشرين

فريال جبورى غزول

مقدمة

إبداع المرأة - كإبداع أى شريحة فى المجتمع - متواجد فى كل زمان ومكان، لأن الإنسان بطبعه كائن مبدع، كما هو كائن اجتماعى. وتفاوت إنتاج المرأة الإبداعى عن إنتاج الرجل وتمايزه يرجع إلي ظروف المرأة فى مجتمع ما وعصر ما. وكثيرا ما يغفل مؤرخو الفن عن تسجيل إبداعات المرأة لأنها لا تدخل فى سياق الفنون المعتمدة فى المؤسسة أو ما يطلق عليها «الفنون الرفيعة». ولنأخذ علي سبيل الذكر نموذجاً واحداً: ففى كتاب الأغانى للأصفهانى (المتوفي فى عام ٩٦٧ الميلادى)، الكثير عن فن الغناء، بما فى ذلك غناء الجوارى، لكنه لا يذكر شيئاً عن فن غناء التهويدات التى تغنيها الأمهات لأطفالهن كى يناموا. إن عدم الاعتراف بأجناس أدبية تميز هذا الإبداع النسائى فى هذا المرجع الوسيطى المهم يوازيه أيضاً إغفال الأصفهانى للأدب الشعبى عامة. فالسجل الإبداعى ذاته يتحيز للفئة المهيمنة ويري العالم من خلال منظورها، وحتي عندما يشار إلي فن تمارسه المرأة فهو الفن الذى يُؤدي فى مجالس الرجال العامة لإمتاعهم، لا فى حميمية البيت الخاصة لتربية الأطفال. التأريخ، إذن، فى ذاته متحيز للسلطة بكل أشكالها وبنياتها الفوقية المفضلة، فهو يري الفنون والآداب بعيونها وإيديولوجيتها، فيرفع من قيمة الفنون الرجالية، خاصة المرتبطة بالسلطة والبلاط، ويحط من قيمة الفنون النسائية، بل قد يُهِّون من الإبداع النسائى إلي حد عدم الإشارة إليه أو مجرد ذكره مقتضباً. والفنون والآداب ليست فى ذاتها رجالية أو نسائية، وإنما توزيع الأدوار فى مجتمع ما بين الجنسين - واضعاً الرجل فى الساحة العامة والمرأة فى الساحة الخاصة، الرجل فى المعترك السياسى والاقتصادى والمرأة فى المنزل العائلى - يدفع إلي تشكيل ثقافى ونفسى مختلف إلي حد ما لدي الجنسين، مما يسبب، أيضاً، تنوعاً فى الإبداع والأداء الفنى. يبدع الرجل شعر الحماسة، لأنه يعايش الحرب والمواجهة، فى حين توصِّل المرأة خبرتها وحكمتها عبر حكايات شفوية وأمثال محبوكة. بلاغة المرأة، إذن، لا تختلف عن بلاغة الرجل، لأنهما مختلفان فى البنية البيولوجية، لكن لأن المجتمع كرّس لكل منهما وضعاً مختلفاً عن الآخر. وندرة أسماء النساء الأديبات النسبية فى التاريخ ترجع إلي حد كبير

إلي التركيز علي الأدب المكتوب، من جهة، وحرمان المرأة من حق الكتابة، من جهة أخري. إن غلق أبواب المعرفة أمام النساء، وتحيز المؤرخين لأدبيات الرجل، زحزح إبداع المرأة إلي ركن قصى، وإن لم يطمسه تماماً. ولهذا، نجد فى التيارات الجديدة فى التأريخ، محاولة استقصاء ما غُيّب واهتماماً واسعاً بجمع تراث المرأة الإبداعى والأدبى الضائع فى ثنايا المراجع وهوامشها.

وفى السياق العراقى، قام العديد من الباحثين والباحثات فى القرن العشرين بجمع جوانب من الإنجاز الحضارى للمرأة العراقية، كانت رائدتهم القاضية صبيحة الشيخ داود (وهى أول خريجة جامعية فى بغداد، من كلية الحقوق) فى كتابها أول الطريق (١٩٥٨)، وآخر من خصص عملاً ليبرز إسهام المرأة الحضارى فى وادى الرافدين، كانت الأديبة لطفية الدليمى، فى كتيب بعنوان شريكات المصير الأبدى: المرأة المبدعة فى حضارات العراق القديم (١٩٩٩). هذا بالإضافة إلي إسهام رجال متنورين من العراق ومصر فى رصد وتبويب إنتاج المرأة العراقية، من أمثال عبدالحميد العلوجى النتاج النسوى فى العراق (١٩٧٥)، وسلمان هادى آل طعمة شاعرات عراقيات معاصرات (١٩٩٥)، والطبعات العديدة لكتاب الباحث المصرى بدوى طبانة أدب المرأة العراقية فى القرن العشرين (١٩٧٤).

إن للمرأة العراقية تراثاً غنياً فى مجال الإبداع الأدبى يرجع إلي فجر الحضارات المكتوبة فى سومر وبابل، مروراً بنساء ما قبل الفتح الإسلامى (من أمثال الشاعرة سلمي بنت مالك بن حذيفة) وما بعده (من أمثال ليلي الأخيلية التى ناظرت والى العراق الحجاج بن يوسف الثقفى، ورابعة العدوية المتصوفة الشاعرة، وريا السلمية، وعائشة بنت المهدى، والفارعة بنت طريف، ومحبوبة، ودنانير، وغيرهن كثيرات). وليس أدل علي إهمال التاريخ للإبداع النسائى أن السيدة زبيدة بنت جعفر عُرفت كزوجة الخليفة هارون الرشيد وأم ولده الأمين، كما عرفت بفعل الخير والأفضال، ولم تُعرف بإبداعها الذى يشمل الشعر والرسائل والوصايا. وفى عصور الانحطاط بعد سقوط بغداد فى القرن الثالث عشر الميلادى علي يد المغول، بدأت مرحلة الانهيار فى البنية التحتية والفوقية، فى المرافق والمعارف، مما أدي إلي تراجع وتدهور وتشرذم. وفى مراحل الضعف والتفسخ، يزداد الضغط علي الشرائح الاجتماعية المستضعفة، ولا سيما المرأة. فالقهر الذى يلازم الضمور الحضارى، والذى يعانى منه الرجال يتضاعف عند النساء، فتصبح المرأة مقهورة مرتين: مرة لأنها تنتمى إلي وطن منهزم أو محتل، ومرة أخري لأنها تنتمى إلي جنس يعتبره المجتمع أدني وأضعف، ليصبح الشريحة التى ينفّس فيها المجتمع غيظه. فعندما انحسر المد العلمى والمعرفى فى العراق فى ظل الدولة العثمانية، تراجع نصيب المواطنين العراقيين من الزاد الثقافى، وهذا النصيب المحدود ذهب للرجال لا للنساء، للأقوياء لا للضعفاء، للموسرين لا للفقراء، فحرمت المرأة من حق التعليم والأدب والمناظرة الذى

وسم المرأة الأديبة والفقيهة فى عصور الازدهار، مما جعل إنتاجها فى فنون القول المكتوبة يتراجع، بل يكاد ينقرض.

صحيح أن المرأة لم تتوقف عن إيجاد منافذ تعبر من خلالها عن إبداعها، حتي فى أشد الحقب ظلاماً، من الأشعار والأغانى فى مناسبات الفرح والألم، فى الأعراس والمآتم، إلي الابتهالات الدينية والحكايات الشعبية، إلا أن حيز الإبداع فى «الفنون الرفيعة» ضاق، ولم نعُد نسمع عن الأديبة العراقية لمدة ستة قرون إلا فى ما ندر (وتشكل الشاعرة العراقية فدعة - المعروفة بـ «خنساء خزاعة» التى عاشت فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر الميلادى - الاستثناء الذى يكاد يكون وحيداً). ويبدأ صوت المرأة بالشدو فى القرن العشرين، عندما استعاد العراق - كجزء من الوطن العربى - كينونته المقموعة وتطلع إلي النهوض من رقدته الطويلة. وفى ظل اليقظة القومية تبلورت نهضة فكرية ورغبة جماعية فى النهوض بالمجتمع ككل، رجالاً ونساءً وأطفالاً. وبما أن المرأة كانت - لظروف عديدة سبق تفصيل بعضها - قد احتلت وضعاً أكثر تدنياً من الرجل، فقد عكفت الطليعة الفكرية والأدبية علي استنهاض المرأة وتحريرها من الأمية وضيق الأفق المعرفى، والخروج بها إلي آفاق أرحب وأرحم. ومما لا ينكر أن الشعراء العراقيين الكبار ومنهم معروف الرصافى وجميل صدقى الزهاوى، طالبوا بتحرير المرأة، كما فعل من قبل قاسم أمين المصرى ومحمد بن مصطفي بن الخوجة الجزائرى. وقد عُرف جميل صدقى الزهاوى بـ «نصير المرأة»، لعكوفه علي قضيتها فى شعره، والشعر فى العراق منبر لا يستهان به فى التأثير علي الفكر. وهكذا نري كيف يتلازم تخليص المرأة من معوقات تحققها إبداعياً وإنسانياً مع التحرر الوطنى الذى يناضل ضد الاستعمار، ومع التحرر الطبقى الذى يحارب الاستغلال، بل إن البعض ينظر إلي مكانة المرأة فى مجتمع ما باعتبارها المؤشر الأصدق لتقدم المجتمع ككل.

انطلاق المسيرة:

فى مطلع القرن العشرين، وعلي الرغم من عدم التحاق المرأة بالمؤسسات الثقافية والمدارس الرسمية - بحكم الموقع المتدنى والثانوى المفروض عليها - عكفت بعض العائلات الأرستقراطية والثرية والمعروفة بالعلم علي تعليم بناتها وتشجيعهن علي الإبداع الأدبى وقرض الشعر، عبر دروس خصوصية أو بتوجيه من الأب أو الأخ. ونجد أثر الجو العائلى المشجع للثقافة عند معظم الأديبات اللواتى ولدن فى العقدين الأولين من القرن: سليمة عبدالرزاق الملائكة (أم نزار)، فطينة النائب (صدوف العامرية)، مقبولة الحلى (عفراء)، وديعة جعفر الشبيبى، هيام الوسواسى، ابتهاج عطا أمين، أميرة نور الدين(١). فمما لاشك فيه أن المرأة التى تنتمى إلي طبقة موسرة اقتصادياً ومن بيت علم وأدب تحصل علي حقوق اجتماعية وأدبية أكثر من مثيلاتها فى الطبقات الوسطي والكادحة. فهذه يكون لها، علي الأقل، فائض الوقت

لتثقيف نفسها لغوياً وأدبياً، كما تتاح لها الكتب والمخطوطات وتعايش المناقشات الفكرية والمعارضات الشعرية فى عقر دارها. فالكتابة الأدبية ليست ثمرة موهبة فطرية فحسب، بل تحتاج أيضاً إلي إتقان الأدوات الأسلوبية وتَمَثُّل النماذج الأدبية المتميزة، مما يصعب دون رعاية وتوجيه ما. ولكن هذا لا يعنى أن الأدب كان حكراً علي الطبقة الحاكمة والمهيمنة. فبحكم التكوين العشائرى والدينى للمجتمع العراقى فى مطلع القرن العشرين، كانت المناسبات العائلية والمنازلات العشائرية والطقوس الدينية ساحة متاحة للتعبير الإبداعى، وكان للمرأة دور تعبوى مهم، لا يقل عن دور المرأة فى المجتمع البدوى. وقد تعددت فى الفهارس المعنية بإنتاج المرأة النسوى أسماء «الملايات» اللواتى أبدعن شعراً دينياً فى استشهاد الحسين فى كربلاء، مما يطلق عليه «الحسينيات»(٢). كما أن بعض النساء تخصصن فى الندب فى المآتم وسمين بالعدّادات، ولكل منهن أسلوب متميز فى الرثاء، يرتجلن خطاباً مؤثراً ومناسباً لمقام الميت وخصوصيته. كما ساهمت المرأة العراقية فى قصائد وأغانى الخطوبة والعرس والختان(٣)، من جهة، وفى قصائد وأشعار تعبوية عند النزال، من جهة أخري. وهناك أكثر من عشرين شاعرة أنشدن الشعر فى ثورة العشرين ضد الاحتلال الإنجليزى(٤)، لكن المراجع لا تذكر عادة إلا اسمهن الأول أو تذكرهن بكنيتهن (أم فلان). وليس هذا غريباً علي التراث التاريخى الذكورى، فكم من امرأة ساهمت فى الثقافة لكن اسمها لم يَلمع ولم يُلمّع شأن أسماء الرجال في كتب التاريخ، فهذه الشاعرة التى تكتب شعراً اجتماعياً، يذكرها المبرّد (المتوفي فى عام ٨٩٨ الميلادى) فى كتابه الكامل قائلاً: «ابنة لبيد العامرى» دون ذكر اسمها ذاته.

وفى هذا التراث الذى يهمل عمداً أو عفواً إنجاز المرأة يصبح اسم المرأة وفرديتها إحراجاً لصاحبته. ولهذا، نجد الكثيرات من الأديبات العربيات عامة، والعراقيات تحديداً، قد كتبن بأسماء مستعارة أو بالحروف الأولي من أسمائهن، فهذه صدوف وتلك سراب وأخري عفراء. وتوضح شاعرة عراقية من مواليد العشرينات من القرن العشرين كيف اختارت اسماً قلمياً لها:

> «أنا خديجة محمود على العزى السامرائى... ولدت فى بغداد ونشأت بها، وقد أطلقت علي نفسى اسم «صابرة العزى» فختمت به كل قصيدة نشرتها، وقد أحببت هذا الاسم كثيراً، فهو ينطق بمعاناتى وصبرى فى حياتى وعملى لما أصابنى من النكبات. لم أنَل قسطاً كافياً من التعليم، فقد تعلمت مبادئ القراءة والكتابة علي يد والدتى - رحمة الله عليها - فى دارنا فى باب الشيخ، وكنت أتحرق شوقاً لدخول المدرسة والارتشاف من مناهل العلم الصافية، إلا أنّ والدى كان رجلاً محافظاً جداً لم يسمح لبناته بدخول المدارس، لذا، نشأت وفى قلبى كثير من العتاب علي والدى، وفى رأسى فكرة ضرورة تعليم الفتاة»(٥).

ونجد فى مسيرة جيلين من عائلة الملائكة – علي سبيل المثال – تطوراً نحو استخدام الاسم، فسليمة عبدالرزاق الملائكة كانت توقع أشعارها باسم «أم نزار» (اسم ابنها الأكبر)، بينما نشرت ابنتها شعرها ومقالاتها باسمها «نازك الملائكة». أما اليوم فقد أصبحت الكاتبات فى العراق يتباهين بإبداعهن ولا يخجلن من أن يُعرفن ككاتبات وأديبات، وبذلك فهن يتواصلن بالشاعرة العراقية الأقدم انخيدوانا (٢٣٧٠–٢٣١٦ ق. م.)، ابنة الملك سرجون الأكدى التى ذيّلت قصيدتها باسمها. وتري الأديبة الباحثة لطفية الدليمى أن كثيراً من إنجاز المرأة العراقية الإبداعى بقى غفلاً من الاسم، وذا هوية مجهولة.(٦) كما أن الكثيرات من الأديبات العراقيات اللواتى استهللن الكتابة الأدبية فى القرن العشرين لم يعكفن علي نشر أعمالهن أو جمعها فى دواوين. ومن حسن حظ أدب المرأة العراقية أن هناك من سعي إلي التجميع والنشر لرائدات المسيرة. فقد جمعت نازك الملائكة أشعار أمها وأعدتها ثم نشرتها فى ديوان بعنوان أنشودة المجد (١٩٦٨)، وقام عبدالرحيم محمد على بنشر كتاب ضمنه شعر رائدة أخري وعنوانه: رباب الكاظمى: دراسة وشعر (١٩٦٩).

ومع أن الرائدات العراقيات الأوليات كتبن علي منوال الشعر السائد وفى الأغراض الشعرية المتعارف عليها، وانخرطن فى الدفاع عن قضايا الأمة العربية، وعبّرن عن همومها بما فى ذلك نكبة فلسطين وحرب تحرير الجزائر والانتفاضات الشعبية فى العراق ومصر، فقد تنبهن أيضاً إلي الغبن الذى أصاب بنات جنسهن واهتممن بالتعبير عن هموم المرأة تحديداً. فعند رصد كتابات سليمة الملائكة (أم نزار) نجد أنها أنشدت أول قصيدة لها فى تأبين الشاعر العراقى جميل صدقى الزهاوى، المدافع عن المرأة وحقوقها، فقالت:

«من لليلي، وكنت ناصر ليلي
ما عهدناك ناسياً ليلاكا
كنت حتي الجهاد تومى إليه
حين تشدو الشعور والإدراكا»(٧)

كما أنها خاطبت النساء فى قصيدة أخري مخاطبةً مباشرةً محاولة أن تستنهض المرأة العراقية، فقالت:

«رضيتن علي الأسر
فهنتن مدي العمر
وأمعنتن فى الصبر
علي غائلة الدهر
فهيا للهدي هيا
إلي النهضة كى نحيا
إلي النهضة والعليا
لكي نبلغها سعيا»(٨)

ومن الرائدات من مواليد العقد الثانى من القرن العشرين صدوف

العامرية/ العبيدية وهو الاسم القلمى لفطينة حسين النائب (١٩١٧-١٩٩٣)، وهي من عائلة عُرفت بعلمها. أجادت فطينة التعبير عن مشاعرها شعرياً وعبّرت عن فلسفتها فى الوجود نثرياً، مستخدمة مجاز «الكتاب» للتعبير عن موقفها: «أحب الحياة ككتاب لذيذ، جدير بالقراءة، كما أحب الموت ككتاب لم أقرأه بعد، وإن أحسست أحياناً أنه بيدى وأنى علي وشك قراءته».(٩) واعتزاز صدوف العامرية/ العبيدية بنفسها وبقومها وتأكيدها علي الجانب العقلانى واضح فى مخاطبتها لطفلها:

«من العرب الكماة ورثت مجداً
فكن ذخراً فقد صرت السليلا
وسر قدماً مع الأيام واصعد
إلي العليا ولا ترضَ القفولا
فديتك لا تهن وارفض خضوعاً
فلستَ مناى إن كنت الذليلا
وفكر ما استطعت بكل أمر
فخير الناس أرجحهم عقولا»(١٠)

وإذا تأملنا فى الأبيات السابقة لوجدنا تلاحماً بين غرض الفخر المرتبط تراثياً بالرجال وغرض تربية الطفل المرتبط عملياً بالنساء. فمع أن الشواعر الأوليات فى القرن العشرين التزمن بالجزالة التقليدية والعمود الشعرى، وأبدعن علي منوال الشعراء الكبار فى التراث العربى، من أمثال المتنبى والبحترى والشريف الرضى (والعباس بن الأحنف فى حالة عاتكة الخزرجى التى درست شعره وحققت ديوانه)، فالبعض منهن لقحن هذا التراث الشعرى الذكورى عموماً بلمسات نسائية، من محيطهن وخبرتهن، وربما وجدن فى ذلك إرهاصات تشكيل صوت نسائى لا يلبس قناع الذكورة ولا يشدو بنبرته. فمن المعروف أن الشعر الجاهلى رسّخ قاعدة مخاطبة الرفاق وذكر الأطلال فى مطلع القصيدة العربية، مما جعل من ذلك نموذجاً يُحتذي. ونجد شيئاً من هذا فى قصيدة للشاعرة باكزة أمين خاكى بعنوان «الربع الحزين» المهداة إلي «أخواتى المشردات من بنات يافا» (والمنشورة فى مجلة «الرسالة الجديدة» البغدادية فى ١٩٥٣/١١/١). تستهل الشاعرة قصيدتها بالسؤال عن الرفاق (لا الرفيقات)، مع أنها موجهة إلي «أخواتها» فتقول: «حنانيك هذى ربوع السمر/ فأين الرفاق؟ تري ما الخبر؟»، لكنها سرعان ما تنتقل إلي ذكر مجموعة من الأسماء النسائية:

«يعز علىّ كئيباً أراك
وروضك - يا ربع - يمسى ذِكَرْ
أهند هنا أم تري ارتحلت
وليلي ... فما بالها أعرضت
وأقوي المكان

وذى الضفتان
وسعدي ويمني وأخت جنان
رفاق جفتك وباتت صور
طلولك هذى طواها التراب
وسرب المكاكى ينادى الصحاب
بكل مساء
وكان النداء»[١١]

ولابدّ من الإشارة إلي أهمية المجلات الثقافية والصفحات الأدبية فى الجرائد فى هذا المفصل التاريخى لنشر كتابات المرأة العراقية، لا الدوريات العراقية فحسب، بل الدوريات اللبنانية والمصرية وغيرها. وقد ساهمت المرأة العراقية فى إنشاء الدوريات النسائية منذ ١٩٢٣، كما فعلت المرأة المصرية واللبنانية والسورية قبلها بعقدين أو ثلاثة. فعلي الرغم من كون الأقطار العربية مستعمَرة أو تحت هيمنة انتداب أو سيطرة دولة أجنبية، إلا أن التواصل العربى - العربى، ثقافياً علي الأقل، كان قائماً. بل إن شاعرة مثل رباب الكاظمى التى ولدت فى القاهرة وأقامت فيها مدة طويلة اعتبرتها وطناً آخر لها، وقالت:

«بغداد لى إذ أنتمى
مجدى ومصر القاهرة»[١٢]

ويجدر أيضاً أن نؤكد أن المرأة العراقية المبدعة لم تكن تهوّن من قيمتها، بل تعتز بإمكانياتها. فهذه رباب الكاظمى، لا تجد غضاضة فى أن توازى والدها بشعريتها، فهى لا تقنع بالمقام الأدني، فتقول:

«لست بنت الشاعر الفذ إذا
لم أحاك الشاعر الفذ شعورا
وأساجله جلالاً وعلاً
وأماثله نظيماً
ونثورا»[١٣]

كان للأجواء العائلية أثر كبير فى تشذيب مواهب الأديبات الأوليات، فرباب الكاظمى ابنة شاعر، وسليمة الملائكة زوجة شاعر (صادق) وأم شاعر (نزار) وأم شاعرة (نازك). وللشاعرة [صدوف العامرية/ العبيدية] أخت (ماهرة النقشبندى) أطلقت علي نفسها اسم «سراب العبيدية» وهى من أوليات كاتبات القصة فى العراق. إن الجماعة الأدبية - سواء كانت فى أسرة واحدة أو فى منتدي واحد - مهمة جداً فى نمو الطاقات الإبداعية، ومن ثم، فوجود سياق مشجع للمرأة علي مستوي الوطن أو علي مستوي الأسرة يترك أثره الحاسم علي إنتاج المرأة الإبداعى. ومع أن الرجل المبدع يتناول بالضرورة وضع المرأة فى المجتمع إلا أنه بحكم موقعه الجنوسى فى المجتمع يصعب عليه التعبير عن خصوصية المرأة والدخول فى أدق تفاصيل حياتها. وتقول سراب العبيدية، وهى من رائدات القصة، فى مقابلة لها:

«بإمكان الكاتب الأصيل أن يصوّر أحاسيس شخوصه وبعبّر عن انفعالاتهم، ومخاوفهم أحسن تصوير مهما بَعُدَ عنهم بالبيئة أو العمر أو الجنس. لكنني بالرغم من ذلك أتصور أن المرأة قد تكون أصدق تعبيراً عما تحسه بنات جنسها».(١٤)

ومما يجدر ذكره عند الحديث عن المبدعات الرائدات أن معظمهن كن مثقفات ثقافة مزدوجة، تقليدية ومعاصرة فى آن واحد، درسن العلوم الإسلامية وأمهات الكتب الأدبية والدواوين الشعرية عند العرب، كما درسن فى المعاهد والجامعات وتخصصن فى العلوم والآداب الحديثة. فرباب الكاظمى عملت طبيبة أسنان ودرست فى مصر وفرنسا والولايات المتحدة، وعاتكة الخزرجى درست فى العراق وفرنسا ومصر وحصلت علي الدكتوراه، وأميرة نور الدين أتمت دراستها العليا فى القاهرة وحصلت علي ماجستير فى الشعر العراقى الشعبى، ونازك الملائكة درست فى العراق والولايات المتحدة. ومما لا شك فيه أن رسوخ المبدعات فى التراث الوطنى، وانفتاحهن الثقافى علي حضارات أخري، ومواكبتهن لما يجرى فى العالم، وخروجهن من قوقعة المنزل حفزهن علي تصوير خلجات مشاعرهن ومعاناة وطنهن وتطلعات شعبهن. وتأثرهن بالتيارات السائدة والصاعدة فى الوطن العربى أمر طبيعى، بدءاً بالشعر الرومانسى فى مصر والشعر المهجرى فى الأمريكيتين ومروراً بكتابات فطاحل الأدباء: طه حسين وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور ومى زيادة... إلخ. ومع أن المبدعات العراقيات كن محظوظات قياساً لغيرهن من بنات جنسهن فى العراق، إلا أنهن اشتكين من وضعهن وعدم الاعتراف بهن، أحياناً بصورة مباشرة، كما عند رباب الكاظمى:

«أدبى لـــدي الأيـــام جــرحـى
وجريرتى فى الدهر علمى»(١٥)

وتجرى الشكوي أحياناً بصورة غير مباشرة، حيث انخرطن - كرد فعل علي قهرهن - فى شعر وجدانى حزين أو فى الثورة علي الأوضاع القائمة، فكتبن عن القهر العام مدافعات عن المد الثوري دون الخوض فى خصوصية قهرهن وهمومهن، وأحياناً تسامين فكتبن أدباً ذا نزعة صوفية وروحانية متعالية علي تناقضات المعيش.

وعلي أهمية الخطوات الأولي فى كل مسيرة، لم تصمد فى الذاكرة الجماعية علي المدي الطويل من الأديبات اللواتى سلكن الطريق الوعر سوي نازك الملائكة (١٩٢٣-) ولميعة عباس عمارة (١٩٢٩-) اللتان واكبتا مع بدر شاكر السياب وبلند الحيدرى وعبدالوهاب البياتى ظاهرة «الشعر الحر»، وكانت نازك من أهم المؤسسين له تنظيراً وشعراً، وتعتبر رائدة حقيقية له لا علي المستوي العراقى فحسب، بل علي مستوي الوطن العربى كله، فقد أثّرت علي العديد من الشعراء والشاعرات وأَثْرت بدواوينها المجال الشعرى العربى، وغيّرت - مع مجايليها من الشعراء العراقيين واللبنانيين

والسوريين والفلسطينيين والمصريين - وجه المشهد الشعرى العربى فى القرن العشرين. وعلي الرغم من وجود إرهاصات للشعر الحر قبل أن تطلقه نازك الملائكة فى قصيدتها الشهيرة «الكوليرا» (١٩٤٧)، إلا أن هذه الإرهاصات لم تتبلور فى حركة جمعت بين الإنجاز والتنظير، إلا عند نازك الملائكة.

وفى النصف الثانى من القرن العشرين كان عطاء المرأة العراقية فى فنون الأدب غزيراً ومتنوعاً ومتشعباً، لا يقتصر علي جنس أدبى واحد كما كان فى النصف الأول من القرن حيث طغي الشعر. وهذا يبرر التصدى لكل جنس أدبى (الشعر، القص، المسرح) علي حدة فى هذه الدراسة، وإن كانت الكتابات الأكثر حداثة، خاصة التى كتبت بعد نكبة العراق فى حرب الخليج، تتجاوز التصنيفات الأدبية النوعية وتقع فى دائرة المابين، مازجة القص بالشعر، والدراما بالتقرير، والواقع بالأسطورة. ويرجع تصاعد إنتاج الكاتبة العراقية كماً ونوعاً لانتشار التعليم وممارسة المرأة العمل، كما أن المد الوطنى التحررى واليسار السياسى جعلا قضية المرأة ومساواتها محورية، وقد كان للمتغيرات والثورات التى انخرطت المرأة فيها أكبر الأثر فى زحزحة القيم المحافظة السائدة فى مطلع القرن العشرين.

ويجدر بالذكر أن الأدب النسائى العراقى لم يقتصر علي الإبداع باللغة العربية، بل كُتب أيضاً بلغات العراق الأخري، وأشهره إبداع المرأة باللغة الكردية، ومن المبدعات فى هذا المجال صبرية نورى قادر (من مواليد ١٩٢٨) التى نشرت مجموعات شعرية عديدة وعرفت بكتابتها للأطفال، ونسرين محمد فخرى الصابونجى (من مواليد ١٩٣٧) الشاعرة الحائزة علي دكتوراه فى الدراسات اللغوية، وشفيقة على حسين (من مواليد ١٩٤٠)، المعروفة باسم «ليلان» التى أبدعت فى مجال الشعر والمسرحية، والمبدعات الثلاث من مواليد السليمانية.

الشعر:

لا يمكن أن نتحدث عن الشعر العراقى الحديث دون الإحاطة بنازك الملائكة وثورتها الشعرية، ولا يمكن التحدث عن نازك الملائكة إلا باعتبارها ظاهرة شعرية، فهى صاحبة «وعى التجديد والريادة الشعرية» كما يقول الشاعر سامى مهدى، واعتبر الناقد عبدالجبار داود البصرى مقدمة ديوانها شظايا ورماد (١٩٤٩) «البيان الأول» فى حركة التجديد الشعرى.[١٦] ومن الملفت أن نازك الملائكة أطلقت صيحة التجديد متمردةً علي نسق متواتر من الشعر، وفى سياق عائلي واجتماعى مناهض للتغيير، وهى فى مطلع العشرينات من عمرها. ولابدّ من الإشارة إلي ظروف إبداع قصيدة «الكوليرا» الرائدة فى هذا المضمار لنفهم القفزة التى قامت بها نازك الملائكة شعرياً.

كان لجو العائلة - كما سبقت الإشارة إليه - أثر كبير فى توجه نازك الملائكة. فقد كانت تدور فى الجلسات العائلية مناقشات لقضايا لغوية

وأدبية ونظم لقصائد مشتركة. وكان لأم نازك الأثر الأكبر، وقد اعتبرتها نازك المنهل الأول فكتبت فى إهدائها لديوانها قرارة الموجة: «إلي أمى... أول شاعرية خصبة تتلمذت عليها». كتبت نازك الشعر بالعامية العراقية وهى فى مطلع دراستها الابتدائية، ثم نظمت الشعر بالفصحي وهى فى المدرسة المتوسطة، وتخصصت فى اللغة العربية فى دار المعلمين العالية. لقد كانت نازك المتشبعة بتراثها القومى منفتحة أيضاً علي روافد ثقافية أخري نهلت منها. ولم يأتِ اطلاعها علي الإنجاز الأدبى والفنى والفكرى الأجنبى ليحتل مساحة خاليةً بل ليتفاعل مع مكونات حضارية عربية مهضومة. ومن هنا نجد تجاوبها مع الشعر الإنجليزى لا من باب الانبهار، بل من باب التراسل مع تيار وجدت له معادلاً نفسياً وتراثياً. ومع أن نازك لم تنكر أثر النموذج الشعرى الغربى فى استثارتها، إلا أنها بررت قواعد الشعر الحر لا استناداً له، بل تطلعاً إلي، وتأملاً فى، أشكال من الشعر الفصيح غير الرسمى والمؤسسى مثل «البند» الدارج فى العراق. وقد أبرزت نازك الملائكة تجربتها باعتبارها تخففاً من صرامة القواعد العروضية التقليدية، لا تقويضاً لها، وتقول تحديداً فى مقدمة ديوانها شظايا ورماد (١٩٤٩):

> «لابد أن يملك [الأديب المرهف] ثقافة عميقة تمتد جذورها فى صميم الأدب المحلى قديمه وحديثه، مع اطلاع واسع علي أدب أمة أجنبية واحدة علي الأقل... وينبغى ألا ننسي أن هذا الأسلوب الجديد ليس «خروجاً» علي طريقة الخليل [العروضية]، وإنما تعديل لها يتطلبه تطور المعانى والأساليب خلال العصور».(١٧)

إن الانصراف عن المواضعات الشعرية المؤسسية كثيراً ما يوجه المبدع إلي المأثورات الشعبية وأعرافها، كما أن إسقاط المعجم الشعرى التقليدى يجعل الشاعر يلتفت إلي كلام الناس بما فيه من فصحي عامية المذاق. وهذا ما تنبهت إليه نازك الملائكة بحسها المرهف وعدم استسهالها للإبداع، واعيةً أن كل تحرر يقابله التزام. فثورة نازك الشعرية لم تكن انقلاباً علي الماضى الشعرى والتقاليد العروضية بقدر ما كانت ثورة علي النموذج الأحادى فى تاريخ البلاغة العربية. إنها تدعو إلي تعددية النماذج، لا نمطيتها المسبقة، وإن كان ذلك فى حدود الوزن الذى تراه نازك الملائكة أساسياً فى الشعر.

إن قصيدة «الكوليرا» التى تعتبر فى عرف الباحثين القصيدة التى أطلقت حركة الشعر الحر وبلورت إرهاصاته فى الوطن العربى،(١٨) كانت قصيدة نابعة من أحزان أحست بها الشاعرة تواصلاً مع مصر التى كانت تعانى حينذاك من وباء الكوليرا، وبشكل خاص أحست نازك الملائكة بأوجاع الفقراء والغلابة الذين يدفعون دائماً الثمن مضاعفاً: «فى الكوخ الساكن أحزان/ فى كل مكان روح تصرخ فى الظلمات». إن رهافة نازك الملائكة وإحساسها العميق بقوميتها وانتمائها، وبالمستضعفين والمسحوقين، هزّ وجدانها أمام المرض الزاحف والموت الجاثم، فهزت بدورها عمود الشعر

العربى لتبدع لغة إيقاعية جديدة تستوعب الحاضر المركّب بكل تعقيداته. وعندما قرأت القصيدة علي والدها استهجن خروجها علي النمط الكلاسيكى وترديدها ثلاث مرات لكلمة «الموت». لكن نازك الملائكة ردت بثقة واعتداد بأن هذه القصيدة نقطة انطلاق لشعرية عربية جديدة. وكانت نازك تري أن التجديد يأتى نتيجة رغبة روحية ملحّة فى رأب تصدع تعانى منه الأمة. وقد لا يكون المبدع المجدد واعياً بهذا التصدع لكنه يستشعره ويندفع نحو إحداث التجديد فى حقله.

لقد اهتمت نازك الملائكة بالجانب النفسى للشعر فنشرت سايكولوجية الشعر ومقالات أخري (١٩٩٣)، كما اهتمت بالجانب العروضى فى التجديد الشعرى ونشرت قضايا الشعر المعاصر (١٩٦٢) قبل ذلك بثلاثة عقود. وقد أعيد طبع كتابها الأخير عدة مرات. ولم تقتصر كتابات نازك الفكرية علي قضايا الشعر فحسب بل تجاوزتها إلي الكتابة عن المجتمع العربى، لأنها كانت تدرك الرابطة الحميمة بين الشاعر والمجتمع. ونشرت التجزيئية فى المجتمع العربى (١٩٧٤) جامعةً بين دفتى هذا الكتاب العديد من مقالاتها المنشورة فى مجلة «الآداب» البيروتية. وفيها تكشف نازك الملائكة عن ازدواجية المعايير بالنسبة للمرأة والرجل واستهانة الذهن العام واللغة ذاتها بالمرأة وقيمتها. وتعبر نازك الملائكة عن موقفها من المرأة فى قصيدة «غسلاً للعار»،[١٩] ففيها درامية الحدث، كأننا أمام مشاهد مسرحية متتالية، كما أن فيها مفارقة ونقداً للنسق الاجتماعى التقليدى الذى يسمح للرجل بقتل أخته أو ابنته «غسلاً للعار» وحفاظاً لسمعة العائلة، حتي عندما يكون العار مجرد شك ووهم بينما يمارس هو الفجور مع غانية. تبدأ القصيدة بحشرجة المقتولة ظلماً التى تقول «أماه» لكن جلادها لا يسمع نداءها ولا يشفق عليها. يتبجح الجلاد بفعلته ثم يقضي ليلته فى الحانة مع غانية. وهنا يصبح تكرار لازمة «غسلاً للعار» هاجساً مفارقاً. ونجد كورس من النساء (الجارات) اللواتى يسألن عنها ويحكين حكايتها ويشعرن بأن مستقبلهن مشابه لها، فهن يدفعن ثمن الشرف الزائف: «ستُقص جدائلنا وستسلخ أيدينا/ لتظل ثيابهمو بيض اللون نقية».

وكما تُمسرح نازك الملائكة فى شعرها العادات السيئة فى المجتمع التى تنال من المرأة، فهى توظّف أيضاً تهويدات الأم فى قصيدة «أغنية لطفلى»[٢٠] الموجهة إلي ابنها برّاق التى تستخدم فيها كلمات طفولية. وقد قامت هى نفسها بشرح شاعرية هذه القصيدة بعد أن هوّن بعض النقاد من قيمتها.

وهكذا نجد أن نازك الملائكة استمدت من تجربتها المعيشة كامرأة وأم مادةً وظفتها شعرياً، مبدعةً قصائد ذات أغراض شعرية جديدة تتخذ من الهموم والهواجس النسوية إطاراً. لكن نازك لم تقتصر علي هذا المنحي، إذ تساءلت عن ماهية الوجود فى قصيدتها «أنا»،[٢١] وعبرت عن فلسفتها الشعرية فى قصيدة «إلي الشعر»[٢٢] مشيرة فيها إلي الأساطير وإلي شهرزاد، وتناولت

الجانب العاطفى فى قصيدة «الخيط المشدود فى شجرة السرو».[٢٣]

واكبت نازك الملائكة الأحداث السياسية الكبري فى وطنها الصغير، العراق، ووطنها الكبير، بلاد العرب، فى قصائد كثيرة. وبتواتر الهزائم والنكبات التى أثّرت فى تكوينها النفسى المرهف، انسحبت نازك من الأضواء، وكتبت قصائد ذات طابع روحى وصوفى وتراجعت عن المواجهة، بل أحياناً ارتدّت عن تمردها القديم. وفى هذا يتراسل مسار تجربتها مع تجربة الشاعرة الكلاسيكية عاتكة الخزرجى التى سطعت فى فضاء بغداد وفى الملتقيات العربية ثم توجهت نحو الشعر الصوفى مبتعدة عن ضجيج المجتمع.

أما الشاعرة لميعة عباس عمارة التى كانت زميلة لنازك الملائكة ولبدر شاكر السيّاب، فقد أبدعت قصائد رقيقة فى الغزل والوطن، وتم تلحين بعض أشعارها. ومن أشهر قصائدها الغزلية «لو أنبأنى العراف» التى تستهل كل مقطع بعنوان القصيدة،[٢٤] لتوضح ما كانت «الأنا» الشاعرة ستفعل لو عرفت أنه سيكون لها حبيب، وأنها ستلامس «وجه القمر»، وأن حبيبها «سيكون أميراً فوق حصان من ياقوت»، وأنه سيأتيها بالشمس. وهنا تستخدم الشاعرة الحكايات الشعبية والأساطير والموتيفات السحرية، لتؤكد أنها كانت ستكون أقوي لو عرفت أن الحبيب آت، وكانت ستحتفظ بدموعها «ليوم قد تهجرنى فيه»، كما تقول فى خاتمة القصيدة. يأخذ الحب والحبيب هنا موقعاً أثيراً، حيث تعبر «الأنا» الشاعرة لا عن هواها فحسب ولكن عن همومها ومخاوفها التى كانت بالفعل («الحلم بالموت»، «هموم الأمس»، «تجمد»، «بكاء»)، والتى قد تكون فى المستقبل (هجرة الحبيب لها). فى هذه القصيدة، نجد صورا وبِنْية تقترب من الأسلوب والحكى الشعبى فى رصد العواطف: الحبيب الأميَر القادم «فوق حصان من ياقوت» الذى سيحمل بكفيه «الشمس». وهذه من الموتيفات التى كثيراً ما تناقلتها حكايات الشعوب، وبشكل خاص ما تحكيه المرأة، لكنها هنا معبّر عنها بلغة الشعر الفصحي ولغرض من أغراض الشعر القديم الرئيسية، ألا وهو الغزل. ويمكننا أن نرصد كيف تجمع الشاعرة بين المحكى والشعرى، بين المخيلة الشعبية والمواضعات الشعرية، بين المأثور النسائى والتقليد الرجالى. لقد ظل الغزل حكراً علي الرجال فكم تغزّلوا بالمرأة، لكننا قلما نجد فى التراث الشعرى العربى شاعرة تغزلت فى الرجل. فمثلاً، كانت الشاعرة الرائدة فطينة النائب (صدوف العامرية) «حين تكتب غزلاً لا تخاطب الذكر صراحة، بل ترمز إليه بكلمة «غزال» أو «قمر» أو غير ذلك. وكانت تتكتم علي مشاعرها تجاه الرجل بسبب الظروف الاجتماعية التى فرضها المجتمع آنذاك».[٢٥]

ومع أن لميعة عباس عمارة تنغمس فى التعبير عن عواطف كان لدهور طويلة من حق الرجل وحده الإفصاح عنها، فهى فى قصيدة أخري «شاعرة الحب!؟»[٢٦] – كأنها تستدرك – تصف وحدة «الأنا» علي الشاطئ الأطلسى وهى تراقب من نافذة غرفتها (فى فندق ما فى المغرب) الآخرين المتنزهين

علي الشاطئ، كل اثنين معاً فى لباس البحر: «مجردين، غير خيطين، بقايا ملابس». وتسمى الأنا الشاعرة تلك الغرفة «محبسى»، لتنتهى القصيدة عن مفارقة تغزّلها دون أن تكون لها تجربة فى الحب: «كفيلسوفٍ/ يصف الخمر التى/ لم يحتس».

وما يقابل هذا التذبذب عند لميعة عباس عمارة بين البوح والإيهام، بين التعبير عن المشاعر الحسية وبين الخضوع لآليات التكتم، نجده أيضاً عند نازك الملائكة التى بدأت بثورية عارمة وقلق وجودى، لكنها فقدت بمرور السنين هذه الروح النضالية، لتستبدل بشكوكها وحيرتها التى طالعتنا فى قصائدها الأولي يقيناً وتعالياً علي الواقع متخذة من الروحانيات والتصوف ملجأ يقيها الضغوط المتضاربة. وفى بحث مقدم فى مؤتمر «١٠٠ عام علي تحرير المرأة العربية» (١٩٩٩) فى القاهرة، تحسّرت الشاعرة والناقدة الكبيرة سلمي الخضراء الجيوسى علي مصير الرائدات العربيات اللواتى دفعن ثمناً باهظاً لطليعيتهن وتقدميتهن، من أمثال نازك الملائكة العراقية ومى زيادة الفلسطينية ودرية شفيق المصرية.

وفى قصيدة للشاعرة العراقية زهور دكسن بعنوان «الغريب»[٢٧] موتيف يتقاطع مع قصيدة لميعة عباس عمارة «شاعرة الحب!؟» مع الاختلاف الأساسى فى الرؤية الشعرية عند كلتيهما. تختتم زهور دكسن قصيدتها: «واعتلي - حين لوّح لى - تلةً... ثم سار/ وخلفنى أرقب الدرب/ من كوة فى الجدار!»، وفى هذه القفلة الشعرية نجد الراصدة فى القصيدة تنظر إلي الخارج وتتأمل ما يجرى فى العالم بينما هى فى «محبس» بشكل ما، تتطلع «من كوة فى الجدار!» كما فعلت الأنا الشاعرة فى قصيدة لميعة عباس عمارة، حيث تطلّعت من نافذتها إلي العالم الخارجى. وهذه النظرة من الداخل إلي الخارج المشوبة بحسرة علي الانغلاق المفروض ما هى إلا تلخيص لوضع المرأة العراقية خاصة والعربية عامة، حيث يُفرض عليها ملازمة المنزل والتعرف علي العالم من خلال نافذة أو كوة. وتختلف قصيدة زهور دكسن عن قصيدة لميعة عباس عمارة، لكونها أكثّر تعقيداً بسبب الإحالات التى فيها علي نصوص أخري. فهى تبدأ باستشهاد استهلالى مقتبس من الشاعر الأمريكى والت ويتمان (١٨١٩-١٨٩٢) الذى يعتبر أبا الحداثة، وفى الاقتباس ذكر لمخاطبة الغريب العابر والبحث المضنى عنه. ثم تنتقل شاعرتنا فى القصيدة إلي ذكر السهروردى (المقتول فى عام ١١٩١ الميلادى) وتسميه «الغريب». والسهروردى متصوف عرف بعمله الغربة الغربية، وفى قصيدة «الغريب» نجد تقاطع المرجعيات الغربية والشرقية، لكن ما يجمعها هو «الغربة»، التى تتماهي معها الأنا الشاعرة، إذ تسعي وتحلم بلقاء هذا الغريب القريب، الغريب «علي الدرب» والقريب إلي الروح الذى تتمني اللقاء به: «لو تلتقيني». لكن هذا السهروردى المتخيل لا يفعل أكثر من التلويح ثم يسير تاركاً الأنا الشاعرة راصدةً لمسيرته. وروعة القصيدة تكمن فى جمعها بين الغرباء - وتحديداً الغرباء عن مجتمعهم الساقط - بصرف النظر عن

الثقافات المختلفة والعصور المتعددة التى ينتمى لها هؤلاء، كأن هناك جماعة من الخارجين يشيرون لبعضهم البعض، تماماً كما تفعل الإشارات التناصّية فى القصيدة، دون أن يجتمعوا أو يتوحدوا. إنها قصيدة تحكى غربة الذات وتتطلع إلي رفاق طريق، لكنها أيضاً تحكى أن الرفقة ليست إلا إيماءة من بعيد، لا أكثر.

وفى قصيدة «الطارقون بحار الموت» لآمال الزهاوي[٢٨] من ديوان يحمل العنوان نفسه ومهدي إلي أمها «التى تسربت خلسةً كما يتسرب الماء»، ترصد الأنا الشاعرة «الجسد الساجى» وتطرح تساؤلات من فُجع بموت عزيز، فتتراءي الأشياء ملتبسة بين الواقع والحلم، بين الصدمة والتسامى: «حين سقطت ببحر الإغماء/ وتراءيت بساطاً سحرياً/ ارتجتْ من حولى الدنيا». ويأتى فَى ما بعد ذكر العنقاء، ذَلك الطائر الخرافى الذى يموت ليقوم من جديد. إن رفض الموت هنا يتخذ صيغة توصيفه حلماً أو إسراءً: «هل أنت بحلم تمضين/ وإنى أحلم فى سرى/ فكرت بيوم يصهل لى فيه ركاب الإسراء». وفى قصيدة أخري تتمحور حول الموت أيضاً بعنوان: «جدران الزئبق»[٢٩] المهداة هى الأخري إلي والدة الشاعرة، تقدم آمال الزهاوى طقس الموت والاستشهاد متمثلةً استدارته ودورته: «الدورة مفرغة/ ومحيط العالم مبتور/ والناس كحبات فى مسبحة»، فتتمثل كربلاء («كرب بلاء»)، وتكرر لازمة «حيدر»، وتستخدم أنغاماً صوتية ترافق مواكب العزاء فى عاشوراء. وبهذا توظّف الشاعرة جمالياً مشهداً دينياً طالما أبدعت الشاعرات الشعبيات والملايات والندابات التغنى به والإشارة إليه. لكنه هنا يصبح قصيدة أى فناً رفيعاً مستوحياً تراثاً دينياً ونسائياً: «يا رملة الصحراء مدّت عنقها المجروح للسماء/.../ تستمطر الأحزان عبر ساحة/ فواحة النداب حين حشرجت/ أسقطت الزمان للوراء». وهى ضمناً تحكىً فى هذه القصيدة، عبر إشارات مقتصدة ومكثفة، مقتل الحسين: «يا عباس/ يا نسر الشمس الفوّارة/.../ كيف كبوت علي الرملة مجزوز الأيدى/ لو أنت أتيت بكف الماء/ ساقيت به ظمأ الأطفال العطشي». ولا تنسي الشاعرة وهى تقدم صورة من هذا الطقس الدينى، دور المرأة فى الحشد المواكب («صوات امرأة»، «يشجب نسغ النسوة»، «أجت فى الساحات خيام النسوة»)، لكنها وهى تستعرض هذا المشهد الحزين لا تري فيه حدثاً تاريخياً فحسب، وإنما تربطه بما يحدث للأمة العربية: «فى جرح الأمس/ وفى القدس وسيناء/ الساحة للغالب». وتضيف الشاعرة موظفة الأساطير البابلية التى تري أن شقائق النعمان نبتت من دماء تموز، الإله المقتول: «وتحاول أن تبزغ طعماً... هدفاً/ كى تنبت من وهج دماه زهور النعمان/ تنداح ليالى الإثم علي جرح حزيران». إن الجرح الماضى والجرح الحاضر، إذن، متوازيان فى القصيدة، فاستحضار الماضى وطقوس العزاء الشيعية إنما تؤكد بشكل غير مباشر علي طقوس الشهادة وضرورتها للقيام والانبعاث والتجدد.

ونجد فكرة القيامة والولادة الجديدة أيضاً عند الشاعرة دنيا ميخائيل التى

توظف التراث المسيحى، وتلك الرغبة الإنسانية الملحّة فى أن يقوم الإنسان من موته أو محنته متجدداً، وذلك فى قصيدتها « أبيض ... أسود ».(٣٠) تستهل الشاعرة قصيدتها باستشهاد من الإنجيل: « هذا هو يوحنا المعمدان قد قام من الأموات »، كما ترصّع قصيدتها بآيات من الكتاب المقدس. والقصيدة تبكى موت الأب مقابلةً بين بياض المستشفي وسواد الحداد، وموظفةً لعبة الشطرنج فى ثنائية المواجهة، فتشبّه أباها بالملك الذى لم يمُت وإنما كان نائماً. إنها محاولة الأنا الشاعرة فى مقاومة الموت باستحضار صور القيامة والبعث، من جهة، وصور لعبة الموت والحياة فى الشطرنج، من جهة أخري. وتشبيه الموت بالنوم يرد فى الشعر العالمى بكثرة وقد خلّده هاملت فى مونولوغه الشهير.

وفى قصيدة أخري لدنيا ميخائيل « لست أنا...م ».(٣١) مهداة إلي الأديبة العراقية لطفية الدليمى، نجد شعراً يتلاعب باللغة ليحول البعيد إلي قريب (»هناك » إلي « هنا ») والغياب إلي حضور (»أنام » إلي « أنا »)، فتقول: « ما أصعب أن تنهض منى الـ/ « هناك »/ وتقضم « كافها »/... / إنى أتناقص/ لست أنا... م »، فبحذف حرف الميم تتكشف الأنا وبحذف حرف الكاف يتجلي الهُنا. ونجد موتيف تهويدة الأمهات كناية عن الأمومة عندما تقول دنيا ميخائيل فى قصيدتها: « لا تهزى المهد/ يا أم الحنانات/ لا تهزى المهد/ لا أقوي علي الأغنيات ». فهنا تصبح لطفية الدليمي التى تهديها دنيا ميخائيل القصيدة أماً مجازية، بعد أن كان المخاطب أماً حقيقية فى قصيدة آمال الزهاوى. والأهم أن نرصد كيف يتشكل خطاب أدبى نسوى يسعي إلي ربط المبدعة بسلسلة نسوية عن طريق الأم بوصفها نسباً أو انتساباً: فنحن نقع علي إهداءات للأم، وعلي تصوير وتمثّل لها. وقد سبق أن ذكرنا أن الشاعرة نازك الملائكة قامت بجمع قصائد أمها ونشرها، مما يدل علي تواشج نسائى بعضه اعتراف بفضل الأم فى التوجيه وبعضه رغبة فى تشكيل نسيج نسائى يكمل النسيج الرجالى المهيمن. فعوضاً من أن تُعرف الشاعرة بأنها ابنة لبيد العامرى أو ابنة عبد المحسن الكاظمى، تقوم شاعراتنا بتوثيق قرابتهن الحقيقية والروحية لبنات جنسهن، لا رغبة فى الانفصال عن الشجرة العائلية بجذعها الذكورى ولكن للتذكير بأن الفرد ينتمى إلي الوالدة كما ينتمى للوالد.

وفى العقدين الأخيرين من القرن العشرين عاني العراق أهوال الحرب والحصار، فقد استمرت الحرب العراقية الإيرانية ثمانى سنوات (١٩٨٠-١٩٨٨)، تلتها حرب الخليج فى ١٩٩١ التى انتهت بالاسم واستمرت بالفعل حتي يومنا هذا، فارضةً حصاراً علي شعب العراق بعد أن فتتت طيارات التحالف والعدوان بنيته التحتية، مما أدي إلي موت أكثر من مليون عراقى جلّهم من الأطفال والنساء. فمن نافلة القول إن الشرائح الضعيفة والتابعة تعانى الظروف القاسية أكثر من غيرها فى المحن. وقد أدت هذه الحالة المأساوية التى ألمّت بالوطن إلي تفجير نصوص إبداعية منها

ما يقع فى منزلة المابين: ما بين الشعر والسرد، ما بين التقرير والأسطورة. فالمرأة المبدعة أحست بالمحنة إحساساً مضاعفاً: مرة لأنها تطال الوطن كلّه، ومرة مكررة لأنها تطال المجال النسائى بشكل أخص وأقسي. وفى قصيدة أمل الجبورى «الحزن زكاة القلب».(٣٢) تفتتح الشاعرة عملها: «عن أطول حرب حتي أقصر الحروب/ من موتك حتي هذا الخراب/ تفتت الفرح». وتقوم الأنا الشاعرة بلعنة الحروب، ذاكرةً «دمع الأمهات والأرامل واليتامي». ونجد فى قصيدة «بانتظار القصف» لبشري البستانى وصفاً للحظات التى تلازم صافرة الإنذار، معلنة توقع صواريخ العدوان الوحشية:

«دقت الصافرة
ستأتى الصواريخ،
منتصف الليل هذا،
وبيتى كان علي وشك النوم
الياسمين غفا،
السرو كان سيغفو
علي صوتها فزّ سرب الطيور
وسرب الطفولة
فزّت شوارع آمنة
وحقول»(٣٣)

وفى افتتاحية هذه القصيدة تتساءل الأنا الشاعرة فى منتصفها عمن سيموت فى آخر الليل: طفلها أم أخوها أم جارتها. إنها توصيف لحالة ترقب لوجع مقبل. وأما قصائد مى مظفر المكتوبة فى أعقاب حرب الخليج التدميرية، فهى تبتعد عن المباشرة، فى قصيدتها «المدينة»،(٣٤) لكنها تؤكد الوجع بشكل آخر، فالزمن مساء والفصل شتاء «فيفيض من جرح البيوت أنينها». وتشير الشاعرة إلي أسطورة العنقاء دون ذكرها، العنقاء التى تولد من جديد بعد احتراقها. تنتهى هذه القصيدة القصيرة الأقرب ما تكون إلي منمنمة شعرية، بتوصيف بغداد والرغبة فى استعادة تألقها:

«بغداد...
لؤلؤةٌ ثوت فى القاع هل من
عاشق... أو ساحرٍ
يندسُّ بين رمادها
ويعيدها»

وفى قصيدة «أبواب»(٣٥) لمى مظفر، تتحدث الأنا الشاعرة بأسلوبٍ متوارٍ عن الحصار والإحساس بالقيد والحبس، وهنا لم يعُد المحبوس امرأةً محكوماً عليها بالاختفاء وراء الجدران، وإنما المحبوس شعب بكامله. تستعير الشاعرة هنا ملابس المرأة العراقية التقليدية التى تحجبها عن الناس، مثل البرقع والعباءة، لتدلل بها علي الحصار:

«والليل أسدل برقعه،

والشمس من طول المسار تخاذلت،
وطوي النهار عباءته»

تستعير الشاعرة مى مظفر مفردات مرتبطة بالمرأة لتشير إلي الحصار المستمر الذى يأخذ بنية المتاهة («باب خلف باب.../ خلف باب») والذى يخلق سيولة زمنية («فلا مواقيت تحدد يومنا.../ أو نومنا...»)، فالانغلاق وعدم القدرة علي الخروج من المأزق الوجودى يخلخل الزمن أيضاً ويجعل النهار كالليل.

وفى قصيدة نثر لسهام جبار «ذات انفجار»،(٣٦) تستخدم الشاعرة الأجواء الأسطورية والمقدسة وبشكل خاص سفر التكوين وسورة مريم («قومى وهزى إليك الضروع ينقذف فيك الوجود»)، فى تناص أدبى رائع يوحى بمقاومة هذا الخراب والحصار وإمكانية الخروج منه موظفةً قوي الحنان والأمومة – المرتبطة تحديداً بالمرأة – بالسياق العام ومحنة الوطن. فكل هذا التصدع الذى واكب الانفجار تمتصه الأم/ الأرض: «اغرسى زرقة الحنان وأمومة الموج ليتبدل المشهد وتنقرض الوحدة».

القص:

نشرت رائدة القص فى العراق، دلال خليل صفدى، مجموعة قصصية فى النجف حوادث وعبر (١٩٣٧)، ويري الناقد عمر محمد طالب أن تسمية هذه المجموعة بمصطلح «قصص» تجاوز، لأنها مكتوبة «بلهجة خطابية وبنبرة مرتفعة جداً تعظ بنات جنسها وتدعوهم إلي التمسك بالفضيلة والأخلاق والتعاليم الدينية، وتحكى الكاتبة أحداثاً عن المصائر المشينة التى تنتهى إليها المرأة المنحرفة».(٣٧) ويمكن إدراج هذه المجموعة فى نطاق القصص التعليمى الذى يفتقد فنية القص، وهذا ما يميز التجربة القصصية العراقية عامة فى بداياتها المتواضعة التى لم تحقق طفرة جمالية إلا بعد نضوجها فى الخمسينيات. وبعد نحو عشر سنوات نشرت قصة طويلة بعنوان «عقلى دليلى» (١٩٤٨) لمليحة إسحق. وهذه القصة، وإن كانت لا تتميز بفنية عالية، إلا أنها تقدم صورة إيجابية للمرأة وتميز المرأة عبر الأجيال، متضمنة رسالة غير مباشرة فى ضرورة استقلالية المرأة اقتصادياً وفكرياً. فماجدة التى تحب جارها سمير تضطر إلي أن تتزوج من رجل ثرى لكنه سكير، لإصرار والدتها. وتحاول ماجدة أن تتكيف لحياتها الزوجية خاصة بعد ميلاد ابنتها أحلام، ولكن زوجها يقع فى حب راقصة ويخسر أمواله ويختفى ويعلن إفلاسه. لكن ماجدة لا تيأس بل تعكف علي العمل المتواصل فى حياكة الملابس، إلا أنها تقع مريضة فترعاها ابنتها أحلام التى تأخذ مسئولية العائلة وتقوم بالحياكة إلي جانب الدراسة. وعندما تتخرج أحلام تصبح كاتبة وتتعرف إلي أديب تحبه ويحبها، لكن ابن خالتها يهددها بالقتل إن لم تنصرف عن حبها، إلا أنها امرأة واثقة من نفسها وترفض الرضوخ، مما يؤدى إلي أن يجن ابن خالتها ويرميها بالرصاص. ومع أن الرصاصة تجرحها دون

أن تقتلها إلا أن خطيبها الأديب ينتحر ظناً منه أنها قد ماتت. وعلي الرغم مما حدث، لا تنهار أحلام وإنما توظف عقلها وتستمر فى العمل علي إسعاد عائلتها.[٣٨] يلاحظ القارئ أن جدة أحلام (أم ماجدة) سعت إلي تزويج ابنتها زواجاً تقليدياً يهتم بالمال أكثر مما يهتم بالشخص، وأن الابنة رضخت للأمر وإن استخدمت مهارتها اليدوية لتوفر اللازم لعائلتها بعد أن هجرها زوجها المفلس. أما الحفيدة فتستمر فى مسيرة أمها موظفة مهارتها اليدوية فى الحياكة، لكنها أيضاً تطلب العلم وتنجح فيه، كما أنها بعكس أمها لا ترضخ لإرادة سلطوية. صحيح أنها تعانى فتفقد خطيبها الأديب، لكنها فى آخر الأمر تستمر مسلحة بالعقل فى مسيرتها النضالية. وهذه الحبكة علي الرغم من تهافتها الفني توحى بتقدم ما فى مسيرة المرأة عبر الأجيال.

ونجد عبراً تعليمية وأخلاقية فى كثير من الأعمال السردية النسائية، وقد يكون ذلك مرتبطاً بدور المرأة التربوى، خاصة الأم، فى النسق العائلى فى المجتمع العراقى. وهذه «الدروس» التى تنطوى عليها الرواية أو القصة تختلف باختلاف منطلقات صاحباتها، فليست الأديبات سواسية فى تصوّرهن لنهضة المجتمع، فمنهن من تبنين المنظور القومى أو الماركسى أو الإسلامى، لكنهن يتفقن جميعاً - علي تنوع إيديولوجياتهن - علي مركزية دور المرأة فى بناء المجتمع.

ويري عمر الطالب أن «نضال المرأة العراقية ضد التخلف والقهر» ظهر واضحاً فى قصص سافرة جميل وسميرة المانع وسهيلة الحسينى ومى مظفر ولطفية الدليمى وديزى الأمير وبثينة الناصرى وعالية ممدوح وبلقيس نعمة العزيز وسالمة صالح وغيرهن.[٣٩] وفى كثير من القصص المكتوبة فى الخمسينيات والستينيات تحتل العلاقة الزوجية المتفاوتة مكاناً أثيراً للتوصيف والانتقاد، وتأخذ خيانة الرجل لزوجته مساحة كبيرة. وفى رواية آمنة حيدر الصدر [بنت الهدي] «الفضيلة تنتصر» نجد نموذجين للمرأة أحدهما يمثل الخير والآخر الشر، وتنتصر الصالحة علي الطالحة، وللرواية قيمة أخلاقية وعظيّة واضحة.[٤٠] أما قصص العلاقات الزوجية السعيدة فى الأعمال القصصية للأديبات، فهى كثيراً ما تكون صورة خارجية لا تعبّر عن واقع العلاقة الذى يكشف عنه العمل، كما فى قصة «زواج مثالى» لصفية الدبونى، أو أن الزيجات السعيدة تنتهى نهاية ميلودرامية فيموت الزوج أو الزوجة، كما فى قصتى «انتفاضة قلب» و «أزمة كبرياء» لسهيلة داود سليمان، وقصة «من آهات القصور» لمليحة إسحق. ومن الروايات القليلة التى تكون فيها الفتاة إيجابية وتستقل اقتصادياً وتتعرف إلي رجل يقدّرها ويحبها فيتزوجان ويعيشان عيشة زوجية سعيدة، رواية نادية (١٩٧٥) لليلي عبدالقادر، وتقدم هذه الصورة المشرقة أيضاً للمرأة الإيجابية التى تنتهى سعيدة فى الزواج قصة «زوال النحس» لسليمة خضير.[٤١] ولكثير من هذه القصص أهمية سوسيولوجية أكثر منها فنية، فهى تشير إلي ندرة التحقق فى العلاقة بين الجنسين، بضغط التقاليد أو أنانية الرجل أو تدخل القدر.

ويتخذ عذاب المرأة حيزاً كبيراً فى هذه القصص والروايات، كما يرد التقابل بين نموذج المرأة المتغربنة أو المرأة البورجوازية، من جهة، والمرأة العراقية الصميمة أو المرأة التى تعمل، من جهة ثانية، محبذاً الأخيرة. وتضحية المرأة لأسرتها ولمن تحب تيمة متواترة، ففى قصة «بائعة الدم»، لفتاة بغداد نجد المرأة تبيع دمها لتنقذ أخاها، وفى قصة «عصفت برأسى» لسالمة صالح، تمارس الأم البغاء لإنقاذ ابنها من الجوع، وتضحى الزوجة بمطالبها الإنسانية كى تعين زوجها، فى قصة «ثبات» لآمنة حيدر الصدر [بنت الهدي].

ومن القاصات الرائدات اللواتى أثبتن عطاءهن كيفاً وكماً، فنياً وتراكمياً، ديزى الأمير التى عبّرت عن هواجس المرأة العراقية وقلقها، عن وحدتها واغترابها. إنها قاصة متميزة وغزيرة الإنتاج، تهتم بالبعد النفسى لا بالحدث الخارجي فى قصصها. وكثيراً ما تناولت العلاقات الاجتماعية بالتوصيف وركّزت علي عدم تأقلم المرأة فى الوسط الذى تعيشه. وعلي الرغم من كونها ولدت فى الإسكندرية وعاشت طويلاً فى بيروت وقضت زمناً غير يسير فى الغرب، إلا أنها ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بوطنها العراق حيث ترعرعت وكبرت. وقد صادقت ديزى الأمير الشعراء والأدباء الكبار فى الوطن العربى ومنهم الشاعرة نازك الملائكة والشاعر خليل حاوى اللبنانى. وفى قصتها المتميزة «الباكية» المكتوبة بضمير المتكلم،(٤٢) تفتتح الأديبة ديزى الأمير عملها بالبطلة مستيقظةً علي صوت بكاء، وتظن فى أول الأمر أنه قادم من بيوت الجيران. وفى الليلة الثانية تسمع البكاء مرة أخري، فتتساءل إن كان صوت نواح أو صوت الريح. وتتأكد البطلة من أن «البكاء أنثوى الصوت»، وتتساءل عن سبب حزن الباكية. ويتطور البكاء ليصير أشبه ما يكون باستغاثة. وتخرج البطلة ذات يوم نهاراً إلي ضاحية، فتري مشروع الغابة المزروعة هناك للتخفيف من التلوث البيئى: «جاءت شاحنات واسعة تحمل أشجاراً سامقة متكاملة تحمل معها جذورها المغروسة فى التراب، لتجلس فى الحفر... التى أعدت لسكناها». وكلما ازداد البكاء فى الليل طلبت البطلة راحةً لها فى زيارة الغابة المزروعة. وفى يوم من الأيام، تصطدم بشجرة ذات جذع مائل يبدو عليه المرض. أخيراً تموت الشجرة فتفسر البطلة ذلك بانتحارها، لأنها اقتُلعت وفُرضت عليها الهجرة. فى تلك الليلة لم تسمع بطلتنا البكاء الليلى المعتاد، لكنها هى التى بكت. تحمل هذه القصة بعداً رمزياً – أو علي الأصح أمثولياً لوضوحه وأحاديته – فالبطلة كالشجرة تحس بالغربة بعيداً عن موطنها، إلا أن القارئ يتساءل أمام هذا الموتيف «انتحار الشجرة» الذى يؤنسن النبات إن كان مجازاً لتمثيل وضع البطلة أو هو من خيال البطلة المرهقة نفسياً لاغترابها، كما يتساءل إذا كانت هى التى تبكى كل ليلة فيخيل إليها أن الباكية آخر. وتساؤل المتلقى يضيف من تميز القصة، لأنه يفتحها علي احتمالات عديدة. إنها قصة تتحدث عن لوعة الاقتلاع، علي أى مستوي نقرؤها، وهى تكشف حالة

المغتربات والمغتربين العراقيين والعرب فى أنحاء المعمورة.
وإذا كانت قصة ديزى الأمير تصف حالة اغتراب نموذجية موظفة رموزاً من الطبيعة وتاركة الخاتمة مفتوحة علي تفسيرات عديدة، فقصة هيفاء زنكنة «المحطة» فى بيت النمل (١٩٨٩) تقدم مشهداً آخر للغربة،(٤٣) ألا وهو محطة شبه مهجورة فى بلد بعيد. والقصة تدور حول رجل عراقى لاجئ يعمل كناساً، ويتذكر عبر هذه المحطة، فى لندن، التى يقوم بكنسها طفولته حيث كان يسكن «قرب سكة للحديد»، مستحضراً لهو الصبا فى الأيام الخوالى فى العراق. لقد كان يلعب فى طفولته مع فتاة وعدته بأن تتزوجه، والآن وهو فى هذه المدينة الغريبة يلاحظ امرأة وفتاة جالستين، وبجوارهما شابان. وتصف لنا القاصة عبر تيار الوعى عند البطل مشهد الأم والبنت من منظور الكناس العراقى، بما فى ذلك تفاصيل ما يجرى بينهما دون أن يسمع حديثهما، لأنهما علي المصطبة المقابلة، كأننا أمام فيلم سينمائى نري صوره المتحركة ولا نفقه لغته، مما يزيد جو التغريب. يعبر شاب سكة الحديد، بطريقة تستدعى ألعاب طفولة اللاجئ، والمشهد الحاضر يجعله يتذكر ما لم يكن: «لو لم يجبر زوجته علي الإجهاض... وكان لديه الآن ابنة فى العشرين أو ابن فى العشرين أو كلاهما معاً». وبانثيال ذهنى يستحضر انتقاله من بلد إلي آخر وكيف طلب اللجوء وردّ كتابةً علي أسئلة المحققين. وفى غربته يحن إلي مدينته بعد أن يتخلص من كل عيوبها. ويتذكر رغبة زوجته فى الإنجاب ومعارضته لذلك، حتي لا يصيب الأطفال ما أصاب والديهم. وعندما أحس أن زوجته حامل أجبرها علي الإجهاض، فرفضت مرافقته عندما غادر مدينته. ويدل الإجهاض هنا علي عقم روحى تستبطن الزوجة دلالته. وهكذا يستعيد البطل حياته الخاوية فى هجرته بينما يراقب النمل الذى يلد ويتكاثر غريزياً. وأخيراً، عندما تغادر المرأة والفتاة والشابان المحطة يبقي هذا البطل-الضد وحيداً، لينتهى بالقول إنه سيغادر إلي بلد آخر لعله ينسي ماضيه، «حينئذ قد يستطيع الإمساك بممحاة ومحو ماضيه كله».
هاتان القصتان علي اختلافهما تقنياً، تصوران الغربة واستحضار الوطن عندما نكون بعيدين عنه: الأولي لديزى الأمير تقدم الحالة عبر وعى امرأة مغتربة علي وشك الانهيار العصبى، والثانية لهيفاء زنكنة تقدمها عبر تيار الوعى لرجل لاجئ. تعتمد الأولي علي استخدام المجاز والرمز والثانية علي التقطيع والمونتاج، وفى كلتيهما نجد أن البطلة والبطل مسكونان بالوطن، ومحاولة إلغاء الماضى والتجذر فى محيط آخر تكاد تكون مستحيلة.
وهناك عدد من الكاتبات كتبن الرواية وأكثرهن تألقاً عالية ممدوح التى كتبت القصة القصيرة وروايتين مهمتين، أولاهما بعنوان حبات النفتالين.(٤٤) وفيها تقدم صورة روائية عن تاريخ العراق فى الخمسينيات، تعني بشكل خاص بتجلى الأحداث السياسية علي مرآة الوعى النسائى حينذاك فى بغداد وكربلاء. وفيها نجد اللون المحلى والمفردات العراقية فى السرد:

«أم ستورى تحزمت بالعباءة الصوف علي الخاصرة، تفرعت وشدت عصابتها السوداء علي رأسها وأطلقت الهلاهل. نظمت سبل الماء، نصبت خمسة أعمدة من الخشب السميك ووضعت بينها قدوراً وتنكات الماء الصافى، حشت أكياساً من الجنفيص بأقراص الخبز الطالع من التنور».(٤٥)

وتطعيم اللغة الفصحي بتعبيرات شعبية ومفردات اللهجة العراقية سمة تتميز بها الرواية العراقية، سواء كان المؤلف كاتبة أو كاتباً، فنجدها أيضاً عند الروائى العراقى فؤاد التكرلى، وعند مهدى عيسي الصقر، علي سبيل الذكر لا الحصر. وما يميز رواية عالية ممدوح هو التقاطها للنبرة النسائية، للحوارات التى تعكس مواقف أجيال مختلفة من النساء، وتكشف عن كونهن منخرطات فى المد السياسى يعبّرن بطريقتهن عن خياراتهن. ففى مشهد لمظاهرة شبابية مناصرة لجمال عبدالناصر مؤمم القناة (١٩٥٦)، عندما كانت الحكومة العراقية حينذاك تابعة للإنجليز، وهم أشد أعداء الزعيم العربى عبد الناصر، تصوّر عالية ممدوح دور النساء فى تعضيد المظاهرة الذى يتخذ أشكالاً عديدة من تهيئة الخبز والماء للمتظاهرين إلي الاستعداد بعدّة الإسعاف. ويصف الفصل الخامس عشر من هذه الرواية علي لسان البطلة-الفتاة كيف ناولها محمود «الشيوعى» منشوراً، وارتباكها فى تلك اللحظة كما لو كان قد لثمها. وبما أن ما يجرى من أحداث سياسية مصورة من قبل فتاة صغيرة لا تعرف كنه السياسة، فهى مقدمة كتقرير ساذج، دون صور مجازية أو حيل بلاغية، مما يزيد وقعها علي القارئ العارف، مشكلاً ما عُرف فى النقد بالمفارقة الدرامية.

وتتميز عالية ممدوح فى قصصها ورواياتها بالتقاط تفاصيل الواقع وغرائبيته. ففى قصة قصيرة بعنوان «العبور» مكتوبة بضمير المتكلمة،(٤٦) تقدم القاصة لقطات من الحياة فى بيروت الغربية فى مطلع السبعينيات، بسياراتها الفارهة ونسائها المتحذلقات فى شارع الحمراء. فجأة تفطن بطلة القصة إلي رجل جذاب يحاصرها بنظراته عبر نظارات سوداء سميكة، فيحدث لها «بلبلة جنسية» لتنتهى القصة - كما عند موباسان - بشكل فجائى ومثير يقلب توقعات البطلة رأساً علي عقب.

وعنصر المفاجأة متواجد أيضاً بفنية عند القاصة بثينة الناصرى ويشكل نقطة حاسمة وغير متوقعة تكشف عن المحو فى المنظور اليومى. ففى «حكاية سماح» لبثينة الناصرى(٤٧) تدور القصة حول طفلة فى الرابعة ابنة بواب فى عمارة تلعب فى الشارع فتصدمها سيارة مسرعة، وهو ما يحدث كثيراً فى شوارع المدن المكتظة بالناس والسيارات والموسومة بفوضي السير. بعد موتها تستحم الصغيرة ولأول مرة بالصابون المعطر عندما تُغسل قبل دفنها، ولأول مرة تبدو هذه البنت الفقيرة المتسخة نظيفة وجميلة، وتتحقق إنسانيتها وتأخذ حقها من الاهتمام عندما تكون قد فارقت الحياة، ويا لها من مفارقة!

العراق

(أ)
الدراسة

(ب)
المنتخبات

(ج)
البيبليوغرافيا

اختيار:

فريال جبوري غزول

نازك الملائكة

أنــا

الليلُ يسألُ من أنا
أنا سرُّهُ القَلقُ العميقُ الأسودُ
أنا صَمتُهُ المَتمرِّدُ بالسكونْ
قنّعتُ كنهى بالسكونْ
ولففتُ قلبى بالظنونْ
وبقيتُ ساهمةً هنا
أرنو وتسألنى القرونْ
أنــا من أكون ؟
والريحُ تسأل من أنا
أنا روحُها الحيران أنكرنى الزمانْ
أنا مثلها في لا مكان
نبقي نسير ولا انتهاءْ
نبقي نمرُّ ولا بقاءْ
فإذا بلغنا المُنْحنَي
خلناهُ خاتمةَ الشقاءْ
فإذا فضاءْ !
والدهرُ يسألُ من أنا
أنا مثلهُ جبّارةٌ أطوى عُصورْ
وأعودُ أمنحُها النشورْ
أنا أخلقُ الماضىْ البعيدْ
من فتنة الأمل الرغيدْ
وأعودُ أدفَنهُ أنا
لأصوغَ لى أمساً جِديدْ
غدُهُ جليد
والذاتُ تسألُ من أنا
أنا مثلِها حَيرَي أحدّقُ فى ظلامْ
لا شيء يمنحنى السلامْ
أبقي أُسائلُ والجوابْ
سيظَل يحجبُه سراب
وأظلّ أحسبهُ دنا
فإذا وصلتُ إليه ذابْ
وخبا وغابْ
١٩٤٨

◆ ◆ ◆

الكوليـــرا

سكن الليلُ
أصغِ إلي وَقْع صَدَي الأنّاتْ
في عمقِ الظلمة، تحتَ الصمتِ، علي الأمواتْ
صرخَاتٌ تعلو، تَضطربُ
حزنٌ يتدفقُ، يلتهبُ
يتعثّر فيه صدَي الآهاتْ
فى كلِّ فؤاد غليانُ
فى الكوخ السَاكنِ أحزانُ
فى كلِّ مكَانٍ روحٌ تصرخ فى الظُلُماتْ
فى كلِّ مكانٍ يبكى صوتْ
هذا ما قد مزّقَهُ الموتْا
الموتُ الموتُ الموتْ
يا حُزْنَ النيلِ الصارخِ مما فعلَ الموتْ
طَلَع الفجرُ
أصغِ إلي وَقْع خطَي الماشينْ
فى صمت الفجْر، أصخْ، انظُرْ ركبَ الباكين
عشرةُ أموَات، عشرونَا
لا تُحْصِ أصخْ للباكينا
اسمعْ صوتَ الطفْل المسكين
مَوْتَي، موْتَي، ضاعَ العَددُ
موْتَي، موتَي، لم يبْقَ غَدُ
لا لحظَةَ إخلادٍ لا صمْتْ
هذا ما فعلتْ كفُّ الموتْ
الموتُ الموتُ الموتْ
تشكو البشريّةُ تشكو ما يرتكبُ الموتْ

الكوليرا
فى كهْف الرُعْب مع الأشلاءْ
فى صمْتَ الأبد القاسى حيثُ الموتُ دواءْ
استيقظَ داءُ الكوليرا
حقْداً يتدفّقُ موتورا
هبطَ الواديْ المرحَ الوَضّاءْ
يصرخُ مضطرباً مجنَونا
لا يسمعُ صوتَ الباكينا
فى كوخ الفلاحة فِى البيتْ
لا شيء سوي صرخَات الموتْ
الموتُ الموتُ الموتْ
فى شخص الكوليرا القاسى ينتقمُ الموتْ
الصمتُ مريرْ
لا شىء سوي رجْعِ التكبيرْ

حتي حَفّارُ القبرِ ثوَي لم يبقَ نَصيرْ
الجامعُ ماتَ مؤذّنُهُ
الميّتَ من سيؤبّنُهُ
لم يبقَ سوي نَوْحٍ وزفيرْ
الطفلُ بلا أمٍ وأب
يبكي من قلبٍ ملتَهب
وغداً لا شكَّ سيَلقفُهُ الَداءُ الشرّيرْ
يا شبَحَ الهيْضة ما أبقيتْ
لا شيءِ سوي أحزانِ الموتْ
الموتَ الموتُ الموتْ
يا مصرُ شعورى مزَّقَهُ ما فعلَ الموتْ
١٩٤٧

◆◆◆

الخيط المشدود فى شجرة السرو

(١)
فى سَواد الشارعِ المُظلم والصمت الأصمِّ
حيثُ لا لَونَ سويَ لونِ الدياجي المَدلهمِّ
حيثَ يُرخى شجرُ الدُفلَي أساهُ
فوقَ وجه الأرض ظلاّ،
قصةٌ حدّثنى صوتُ بها ثم اضمحلا
وتلاشتْ فى الدّياجى شفتاهُ
(٢)
قصةُ الحبِّ الذى يحسبه قلبكَ ماتا
وهو ما زالَ انفجاراً وحياةَ
وغداً يَعصرُكَ الشوقُ إليَّا
وتناديِنى فتَعيَي،
تَضغطُ الذكري علي صَدركَ عبئا
من جنون، ثم لا تَلمُسُ شيَّا
أيَّ شىءٍ، حُلمٌ لفظٌ رقيقُ
أىَّ شيءٍ، ويناديكَ الطريقُ
فتفيق.
ويراكَ الليلُ فى الدَرْب وحيدا
تسألُ الأمسَ البعيدا
أن يعودا
ويراكَ الشارعُ الحالمُ والدُفْلي، تسيرُ
لونُ عينيكَ انفعالٌ وحبورُ
وعلي وجهك حبٌّ وشعورُ
كلّ ما فى عمق أعماقِكَ مرسومٌ هناكْ
وأنا نفسى أراكْ

من مكاني الداكن الساجى البعيدْ
وأري الحُلْمَ السعيدْ
خلف عينيكِ يُناديني كسيرا
.... وتريِ البيت أخيرا
بيتنا، حيثُ التقينا
عندما كان هَوانا ذلك الطفلَ الغريرا
لونُهُ فى شفتَينا
وارتعاشاتُ صباهُ فى يدَيْنا
(٣)
وتري البيتَ فتبقي لحظةً دونَ حَرَاك:
« ها هو البيتُ كما كان، هناك
لم يزلْ تحجبُهُ الدُفْلَي ويحنو
فوقَهُ النارنجُ والسروُ الأغنُّ
وهنا مجلسنا.....
ماذا أحسُّ؟
حَيرةٌ فى عُمق أعماقى، وهمسُ
ونذيرُ يتحدَّي حُلمَ قلبِي
ربما كانت...ولكن فيم رعبى؟
هى ما زالت علي عهد هوانا
هى ما زالت حنانا
وستلقانى تحاياها كما كنا قديما
وستلقانى.... ».
وتمشى مطمئناً هادئا
فى الممرِّ المظلم الساكن، تمشى هازئا
بهتاف الهاجس المنذر بالوهم الكذوب:
«ها أنا عدتُ وقد فارقت أكداسَ ذنوبى
ها أنا ألمحُ عينيك تُطلُّ
ربما كنت وراءَ البَابَ، أو يُخفيكِ ظلُّ
ها أنا عُدتُ، وهذا السَلَّمُ
هو ذا البابُ العميقُ اللونِ، مالى أُحْجِمُ؟
لحظةً ثم أراها
لحظةً ثم أعى وَقْعَ خُطاها
ليكن .. فلأطرقِ البابَ... »
وتمضى لَحَظاتْ
ويَصرُّ البابُ فى صوت كئيبِ النَبَراتْ
وتريَ فى ظُلْمة الدهليزِ وجهاً شاحبا
جامداً يعكسُ ظلاً غاربا:
« هلْ....؟ » ويخبو صوتُكَ المبحوحُ فى نَبرٍ حزينْ
« لا تقولى إنها.... »
« يا لَلجنونْ !
أيها الحالمُ، عَمَّن تسألُ؟
إنها ماتت »

وتمضى لحظتانْ
أنت مازلتَ كأنْ لم تسمع الصوتَ المُثيرْ
جامداً، ترمْقُ أطرافَ المكانْ
شارداً، طرفُكَ مشدودٌ إلي خيطٍ صغيرْ
شُدَّ فى السرْوة لا تدرى متي؟
ولماذا؟ فهو ما كانَ هناكْ
منذُ شهرين. وكادتْ شفتاكْ
تسألُ الأختَ عن الخيط الصغيرْ
ولماذا علَّقوهُ ؟ ومتي ؟َ
ويرنُّ الصوتُ فى سمعكَ: « ماتتْ.. »
« إنها ماتتْ.. » وترنو فى برودِ
فتري الخيطَ حبالاً من جليد
عقدتها أذرُعُ غابت ووارتهاَ المَنُونْ
منذ آلاف القرُونْ
وتَري الوَجهَ الحزينْ
ضخَّمتْهُ سحُبُ الرُّعب علي عينيكَ. « ماتتْ... »

(٤)
هى « ماتتْ... » لفظةٌ من دون معني
وصدي مطرقة جوفاءَ يعلو ثمَ يَفني
ليس يعنيكَ تَوَاليه الرتيبُ
كل ما تبصرهُ الآن هو الخيطُ العجيبُ
أتراها هى شَدَّتهُ ؟ ويعلو
ذلك الصوتُ الملُّ
صوتُ « ماتت » داوياً، لا يضمحلُّ
يملأ الليلَ صُراخاً ودويًّا
« إنها ماتت » صدَيَ يهمسهُ الصوتُ مليًّا
وهُتافٌ رددته الظلماتُ
ورَوتهُ شجراتُ السرو فى صوت عميقِ
« إنها ماتت » وهذا ما تقولُ العاصفاتُ
« إنها ماتت » صدىً يصرخُ فى النجم السحيقِ
وتكادُ الآن أن تسمعهُ خلفَ العروقِ

(٥)
صوتُ « ماتتْ » رنَّ فى كلّ مكان
هذه المطرقةُ الجوفاءُ فى سمع الَزمانِ
صوتُ « ماتتْ » خانقٌ كالأفعوانِ
كلُّ حرف عصبٌ يلهثُ فى صدركَ رُعبا
ورؤي مشّنقة حمراءَ لا تملكُ قلبا
وتجنِّى مخلبٍ مُختلجٍ ينهشُ نهشا
وصدي صوتٍ جحيميٍ أجشّا

هذه المطرقةُ الجوفاءُ : « ماتت »
هيِ ماتت، وخلا العالمُ منها
وسُدِيٍ ما تسألُ الظلمةَ عنها
وسدِيٍ تُصغيِ إلي وَقع خُطاها
وسديٍ تبحثُ عنها فى القمر
وسُدي تحلُمُ يوماً أن تراها
فى مكانٍ غير أقباءِ الذكَرْ
إنها غابتْ وراءَ الأنجُم
واستحالتْ ومْضة منَ حُلُمِ

(٦)

ثم ها أنتَ هُنا، دونَ حَراكْ
مُتعَباً، توشكُ أن تنهار فيِ أرض الممرِّ
طرفُكَ الحائرُ مشدودٌ هناكْ
عند خيط شُدَّ فى السروة، يطوى ألفَ سرِّ
ذلك الخيطُ الغريبْ
ذلك اللُغزُ المُريبْ
إنه كلُّ بقايا حبِّكَ الذاوى الكئيبْ.

(٧)

ويَراكَ الليلُ تمشى عائدا
فى يديكَ الخيطُ، والرعشةُ، والعرْقُ المُدَوِّى.
« إنها ماتتْ...... » وتَمضى شارداَ
عابثاً بالخيط تطويه وتَلوى
حولَ إبهامكَ أُخراهُ، فلا شيءَ سواهُ،
كلُّ ما أبقي لكَ الحبُّ العميقُ
هو هذا الخيط واللفظُ الصفيقُ
لفظُ « ماتت » وانطوي كلُّ هُتافٍ ما عداهُ
١٩٤٨



غسلاً للعـار

« أُمّــاهُ ! » وحــشــرجــةٌ ودمــوعٌ وســوادُ،
وانبـجسَ الدمُ واختلج الجسمُ المطعونُ
والـشَـعْـرُ المـتـمـوج عـشّش فـيـه الـطـينُ
« أُمّــاه ! » ولم يــســمــعْــهــا إلا الجلاّد
وغداً سيـجيء الفجر وتصحـو الأورادُ
والـعـشـرون تـنـادي والأمل المـفـتـونُ
فــتُـجــيب المــرْجــةُ والأزهــارْ
رحــلتْ عــنــا ... غــسلاً لــلــعــارْ
ويـعود الجلاّدُ الـوحـشيُّ ويـلـقي الـنـاسْ

«العارُ؟» ويمسَحْ مُدْيَته - «مزّقنْا
العارْ»
«ورَجَعنا فُضلاءَ، بيضَ السُمعْة
أحرارْ»
«يارِبّ الحانة، أينَ الخمرُ؟ وأينَ
الكَاسْ؟»
«ناد الغانيةَ الكسلي العاطرةَ الأنفاسْ»
«أفدَى عينَيها بالقُرآنِ وبالأقدارْ»
املأ كاساتكَ يَا جزّارْ
وعلي المقتولةِ غسْلُ العارْ

◆◆◆

وسيأتي الفجر وتسأل عنها الفتياتُ،
«أين تُراها؟» فيردّ الوحشُ «قتلناها»
«وصمةُ عارٍ في جبهتنا وغسلناها»
وستحكى قِصّتَها السوداءَ الجاراتُ
وسترْويها في الحارة حتي النّخَلاتُ،
حتي الأبوابُ الخشبيّةُ لن تنْساها
وستهمسُها حتي الأحجارْ
غسلاً للعارْ..
غسلاً للعارْ..

◆◆◆

«يا جاراتِ الحارة، يا فَتيَاتِ القرية»
«الخبزُ سنَعجِنُه بدموعِ مَآقينا»
«سنقصّ جدائِلَنا وسنسلُخُ أيدينا»
«لتظلّ ثيابُهم بيضَ اللون نقيّه»
«لا بسمةَ، لا فرحةَ، لا لفتةَ فَالمُديه»
«تَرقُبُنا في قبضة والدنا وأخينا»
«وغداً من يدري أيُّ قفارْ»
«ستُوارينا غسلاً للعارْ؟»

١٦/١١/١٩٤٩

أغنية لطفلى

ماما ماما ماما ماما ماماما
بـرّاقُ الحلوُ اللثغة يَنوي النوما
والنومُ وراء الربوَة هيّأ حُلْما
والحلْمُ له أجنحةٌ ترقي النَجْما
والنجمُ له شفةٌ ويُحبّ اللّثْما

واللثمُ سيوقِظُ طفلى:
ماما ماما

◆ ◆ ◆

بابا بابا بابا بابا بابابا
برّاقُ الغافِى الساهِى يسرقُ قلبا
والقلبُ سيُمْرِعُ يُنبِتُ وردًا رطبا
والوردُ يرُشُّ المهدَ أريجا عذْبا
وأريجُ الورد لعوبٌ يهْوَي الوثبا
والوثبُ سيوقِظُ طفلى:
بابا بابا

◆ ◆ ◆

دادا دادا دادا دادا
دادادا
الحقلُ مَشُوقٌ للخُضْرة لا يَهْدا
والخُضرةُ خاويةٌ لا تملكُ وردا
والوردُ إلي الحُمرة مرتعشُ وَجْدا
والحُمْرةُ عند صغيرى ثغرًا خَدّا
وسيُصْحى الوردُ صغيرى:
دادا دادا (١)
١٩٦٣

إلي الشعر

من بَخور المعابد فى بابل الغابرهْ
من ضجيج النواعير فى فَلوَات الجنوبْ
من هتافات قُمْريَّة ساهره
وصدي الحاصدات يُغنّين لحنَ الغروبْ
ذلكَ الصوتُ، صوتُكَ سوف يؤوبْ
لحياتى، لسمع السنينْ
مُثخناً بعبير مساء حزينْ
أثقَلتْهُ السنابلُ بالأرَجِ النَشْوانْ،
بصديً شاعرىً غريب
من هُتافات ضفدعة فى الدجي النعسان
يملأُ الليلَ والغدْرانْ
صوتُها المتراخى الرتيبْ

◆ ◆ ◆

ذلك الصوتُ، صوتُكَ سوف يؤوب

لحياتى، لسَمْع المساءْ
سيؤوبُ وأسمعُ فيه غناءْ
قمريَّ العُذوبة فيه صَديً من ليالى المطر
من هدوء غُصوَنِ الشجر
وهى تمتص، سكْرَي، رحيقَ السَّماء
الرحيقُ الذى عطّرتْهُ الغيومْ
بالرؤي، بتحايا النجومْ

◆ ◆ ◆

سأجوبُ الوجودْ
وسأجمعُ ذراتِ صوتِكَ من كل نَبعٍ بَرودْ
من جبال الشِّمالْ
حيث تهمسُ حتي الزنابقُ بالأغنيات
حيث يحكى الصنوبرُ للزمن الجوّالْ
قصصاً نابضاتْ
بالشَذي، قصصاً عن غرام الظلال
بالسواقى، وعن أغنيات الذئابْ
لمياه الينابيع فى ظُلَل الَغاباتْ
عن وَقار المراعى وفلسَفة الجَدْول اُلمنسابْ
عن خَروفَ يُحسّ اكتئاباً عميقْ
ويقضّى النَهارْ
يقضمُ العُشبِ والأفكارْ
مُغرَقاً فى ضبابِ وجودٍ سحيقْ

◆ ◆ ◆

وسأجمعُ ذرّاتِ صوتِكَ من ضَحِكاتِ النعيمْ
فى مساءٍ قديمْ
من أماسيٍّ دجلة يثقل أجواءه بالحنينْ
مرحُ الساهرينْ
يرشفونَ خرير المياهْ
وهى ترطمُ شاطئَهُمْ، وضياءُ القمرْ
قمر الصيف يملأ جوّ المساء صُوَرْ
والنَسيمُ يمرّ كلمس شفاهْ
من بلاد أُخَرْ
ليلةُ شهرزاديّةُ الأجواءْ
في دجاها الحَنونْ
كلّ شىء يُحِسّ ويحلُمُ حتي السكونْ
ويهيم بحبِّ الضياءْ

◆ ◆ ◆

وسأسمَعُ صوتَكَ حيثُ أكونْ
فى انفعال الطبيعة، فى لحَظاتِ الجنونْ
حينَ تُثْقل رجعَ الرُعُودْ
ألفُ أسطورةٍ عن شبابِ الوجودْ

عن عصورٍ تلاشتْ وعن أُممٍ لن تعودْ
عن حكاياتٍ صبيانِ (عادْ)
لصبايا (ثمَودْ)
وأقاصيصَ غنّتْ بها شهرزادْ
ذلك الملكَ المجنونْ
فى ليالي الشتاء
وسأسمعُ صوتَكَ كلّ مَسَاءْ
حين يغفو الضياءْ
وتلوذُ المتاعبُ بالأحلامْ
وينامُ الطموحُ تنام المنيِ والغَرَامْ
وتنامُ الحياةُ، ويبقي الزمانْ
ساهراً لا ينامْ
مثل صوتك، ملء الدُجَي الوَسنانْ
صوتُكَ السهرانْ
فى حنينى العميق
صوتُكَ الأبدىّ الذى لا يَنَامْ
فهو يبقَي معى سهران
وأُحسُّ صداهُ الملوّنَ يملأ كل طريقْ
بالشَذي بنَدَي الألوانْ
صوتُكَ المجهولْ
أنا أدركتُ – يا فرحتا – سرّهُ المعسُولْ
أنا أدركتُهُ أنا وحدى وصمْتُ الزمانْ
(١٩٥٠)

(١) (ماما) تقرأ هكذا : «مَمَّا» كما ينطقها الطفل العراقى وبذلك تجانس القوافى التالية. وكذلك (بابا) و(دادا).
نازك الملائكة، ديوان نازك الملائكة، المجلد الثانى، دار العودة، بيروت، ١٩٧١، ص ١١٢– ١١٥ و١٣٦ – ١٤٠ و١٨٥ – ١٩٤ و٣٥٣ – ٣٥٦ و٥٥٦ – ٥٥٨ و ٥٦١ – ٥٦٦

لميعة عباس عمارة

لو أنبأنى العرّاف

لو أنبأني العرّاف
أنّكَ يوماً ستكونُ حبيبى
لم أكتُبْ غزلاً فى رجلٍ

خرساءَ أُصلّى
لتظلَّ حبيبى.

لو أنبأنى العرّافِ
أنى سألامسُ وجهَ القمرِ العالى
لم ألعبْ بحصي الغدرانَ
ولم أنظِمْ من خرزٍ آمالى.

لو أنبأنى العرّاف
أنَّ حبيبى
سيكونُ أميراً فوقَ حصانٍ من ياقوتْ
شدَّتنى الدنيا بجدائلها الشُقرِ
فلم أحلُمْ أنى سأموت.

لو أنبأنى العرّاف
أنّ حبيبى فى الليلِ الثلجىِّ
سيأتينى بيديهِ الشَمسْ
لم تجمُدْ رئتاىَ
ولم تكبُرْ فى عينىَّ همومُ الأمس.

لو أنبأنى العرّاف
أنّى سأُلاقيكَ بهذا التيهْ
لم أبكِ لشىءٍ فى الدنَيا
وجمعتُ دموعى
كلَّ الدمعِ
ليومٍ قد تَهجرنى فيه.

١٩٧٧

شاعرة الحب!؟

وحيدةً علي شواطى الأطلسى
ليس سوي ذكركِ كان مؤنسى،

فى غرفتى
عفواً، فليست غرفتى
بل محبسى،
أرقبُ من شبّاكها الأحياءَ
ملءَ الشاطىءِ المشمَّسِ

عيدٌ لكل اثنين
فِى مثل جُموحِ الفَرَس
مُجرَّدينَ، غيرَ خيطينِ، بقايا ملبسِ.

من غرفتى
أحكى عنِ الحبِّ أنا
وعن هويً لم ألمسِ،
كفيلسوف
يصفُ الخمرَ التى
لم يحتسِ.

المغرب ١٩٧٨

لميعة عباس عمارة، ديوان: لو أنبأنى العرّاف ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠، ص ٦-٨ و ٩٨ - ٩٩.

زهور دكسن

واحتى هالة القمر

« أيها الغريب العابر، أنت لا تدرى كم انتظرتك طويلاً
أنتَ مَن كنت أبحث عنه، أو من أبحث عنها
ها هو الحلم يأتينى ».
«والت ويتمان »

مثقلٌ بارتقاب الظواهر تُلغى أحايينها.
باحتراقِ المسافات، بالشَهقة البكرِ
طاوٍ ومقتَربات التراحيل مرَموقةٌ
بالحصي... وتراب السنابلِ ..
يا سيدى السهرورَدىْ ..!
الشعاعِ تلألأ، والأفق منسكبٌ، كالحليبْ
وحدكَ الآن تطوى المفاوزَ ..
يا أيهذا الغريبْ.
تتنادي السرائر لا شأن لى بالدجي
والنهارْ ..
كلُّ أفقٍ تفيّأتُهُ شجراً من غبارْ
والنجومُ التى كنت خبّأتها فى ضنونى..
يا غريباً علي الدرب..
لو تلتقينى

واعتلي – حين لوّحَ لي – تلّةً... ثم سارْ
وخلّفنى أرقُبُ الدرب
من كوّةٍ فى الجدارْ!

زهور دكسن، ديوان: واحتى هالة القمر ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٩٠، ص ١١٥– ١١٨.

ديزى الأمير

الباكيــــة

استيقظتُ ليلا علي صوت بكاء، تلفتُّ حولى، ثم تذكرت أن ليس فى البيت غيرى.

كانت النافذة مفتوحة، اقتربت منها لعل البكاء يأتى من البيوت المجاورة ولكنه كان أبعد.

عدت إلي فراشى وأنا أتساءل: من هذا الباكى فى هذا الليل المعتم، وما الذى يبكيه؟

بصعوبة شديدة، وبعد انتظار غير قصير غلبنى النوم. كان أول ما فكرت فيه صباحاً هو البكاء الليلى، ولكنه كان قد انقطع.

فى الليلة التالية، كانت الريح عاصفة، أغلقت النوافذ. ولكن حرارة الجو أجبرتنى علي فتح كل النوافذ، لا أدرى إن كان ما سمعته نواح بشر أو صوت الريح؟

استمرت العاصفة لثلاث ليال متواليات ، والريح تصفر وترتطم بزجاج النوافذ وتبعد عن عينى النوم.

حينما هدأت العاصفة، استغرقت فى نوم عميق بعد أرق الليالى السابقات.

قبيل الفجر، استيقظت، إذ عاد البكاء بصوت أعلي وبجرس أشد حزنا.

لو أعرف الباكى! لو أدرى لماذا ينوح! لو أستطيع عمل أى شىء لهذا الحزن!

مددت برأسى من النافذة، فتأكدت أن البكاء أنثوى الصوت. كيف تبكى هذه الحزينة ولا يسعفها أحد؟

أتراها تختار الليل للبوح كيلا تراها العيون؟

هل أسأل الجيران إن كانوا يسمعون الصوت؟ هل أذيع سر المجهولة بهذا السؤال؟

مرت ليال والبكاء مستمر، ولما صار ندبا وعويلاً، لم أستطع السكوت، سألت إحدي جاراتى هل استطاعت النوم فى الليالى الفائتة؟

أجابتنى: وهل تسمح الريح بنوم عميق؟

إذن أنا لا أتوهم، وأنا طبيعية. وكنت قد ظننت أن الطنين الذى يلازم سمعى، زاد واشتد بعد أن أكد لى الطبيب أن هذه الحال هى نتيجة تعب نفسى حاد يلازم مرهفى الحس الذين لا يبوحون بهمومهم. وكنت أدرى تماماً أننى واحدة من هؤلاء بعد كل الفحوص المخبرية والسريرية والتخطيط والأشعة التى أجريتها.

نقلت جارتى استفهامى للآخرين، وجاءتنى ردود كثيرة. ولكن الغريب فى الأمر أن معظم الذين يسمعون الصوت كان يبدو لهم وكأنه قهقهات منقطعة تأتى من

البعيد البعيد.

أصغيت ليلة فسمعت العويل، وبعد ليال سمعت الندب ثم.. ثم سمعت استغاثات.

وكلما أطللت من النافذة لا أري غير سواد الليل فيزيد السواد إحساسى بعمق الاستغاثة الباكية. ويقولون بعد كل هذا أنهم يسمعون قهقهات!! وضعت قطناً فى أذنى فوصلنى النواح والندب والبكاء والعويل والاستغاثة بصوت منخفض.

قررت أن أخرج صباحاً لأري نور الشمس، علّنى أنسي عتمة الليل وبكاءها.

جلست فى الشوارع المكتظة بالناس، الدموع لا تتساقط، العيون تلمع بارتياح، الأطفال يزقزقون فرحاً.

صرت أخشي مجيء الليل، أخاف البكاء المجهول والندب البعيد.

فى إحدي جولاتى النهارية، خرجت من الشوارع الداخلية إلي ضواحى المدينة، فرأيت الغابة التى زرعت قد امتدت مساحتها حتي كادت الخطة أن تكتمل.

كانت الخطة، أن تزرع غابة كثيفة حول المدينة، بعد أن اقترح خبير البيئة علي مجلس البلدية، زرع الأشجار لتخفيف وطأة الحر والجفاف.

يومها، لم ندر كم سننتظر حتي تكبر الأشجار ويكتمل التفاف الغابة المقترحة، ولم يخطر ببالنا أن العلم لا ينتظر بل ينفذ.

وكان أن جاءت شاحنات واسعة تحمل أشجارا سامقة متكاملة النمو، تحمل معها جذورها المغروسة فى التراب، لتجلس فى الحفر العميقة الواسعة التى أعدت لسكناها.

أدهشتنا الفكرة فكنا فى أول الأمر نزور المناطق المزروعة حديثاً ونري الأشجار الحور تمتد وتتوزع ملتفة حولنا ثم..ثم صار أمراً معتادا أن نري الشاحنات تحمل الدواء إلي مدينتنا المريضة بالقيظ والجفاف.

تنقلت فى أنحاء الغابة وقد أذهلنى العلم الذى ينقل الأشجار بمداها الواسع وعلوها الشاهق وكأنها كانت هنا منذ ولادتها. منظر الغابة الجميل باخضرارها وفيئها أراحنى.

عدت إلي البيت وأنا أفكر بزيارة الغابة مرات أخري لأريح أعصابي.

فى الليل وصلنى البكاء والنواح والندب والاستغاثة فزالت راحة النهار.

قررت صباحاً أن أعود إلي الغابة، فهذا هو العلاج الذى أحتاج، وهكذا صار ذهابى إلي الغابة عادة نهارية وسماع البكاء و...و.....عادة ليلية.

ولكن هذه الأصوات بدأت تخف، وزادت بعدا، وكلما ضعف الصوت المرهق زادت زيارتى للغابة التى اكتشفت أنها سبب راحتى.

الغريب أن الآخرين ظلوا يتساءلون عن مصدر القهقهات التى يسمعون. كانت أشجار الحور تقف بقوة وصمود فى وجه عواصف الغبار فخفت وطأته ولطف الجو ومزيد من الأشجار المهاجرة يصل مدينتنا ليستقر فيها يرتاح ويريح.

ذات يوم، كنت أتمشي فى الغابة وأرفع رأسى لأري امتداد الأغصان وكم طالت وارتفعت وإذا بى أصطدم بجذع. لم يكن الجذع منتصباً كالأشجار الأخري بل كان مائلاً. فى زياراتى التالية، تقصدت الذهاب إلي تلك الشجرة وإذا بجذعها يزداد انحناء وتكاد أغصانها تلامس الأرض. صار هاجسى أن أزور الشجرة أشاهد تحولها، صغر حجم أوراقها ونحفت أغصانها، لم تعد تشبه زميلاتها من أشجار الحور!

حدثت الناس عنها فقالوا إنها مريضة وقد تموت. ولكننى متأكدة أنها ليست كذلك، وإلا فكيف تحافظ علي خضرة أوراقها؟

أخذت الأصدقاء معى، فقالوا: هذه ظاهرة تحتاج خبراء ليفسروها. الخبراء الزراعيون أكدوا أن لأشجار الحور خاصية وصفات لم تعد موجودة فى شجرتى، ولا يجدون تفسيراً علمياً لهذا.

البكاء والنواح والندب والنحيب والاستغاثة، كل هذا مستمر ولكن بهمس ضعيف متعب.

مرت أيام قبل أن أزور الشجرة، وإذا بها تلامس الأرض. انحناؤها ازداد بسرعة، وكادت تمتد بطولها علي التراب. صغرت أوراقها واصفرّت وطالت غصونها بنحافة مريضة ثم....ثم نامت الشجرة، أوراقها ترتمى حواليها. الرمال تغطيها، الريح لا تحركها، جذعها الأبيض صار أسود. تغيرت كل ملامحها.

لما رأيت الحشرات تنخر جذعها، عرفت أنها ماتت. تذكرت ، والآن فقط، إن الإعجاب بالعلم الذى اقتلع كل هذه الأشجار ليزرعها عندنا، كنت أعلق عليه: (وإذا لم ترض الأشجار بالهجرة!) فيضحك السامعون ظانين بأننى أنكت.

قلت للأصدقاء: انتحرت الصفصافة الباكية حينما جئت علي الأرض تتوسل إليها، فلم تجد النهر الذى اعتادت علي إروائه لها . لا أظن أن أحداً فهم معني كلامى.

ليلتها لم أنم، مع أنى لم أسمع بكاء ولا عويلاً ولا ندباً ولا نواحاً أو استغاثة.
ولكن، أنا التى بكيت، دون نواح ولا عويل ولا استغاثة، فلم يسمعنى أحد.

ديزى الأمير، مجموعة : علي لائحة الانتظار ، بيت سين للكتب، بغداد ، ١٩٨٨، ص ٧٩– ٨٧.

مى مظفَّر

المدينة

يرسو المساءُ ولا سفينٌ يبحرُ.
ويد الشتاء تُمدُّ لا تتحذرُ،
تستلُّ من قلب المدينة دفئها..
فيفيض من جرحِ البيوت أنينُها
بغدادُ..
لؤلؤةٌ ثَوَتْ فى القاعِ هل من
عاشقٍ ...أو ساحرٍ
يندس بين رمادها
ويعيدها.
آذار ١٩٩١



أبـــواب

بابٌ خلف بابٍ ..
خلف بابْ
من لي بمن يلجُ المنافذَ أستعين به ليوصلني إليك.
البحرُ أقفلَ شاطئه،
والليلُ أسدل برقعه،
والشمسُ من طول المسار تخاذلتْ،
وطوي النهارُ عباءته.
سال الزمانُ ..
فلا مواقيت تحددُ يومنا..
أو نومنا..
لا فجوةٌ فى الغيم توهمنا..
لا طائر ..لا نسمةٌ..
لا شيء غير العود فوق الأرضِ يُبصرنا..
ونعجبُ من صلابته
آب ١٩٩١

مى مظفَّر، ديوان : ليليات، دار الشروق، عمان، ١٩٩٤، ص ٧٦ و٨٥ – ٨٦.

سالمة صالح

شجرة التوت

إنها مقتصدة حتي فى أفراحها، مدينتى فى ربيعها غير المتعجل والمفعم بروائح العشب والأزهار البرية، كانت ثمة أماكن قليلة يذهب إليها الناس. وحين لا يتمكنون من الذهاب كانوا يروون هذه الحكاية: أرادت أمرأة شابة أن تخرج للنزهة فسألها زوجها: « ما الذى يجد المرء فى الخارج مما لا يجده فى البيت؟ »

قالت المرأة: « العشب، أريد أن أفترش العشب. »

فغاب الرجل ساعة وعاد يتبعه حمال. قاده إلي سطح المنزل وطلب منه أن يفرغ الكيس الذى يحمله علي الأرض، فإذا هو عشب. فرشه علي الأرض وقال لزوجته: « أردت عشباً. هذا هو العشب يمكنك أن تفترشيه. »

يا لها من حكمة. إن الزوج ليحكى هذه الحكاية لزوجته فتكف عن إلحاحها فى طلب الخروج مقتنعة أو متظاهرة بالاقتناع، وتحكيها الأم لأطفالها، غير أنها ما كانت لتفلح فى إقناعهم. إن الطفل ليريد عشباً نابتاً، عشباً ينهض عمودياً علي الأرض ويمد فيها جذوره، يقاوم اليد التى تحاول اقتلاعه، وفوق ذلك لا يذبل بعد ساعة أو اثنتين، عشباً مطرزاً بالزهيرات حيث المنازل القديمة التى تشبه القلاع لا تنبت وروداً لكنما أشجار توت ضخمة، كان منها فى بيتنا شجرتان عظيمتان،

تطل إحداهما علي الطريق فتصنع فوقه قنطرة، وتمد غصونها إلي سطح الجيران، ما كانت تمتثل لقوانين البشر إذ ما كانت تعرف سوي قوانين الأشجار. بين فترة وأخري تقرع الباب ليظهر من يلتمسنا أن نقلم هذه الأغصان. ما كانت هذه الشجرة لتعطى غير ثمرات شحيحة بيض. أما الثانية فقد كانت تغطى ساحة الدار الواسعة بأوراقها الساقطة فى الخريف، فلا نكاد ننتهى من تنظيفها حتي نجد أوراقاً جديدة قد تناثرت هنا وهناك. وفى الصيف تصبغ الأرض ببقع أرجوانية وأخري سود. كان أخى يرتقيها ويهز أحد أغصانها فتمطر ثمراتها الثقيلة السود المترعة. لا تكاد هذه الثمرات تلمس الأرض حتي تكون قد تركت عليها بقعة من عصيرها، وأحياناً تنهرس تحت ثقلها وتغرق فى دمها السكرى. إن هذا ليحدث مرة أو مرتين حين تبلغ ثمار التوت ذروة نضجها. يرتقيها من يهز أغصانها واحداً بعد الآخر، وتجمع الثمار فتملأ منها أوان بيضية الشكل، تبطن بأوراق العنب، فنمضى بها نحن الأطفال إلي بيوت المحلة. فى أيام أخري كانت الباب تقرع لتطل امرأة تحمل إناء «أريد بعض التوت للأطفال.» وأحياناً يأتى أطفال غرباء، فما كان أحد ليمنعهم من الدخول إلي الفناء لجمع ما كان قد سقط من الثمرات. إنها شجرة الجميع. لقد تجاوز عمر هذه الشجرة الثلاثين، أمى وحدها تعرف التاريخ الذى زرعت فيه، تاريخ لا يعرف باليوم أو السنة وإنما بترادف الأحداث. من هذه الشجرة ولدت أشجار كثيرة فى البيوت المجاورة، لكنها ستحتاج إلي سنوات طويلة قبل أن تتجاوز فى ارتفاعها سطوح المنازل وتصنع قنطرة فوق الطريق.

أما الأزهار فلم تزرع فى المنزل إلا فى وقت متأخر. وفى تلك السنوات المبكرة كانت ثمة أزهار فى البرية تكفى جميع الأطفال. رغم حكاية الرجل الذى حمل العشب إلي بيته، كانت النساء يخرجن للنزهة مع أطفالهن إلي أماكن قليلة قريبة: «قضيب البان» و «الأرض الصينية». تلك أرض غريبة فى استوائها، مساحة شاسعة خضراء، لا تنوع فى الألوان، لا زهور، لا تآليل ولا انحدارات وإنما أرض خضراء فى استواء الشيء المصنوع. فى طفولتي المبكرة، قبل سن المدرسة، رأيت هذه الأرض مرة أو مرتين وحملت منها جرحاً لم أبرأ منه وحزناً صافياً عميقاً لم تستطع كل حقائق الكبار أن تغسله. عند ساعة العودة كان يظهر قمر عظيم الاستدارة فى طرف تلك الأرض المنبسطة، ملتصقاً بها أو علي ارتفاع يسير فوقها. كنت أحسب دائماً أنى أستطيع أن أمد يدى فأتناوله. كنت أجرى نحوه، لكنى لا أكاد أبتعد إلا قليلاً حتي تهتف بي أمى، أو تتبعنى وتأخذنى من كتفى. لقد نهض الجميع وجمعوا حاجياتهم بسطاً وآنية وأقداح شاى، واستعدوا للعودة. لقد كان القمر هناك معلقاً فى طرف الأرض، منخفضاً قريباً ولم يسمح لى بلمسه، وكنت أستطيع أن أفعل.

فى الأماكن القليلة الأخري للنزهة كانت زهيرات النفلة تمنح الربيع رائحتها، زهيرات بيض، صفر، وردية يعلن عنها عبقها الذى لا يخطئه الأنف، تنتشر فى تواضع بين الأعشاب وزهيرات الحندقوق ذات الصفرة الساطعة، زهيرات سخية نجمعها ثم نزهد فيها. أما شقائق النعمان فقد كانت أحبها إليّ جميعاً. كنا نجدها علي سفوح تل نينوي وفى الأرض المنبسطة حوله، تنبثق بحمرتها الباهرة من العشب، تضحك لنا. نلمسها فتتطاير وريقاتها، فنبحث عن زهور لم تتفتح إلا ذلك الصباح. نجمع منها إضمامة صغيرة تذبل قبل أن نكون قد بلغنا البيت. لكننا نحملها معنا رغم ذلك، نغرقها بالماء، وحين ندرك أنها لن تستعيد رونقها نرمى بها. لكننا نكون قد حملنا شيئاً من نزهتنا. لقد نشرت هذه الزهور الذابلة

رائحتها، رائحة البرية فى أرجاء البيت.

وفى أماكن أبعد للنزهة كان يمكن للمرء أن يعثر علي زهور النرجس، أثمن الزهور جميعاً. رغم أن محمداً لم يبلغ أبداً تلك المناطق النائية من مدينتى، غير أن أهلها يروون أن زهرة النرجس نبتت أول مرة حين كان رسول الله قد جلس يتناول طعامه؛ خبزاً وبيضاً، فسقط منه شيء من صفار البيض ومن بياضه، وفى ذلك الموضع انبثقت زهرة النرجس من تلك البيضة، من ذلك الصفار والبياض كانت تلك الزهور النبوية ذات العطر المدوخ تظهر بين الأعشاب متباعدة؛ هذه واحدة، هذا يعنى أن ثمة زهوراً أخري. هذه هى الأخري، وأبحث حولى، وفجأة أقع علي حقل من النرجس، فيتفجر فىّ فرح لا إنسانى، فرح يتحول إلي انكسار فى الحلق، حزن نقي طافح. هذه زهور غير قابلة للامتلاك أقطف منها شيئاً ثم أكف. أريدها جميعاً، أريد هذا الحقل من النرجس. وفى طريق العودة كانت السيارة تتوقف فيقفز إليها أطفال يحملون باقات من النرجس. كان يمكن شراء باقة أو اثنتين بعشرة فلوس وفى المدينة كانت تتكوم تلال من هذه الزهور علي الرصيف تحت ساعة البريد .

أما « قضيب البان » فلا أتذكر منه إلا الاسم. لعلى ما رأيت ذلك المكان قط. أو لعلى رأيته فى السن التى لا تسمح بالتذكر غير أن ما بقى هو تلك الحكاية المفعمة بالحزن، كنا نسمعها المرة تلو المرة، فتجرحنا القسوة فيها ولا تستطيع النهاية السعيدة أن تعيد إلينا فرح الطفولة. لقد ذهبت الصبية مرة أخري لتملأ دلو الماء من قضيب البان. ويمثل قضيب البان فى الذهن، ضريحاً ومسجداً مهجوراً وسط البرية، تنتظم حنفيات الماء فيه فى صف طويل كتلك التى فى المدرسة. الصبية تقوم بذلك العمل طول النهار، تنقل دلاء الماء إلي البيت لأن زوجة أب قاسية تكلفها فوق ما تستطيعه فتاة يافعة. لكنها هذه المرة وقد ملأت دلوها وجدت باب المبني موصداً. لا ريب أنها ضربته بقبضتها وهتفت بأسماء كل الذين تعرفهم فلم يسمع نداءها أحد، وبكت، لكن الباب لم ينفتح. وها هو المساء قد حل، والظلام الغامض، الظلام المخيف ينسل إلي المكان، والفتاة تطوف بالغرف واحدة بعد الأخري فلا تري أحداً. وفى الغرفة الأخيرة تري الأمير النائم والمروحة قرب رأسه. تمكث هناك سبع سنوات تحرك المروحة دون كلل. وفى اليوم الأخير من السنة السابعة تأتيها امرأة سوداء: « لقد تعبت دون ريب. دعينى أساعدك. » ولا تكاد المرأة تأخذ المروحة وتحركها حتى يستيقظ الأمير:

» أأنت من فعل ذلك من أجلي سبع سنوات؟ «

ويقرر الأمير الزواج من المرأة. ذلك هو قدره. سيذهب فى الغد إلي المدينة ويشترى لأميرته كل ما تشتهى. وإذ يري الصبية اليافعة يسألها:

« وأنت؟ ماذا أستطيع أن أقدم لك؟ » فتطلب الصبية « لعبة الصبر ».

لعبة الصبر، دمية الوحدة، لعبة الإنسان المتروك الذى لا نصير له. لا يجد من يشكو له فيتوجه إليها. إنها لأقدر منه علي ابتلاع الهموم. يشترى الأمير لعبة الصبر، وينصحه البائع أن يتخفي وراء الباب، فإذا أتمت الصبية كلامها أسرع إلي اللعبة وفصل عنها رأسها. لكن هم الفتاة أكبر مما تحتمل لعبة الصبر. إنها تصغى فتنتفخ وتصغى فتزداد انتفاخاً، ولحظة تبلغ الصبية نهاية القصة تكون اللعبة قد تجاوزت قدرتها علي الاحتمال فتنفجر.

لقد فهم الأمير ما كان، فطرد المرأة الشريرة وتزوج الصبية.

لم نكترث بتلك النهاية أبداً كما اكترثنا بلعبة الصبر التى انفجرت غماً، وبعذاب الصبية المقهورة. إن الحزن لأطول عمراً وأبقي من النهايات السعيدة

المقتضبة، إنه لينمو مع القصة ويمد جذوره عميقاً فى القلب. لقد أصغينا بكثير من الانتباه إلي زوجة الأب تخاطب الصبية فى قصة أخري:

»اذهبى واتينا بنار من جارتنا.»

وتبعنا الصبية التى دخلت بيت الجارة التى كانت تتناول طعامها، أعطت الصبية ناراً وشيئاً مما تأكل، فعادت بهما إلي البيت.

قالت زوجة الأب: لو ذهبت ثانية ستعطيك المزيد. ألقى النار فى الطريق وعودى إليها.

فى المرة الثانية قالت الجارة للفتاة: لا تعودى مرة أخري. لقد ذبحنا الأعز لنصنع هذا الطعام.

نقلت الصبية هذا الكلام إلي زوجة أبيها، فاستيقظ الشر فى نفسها. قالت للفتاة:

»اذهبى ونادى أخاك.»

خرجت الفتاة إلي الطريق ووقفت علي مبعدة من الكتّاب حيث يكون محمد، وصارت تناديه: «محمد.. تعال ولا تجى حدوا السكاكين، علي أبواب الدكاكين.. محمد تعال ولا تجى».

تجرح هذه الصيحة قلوبنا فنعرف ذلك الحزن الذى يمتنع معه البكاء. ونتابع بتوجس ما سيحدث.

إن الفتاة لتتابع نداءها لأنها ما كانت قادرة علي العصيان ويعود الصبى إلي البيت فتذبحه المرأة الشريرة وتلقى عظامه فى البئر وتصنع من لحمه «شفتة» لذيذة يأكلها زوجها فيثنى عليها. وتخبره بما فعلت فلا يكترث. أما الصبية الصغيرة فتمكث عند البئر تبكى أخاها.

القصة لم تنته، فما من قصة تنتهى علي هذا النحو. لقد خرج الجميع ذات يوم. الفتاة وحدها لم تبرح مكانها عند مثابة البئر. لكنها تسمع هذه المرة أنيناً.

»من هناك؟»

وتسمع صوتاً من أعماق البئر: «أنا محمد. القى إلىّ بحبل لأخرج». لقد نهض محمد من موته. بعث من عظامه التى استقرت فى البئر وانتقم لنفسه من أبيه وزوجته.

طالما تشفينا بهما، وانتصرنا للانتقام العادل، غير أننا أحببنا أكثر ذلك النداء اليائس: «محمد... تعال ولا تجى.»

كنا نجلس قرب أمى هادئات ونصغى إلي القصص نفسها يوماً بعد يوم فلا نشعر بالملل. لم تكن أمى لتحفظ قصصاً كثيرة. خمس أو ست قصص علي الأكثر ولكن فى مرات غير قليلة تيسّر لنا أن نستمع إلي جارة عجوز تروى لنا بعض حكاياتها. كنا نتحلق حولها فى ساحة الدار فى ساعة مبكرة من الصباح. نجتمع عشرة أطفال، ربما أكثر، ونصغى. إنها تحكى قصصاً لم نسمعها، قصصاً طويلة لا تكاد الواحدة منها تقترب من نهايتها حتي تمسك بأذيالها قصة أخري. نصغى فلا نتعب، وكلما شرعنا بسماع قصة جديدة تمنينا أن لا تنتهى. كانت الشمس تزحف فوق الجدران، تزحف إلي طرف الساحة، وتتابع زحفها مضيئة مساحات جديدة من الأرض. نحس شواظها فوق رؤوسنا، فتضع المرأة نهاية لقصتها. نضج صائحين: إنها لم تنته.

»بل لقد انتهت»

»إذن فاحكى لنا قصة جديدة»

تقول المرأة: سيكون ذلك صباح الغد. انظروا الشمس قد بلغتنا. وننظر، تكاد

الساحة تتوهج بالنور، والخط الزاحف إلي الظل قيد خطوات منا. نهرع إلي أمى فنجدها قد أعدت طعامنا. وفى اليوم الثانى كنا ننتظر الجارة العجوز لتقص علينا حكاياتها، حكايات طويلة مضطربة، ما كان بوسعنا أن نحفظها، غير أن حكايات أمى كانت أكثر الحكايات حزناً. أما أختى الكبري فقد سمعت تلك الحكايات قبلنا، وهى أكثر قدرة علي اختراع التفاصيل. غير أنها كانت أمينة عليها فما كانت تقبل التزوير.

أقول لأمى فى حياء: احكى لى قصة لعبة الصبر، فتتردد. إنها لا تصدق أنى أريد أن أسمع بالفعل . لكنها لا تلبث أن تستجيب لإلحاحى. وتبدأ حكايتها بنفس الصوت المتريث، بنفس النبرة الجادة وغير المكترثة معاً. لكننى أكتشف أنها قد نسيت تفاصيل كثيرة، وأننى لأتذكر من تلك الحكاية أكثر مما تتذكر هى.

حكايات أبى كانت أقل حزناً، قصص فرسان يقطعون البوادى علي ظهور خيولهم، يخوضون معارك ويأتون مكارم، لكنهم يموتون وحيدين فى الصحراء، أو يتخلي عنهم الحظ «فيبول الحمار علي ابن أسد» المنطرح فى أرض غريبة يصارع الموت ولا يقوي علي الحركة.

أقرأ لأبى فصلاً من قصة خولة بنت الأزور من كتابى المدرسى، يمتلئ صوتى حماسة وأنا أردد:

«نحن بنات تبع وحمير وضربنا بالسيف ليس ينكر».

لا أدرى أكان أبى ينصت إلىَّ حقاً أم أنه كان يتظاهر بالإنصات مصغياً إلي صوته الداخلى.

سالمة صالح، زهرة الأنبياء : يقظة الذاكرة، دار المدي، دمشق، ١٩٩٤، ص ١٩– ٢٦.

لطفية الدليمى

خسوف برهان الكتبى

(١)

الذاكرة مأتي الأعاجيب

ولا عهد لبرهان بالنسيان والسهو، والذاكرة لعبة بقاء تضلل الموت عن اللاعبين ولها ما يسمو علي التراب أو يتلامع فى هبوب زوبعة ولها ما يحلق فى الكون. وذاكرة برهان مسفوحة علي الأزل ومسافات فذة من الأحداث والأقوال ومن روحه تسيل أشذاء الغسق التى تستغرق أزقة (بغداد) وتسمها بالآس وورق النارنج والتراب الساخن المرشوش بالماء أشذاء أرصفة الصبا الخضلة بالمطر والدموع، والهواء حار، وبرهان به ذهول لا يدرى أن حزمة المفاتيح التى فى يده ستشير إلي أول خراب الذاكرة ويومه يفني فيبتدىء التشوش. ويروح برهان فى غياب شفيف بطئ وأصابعه أصابع الرجل لها ذاكرة لمس وجس ولذائذ وذاكرة اليد لا تخطئ والعين قد لا تميز تفاصيل المفتاح الذى يقضى حين يدور فى ثقب الباب إلي جوف البيت ينغمس فيه وهو دار سلامه وأحلامه والأصابع تخوض فى الارتباك، إذن هى إلي تيه النسيان

أقرب من خبرة العين إلي المعرفة فلماذا.. لماذا؟.
لماذا تستخفى المعرفة عنى فلا أميز مفتاح بيتى وأنسي الملمس والحزوز وأجرب كل المفاتيح التى تدور فى حلقة المعدن حتي أهتدى لما يأخذنى إلي الملاذ؟
ولماذا لا ينفتح الباب والعالم بكلمة سر ينحتها اللسان بالصوت مفتاحاً شفاهياً لإجراءات الغلق والحصر والظلمات؟
يا للسماء..! يا لنفسى..إنى كالمياه بدأت أتسرب إلي كرب النسيان ويغمي علي ذاكرتى الجامحة لمرة أولي فى حياتى يتعالي النسيان أخيراً انتقاماً لزمان مسلوب وأضرب الباب بقبضة يدى أضرب الباب فلا جرس يضحك بالرنين فى مساءات بلا كهرباء...
أضرب لعلها تفتح لعل دليلة تسمعنى فلا تذهل عنى فى مدارج شوقها إلىّ وأنا موكل بنسيان الألم والرصاص والموت فلماذا أنسي ما للحياة ومفاتيحها لماذا؟ لماذا أميز شذي الآس والنارنج مع مذاق البلوي المؤبد فى صحوة الحب؟
إذن أنا أملك روحى دون ذاكرتى والروح تقود الخطي إلي ما أرنو إليه ولكن لا..لا...
لماذا تسيح الذاكرة جليداً دسّوا فى جوفه لهباً؟
لماذا وهى ذاكرة دهرية كانت أعجوبتى ذات عمر وبها كسبت شهرة بين الناس وإذ كانوا ينشدون تواريخ وأحداث وأسماء وتفاصيل عصور غامضة، أراها مبثوثة أمامى: صحائف ومسلات ورقوق غزلان وأراقيم طين، وأفك طلاسم اللغات وأبلغ السائلين بما أري وكأنى عين الدهور وصوت الحقيقة وقد حزت هذه اليقظة المسحورة لحظة نجوت من الموت وأفقت من غيبوبة الهلع فى خندق الطين فى حرب المشارق عقب انفجار قذيفة منذ عشرين سنة فأبصرت بوجوه أصحابى الثلاثة تقطر موتاً وصمتها أزرق ثلجى وأعينها مفتوحة تحدق بالعدم السماوى الذى أرسلهم إليه الطين والنار. والوحل بدأ يجف علي ثيابهم المصمتة بخثارات دمائهم وأدركت فيما أدركت آنئذ أننى كنت فى غيبوبتى أتشبث بنجاحى وتيقنت أننى المحظوظ الوحيد الذى بقى حياً فى الموضع المتفجر والطين يسيل إلي أضلعى وأحزان روحى ومباهجها وجسدى يكتظ بالألم ويرتجف بأحشائى وأهوانى وأخطائى، فأوقن تارة أنها رجفة الموت تلى صحوته، إنما لما تحولت الرجفة فى الأطراف إلي تشنجات ألم عرفت أننى أكابد المعني فى الحياة محملاً بتاريخ البشر وحياتى تصير بذا أعتي علىّ من الميثان. والحياة تفلت آونة ثم تبعث رجةً فى أوصالى فيرعبنى استيعاب معني بقائى وأنا فى الخندق أتواري بظلمات المدفن ثم تروح أوجاع أطرافى إلي خدر فتنهمر علىَّ مشاهد التاريخ وأنا أقوم لمواجهة ما تبقي لى من حياة.
تنهال علىَّ صور الحروب القديمة والمجانيق والفرسان وتتساقط الدروع وأجدنى أخطو علي مياه الحضارات المبادة ويتدفق من عينى وأصابعى مخزون آلاف السنين من ذاكرات أسلافى، هكذا كنت أقوم إلي تلك اللحظة وأري المدن تنهض والجيوش تتجحفل والحرائق تتعالي والبلدان تتهاوي أو تقوم من العدم فى لمح برهة. وبين هذا وذاك تدق نواقيس الافتتان بالجمال ويسرى رنينها علي جسدى قشعريرة غواية وأفر من متعتى وألمى وانذهالى وأبصر الملوك المظلمين يعبئون الطرق والنوافذ والقوارب بالوصيفات والطاعون والعسس فأشم الدم مع المسك وأشم البحر مع الزئبق والعرق مع الجليد وتجتاح فمى مذاقات سموم وترياقات ولذائذ بالتتالى، وأدخل القلاع والمخادع والسجون فتنغلق علىّ وأعانق فى حين آخر النساء الناجيات من غرائز الموت وأبقي بهذا، وأطعن أعداء وأقنص ضوارى من كل غاب وأنجو ذات ظلم من حبل مشنقة وأشفي من طعنة رمح منقوع في الزرنيخ وأرانى أرفل فى طيلسانات أو أتواري فى مرقعة صوف، وأرانى صبياً يروّض جياداً ويعتق عبيداً أو يجلدهم وفتي يفني هياماً

بامرأة وراء سور وحصون، وجندياً مخذولاً يتعدد بميتات صفراء، وأرانى قتيلاً فى غمة التتار، وأرانى لصاً يسرق الزمان وحاكماً يختم أحكامه بالكسوف الشمسى ويتحول بنظرة ساحرة ميدوزية إلي تمثال حجر يفغر فاه علي رماد، وأعدو أعدو فى بساتين الهوي بين بنات ناعسات غامضات وأترنح فى حقول الجنون وأقيد بأغلال أمام شاشات تبث الوعيد والدم والوصال المعلن، وأدخل فراديس ترتل نظرة النرجس وخفوت الريحان وعيون الجساسين تحدق بى من ثقوب فى الليل والوسائد جمر ويتجمد القصدير علي أصابعى بينما أشم العنبر المذرور بين نهدى جارية ويبدو لى أننى كنت أتهاوي ما بين شهوات متع ومجابهات بقاء وأدرك أخيراً أننى صرت ممغنطاً بالمعارف والتحولات والمدارك ومثقلاً بما أبقاه الأولون، وأصحو بغتة علي تكسر الطين اليابس فوق قميصى الخاكى وتستبد بى ذاكرات الراحلين وأبصر ما سوف يأتى ويطعننى إداركى للرؤي المميتة والأحلام البهية وأخاف من وعيى لأبعاد الزمان الثلاثة والألم يفرط بى، حواسى لا تقوي علي احتمال وعيى ثلاثى الأبعاد – وهو الجنون – الجنون لا شك بصيرة الناجين..

أفيق أخيراً علي يدى تبحث عن كتب خبأتها فى حفرة بجدار الموضع التحت أرضى فإذا بالكلمات بالمعانى بالأفكار عجينة ورق ودم ورماد وبينهما تلتمع خرزات من ضوء عصى علي الفناء ربما كانت من حقل شعر أو فقرة من حبكة قصة خلودها ضوء متجمد ..الثلج يتردد فى جسدى وأحشائى تتقلص ورأسى ينفرط فى غوايات النسيان. يا إلهى وأوقن أننى أوخذ بكلاليب باردة إلي جنونى وأتلاشي فى مفناء الآن وكأننى كائن لحظى عمره طرفة عين..

أتعرف اللحظة علي مفتاح بيتى وأديره عنيفاً فى الباب ودليلة تفتحه فى الآونة ذاتها – فمن الذى أدي هذا الفعل؟– ولا أعبأ بما يحدث إنما أهتف بها حين تطل فى إشراق لهفتها.

– لماذا يا دليلة يحل بى الخسوف فأنسي؟

إنها الفضيحة ولا ريب، أيمكن أن يُبتلي رجل مثلى بنسيان قبل أن يقتص من أضداده أو يستنفد وجوه الحياة؟

دليلة تصطاد علامات الذهول والنظرة التائهة فلا تباشره بسؤال ولا تدهش مما يقول فهو لم يكتم ما حل به، وتسقيه ماء به قطع ثلج، تسقيه لمستها وقبلة حرير علي وجنته..

تهبه فى اللحظة طمأنينة الظل البارد فى قيظ الغروب ورائحة البيت، تروضه وتستدرج حواسه لأمان الوصول وتحط علي ملامحه كأنها ختم البراءة..

أتريد شاياً؟.. هيأت للرد معه بعض الطعام.. يرنو إلي الظلال المعتمة فى زوايا الغرفة فى أنحاء الوقت، وتحضر الشاى، يحضر الزمن الجميل فى زهرتين من زهور الرمان تقدمها له مع قطعة الجبن والرغيف الساخن وأوراق الريحان، إدام الوليمة المتقشفة لمساءات القحط..

وبرهان يوغل فى التنائى لكنه يدع يداً لا تنتسب إليه تحمل قدح الشاى ويداً راعشة بانفعال الجسد تلمس زهرتى الرمان القرمزيتين والشذا السكرى يأذن بانخطاف القلب وانفصاله عن تشوش الذاكرة، الشذا يخطف الروح إليها، فمه فم رجل آخر يرشف الشاى رشفات قصيرة ثم يقف مصعوقاً.

– دليلة..هل نام أخى غسان كعادته دون أن يخطر له انتظارى؟

فى ارتباك الحيرة تروح دليلة فى إطراقة هم ولا تطرف عيناها القائمتان بأى لوم ولا فمها بكلام وبرهان يترك قدح الشاى علي المنضدة الوحيدة الصغيرة التى تبقت لهما ويهرع نحو غرفة غسان المغلقة المختومة بطلسم الفقران، يضرب الباب، يطرق

عليه، ثم ينكص مرتبك الخطي وهو يذرف الأسي والشعور بالمهانة علي مسافة النسيان الأليمة.

ودليلة تطوقه بحنو ذراعيها، تمس رجفة اليد بلوعة أناملها..

– اشرب شايك يا برهان، واغتسل ثم حاول أن تنام ..أنت متعب يا برهان..

يرنو إلي وجهها الذى تذوب قسماته فى شحوب الشفق:

– برهان !...

يطرق محدقاً بالأرض والزمن عماء...

وغسان لا يسمع طرقات برهان علي بابه فما عاد يسمعها منذ تسع سنين من الموت وقد تلاشي جسده وبزته العسكرية فى طبقات الرمل وكفنته نبات الشيح والعرار وقرص هويته المعدنى يلتمع تحت النجوم وعلي مبعدة شهقة من مدفنه الرملى تنتأ بين الكثبان الراكضة آليات محطمة تتآكل أجزاؤها بارتطام الرمل وجائحة الريح..

كان برهان يراه فى مناماته محترقاً ومتفحماً داخل دبابة، لكن حلماً أخيراً أنقذه من ويل الحريق وأنبأه أنه مات بشظية قذيفة ونزف دمه فتشبعت به الرمال. كم كانت الرمال ظامئة منذ آلاف الدهور لمثل هذا؟

يضحك برهان لفرط الجزع ويفيق من استغراقه الفاضح فى النسيان وخطأ التوقيت وخطايا القلب ومكر الذاكرة التى تنكر موت توءمه، موت غسان يوجعه كأنه موته، وغسان يقيم فى جوارحه المتماثلة معه ويتخلد فى ارتباك ذاكرته وربما منحه ذاكرة الميت ورؤاه، لماذا لم يموتا معاً فى حرب الصحراء وآونة الجحيم بين مفازات الرمل والشعاب الجافة؟

يستدرجه الشوق إلي لثغة غسان، علامة غسان العذبة لثغة الراء المتعرجة فى طرف اللسان..غسان ..غسان.. وتتداخل الأصوات وأحداث الأمس مع الدهور الغابرة وتتبادل الحروب أيامها والتاريخ مواقعه مجتاحاً ذاكرة برهان المشوشة، حتي ليصير الزمن مرجلاً يغلى فيه البشر والأقوال والفراديس والمقابر وتتوهج قمم الأبراج وشرفات القصور وتعلو أدخنة النهار ويندس الماضى تحت عظامه ويضيع الحاضر والمستقبل. لا..المستقبل كان قد حدث منذ سنين وانتهي..

– يجب أن تنام.. سأهيئ لك الفراش.. ألا تستحم؟

– لا .. وكيف أهدأ والنسيان ليس لمثلى، والنسيان داء الآخرين وشأن يخص كل من عداى ..لا دليلة.. لست من ينسي..لا..إنها محض حالة عابرة..النساؤون هم من تضمحل ذاكرتهم لشيخوخة أو إدمان، وأنا لست منهم ولست ممن تتساوي لديه أخطر الأشياء وأدناها..لا دليلة.. فلا تتوهمى بذاكرتى وهناً..

(يا إلهى ..أهذا هو برهان؟ ..ماذا يحدث له؟.. أتكون أعراض مرض (الزهايمر)؟ هذا التشوش إحدي علامات المرض المبكرة.. ولكن لا.. المرض لا يصيب إلا من ناهزوا الستين وبرهان فى الثانية والأربعين لا..)

– دليلة لا ترتابى بى.. فأنا لن أفرّط بذاكرتى، إنها وسيلتى للبقاء فإذا حدث وأن حل بها الخراب فاعلمى أننى أفوح برائحة الموت ولك أن تتحاشى وجودى وتنأى عن رجل يتحلل أمامك ويتلاشي.

– هل نجحت أخيراً فى بيع تمثال الملك السومري؟

– يا لوجع الروح!.. بعته، وكأننى فقدت ابناً، نعم بعته وهاك ثمن تفريطى به، اشترى به ثياباً وبعض طعام ولا تذكرى الأمر أمامى مرة أخري.. كنت أرجو أن لا أفقده، تري أين سيمضى به مصيره المجهول؟

(٢)

الليل .. صيف بغداد وطوفان أشذاء من أشجار ملكة الليل، بخور طرى ينسكب من

خفقات النجوم وهمهمات طيور مخوخة تفيض من أجمات التوت وإيقاع الليل يختل فى بغداد فتتبدل سحنة الوقت وبرهان يكسف الظلمات بالحب ويفلت من كدر نسياناته إلي ابتداء الرفيف علي حدود الجسد، وبينه وبين دليلة يموج قمر وقرنفل، ورفيف الروح يقصى الحزن بوهج رغبتهما والضحكة تميد علي موجات وأرجوان ليل ودموعه ترشفها بقبلات حنان ودموعه تسدل غشاوة الماء علي مرأي الغرفة المعتمة المضاءة بشمعة وهو لا يكبح النشيج:

– الدموع تخصب الروح بإزالة ملح الجسد الفائض عن حد العذوبة.. وتعين الوعى علي تقصى المعانى.

تضحك .. يضحك في نشيجه وعتمة المباهج تتقد من تأويلاته عن الملح والمعانى..

تضحك دليلة منه، الدموع ودليلة تضحكان، الجسد اختلاج ملح وقيظ الليل فاتك والفؤاد زهرة بلسم حمراء ترتشف الندي ويسمع برهان صهيل جياد وخوار ثيران وحرير جداجد وخفق الدم يتواشج مع اصطخاب الليل، القيظ فاتك والعرق ليل ونهر ملح، وبرهان باع فيما مضي من شهور مبردة الهواء وسرير نومها وباع قبله مائدة الطعام والخزانات وأباريق البورسلين والأقداح، باع خاتمى زواجهما والقيظ يستبد بليلهما والنهار والدم واللذة ينشلانه برهة من نسياناته ولكنه سيبيع فى الغد أشياء أخري وسيعود إلي البيت باضطراب وكسوف فى الذاكرة..

هنا، يترعان روحيهما بوجد الجسد ويطويان الوقت بسلطة الحب ويعومان فى ترنيمات النشوة المشهرة فى نصف عتمة الغرفة يبسطان أفرشة الليل علي الأرض ويشرعان النوافذ لنسيم غض بالندي وطنين البعوض وضوء لؤلؤ ينبض فى عنقها ومن أصابعه يفيض فجر والظلمة تتراخي وتصعد بهما فى معراج برج المحبات فينجوان لبرهة وقت من فناء القحط.

يغفو برهان علي ذراعها وتدرك آنئذ أن افتتان الروح بالحب يفوق انخطاف الجسد الآنى به، والروح تتجسد والجسد يتروحن ويصيران اكتمال وجود بين عدم متربص وأبدية مسروقة ويماثلان سورات ماء النهر وهما يستغرقان فى سرمدية اللحظة المطلقة ويفنيان فيها ولون ذهب ورنة بلور وفوح مسك يرسم الشهقة فى الهواء ويتراجع العالم وكل ما عداهما إلي ما وراء الزمن ~~فيغفو الجسد فى مباهجه وشذي~~ جسدها البرى يلمه ويدنيه ويديمه فى جذلٍ وجوده ويري فى أول منامات النعاس أن تمثال الملك السومرى (شولكي) ينام ممداً بينهما ثم يراه يقفز إلى خزانة زجاج – وكان قد باعه مساء ذلك اليوم – عبر وسيط – إلي دبلوماسى أجنبى. لكن الملك المقصى عن ملكوته عاد هارباً إليه ولبث يناديه بلغة برونز وصدأ:

– برهان «لن أخلد فى أبديتى ما لم أجد شهوداً من دمى أعلمهم كيف يعيدون بناء النهار ويتقنون إفراغ الروح من عثراتها ..برهان لا تفرط بك ..

– وكيف أبقي إن لم أبذل أو أضحى بشىء.

– مثلما تبقي الطيور وأشجار السدر والنخل البرى فى الواحات، مثلما يدوم النهر والريح والزمن ..لست بأقل حيلة وبأساً من هذه الكائنات..

– أتسخر منى؟.. إن كنت تفعل ذلك حقاً فأنت لا تفهمنى .

– بل أطالبك بأبديتى لأننى أعرفك وأريد أن أسلمك الوصايا..

– فات أوان الوصايا..

– ولكن لم يفت أوان البقاء..

ينزلق برهان إلي الصحو فى فزع الرؤيا وتنحل لذة الحب المتبقية فى الجوارح إلي سائل حزن كثيف...

(٣)

يصير أسبوع رفاهما المؤقت إلي نهاية ويعود برهان بعد أن تلاشي ثمن الملك وأبديته - يسأل أشياء البيت وحفيف الستائر الممزقة.

- ماذا سنأكل فى الغد ؟

- هذا يعنى ماذا سنبيع لنبقي..

يراوغه وجه الملك السومرى (شولكي): لا تفرط بك.. يلاحقه وهو يسخر من حلمه المستبد ووصايا الملك الحجرى ويحاول أن ينساه وينسي ما فرط به فيأخذ جهاز تسجيل يابانى علامة (ناشيونال) ويمضى به إلي متاهات السوق فى قلب المدينة وأصوات الحكايات والأغانى والمواويل تسيل علي جسده وتطوقه آهات المغنيات وأحاديث الملوك وتضبط المارشات إيقاعاتها علي طقطقة عظامه وتنسدل البيانات علي صوته بينما تموج البحار المجتاحة بالفرقاطات فى دمه ويعرض العالم للبيع فى علبة الصوت ويلقى بنفسه والجهاز وسط السوق ويبتاعه رجل يتاجر بعوز الحالمين ويتركه إلي محطة الحافلات فلا يميز أية حافلة يمكن أن تأخذه إلي البيت ويحسم الأمر بالمضى إلي واحدة توشك علي الرحيل فتأخذه إلي (الأعظمية) بدل (حى العدل) وينفتح باب البيت هذه المرة برغبة برهان وقلق دليلة:

- كل هذا النهار لتبيع المسجل؟ تأخرت كثيراً..

- كنت فى ساحة صراع.. أتخلّي عما هو لى فيأخذ الآخرون ما ليس لهم .. لعبة بشعة أن نعلن بيوتنا فى عمومية السوق.

- كيف جرت الأمور ؟

- بعته.. هكذا ..بهذه الأوراق اللعينة... انظرى.. (ويرش النقود الورقية فئة ٢٥٠ ديناراً علي الأرض التى من فرط عريها نضحت ملحاً من بين البلاطات المتآكلة..)

- خذيها ..اشترى ما يجنبنا الهلاك جوعاً.

- هكذا إذن سوف نستبدل الموسيقي وصوت عبد الحليم حافظ بأطعمة زائلة وحبوب ڤاليوم تأخذنا إلي خدر الغياب ومراهم لالتهاب الأمل..

- وبذا ستتآكل ذاكرتنا كل لحظة، وسوف ترين..سوف ترين... وكم يرعبنى الأمر يا دليلة، أخشي أن تتبدد ذاكرتى وتفني، الذاكرة هى التى تنقذ الإنسان من مصير الفراشة المحتوم وتحول دون تفسخ القلب فى أتون السماء.

لا تجيب ولكنها تدير السؤال فى مخاوفها، كيف سيدوم الحب بلا ذاكرة وأسرار ؟

(٤)

كثير من الأصداء تتوالد فى فراغ البيت، صدي النهار نحيل يتلاشي بسرعة، صدي الليل أجوف يتردد مراراً لم يعد فى الغرف غير الصدي والكتب باعاً كل ما يمكن أن يشتريه الآخرون ليفوزا بوجبات ترجئ الهلاك.

المكتبة إرث أبيه عن جده، وهو مدمن كتب تعلم منها تباينات الأفكار وسر التحاور وقداسة الاختلاف، عرف سر الحياة وشغف بأسماء الكتب وألوان الورق وروائحه.. تدرب علي تمييز الروائح المغرية التى تشع من بطون المجلدات وتتصاعد من الأغلفة المذهبة فيثير لدية شهوة المعرفة وتصيبه بالهوس المستبد، وتجعله وعاء لأصداء الكلام الخارق..

كان برهان يقف كل وقت ويلجأ كل حزن إلي المكتبة يقف متعبداً أمامها، وتتشرب مساماته لذة الحبر وأكاسيد الألوان وأشذاء الورق الهش الذى يتهشم تحت لمسة قارئ مفتون، ويتشمم رائحة الورق الصقيل الذى له لون محار وعبير زيت وبحر، والورق الأسمر بعبق دخان تنباك مخمّر، ورق أبيض يفوح منه عبير بنفسج مسحوق والحبر فلزات سرية التركيب تتسلل إلي الروح وتعيد بناء مشاهد الذاكرة كلما قوضتها الأهوال وفتكت بها الكوارث وتدور به ريح الأبجديات والخطوط وتحط مركبة الشغف

فى مدينة الكتب (سيبار) البابلية المدينة التى من فرط انغماسها بالمعرفة تحيا بلا جيوش إلا من حشود الشعراء ومنظمى الألواح وكتبة الملاحم، المدينة العارفة محمية بسحر أسمائها السرية وخصتها الآلهة بامتياز النجاة من كل طوفان لقداسة ألواحها فلا تمس جدرانها فيوض ماء ولا طمى فرات وبرهان يطوف فى أرجاء خزائنها وتضيعه الفتنة العريقة للحكمة المحفورة بخط مسمارى بأسافين من ذهب علي ألواح الطين وتأخذه من انسحاره شهقة تتناهي إليه من بغداد، شهقة الفيلسوف الكندى والسياط تنهال خمسين جلدة علي سنواته الستين وجسده يتمرأي بالسماء، والنهابون يتخاطفون كتبه والسياط تنز علي ظهره وهو سيد دار الحكمة والخليفة المعتصم يعلى سلطة السوط علي هيبة الفكر وبرهان يغص بالنشيج ويتمتم له فيلسوف العرب:

– مهلاً يا بنى.. ولا يصيبك الأسي لما جري لى ولسواىِ .. والفاتنات من الحوادث هى التجارب الموجعات التى تثير الحزن لدي الإنسان. فلا تَسْعَ لاستعادة ما ولّي، والموت لو تعلم تعبير عن تمام الطبع ووسيلتنا لإكمال تاريخ الإنسان واقرأ كتابى (رسالة الحيلة فى دفع الأحزان) وافهم ما قلته فى متنه (ينبغى أن لا نقتنى لئلا نحزن) والأشياء المشتركة المشاعة بين الناس يا برهان سبب الخلاف وتخضع لمنطق الصراع وتكون عرضة للتدافع وأما ما نملكه نحن فيدوم أو يتبدد بنا ولنا..

ويهبط السوط مرة أخري علي ظهر الفيلسوف العارف وظهر برهان يتورم فى وجع التماهى وتنفرط ستون عاماً من بهاء العقل بوشاية دسّاس عابر ويحرقون كتب العارف وأولها (رسالة كيمياء العطر والتصعيدات) ويتوهمون أنها تحض علي غلبة الرغبة وشهوة الحواس.

يهم الغياب ببرهان فتفززه لذعة السوط ويوقظه صوت (مسكويه):

– (اسمعنى يا برهان هذا الوقت: الفكرة تدير تاريخ الناس إلي أقدارهم علي إظهار فعله الخاص وألزمهم له من غير تلون فيه أو إخلال به..)

ويختلط صوتا العارفين ويقول له الكندى وقد اعتراه الحزن:

– (الحزن يا برهان ينشأ عن فرط التفكير بالماضى والمستقبل والانقطاع عن الحاضر .. خذ حاضرك ودعنا لما كنا فيه. دعك منا.. وكن لما أنت فيه.. دعك منا.. منا..

وتخفت الأصوات وترتد الكلمات إلي متون الكتب وتتواري ما بين الأغلفة ويتردد الصدي فى آخر النون والألف بصوت الكندى:

– دعك منا.. دعك منا..منا..

واليوم جمعة وسوف يبيع نصف كنوزه من الكتب ويستبقى (الكندى) و(التوحيدى) و(مسكويه) وبعض كتب الشعر وما لم يقله الرواة، ويفتح باب الحاضر بشفرة العاصفة فيبزغ له الملك السومرى شولكي فى كل غفوة وكل رؤيا ويبيع فى السوق ما يذهله عن نفسه وامرأته ويعود إلي البيت عند غسق الأحزان والمرأة تفتح له الباب فينكرها ولا يعرف لها اسماً فى نسياناته الغضة وهو مستغرب وتنأي عنها نظرته فى الحيرة الجائحة ويتظاهر بما ليس فيه وتخفق فى الدار ريح النسيان ودليلة تحدس ما به وتعرف وهو لا يفوه ولا يبوح بانكسار وعيه بها. وتهذى دليلة لنفسها: ما جدوي كل ما نفعله وماذا سنقتنى لتزداد أحزاننا؟...وماذا أكون لكى أستدعى الرجاء إلى؟ وأية أوقات من الكدر سأحيا وبرهان مبتلي بالذهول؟ يشم برهان رائحة غبار عاصفى تلتف حول شعرها وتموه ملامحها وتشوش بصيرته إبانات ألم وتشنجات قدم وتخرج من باب دارهما وتعدو فى الطرقات ملدوغة الفؤاد وسيارة مكشوفة بها رهط شبان صاخبين تلاحقها: يا امرأة.. يا امرأة الليل، هيا إلينا، فما من امرأة تجوب ليل المدينة إلا وهبناها لأنفسنا، فالليل والأرض ملكنا وكفي عن

التمنع يا امرأة وإلا فما معني ظهورك فى ليلنا؟
وتستجير دليلة بالجدران وبسالة البلوي وبنساء يتربصن بالنجوم والصرخات ويتخفين وراء دريئات النوافذ وتعريشات اللبلاب والمخاوف، النساء لهن المخادع والخدور والخرائب وللرجال فى الليل فرائس الطرقات إن لم يكونوا طرائد لسواهم..
وتستجير وتناشد وتستغيث بطبيب وأصدقاء برهان، وتأتى بالطبيب إليه والطبيب يعلن ما يراه:
– به صدمة وانذهال، اختلال ذاكرة قد يطول ولا ضمان لشفاء إلا إذا..
– ماذا؟
– أنتما كما أري لا تملكون ما هو شرط لضمان العلاج، فكفي يا امرأة عن التشبث بما لا حق لكما فيه..

(٥)

دليله تتكاثر فى نفسها لتحتمل البلاء، وبرهان أكثر من سواه فى عذابه، والفرح طرفة يتندران بها ويشرع لهما العناق الذاهل يضم اللحظة وينهما الحب الذى تنشئه الذاكرة الجديدة لحظة بلحظة وكأنهما يتعرفان نفسيهما فى الآن والجسد يتكامل ويلتئم بشبيهه، وإن فى الذهول، ويتعلم الجسد فى ذروة الشغف الملتاع أن النهايات ما تزال قصية، ولا ينقذ الجسد إلا التغاضى عنه ونسيان ما ليس لهما. ودليلة تصير طليقة كهواء ووهج نار وبرهان يمتزج بأصل وجوده ووجودها.. ويفكر فى إشراقة لحظته:
– الحب هو أن تقر بعدمٍ الآخرين وتنسي ما فات من الحادثات..
يستقبل الوجود معرّي بحقيقة أنفاسه وعند كل قبلة تنولد ذاكرة شغف تنقذ ما سوف يتبعها وما أيسر وما أصعب أن يفوزا بالفرح الموشّي ولو باختراع أسطورات ويضحكان وبينهما نهر من النسيان الجشى، طرق علي الباب، طرقة وأخري وثالثة وتفز الروحان من ذهولهما، وصوت مالك البيت يصرخ بالوعيد:
– فى الضحي ترحلان من هنا أو تحضرا لى أجرة عام وسآتى لآخذ ما تهيئه لى يا برهان ولن تقيما هنا إلا إذا..
يضحكان لفرط غباوة الكائنات وهى تتنامي فى شهوات الامتلاك والعسف ويضحكان وبرهان لا يدرى تماماً ما يحدث له، ويهيمان فى فراغ الغرف الخاليات يضحكان فتردد الجدران الصدي، لا مقتنيات لديهما سوي الصدي، الصدي فتنه التكاثر فى عراء الوجود..
تفكر دليلة أن ممكنات البقاء دونما ذاكرة حية كارثة مريعة، ولا شىء لهما فى هذه المدينة لا بيت ولا أصداء موسيقي ولا سرير نوم والكتب وحدها صدي العقول الفذة وهى الأخري تتسلل من بين أيديهما إلي المتاهات فبماذا ستدوم الحياة؟
هل يكفى أن يتشبثا بالحاضر ويتوهمان أن الزمان طوع أحلامهما ولهما طراوة النهار واتساع الليل كما كان يقول برهان وقد يهلكا فى مصادفة قصف جديدة للمدينة أو ينتابهما وباء ما وتقول له همساً تمرر حبها إلي سمعه كلمات:
– أنت وإن نسيت اسمى فى برهة الذهول فإنى أنا ذاكرتك ولسان وقتك وأنت ذاكرتى وها نحن نختطف حاضر بقائنا من براثن الجحيم..
دمعه مزنة ماء علي وجهها ويدها تجوس علي جبينه فينتحب فى خشوع والزمن جليد يتنامي حولهما وهما يتوغلان فيه..

(٦)

سيارة أجرة مسرعة تحمل كل ما تبقي من كنوز مكتبة برهان وتعبر به شوارع الكرخ وساحة المتحف العراقى ثم تعبر جسر ١٧ تموز إلي ساحة الباب المعظم وقاعة

الشعب نزولاً إلي مبتدئ شارع الرشيد حتي تتوقف به عند شارع المتنبى الذى وسم دلالاً للكتب فى نهايات القرن..

تؤخذ الكتب النفيسة، المجلدات، تؤخذ العقول المبجلة والأفكار البهية وقواميس الدنيا إلي أيدى متفرقة إلي فوضي الرغبات إلي الرصيف وغبار الأحذية، وتلامس بجلالها أعقاب السجائر وقشور السحالى. ودليلة اختطفت الكندى والتوحيدى وألبير كامو وما لم يقله الرواة، لحظة مغادرته وأخفت الغنيمة فى ثنايا ثيابها وهو يدوخ فى اللغو وغثيان المساومات والمدي دخان مزحوم ببقايا ذاكرة متحضرة والسحالى تبرز من بين المجلدات تترك بيوضها بين الأضابير وتمضى وبرهان يهجس الرجفة الرجة التى اجتاحته منذ عشرين سنة فى خندق الحرب، تسرى الساعة فى أوصاله ولكنها يا للهول تؤدى فعلتها بالمقلوب وتتوطن فى الدم تثقب النخاع وتزجى لوثة الدوار إلي الدماغ وتغشي عينى برهان سحابات بعوض طائر خلل فى السائل الزجاجى لقاع العين وبأطراف خدر وشهوة نعاس، عذبة متعة النوم، النعاس دبيب مؤامرة تجتث شجرة الوعى، ويومض ألم كهربى يلسع اللحم فى رعشته..

السهو يزجه فى الذهول والذهول يقذفه إلي ما وراء النهار وتاريخ المدينة، والأمكنة باطلة، وفيض أصوات يدبر المساومات وبرهان فى غائلة السوق نافل ولا يدرك ما يدور ويدار. والرجة تبثق فى جسده حلاوات النسيان وتسلبه ما وهبته إياه قبل عشرين سنة وهو لا يدرك بعد ما يفقد فلا يميز اللحظة بين وجوه الحشد، أيهّم الباعة وأيهّم الشارون وأيهم المعارف ومن منهم الأغراب فالملامح ممحوة والعيون زجاج والأكذوبات تسعي بين الخناجر والأفواه ورجل كث النبرات بصوته غنة احتراف يحسم الثمن وجدال المساومين ويضع رزم النقود فى كيس ويدسها فى يد برهان الذى ينتفض جسده فى ضحكة مديدة تنتقل عدواها إلي الآخرين ويهجس أصابع تمتد إلي عنقه وفمه ورأسه، أصابع سريعة مدربة تستل من رأسه خيط وهج ومعه بضعة من لحمه هلام ذاكرته..

يسقط الزمن، يسقط حجر بارد مطفأ وسائل لزج فى رأسه تتكسر موجات نهر فيه فيلقى آخر ضحكة وآخر نظرة علي سادة الكلمات وهم ينسفحون علي تراب الرصيف ويطردون من ملكوت العقل، وينظر فلا يأبه به فيلسوف ولا يستجيب لنظرته عارف فهم فى بلاء التيه مدحورون ومزدري بهم والكل مباع والأجور بخسة وبرهان يطرق غماً ويغادر إلي شارع الرشيد ناسياً كل ما حدث ويحدث وكل شيء لديه الآن سواء ويخطئ العلامات والتحذيرات ودلالات الوقت وإشارات الجهات، فالنسيان خاتمة الأعاجيب، وبرهان يوغل فى جذل الذهول ويستغرق فى حبور التيه ويمضى إلي اتساع النهار ولا يتجه إلي بيت أو زمان. فالنسيان خاتمة الأعاجيب..

لطفية الدليمى، «خسوف برهان المكتبى»، مجلة «سطور» العدد ٣٧ ، ديسمبر ١٩٩٩، ص ٨٠- ٨٣.

ابتسام عبد الله

فى البستان

مثل نقاط من حامض مركز تسقط علي قطعة من المعدن وتبدأ بحفر سطحه،

تعمل الكتابة فى النفس وتنمو باطراد طولاً وعرضاً، ذلك ما كنت أفكر فيه منذ الصباح. هذه الفكرة لازمتنى كما يلازمنى أحياناً مقطع من أغنية ما، أسمعها فى ساعة مبكرة من النهار وأظل أدندن بها طيلة اليوم، أحس بالضجر منها ولكنى أظل أرددها. «مثل نقاط من حامض مركز..» وأنا فى طريقى إلي المدرسة التى أعمل فيها، وأنا فى طريقى إلي البيت، وأنا أنظف باقات الكرفس التى تتكدس أمامى الآن، وأرقب بين آونة وآخري ابنى الصغير وهو يهرول أمامى ويهرول خلفه الكلب الصغير الذى اشتراه زوجى قبل رحيله: «سيحميكما.. كما سيكون بإمكان أحمد اللعب معه.»

الساعة الآن قرابة الواحدة بعد الظهر، وأنا أعرف أن الولد جوعان، فهو فى الصباح، قد مضغ قطعة من الخبز مع قدح من الشاى المحلي بقليل من السكر، (بدأنا نستعمل كلمة القليل فى كل ما يخص الطعام فى هذه الأيام)، وأعرف أن تدبير طعام الغداء له ولى وأعرف أيضاً أن حصتنا المقررة من الأرز نفدت، عدا مقدار يكفى لطبق منه، ومن أجل ذلك، كنت أحاول تأجيل تقديمه كى يتحول إلي غداء وعشاء.

أحنى ظهرى علي كومة باقات الكرفس، أنظفها من الأوساخ والأعشاب، فأنا أتقاضي أجراً عن عملى هذا، أجراً أضيفه إلي مرتبى الضئيل متدبرة بذلك حالنا، متخلية عن حاجات كثيرة، كانت فى الماضى القريب تبدو أساسية وغدت هامشية، بل نوعاً من الترف، الذى لا أستحقه كإنسان، ولكن هل تتحول الحاجة إلي الطعام إلي نوع من الترف فى الأيام المقبلة؟!

أنا أعيش اليوم مع والدى، بعد أن انتقلت للسكن معه فى هذا البستان - المشتل- فقبل سفره، باع زوجى معظم ما نملك من أثاث ومتاع من أجل تدبير مصاريف الرحلة- الحلم وانتقلت مع أبى وابنى إلي هذا البيت الصغير المؤلف من غرفتين والذى يقع فى الجزء الخلفى من البستان. أبى يتولي حراسة البستان وسقى نباتاته وزهوره نهاراً، ويعمل مساء فى المطعم الذى يحتل الجزء الأمامى منه ويقدم لرواده، من أصحاب السيارات الفارهة، أنواعاً من المشويات.

كومة باقات الكرفس التى أحنى ظهرى ساعتين يومياً من أجل تنظيفها وتقطيعها للمطعم الذى تتلألأ أنواره ليلاً، مثل نقاط من حامض مركز تسقط على قطعة من المعدن وتبدأ بحفره، هكذا تعمل الكآبة، لا شىء يقف أمامها عندما تتغلغل أمواجها من النقاط السود فى النفس. وفى الأعوام الأخيرة، قاومتها بشدة، أنشدت مع نفسى أناشيد الصبر وغنيت لها الأغانى: لا يأس مع الحياة، ابتسم تبتسم لك الدنيا، اعمل تنل، وتفاءلت وابتسمت وعملت ولكن النقاط السود التى كانت فى البدء صغيرة، اتسعت وتحولت إلي ثقوب شوهتنى.

الولد الصغير، ذو الوجه الشاحب والعظام الناتئة، تتباطأ خطواته فى اللعب، هل يعرف كنه الحياة فى هذا المكان والزمان أم أن الحياة بالنسبة إليه مجرد كرة ملونة يلهو بها ويقفز معها فى بستان كبير؟

أجيل عينى فى أرجاء المكان. الخريف يلقى عليه ظلاله العميقة، فيبدو موحشاً وكئيباً. الأشجار فقدت خضرتها، تغطى أوراقها طبقة كثيفة من الغبار. فالموسم الماضى كان مهلكاً، شح فيه الماء كما شحت بقية الأشياء، والسواقى الكثيرة المنتشرة فى البستان شبه مسدودة، وأكوام من الأوراق والجذوع اليابسة تتكدس فى أرجائها، تتجمع كلما تخلصنا منها، حتي غدونا نخشي أن تطمرنا، فى يوم من الأيام، تحتها.

إلي مثل هذا البستان - المشتل - ذهبت معه فى أول لقاء بيننا، كنت قد

التقيت به فى عيادة طبيب الأسنان وتبادلت معه بعض العبارات إزاء إصراره علي التعرف إلىّ. وقال أن هناك معرضاً للزهور مقاماً فى مشتل كبير وأنه قد زاره قبل يومين لشراء بعض الزهور وأنه قد تذكرنى هناك، دون أن يدرى سبب ذلك.. وقال لى:

« ربما تريدين أنت أيضاً شراء بعض النباتات. عليك رؤية المعرض. إنه جميل، وعندما ستتجولين فيه ستدركين معني الربيع ».

سكت ولم أجبه بشىء فقال وهو يبتسم وكأنه بابتسامته تلك، كان يخفى ارتباكه وخجله، فهؤلاء الرجال يحسون بالخجل ولكنهم يغلفونه جيداً بتصنع الجرأة، «دعى الزهور تتفتح لا تغتالى برعم زهرة توشك أن تتفتح بيننا.»

التقت نظراتنا لحظات، أدركت معني كلامه ولكننى قلت متجاهلة معانيه الخفية والمستترة بين الكلمات، «لا أفهم ما ترمى إليه، ولا أجد فى نفسى رغبة لزيارة معارض الزهور.»

لكنه أجابنى بإصرار وعناد: «سنزوره معاً» ما رأيك فى الغد؟

قال: « لأننى ظللت أفكر فيك وأنا أتجول فيه. لم أستطع إبعادك عن ذهنى لحظة واحدة. لم يحدث هذا معى من قبل. لا أدرى ما الذى حدث! إنسى الأمر إن لم تجدى فى نفسك شيئاً من التجاوب مع كلماتى لكننى، مع ذلك، سأنتظرك هنا، صباح الغد وفى الساعة العاشرة ».

وكان البستان – المشتل– الذى ذهبنا إليه أشبه بالجنة. هكذا قلت له وأنا أتجول معه فى أرجاء المعرض الكبير. أشجار مورقة بدرجات متعددة من الخضرة، سواقٍ تطفح بخرير المياه وعصافير تزقزق بنغمات عذبة وهى تنتقل من غصن إلي آخرٍ وزهور بألوان مختلفة ووجوه نضرة وقامات وأعين متألقة وضحكات وابتسامات وملابس أنيقة وجديدة. وقال لى: «ستكون الحياة أسهل فى المستقبل. سنتزوج، لا تنكرى أن الحب قد جمع بيننا، وسنعمل ونكون عائلة صغيرة، ولن نفترق..»

ولكنه سافر قبل صيفين، عندما بدأ الجوع يلوح أمامنا. «سأرسل فى طلبكما عندما تستقر بى الأمور هناك »، ولم تستقر به الأمور هناك، بل أخذ ينتقل من مكان إلي مكان، متبعثراً هناك إلي أجزاء، كما تبعثرت أنا هنا إلي أجزاء. وأحاول الآن أن أتذكر ملامحه التى غابت عنى، يبدو فى مخيلتى مثل صورة فقدت ألوانها، بعيدة تماماً عنى، لا تربطنى به تلك الأحاسيس التى توهجت، ذات يوم، فى البستان وجمعتنى به.

الصمت الذى كان يحيط بى يتبدد باقتراب خطوات ابنى، إنه يقف أمامى بوجهه المصفر ليقول إنه جوعان، أعرف جوعه، فأنا أعانيه أيضاً، فهل أضع له بعض الحصي فى قدر من الماء وأظل أعلله بأن الطعام سيجهز بعد قليل، كما فعلت أعرابية مع أطفالها منذ مئات الأعوام، فى عام الرماد، وقد طالت أعوام الرماد عندنا وامتدت!

– إننى جوعان..متي نأكل؟

أتشاغل عن الولد بباقات الكرفس، أقول دون أن أرفع بصرى إليه: « بعد قليل.. بعد قليل.. حالما أنتهى من هذا العمل.»

الساعة الآن تقارب الثالثة عصراً، انتهيت من تقطيع الكرفس، أجمعه فى إناء عميق وكبير، أقوم من مكانى، أتوجه إلي داخل البيت، أتناول الأرز المتبقى، ويلحق بى الولد بخطوات سريعة، متابعاً خطواتى. أغسل الأرز وأضعه فى قدر صغير من السمن والماء.

» سنأكل بعد قليل. هذا الأرز علي النار وقد عصرت عليه قطعة من الطماطم،

إنك تحب الأرز الأحمر، أليس كذلك؟ »

» ولكن متي نأكل؟ »

» بعد قليل، بعد قليل »

وأتناول طبقاً معدنياً، أصب فيه الأرز، يشرق وجه الولد وهو يتبعنى مصفقاً بيديه ويتبعه الكلب. أضع الإناء علي منضدة صغيرة واطئة فى البستان، يقفز، الولد والكلب، مقبلين علي الطعام، ينقلب الإناء ويتبعثر الأرز، فى لحظة، علي الأرض. أقف مشدوهة أمام المشهد وبرهة تتجمد الحياة أمام عينى، البستان المغبر، الأرز المبعثر علي الأرض، الولد وقد تقلصت ملامحه وازداد صفرة. وتمر الدقائق التالية، ثقيلة وبطيئة، وكل واحد منا واقف فى مكانه، أنا والولد والكلب، كما تتوقف بعض المشاهد وتتوالي المشاهد. يتحرك الكلب ببطء، متطلعاً إلينا، يقترب من حبات الأرز المتناثرة، أنهره، ويخطر ببالى أن أجمع تلك الحبات، ولكن الكلب يعاود حركته، يقترب من الأرز المبعثر، يمد لسانه ويرفع به حبات إلي فمه ويصيح به الولد: ابتعد .. لديك الكثير من العظام.» ولسان الكلب ما زال يلتقط حبات الأرز. أحس بالجوع وأدرك جوع ولدى.

وكالمأخوذة، تنتقل عيناى بينه وبين الكلب، وبغريزة الإنسان الجوعان، يفهم الولد حركتى، يجلس علي الأرض، يمد لسانه خارج فمه ويبدأ بالتقات حبات الأرز المعفر بالغبار وأوراق الشجر الميتة: تتثاقل حركتى، يدور البستان أمامى، أتهاوي علي الأرض وعيناى ما تزالان تدوران بين الاثنين، والجوع يأكد منى وقبضة من حديد أحسها جاثمة علي صدرى، تكاد تخنق أنفاسى، ألم أقل لكم إن قطرات الحامض المركز عندما..

ابتسام عبدالله، مجموعة: حين يحزن الأطفال، دار عشتار ، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٥٥– ١٦١.

عالية ممدوح

العبــــور

قبل أن أخرج إلي الشارع، فكرت، أننى قابلة للتطور لكننى متزمتة بعض الشىء.

كل صباح أقول سأشدد الحراسة علي نفسى، وكل مساء أسهر علي المدينة وأترك نفسى..

تعلمت النزهات الكبيرة داخل الشوارع الضيقة، إن المرء لا يحس بحماية كافية فى مدينة كبيروت.

الأوروبيون من كل مكان وكل لون، صاروا وجوها دائمة داخل المخازن والمقاهى، أما وجوهنا نحن فلقد علمونا أن تكون مؤقتة، ولكن مع هذا كنا ننفرد بشىء ما، كآبات تصطف كالجموع الغفيرة قابلة للازدهار، وأسدل علي كبريائى الباب وأطلع إلي الشارع..

البيويك والفورد والمرسيدس علي انصبابها التقنى تمر بجانبى وليس بمقدورى لمسها، والنظر إلي سطوح العمارات يتطلب تعوداً علي عادات جديدة، ووجوه الناس فى

شارع الحمراء تعترف لك أنها لم تغادره منذ الولادة وحتي الآن..
طبعاً هذا لا يكفي للتذوق وحده، فمن خلال مئات الأيدي الممدودة والمضمونة تبرهن الحركة علي حرارتها وتطرفها.
صبى وصبية يتماسان فى وله حقيقى، أستند علي حافة سيارة ما فى شارع فرعى، وساوسهما أن يكونا غير مرئيين أكثر من اللزوم، شاهدتهما بأكثر من اللزوم، توقفت عن التنفس دقائق، أدرجت كل مشاكلى فى منخريهما فسيكون من المستحيل أن تنتهى المشكلة بالثرثرة معهما.. ولما اقتربت أكثر، كان وجه الصبية لا يقلد أى نموذج سابق، ووجه الصبى مطلقاً كل إيحاء بطول الحياة، مررت قربهما وما تعلمت إلا مزيداً من الوقار فى استقبال هذه الكائنات..
تقف سيارة مسرعة فجأة قربى، تنزل منها حورية، إنها ترقص، والله إنها ترقص. تبتعد عنى ولا تلقى علىّ تحية المساء ثانية واحدة، وتدخل متجراً للأزياء، أدخل وراءها، تتكلم الفرنسية، أصير لصقها، تبدو غير راضية علي كل شىء أمامها، تلتفت، تبتسم بجفاف، جلدها بلون البلور، ووجهها بلون الدخان، وعيناها زهور برية لا تستقر فى مكان..
ربما بسبب هذه المرأة ستحدث مجاعة أو حرائق، إن طريقة حضورها تكفى لخلق دزينة من النساء، ولمّا لا تشترى شيئاً تعطى البائع بقشيشاً عشر ليرات، وتخرج معرضة الآخرين للخطر والكفر..
لكن السيدة التي قطعت الشارع معى كانت مشيتها كاذبة من التنظيم وحركاتها غريبة طق، طق، طق، وتصير علي الرصيف الآخر، يطير كعب حذائها فى الهواء، لا تتراجع، بل تعرج قليلاً، ترمى الكعب الآخر فى الهواء الطلق أيضاً، تحس أن مشيتها منفرة للعمود الفقرى، تخلع الفردتين معاً، تمسكهما بيديها، تضعهما فى أول علبة قمامة، تجلس فى أول مقهي يصادفها حافية، ولا يعنينى منها إلا الابتسام والصمت علي ممارسة هذا الهجوم الصغير من العيش..
ولا أفطن إلا بكونى محاصرة من إنسان ما يرتدى نظارات سوداء سميكة، رشيق، طويل، أنيق، شعره متردد بين الطول والقصر، رأيته فى أكثر من منعطف، لم أتساءل هل هو الذى يسير أم أنا التى كنت واقفة، فى وجهه هواجس عدة لكن لم يتعود علي فتح الأسئلة مع الآخرين..
لو أن الصداقة تنبت فجأة لاخترته صديقى، فهناك وجوه صديقة وأخري عدوة وأخري مضللة بين الاثنين، ولكن هذا الوجه لم يشأ أن يقلد أى وجه من الذين أعرفهم، بالغ الوضوح، بالغ الاستلاب، والسؤال يلح، لو أنى أري عينيه، لو كنت شرطية لمنعت ارتداء النظارات من عيون كل النساء والرجال علي حد سواء، لكننى امرأة تلح أن لا تصير من النخبة، وأنا أدور فى الشارع، أقفز من محل إلي آخر ولا أشترى أى شىء، حقيبتى تحب الاختصار فى كل شىء وهى مولعة بالأوراق العديدة وأرقام تليفونات البوليس والحريق والنجدة، والتربية واللغة، وعلبة سجاير فارغة علي الدوام تقريباً وأقساط مدرسة طفلى الوحيد..وأنا لست صاحبة امتياز أى جزء من أجزاء حقيبتى سوي حملها علي كتفى، وكتفى لا أحمل فيها شارة ما، والرجل صاحب النظارات لا يكف من النظر إلى وفى كل الاتجاهات، ولم يجرؤ مرة واحدة علي رفع نظارته حتي لو كانت نظرته بلا هدي، والمسألة تخرج من كونه رجلا أو امرأة، الصعوبة فى تجاوز هذه البلبلة الجنسية والتى تضع فروقاً فردية بين الكائن وذاك، وصار الوضع لا يطاق، خلعت نظارتى، أمسكتها بيدى، هؤلاء البشر هم خصومى الحقيقيون، لا أذكر من قال «إننى أعشق البشرية وأكره البشر» أبتهج قليلاً، كانت الشمس ملكاً للجميع، وأنا كففت عن إحصاء التناقضات، وخيل إلى أن الرجل سينزع نظارته أيضاً، اقتربت أكثر، كان يتكئ علي

عمود، (يريد) أن يصمت أكثر، أسقط كبريتا وألقطه من الأرض، والرجل لا يكف عن الإيحاء، أقف قربه تماماً، يطلع صوته أول مرة حزيناً قد يؤدى إلي الغيبوبة:
– سيدى، سيدتى هلا أوصلتمونى الرصيف الآخر...
أمسك يديه.
أنت مثلى يا سيدى تريد العبور إلي الرصيف الآخر.

عالية ممدوح، «العبور» مجلة «الأقلام»، بغداد، العدد الثانى، السنة التاسعة، حزيران ١٩٧٣، ص ٦٨– ٦٩.

من رواية : حبات النفتالين

(١٥)

شارعنا يقف كله أمام دكان (هوبى) القصاب. الشائعات تضرب الجميع: (الشرطة أمسكت هوبى).
(يقولون كان يوزع المناشير ضد الحكومة).
(لا، يقولون كان يسب الوصى ونورى السعيد).
(الله يستر علينا وعلي ذريتنا. يقولون هو الذى كان وراء المظاهرة الأخيرة التى طلعت لما أمّم عبد الناصر قناة السويس).
كلنا طلعنا بالمظاهرة: جدتى وقفت أمام الجامع مع نسوة الطرف، تقرأ الصلوات وترسلها للشباب وهم يمرون أمامها رافعين اللافتات: (الله يحميكم عينى ويرجعكم لأهلكم سالمين).
تهوس ويطلع صوتها وكأنها واقفة علي خط النار. (أم ستورى) تحزمت بالعباءة الصوف علي الخاصرة، تفرعت وشدت عصابتها السوداء علي رأسها وأطلقت الهلاهل. نظمت سبل الماء، نصبت خمسة أعمدة من الخشب السميك ووضعت بينهما قدوراً وتنكات الماء الصافى، حشت أكياساً من الجنفيص بأقراص الخبز الطالع من التنور. يمرون أمامها، يشربون، يهتفون ويقضمون الخبز الطازج.
السيدة رسمية هيأت عدة الإسعاف: السبرتو، الشاش، القطن واليود، أبو محمود استحضر أنواعا جديدة من الجبنات نشرها وسط الأطباق الكبيرة وتركها فى عهدة أم محمود. ارتدي (زبونه) الجديد، المقلم والمقصب بخيوط الفضة، شد علي رأسه (اليشماغ) الجديد، وتحزم بالحزام الجلدى العريض. كان يضاهى متولى الجامع (الحاج عزيز) الذى وقف قربه وبينهما: أبو هاشم، أبو مسعود، أبو إيمان، أبو غانم ومحمد البناء. أم عزيز العمياء جلبت أطباق العيد الكبيرة نثرت عليها الحلويات وأطلقت صوتها: (اليوم كل شىء بلاش للشبان).
كلهم طلعوا: الصفارون، النجارون، الحدادون، البناؤون. صوت الخالة نجية المشروخ يدفع حشود النسوة والأطفال أمامها: (عينى افتحوا الطريق شوية أمامى، آنى مريضة وعندى ضيق نفس).
بهيجة، لائقة والخالة نعيمة يطلقن أصواتهن بالدعاء: (اللهم صلى علي الرسول محمد، احميهم يا إلهى وخليهم ذخراً لنا).
العمة فريدة صعدت للسطح العالى ووقفت هناك. صوتها ممحى ووجهها لم يرمم، تصفق بيديها وتطلق همهمات. لنا يلوح رأس المظاهرة فى مفرق رأس الحواش مروراً بشارع الإمام الأعظم، تقفز وتنط، تهرول وتصير وسط الحشد. ثيابها

بيضاء تغطى رأسها بغطاء ملون وترفض ارتداء العباءة فى هذا اليوم. تقف أمام أبى محمود الذى أمسك بأيادى أولاد وبنات المحلة فجعلنا حلقة واحدة.
عادل لا يختار رفيقاً ولا مكاناً، يمشى وسطنا كأنه منوم. ستورى ونذار يهتفان ويضحكان، يتدفق الحماس إلي هاشم فيلعب بصوته، يريد إطلاقه كله، محمود بعيد ناء، يتصبب عرقاً. صوته يطلع مثل سعال جاف ومرتبك. يقولون: (صار شيوعياً).
لم أفهم معني هذه الكلمة، إلا أننى سمعتها وهى تطلق كما لو أن أبى يحمل مسدسه ويركض ورائى. تغيّر محمود، وجهه بدأ قاسياً، سحنته تغيرت، شاربه الغض عثر علي مكانه، حركته السريعة دخلها هدوء غريب، خالف وتبدل، غاب وتوتر. إذا وقف قربى جلب الكلمات الكبيرة وأسماء الكتب السميكة.
كان يأتى بصمت ويطلع بسرية، يمر علي الطرف ونحن نيام. راحت طمأنينة العائلة الأولي. وذلك الكرم المفاجئ صار منظماً. نظم نظراته عليك. فإذا استقرت علي عينيك كانت تشبه الوعيد. إذا كنت مع فردوس دفعت الكلام صوبه، وإذا بقيت وحدك كنت تضربين نفسك باسمه، الجميع فى المحلة يعض علي لسانه ويخاف عليه: الكبار، رجال العوائل، أولياء الأمور، يعرفون أن: (الشغل بالسياسة ورطة)، لكنهم كانوا يعرفون القليل ويسكتون.
بدأ محمود يغيب عن المدرسة والبيت، الحى والجيران، أصدقاء الطرف الأول وأنت.
يوم أعطاك أول منشور خفت، ارتجفت، تلعثمت، أول منشور يشبه أول قبلة محرَّمة، توقفت عن الحراك، معدتى انقلبت عن آخرها، وكاد يغمي علىّ، كنت أعرف أن فى داخله ما يشبه اللغم، إذا أمسكته سيطيش بيدى ورأسى. قرأت ولم تجدى اسم عبد الناصر إلا مرة واحدة وبإهمال.
تبعثرت، وتوقفت عن القراءة، أعدته له صامتة، هو حذف نفسه من أمامى ومهد لى وساوس القراءة فقط. لم أفهم كثيراً، لم أفهم قليلاً.
كلنا ناصريون، جدتى لمّا تسمع صوته كانت تردد: (لا يهم إن كان أنفه كبيراً، لكن صوته كأنى أعرفه من قبل، يشبه صوت أبو جميل).
أبى كان يدخل غرفتى لمّا يأتى من كربلاء، يفتح الراديو علي إذاعة صوت العرب، يضع قدحاً رابعة أمامه، يضرب قدحاً بآخر وهو يسمعه قائلاً:
(يا إلهى خلصّنا علي يده من هذا الموت الأسود).
رسمية كانت تحتفظ بصورته فى حقيبة الشغل الصغيرة كلما تفتح الحقيبة تنظر إليه، تقبّله وتعيده بين القطن والسبرتو.
أم محمود، أبا محمود، أم عزيز العمياء كانت تسألنا قائلة:
(يا ريت أفتح عينى حتي أراه بس)
فريدة مثل الزئبق، إذا جاء اسمه تنتبه وتشرع فى الحماس، وإذا شتمه أحد تسكت.
ونحن ندخل هذا الحشد، يأخذنا اسمه وصوته، إذا انقطع التيار الكهربائى نعيد خطبه في الظلام، عادل وأنا، علي أهل البيت، الوجوه، القامات، فوق السطوح ومن وراء الشبابيك يهتفون ويرمون علينا الحلويات واليابس الأخضر. يطلع ونراه فتياً دافئاً. ثم يفلت إلي أعالى السماء.
بغداد كلها دخلت العصيان ذلك اليوم، المدن، القري، المقاهى أقفلت، الدكاكين أغلقت، الجامعات كتبت شعاراتها ورفعها الطلبة باللون الأخضر والأبيض والأحمر. الثانويات خرجت أولي وجباتها، كل وجبة كانت تحمى ظهر من يليها، وجوه

الشرطة، الهراوات والعصى كانت تريد المزيد من هذه الأبدان والرؤوس. أبى أخذ إجازة وحضر إلي بغداد، فقال لمديره، أمى مريضة. خلع ملابسه الرسمية واندس مع الحشد، لم أره ولا أحد ميزه، إلا أن وفيقة رأته وابتسمت.

شارع الإمام الأعظم، كم ركضت وقفزت، هربت ومشيت فوقه وحوله، صار بمقدورى أن أراه الآن وهو يدربنى علي الطيران، جاء عبد الناصر وتسلل بين حبالنا الصوتية فأطلق جميع الأسرار، دخلنا الفوحان وبدأنا الهتاف: اشتموا الإنجليز، العنوا الرجعية، سبوا الاستعمار والوصى، قولوا فلسطين عربية، فلتسقط الصهيونية. اقطعوا شريط الثأثأة، نازلوا بالصدور العارية، بالرقاب الصغيرة والكبيرة، والياقات التى اهترأت من الغسيل، وادخلوا طاعته.

كان صوته يشبه التقوي ووجه جدتى، الكل يهتف بالسقوط: سقوط المعاهدات، سقوط الطغاة، وأنتم حفظتم كل شيء بسرعة خارقة، لا أحد يصب غضبه علي الملك العراقى، كان فيصل الثانى يختفى عن الهتاف، ويمكث بعيداً عن الأصوات، كانت الخالات، العمات، ونسوان الطرف يحببنه:

(أى عينى بعده صغير، كل المصائب جاءت من خاله عبد الإله والإنجليز)

صورة الملك العراقى كانت تخدع الصغار والكبار...حلو، حزين، كئيب، وعاثر الحظ أيضاً.

الفتيات يحلمن به، والنسوة يخفن عليه من خطط خاله. فلا توجه لكمة له، ولا يقام عرس من أجله. أخذ عبد الناصر كل المكتوب علي اللافتات، وجاء إلينا إذا بمجلس فى القاهرة طلع المعتقلون إلي باحات السجون وكتبوا اسمه بالفحم والأظافر علي الجدران المقشرة.

إذا خطب فى قناة السويس، كانت الإذاعات العربية تقسم البيوت إلي ناصرى ورجعى، ومعسكر الذين لا يعرفون لا هذا ولا ذاك، كان يفر بالخضرة وموجة خطاباته، ويتلقي الضرب علي الظهور. تغلق المحلات، وتقلب البيوت للبحث عن راديو مفتوح علي إذاعة صوت العرب، أو منشور مطمور تحت الحصران العتيقة.

الطرف ما زال مخضوضاً دكان (هوبى) ظل مغلقاً سبعة أشهر، نمر عليه صباحاً ونلقى عليه تحية الصباح، نعود ظهراً ونلمسه بالأيدى، الكلاب والقطط كانت تجلس تلحس ثقوبه وتنضوى تحت لسان دكته الحجرية. الرجل عازب، أمه وأخته تنوحان عليه، والحى صار يشبه وجهاً محفوراً بالأسيد. أبو إيمان يعود ليلاً محمولاً علي الأكتاف، يسمع الجميع صراخه، ضربه وشتائمه. رسمية لا تخترع أى شيء، تلقى تحية الصباح علي أبى محمود الذى صار وجهه كالليمونة المعصورة. رأسه مفرغ ووجهه هرم فجأة، ومحمود غائب عن الحى والمدرسة. إذا مر فبعد حلول الظلام، وإذا تمهل فهو لا يلقى السلام. انتقل إلي بيت عمه في منطقة (الفضل).

بقيت لك فردوس، عادل، نزار، هاشم، وستورى. لا تلعبون بالخرز ولا تشيدون بيوت الطين، (مصرع) محمود حفر أرضاً وهجر أخري. كنت تتصورين أنك وضعت خارج الأرقام، وأنك سترينه طوال حياتك، داخل البيت وفوق السطوح العالية. كنت تفتحين الرأس وتنحدرين إلي الخلايا ، تسوين له كل الطرق، كى يستقر هناك. تبتسمين وهو يشيل معك آثار الأيدى، لكمات الوالد وفظاظة الطريق. لكن بعد مصرع محمود أدخلتيه الجهة الأخري من الكبد، دثرتيه بقطعة قماش سميكة، نظيفة، شددت عليه حبل الغسيل الأول، وحددت مكان الإقامة، المحفوظة فى صندوق الدم. نشرت خرز الصبا الملوّن البرّاق، المسروق والمذهب باللمسات والأشواق ووفود الدموع، الطين، الإسفنجى الذى هرس أقدامنا ونحن نلعب، ونحن نخوض المنحدرات، والسواقى.. والساعات الأولي لأول لقاء...و..ضغط

علي القفل وأسرعت أخبئه بين فصول السنة التى لا تعد. إذا لم يتذكره أحد أطلقته إلي براري البدن. من ذلك الباب كان محمود نادراً ما يجيء، وكانت فردوس هى الأخري تفر من بين يدى، ترفع قبضتها التي كبرت وتورمت إلي وجهى قائلة:

نحن أيضاً سننتقل قرب بيت عمى بالفضل، هذا الحى ستقطعه الحكومة، أمى تبحث لنا عن دار جديد).

لم تع الكلام جيداً، أنفك لم يشم الرائحة الجديدة، إذا سعلت طلع غبار وقشور شارعك من الشعيرات المخاطية. وإذا وقفت بانتظار عادل علي باب المدرسة دخلت معه حلبة السباق. عادل يمشى مثل أرنب بين شقوق الأزقة والحوارى، يفرغ صمته الذى انقطع إليه منذ ليلة الحمام.. انقسم علي نفسه ومشي مع كل قسم يريد المزيد من الانشطار. إذا طلع من المدرسة يفلت من بين يدى وتسبقه قامته إلي (خلود) وضفافها النهرية.. هناك كان يستدير للشارع والحى والمدرسة، الحجارة والناس. يمد ساقيه للنهر وتعبث يداه بالرمل الذى يتنفس بين أقدامه، ناعماً، رطباً. يصنع وجوها وأرقاما وملامح. ينظر إلي دجلة ويرمى حصاه إلي مائدة الماء، ولا ينظر إلي قصرها. كان النظر لا ينفعه كثيراً فترك القصر لكائنته وأخذ صورتها إلي روحه. إذا هب الهواء، وإذا جاءته الموجة، بللت غضاريفه التى شقت لنفسها لحماً وعضلات. كل ما يلمسه يرميه، وكل ما يرميه لا يتوقع منه إلا الغياب. إذا أخذته إلي غرفتى بقى جالساً، إذا خرجت منها بقى فى مكانه، إذا وضعنا الطعام أكل، وإذا جاع يلازم لسانه فمه.. أفتح له الكتب، أقرأ ويعيد ورائى، لا يغلط، لا يتأفف ولا يضجر. يدور علي نجمته الوحيدة. ولا يلفظ اسمها.

تلك الخلود لا تطلع ولا تغيب، تبقي فى الممرات الهوائية لدارها، تصعد إلي السطح العالي المبرقش بالطابوق الزاهى، ترميه من بعيد بورقة مطوية فارغة، بعيدان من أعشاش الطيور. بحصي رقيق لا يجرح، تنزل إلي الحديقة وتتعرش السياج، تقفز وتنط، تمد رأسها وتختبئ وسط شتلات الأوراد، تطلق ضحكتها الذهبية وترمى عليه أنواعاً من أزهار لم نشهدها من قبل. يتناثر الورد علي الحجارة والحصي والرمل ويتطاير إلي الأمواج.. ولا يقوم عادل بلمها.. لا يلتفت ولا يضرب منها سلاما، ولا يرفع أصبعاً ولا ينكس رأسا، فقط ينظر إلي الطرف الآخر من الشاطئ، إلي الصيادين وشباكهم العتيقة وشخاتيرهم المتآكلة، وخلود تدوس قصور رمله، تجهز علي الملامح والآمال.. تصير وراءه، بيدها الكرة البيضاء المضلعة، وترتدى ثياباً بيضاء وصندلاً خفيفاً محلولة الشعر وبيدها الشرائط الصفراء الناصعة الجديدة. سريعة، صاخبة، حلوة مثل حمامة مدهونة بالدلال، كل شيء فيها صغير، دائرة وجهها، عيناها، أنفها، حاجباها، شفتاها الرقيقتان مزهرتان ضاحكتان. تمشى مثل جندى، خطواتها مباغتة وحركتها عنيفة. تقفز وراء الكرة، تلعب قريباً من النهر ومحاذية لعادل. ترقص وتطير فى الهواء. لحمها مموج وطرى، نسيجها اللحمى بلون الزهر، وعظامها محشوة بالخضار والترف. تقع قرب عادل وتقف وراء ظهره. لا يتحرك تضرب الكرة وتفتح حفراً صغيرة، تلامسه، تمرر الكرة علي رأسه، أنت واقفة علي مقربة منهما. تمشين، تتمهلين ولا تنظرين صوبهما: (اسمى خلود وأنت؟)

لا يلتفت: (أعرف)

(أنت بأى صف؟)

(نجحت للسادس)

(وأنا أيضاً)

تأخذ الكرة بيدها وتقف أمامه. أول مرة يراها: (تعرف تضفر الشعر؟) تضع

بيده الشرائط وتدير ظهرها له: (ياالله أضفر شعرى) لم يبق من عادل إلا الذراعان. التفت إليها وصار يخوض في الخصل، التهبت يداه وهو يلمسها، يفرقها، يمشطها بأصابعه، يغمض عينيه والعرق يزينه. قدماه ترتجفان ويداه تهتزان، ينشر شعرها علي ظهرها، يعبث به، ينثره إلي أمام ويقوم مهرولاً. صوتها يقرصه من ظهره ويحصره بين الضفاف:

(خوّاف....خوّاف)

عادل يركض، يسقط ويقوم، قدماه لا تقفان علي الرمل، ذراعاه تفران من الملامسة. الطين يلطخ ثيابه وركبتيه وكفيه.. يركض، يصرخ، يضحك ولا يختفى. الشاطئ ينظم له الخطوات. لا أحد معنا نحن الثلاثة. خلود تركض وراءه، تقف وتنتظر وسط الحصي والحجر، تتدحرج وتسقط أمامه. تقوم ويشق صوتها أذني:(خوّاف....خوّاف).

تلتقط الحصي والحجارة الكبيرة وترميها في الهواء عليه. وعلي دارها. عادل يجرى، يتذكر صلعة منير، ودم يدى وبصاق عمتى. يركض ويدفن رأسه في الهواء. يتباريان فى الركض، أول مرة يتعارفان يجريان كلٌّ فى اتجاه، أول هذا النهر قطرة الأم التى تحركت وأطلقت نواحها فى دائرة قطرها جامع أبى حنيفة حتي السّدة الترابية.. حتي الخطوات الفسفورية لخلود الصاخبة، صار عادل بعيداً مثل نجمة الجوزاء.

أخفض رأسى وخلود أمامى تلهث تحت سماء بغداد اللامعة وموج دجلة المكسر أمامنا: (سيرجع بعد قليل لا تخافى...)

عالية ممدوح، حبات النفتالين ، مختارات فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٧٣– ١٨٢

آمال الزهاوى

الطارقون بحار الموت

الإهداء

إلي أمى... التى تسربّت خلسة

كما يتسرب الماء...

حين سقطت ببحر الإغماء
وتراءيت بساطاً سحرياً
ارتجَّتْ مَنْ حولى الدنيا
صعقت كلُّ الأجراس ونقّط صوتى المجفول بنفسى
فكرتُ بكل صفيح المعدن فى رأسى
عاينتُ نجوم الظهر تذر رماداً
.....يبرق فى مد الصحراء

◆ ◆ ◆

وتوسدتُ غصون الماء
صافحتُ ظلال العنقاء
والوقت ذبال مرتجف
فانوسٍ يشهق فى خيط الإسراء
عدم....
حنجرة الآه ودربكة الجزع الطارق كالرعد
....
الجسد الساجى مرساة رحيل أبدى
محتضن صمت الأرضِ
....ذهول الأرض
عانقتُ به كل رماد الأشياء
فكرت بيومٍ أوجد فيه
ويوجد فيهِ الإنسان ولا يدرى
هل أنتِ بحلم تمضينَ،
وإنى أحلم فى سرّى
فكرت بيوم يصهل لى فيه ركاب الإسراء
يرتطم الحس وأجراس الحزنَ تئج به
فتلمّست رماد العنقاء..
لو كنت أنا؟
فكرت بيوم يهزج فيه الكون ولا أدرى.



جدران الزئبق

– إلي أمى –

الدورة مفرغةٌ
ومحيط العالم مبتور
والناس كحبَّات فى مسبحةٍ
تلهث أرجلهم في السورً
منذ متي؟
الأرض تجنّ كطاحونة ماء
والعالم مبنىّ فوق نيوب الوحشِ
وكومة أخطاء
والإنسان تجزّ قواه الصدفة
نَفَس القاتل والمقتول ورائحة الجثة
الحزن كأوتار الأرغن
متي تمسسه يصح
الاثم يسيح....
الاثم يسيح....
تنتفخ الأحشاء به
تتطهر من وهج الشهداء

لكن الأرض برائحة الاثم تفوح
تهتز علي أصداء ظلامتها، فتنوح
حيدر ..حيدر ...حيدر
نحن الماشين علي الأحزان صباحاً
نجتز نيوب الدنيا
نتوهّج مثل كرات الدمعْ
نبحث عن ألم الوقع
عن رؤيا تهتز جراحا
كى نبكى موت الصدفه
ونهيل الليل بأرض الشهداء
حيدر ...حيدر ....حيدر
«كرب بلاء»

◆◆◆

يا كربلاء...
حططت فى جوانح الحادين كالمساء
ليمونتى المثقلة الأعراق بالبكاء
شددت نفسى فيك مثل دمعةٍ صمغيّةٍ
فليس من مدينةٍ
تشرب منىً الدمع كالنشافِ
دونما ارتواء...
تكسّرتْ فى داخلى مغازل الرؤي
وجئت كى أدسّ ثقلى عبر حزنك المكثف العطاء
لأجزر الساحات فى قلبي
لأن جرحها تصوفٌ
ودمعها الدواء
توحدت فى داخلى مواكب العزاء
وإننى جزء من الحادين يا ليمونتى
المثقلة الأعراق بالبكاء

◆◆◆

حيدر ...حيدر ...حيدر
جرحى بير
أتدلي فيه ولا أغرقْ ..
أصحيحٌ أنت غدوت الحلم
وشلال الزئبق؟!
لا أقوي أن أبصره يوماً
ورؤاه بأبعادى تستعرق..
أتوتّر كى أستجمع فى ذهنى الصورة
فيواجهنى شغفى زئبق!!
أهوى...أهوى
أتدحرج فى قلب الصورة
فيواجهنى شغفى زئبق!!

أهوى...أهوى
أتدحرج فى قلب الصورة
يا قلبى...آه من قلبى
قاع المجزرة اًلنارية
يا عقلى عقلاً من «هيس»[١]
أو عنف فقاعات صخريّة
تصطكّ ...ولا تجتز التعبير
أمى ...يا أمى.. يا أمى
ليلى غابات التجزير
حيدر...حيدر...حيدر
تتعري فِى الساحات وتنشج آلاف الأصوات المبهورة
تتدحرجِ من قلب الأرض الأكفان المنظورة
لتفجّر فى الشمس الدمّلة اللامرئية
فيسيح الاثم.. ويستعرق
فيسيح الاثم.. ويستعرق
حيدر...حيدر...حيدر
[٢] طوطو .. طوطو .. حيدر
حيدر .. حيدر .. حيدر



جراحنا طويلةٌ
يا مخزنا مجوفا للدمع يستعيد نزفه
ولا ينام
ليمونة الأحزان لا تنام
خناسها أبعاده أربعةٌ
يطفو بأيديه الهلاميّة
يهبط فى البئر الرمادية
ينسدل الطين ولا أنسي
ينسدل الطين لكى يندلع الظلام
أتيت كى تشكّنى كل زناجيل الحشود فى الزحامْ
لأننى التى جررتها
لعالم المجهول أو لحفرةٍ
بدونَ ماء
شدّى ظلامى عبر حزنك المضاءْ
يا كربلاء..
أوقدت منك رغبتي
وعالمى الشاهق للبكاء
يا رملة الصحراء مدّتْ عنقها المجروح للسماء
تنبش فى أعماقها
وتستعيد حزنها الغنى
ترسبُ فيه، تستلذّ رغبة التعميق عبره
تستمطر الأحزان عبر ساحةٍ

فواحة الندّاب حين حشرجت
أسقطت الزمان للوراء
فمن أنا؟
واحدة من مخزن التاريخ حين احتشدت
بساحة رملية لا ترتوى
أم طفلةً مجزوَّرة الأطياف تبكى لوعة الفطام
ليمونةً الأحزانِ لا تنام
أنا وأنتِ واحدٌ موحّدٌ
ومسرحٌ تَغمره مواكب العزاء
تعلكنى سنابك المودعين عبرها
يشكنىّ أزيزها
يخطفنى .. فأنكفى
يخطفنى .. فأنكفى

◆ ◆ ◆

وترفع الخيام أيدى النار أذرعا
يندفع الزمان للأمام
وتطفح الرؤي دما
يعبره المساء
وتشهد السماء
وتشهد السماء

◆ ◆ ◆

حيدر ...حيدر ...حيدر
تتوقد أحزان الأرض كصبّاره
تقتلع الماضى والحاضر
تتساقط أدمعها أجراسا
من جوف الأرض المدراره
فيسيح غمام
يطفو فى الحشد صوات امرأةٍ
وجع اللحظات يساقيه
أم جز من الماضى أسراره؟
يا سيف الله الوضّاء
لم تدرج فى الوغى،
ولم تبلج ريحك فى الأعداء
– ولماذا؟
ما كنت الدرع
نمتُ وما نامت عنى الأصداء
صوت المرأة أجراس دوّاره
يا عباس يا نسر الشمس الفوّاره
قلبى المشطور حواليك يفتّ هواء
كيف كبوت علي الرملة مجزور الأيدى
لو أنت أتيت بكفٍّ الماء
ساقيت به ظمأ الأطفال العطشي

يشحب نسغ النسوة
يرتطم الحشد كأمواج تشرعها الريح العشره
تتقطّرُ فى الأرض سواقى دماء
- «يتطرز ذاك الوجه بقلبى زهره
أتكثّفُ، كى يسقط فى الدمع الإعياء
أتوتر كى يجمد من جسد الذكري قطره
لو يشخص مطلعها مره»
يهوى آلاف الشهداء
آه ... هل يرجع منسكبُ الماء
تتغّير أحداث القصة
هل يخرق قانون الصدفة
حيدر ....حيدر ....حيدر
جز...جز....جز (٣)
حيدر ....حيدر ....حيدر
الأرض جناح مرتجفٌ
يُثقله اثم الإنسان فلا يطفو للقشره
سقط الشهداء العشرة
يتوقد وهج الدمع المرّ
وكأن العالم حشد صوات مبهورْ..
ترتطم الأجساد ببحر بشًرى الأجزاء
يسرون ببطء الأحزان المجروره
ينسحقون بقاع الدهشة دمّلة مفجوره
سقط الرأس علي الأرض حزينا
غارت بمواطئ تربته الثوره
أجّت فى الساحات خيام النسوة
دقت فيها أبواق الإجلاء
وانبحَّت فى صوت الناس الأضواء
في جرح الأمس
وفى القدس وسيناء
الساحة للغالب
شمع العرس ووهج دماء

◆ ◆ ◆

ثمّه خطأ لا معقول
فى أولي لبنات العالم ..
مجزرة الوحش كما كانت
رغماً عن آلاف الأعوام
بمحيط الصفر تراوح أقدام الفكره
الجوف كحشو الأنياب
وإن أبدلتْ القشرة
والأفواه تجوع لطعم اللحم النيئ، ونسغ الأثداء
والحشد خطي تنهدّ، ولا موطيء
فالدمع المالح مرتطمٌ، بالجثث الخضراء

والإنسان تَجزّ قواه الصدفة
نَفسُ القاتلَ يخنقنى، مهما الأرض تدور
تنداح كمجرشة عمياء، لتسقط آلاف الأجفان
قدرٌ إن ترفس غلّ الواقع روح الإنسان
وتحاول أن تبزغ طعماً.. هدفاً
كى تنبت من وهج دماه زهور (٤) النعمان
تنداح ليالى الاثم علي جرح حزيران

◆◆◆

لكني أبكى المغلوب متي تكبو الرايه
أنا أبكى الميْتَ بلا غاية
أنا أبكى الحدث المحشوّ رصاص الأخطاء

◆◆◆

(١) هيس : السخام .

(٢ و ٣) أنغام صوتية فقط، ترافق مواكب العزاء فى عاشوراء

(٤) يقال في الأساطير البابلية القديمة إن شقائق النعمان نبتت من دماء إله الخصب تموز عندما صرعه ثور السماء.

آمال الزهاوى، ديوان : الطارقون بحار الموت، دار العودة، بيروت، ١٩٧١، ص ٧- ٩ و ٢٨ - ٤٦.

عواطف نعيم

المهّرج

المنظر :
المسرح في حالة اظلام
مسقط ضوئى جانبى يبدأ بالتوهج تدريجياً، ليكشف لنا عن كرسى من الخيزران تشغله امرأة مسنة..
المرأة غافية.. رأسها يميل علي أحد كتفيها
صور شخصية تتدلي من أعلي سقف المسرح بتنويعات وارتفاعات مختلفة..
جرامفون قديم إلي يسار كرسى المرأة.. الأسطوانة تدور حول نفسها...
لا نسمع سوي حركة دوران الأسطوانة.
علي مسافة من الجرامفون القديم، يقف مهرّج، يرتدى الملابس التقليدية الملونة، الا أنه يمثل الوجه الحزين للمهرّج.
المهرّج ينظر حيث تغفو المرأة المسنة...
مرآة كبيرة إلي يمين المرأة

علي مسافة من كرسى المرأة، علق قفص عصفور، يرتفع علي مقربة من الجرامفون.
تسقط من حجر المرأة كرة من الصوف تتدحرج مبتعدة..
المرأة تنتبه... تتلفت حولها
المهرّج يتأمل المرأة..
المرأة تنظر إلي المهرّج برهة، ثم تشيح عنه.
المرأة تحدق صوب الساعة الجدارية المعلقة..ثم تلتفت نحو باب الدار.
المرأة تعود إلي وضعيتها الأولي... تميل برأسها علي كتفها
الإضاءة مركزة.. تعطى إحساساً بالسرية والغموض.

الانتباهة الأولي:

المرأة: لم يحضروا بعد!!
ما الذي أخرهم؟؟ المفروض أن يصلوا قبل الظهر.. هذا ما أخبرونى به قبل أسبوع... بل قبل أسبوعين.. لا أذكر علي وجه التحديد منذ متي..
أيا كانت المدة، وأيا كان التاريخ، المهم حضورهم.. أما هزهم الشوق إلىّ كما هزنى لهم؟!!
ربما شغلهم عن الحضور أمر عاجل، ارتباط عمل.
زيارة مفاجئة لأصدقاء أعزاء..
نعم، فلديهم الكثير من الأصدقاء وبيتهم لا يخلو من الصحاب..
(تطرق برأسها متأملة..ثم ترفع رأسها وتنظر فى نقطة محددة أمامها)
لكنى لا أملك سواهم أصحاب وأصدقاء..
وبيتى بدونهم مظلم لا حياة فيه..
خصوصاً ذلك الطفل الجميل، الكثير الحركة وائل... الماكر...
ما أشد شبهه بأبيه حين كان فى مثل سنه..
نفس الحركات المشاكسة والكركرات الصاخبة..
التى لا تملك إزاءها إلا أن تضحك معه وبصوت عال..

الانتباهة الثانية:

(المرأة تلوح منها التفاتة نحو المهرّج .. الذى ما أن يبصر نظراتها إليه حتي يحاول أن يتقدم نحوها... إلا أنها توقفه بحركة من يدها..)
المرأة: لا.. لابد من حضورهم..لا تكن عجولاً..
أنا واثقة مما أقول، سيحضرون لرؤيتى..
قد يتأخرون بعض الوقت بسبب الطريق. أو شراء بعض الهدايا لى
هم يحبون مفاجأتى بين الحين والحين..
إلا أنهم فى النهاية سيصلون، وسنلهو كثيراً..
أعددت كل شىء لمجيئهم..
الطعام الذى يحبه أبو وائل.. والفاكهة والحلوي.. خاصة تلك القطع الصغيرة من حلوي الحليب التى يحبها وائل.
(تضحك وهى تتذكر)
ما أجمله وهو يلتهمها بفمه الصغير المدور..
واحدة فى الفم، والأخري بين الأصابع..
فى طريقها إلي فمه، والصحن بين أحضانه..

المهرّج: (المهرّج يحاول أن يكلمها)
المرأة: انتظر ..ليس الآن..
لم يحن الوقت بعد..ليس قبل رؤيتهم
المهرج: (يعود إلي زاويته ونظره نحوها)
(المرأة تحاول أن تقترب من جهاز الهاتف..نظرة إلي الجهاز.. ونظرة إلي المهّرج الذى ما زال يتأملها.. المرأة تدير بعض الأرقام.. تصغى إلي الطرف الآخر. تضع السماعة فى مكانها..تكلم نفسها..)
المرأة: مشغول .. بل لا يوجد من يجيب..
طبعاً، من يجيب وهم فى طريقهم إلي هنا!!

الانتباهة الثالثة:

(المرأة تتحرك نحو قفص العصفور)
المرأة: آه يا صديقى المسكين..وحيد مثلى..
لابد أنك فى شدة الجوع؟
لكن.. لا .. لقد أحضرت لك طعامك ..قبل..قبل..لا أذكر بالضبط، ولكنى واثقة من أنى أحضرته لك ...كما أحضرت لك ماء..
ما بالى أصبحت كثيرة النسيان؟؟!
هل بلغ الأمر بى حد نسيان الأشياء والأوقات؟
لا .. ليس الأمر بهذه الصورة..
نسيان أمر بسيط مثل الاتفاق علي موعد..
أو إحضار الماء إلي عصفورى المسكين..
لا يعنى أننى أصبحت فى حالة تشوش الذهن وعدم التركيز..
أمر عابر.. ذاكرتي ما تزال سليمة
(تلتفت نحو المهرّج مؤكدة)
المرأة : اؤكد لك أن ذاكرتى ما تزال سليمة
أنا أذكر مثلاً متي...
نعم متي جاء في هذا القفص، ومن الذى أهداه لى...
وفي أية مناسبة..
المهرّج: (تساؤل منه)
المرأة: إنه ولدى....نعم..
أهداه لى منذ خمس سنوات بعد تخرجه من الجامعة..
المرأة: وقتها كنا ما نزال معاً..
لم يكن قد تزوج وذهب بعيداً ليعيش مع زوجته..
وليكوّن أسرته الصغيرة
يزورنى بين أسبوع وأسبوع، ثم أصبح يزورنى بين شهر وشهر.. ثم أصبح يزورنى بين كل ثلاثة أشهر.. ثم .... ثم... ولكنه يزورنى مع أسرته..
وإن لم يستطع فهو يتصل تليفونياً ليطمئن علىّ.
هو لا ينسي أمه..
أهدانى هذا القفص، ومعه عصفور صغير لطيف
هو يعرف كم أحب العصافير ..
وكم أسعد وأنا أرقبها حين تخفق بأجنحتها بتلك الحركة السريعة..
ثم تقفز نحو الفضاء وتطير..

أحب طيرانها المتوتر.. القلق... المندفع..
فى اليوم الأول حين أهدانى ولدى القفص..
أشفقت علي العصفور الذى فيه.
تعمدت أن أترك باب القفص مفتوحاً كى يتحرر..
ينطلق ..منحته الحرية، تلك التى كنت دائمة الحلم بها..
لكنه دار فى غرف الدار..
ثم عاد إلي القفص .
أكان خائفاً من حريته؟؟ أم كان خائفاً مما وراء تلك الحرية؟!
عاد إلي القفص..
لكنه ما لبث أن بقى فيه يومين فقط..
ثم وجدته متيبساً لا حراك فيه..
لم يلتقط حبة..
لم يرتشف قطرة من كأس مائه..
جاءنى بعدها ولدى بعصفور آخر... وآخر... ثم آخر..
ثم هذا العصفور...
الذى تعوّد علي قفصه كما تعوّدت علي جدران هذا البيت.
(المرأة تتحرك نحو المهرّج.. تتوقف أمامه.. ثم تعود لتقف قرب الجرامفون القديم.. توقف دوران الأسطوانة.. تضع الإبرة علي الأسطوانة فى بدايتها، لينطلق صوت غناء قديم..)

الانتباهة الرابعة:

المرأة: كم يحتاج الإنسان كى يتعود علي الجدران؟؟
علي مواجهتها يومياً؟...
علي التجوال بين حدودها يومياً؟؟
كم يحتاج من وقت كى يقتل فى داخله تلك المشاعر الضاجة التواقة إلي ما وراء الجدران التى تحيط به؟؟
كم يحتاج الإنسان من الإرادة..
كى يسدل بينه وبين صخب الحياة..
وحركة الناس المتدفقة؟؟
أنت لا تعرف كم يحتاج، لا تستطيع أن تحدد الزمن..
فهذا يتوقف علي الإنسان نفسه.
ماذا يخاف؟ ماذا يريد؟
ما الذى يبغيه أكثر...؟
أن يكون ذا قدمين تنقلانه من مكان إلي آخر..
لينفذ ما يطلب منه.
أو أن يكون ذا عقل وقلب يصنع الحياة التى يريد.
لو أنى فتحت الآن باب هذا القفص..
هل سينطلق عصفورى المسكين محلقاً إلي الأعلي...
فرحاً بعالمه الرحب الواسع؟
يبقي؟ .. ما الذى يبقيه؟ اعتياده المكان؟
خوفه مما ينتظره وتفضيله السلامة عوضاً عن مواجهة المخاطر؟
أنت لا تدرى وكذلك أنا...

كلانا لا يعرف ما الذى ينبغى عليه أن يفعل..
عندما تضيق الأمور حد الاختناق
(تسمع المرأة صوتاً عند باب الدوار.. تنتفض .. تتوجه ببصرها نحو الباب.. يتحفز المهرّج هو الآخر... ينظر نحوها).

الانتباهة الخامسة:

المرأة: أيكونون هم؟؟ حضروا أخيراً..
يا لها من فرحة..
أود لو أثب إلي الباب وأضمهم إليّ...
(تندفع نحو الباب علي جانب المسرح)
المهرّج: (يتحرك ليصبح وسط المكان..)
(يسمع صوت فتح باب.. دقات ساعة قديمة تعلن الرابعة.. صوت المرأة تتكلم خارج المسرح)
المرأة: البيت الثالث علي اليمين..نعم الذى أمامه سيارة زرقاء نعم لا بأس..لا داعى للاعتذار.
(غلق باب.. تدخل المرأة .. تواجه المهرّج)
المهرّج: (ينظر إلي المرأة باستفهام)
المرأة: يخطئون مرة ثانية..
يطرقون بابى ويسألون عن منزل الدكتور سعيد..
دائماً يطرقون باب دارى، ودائماً أدلّهم علي منزل الدكتور سعيد الذى يقع بعد منزلى بمنزل..
ولكن لا بأس، ليخطئوا وليسألوا..
فى الأقل أستطيع أن أتبادل الحديث مع أحد..
حتي لو كان هذا الحديث حديثاً عابراً..
لا يتضمن سوي السؤال والجواب.
المهرّج: (يتقدم نحو المرأة ماداً ذراعيه..).
(المرأة تجفل.. تتراجع إلي الوراء).
المرأة: لا.. قلت لك لا..
لم يحن الأوان بعد.
لو أرادوا عدم الحضور، لاتصلوا بى ليعتذروا.
وبما أنهم لم يفعلوا ذلك .. سيحضرون.
ما هى إلا دقائق ونسمع جرس الباب يقرع..
ثم صراخ وائل ودورانه داخل الدار...
قالباً، مبعثراً كل الأشياء التى تعترض طريقه.
وبعد أن يقوم بجولته المعتادة داخل غرف الدار..
يأتى ليسلم علي صديقه العصفور.
وبعد ذلك يأتى ليطبع قبلة سريعة علي خدّى..
ويبحث فى جيوبى عما خبأت له من حلوي..
المهرّج (مؤشراً بيده..)
المرأة: لننتظر دقائق أخري من أجل عينى وائل..
المهرّج: (يتنهد...، يعود إلي جلسته وعيناه لا تفارقان المرأة)
(المرأة تعود إلي الحركة القلقة.. تقترب من المرآه.. تتوقف.. تتأمل

صورتها..تبتسم..)

الانتباهة السادسة:

المرأة: أنيقة ..شىء لطيف أن يكون الإنسان أنيقاً..
يرتدى بعناية ملابسه..
يختار الألوان التى تلائم المناسبة حين يدعي إلي مكان ما.
ولدى يحب أن يرانى أنيقة علي الدوام..
كان دائماً يفاخر بأناقتى وعذب حديثى.
يا أمى أنت أنيقة.. عذبة الحديث.. ما أسعدنى بك.
(تضحك)
هو يحب أناقتى وعذب حديثى..
وأبوه يحب ابتسامتي وعينى
(تحدق عبر المرآة)
عيناى دفء وحزن
كان يري فى نظرتهما غموضاً
أى غموض فى نظرة امرأة اختارته دون الرجال جميعاً... ليكون الحبيب والزوج؟؟
(تنظر نحو المهرّج)
كيف التقيت وإياه؟
أذكر ذلك اللقاء.. الفرحة.
تدفق الدم فى الوجنتين، ووجيب القلب للمسة الأصابع أول مرة.
(تبدأ تمثل ذلك اللقاء)
عفواً لو سمحت..
أين الطريق إلي مكتبة الكلية؟
أنت طالبة من طالبات الصف الأول فى الكلية؟
حسناً يسعدنى أن أدلك إلي مكان المكتبة..
بل يسعدنى أن أدلك علي كل الأماكن التى ترغبين الوصول إليها.
المهرّج: (يتحرك محتجاً...)
المرأة: نعم... نعم.. أدرك ما تريد.
اللقاء لم يكن بهذه الصورة تقريباً.
كان حماسه لإيصالى إلي مكتبة الكلية أقل بقليل مما ذكرت..
المهرّج: (يحتج..)
المرأة: معك حق..كان حماسه أقل مما ذكرت
لكنى ذكرت ما تمنيت أن يكون عليه حماسه حين سألته.
ظل معى طيلة سنوات الدراسة الأربع
حتي بعد تخرجه قبلى، لم يفارق الكلية..
كى يكون قربى فى الأماكن التى أذهب إليها.
المهرّج: (يحتج بشدة...)
المرأة: آه... معك حق، ها أنا ذا أبالغ مرة أخري.
حسناً أنا أصور الأمر كما أود أن يكون، كما تمنيت أن يكون.
أحببته.. كنت أتلهف إلي لقياه..
أسعي إلي الأماكن التى أعرف أنه موجود فيها..

كى أحظي منه بنظرة.
لا أخجل من ذلك..
الآن بعد كل تلك السنين لا أخجل من ذلك.
أحببته بصمت، بألم وكان هو يعرف.
يحس محبتى فى حيرتى أمامه..
فى ارتباكى عندما تلتقى عيناى بعينيه..
فى توقف الكلمات وارتجافها عند شفتى.
الآن لم تبق سوي الذكريات والصور.
(تلتفت إلي المهرج)
أتري.. ما زالت ذاكرتى سليمة.
الكلمات، الحركات، المداعبة التى تمت والتى لم تتم...
الدموع التى ذرفتها، الليالى التى بت فيها مسهدة فى انتظار عودته.
الخطوات التي ذرعتها فى غرفتى الصغيرة..
وولدى ما زال جنيناً يسكن أحشائى
الخوف الذى انتابنى وأنا أراه يُنتزع من فراشه ليلاً أمام عينى... ويؤخذ بعيداً،
دون أن أملك وسيلة لمنعهم من أخذه...لمنعهم من تمزيق كتبه وأوراقه..
دموع وصرخات استغاثة...
ركض بين الدوائر ذات الغرف المظلمة والوجوه اليابسة... فقط كى أراه...
أن أتأكد من وجوده حياً.. من بقائه حياً.
ذاكرتى ما تزال سليمة.
كل ما مر لم يطمس الصور والأصوات..
بقيت محفورة فى القلب، ممزوجة بالروح..
أكاد ألمسها.. أشم رائحتها،
أتري يا صاحبى، لا يمكن أن تنسي الأحزان.
لكنى أؤكد لك.. سيحضرون..
سيجبرهم «وائل» علي المجىء إلىّ...
كى يغفو فى أحضانى كما يفعل والده:
يضع رأسه بين ثديى عند القلب..
ثم يطلب منى أن أقص له حكاية، وما أن أبدأ:
كان يا مكان..
يا عاشقين النبى صلّوا عليه وسلّمو.
كان هناك حورية ذات شعر طويل...
طويل أسود.... حالك السواد...
تمشطه بمشط من الذهب وتبكى.
لأنها لا تستطيع الاستمرار فى تسريحه..
إذ لا تصل يدها حتي نهايته.
لذا فهى تبكى بدموع من لؤلؤ، يتجمع عند قدميها الصغيرتين.
عند هذا الحد...
وقبل أن يتجاوز القدمين الصغيرتين للحورية..
يكون هو قد أغفي ونام
أظل حينها أتأمل وجهه ...
ألثم يديه .. وجنتيه المتوهجتين

أتأمل تقويسة حاجبيه، ورموشه السوداء الكثيفة...
وتلك الخصيلات المتمردة من شعره...
وقد التصقت فوق جبهته.
(المرأة تنظر نحو المهرّج... ثم تميل برأسها لتحدق فى نقطة معينة أمامها..)

الانتباهة السابعة

المرأة: لمَ، قل لى، لمَ كوّن أسرته بعيداً عنى؟
أما كانَ بوسعه أن يَبقي مع أمه...
بدلاً من تركى وحيدة فى هذا البيت الخالى...
إلا من الذكريات والصور الصامتة؟
فضّل أن يعتمد علي نفسه
عنيد كما كان والده.
يفضّل أن يفعل ما يريد وكما يحب ويؤمن...
حتي لو كلفّه ذلك سكوت أنفاسه...
وتدفق دمه ليختلط بتراب الأرض...
ورحيله فى سواد ليلة موحشة.
لا ألومه، نعم من حقه أن يبنى أسرته بالطريقة التى تحلو له، معى....
بعيداً عنى، المهم أنه كان سعيداً .. لم يبخل بالزيارة والسؤال.
(تعاود النظر إلي المهرّج...)
صدقنى هو طيب وكريم
فقد كنت فيها نشطاً كثير التنقل والعمل
بقى معى أياماً وهو ينظر بغضب لما يدور حوله.
يدمى كفيه وهو يسمع تلك الأصوات الهادرة المرعبة..
تصب حمماً وموتاً علي أرضه ومائه.
«وائل» يخفى رأسه فى صدرى..
وزوجة ابنى، تلك الشابة الرقيقة التى تشبه الحلم...
صامته، مرتجفة، تحاول أن تحتمى به.
والأصوات لا تهدأ..
اهتزاز الأرض تحت أقدامنا لا يتوقف.
ومع دوىّ كل انفجار، يتضخم سؤال:
متي سيكون دورنا.
فى أى لحظة من لحظات غفلتنا..
سنفاجأ بنيران النهاية
بقى معى أياماً، ثم قرر أن يعود إلي داره.
طلب منى أن أذهب للسكن معه بدلاً من بقائى وحيدة هنا..
لكنى رفضت، فأنا الأخري لا أستطيع ترك هذا المكان.
(تتجول فى المكان.. تتلمسّ الأشياء، وكأنها تراها لآخر مرة)
المهرّج: (يتحرك مع المرأة..)
المرأة: قد أستطيع نقل الحاجات التى لى فيه.
لكنى لن أستطيع نقل الضحكات...
النظرات، الدموع، الهمسات، الخوف، الحنين.
كل تلك الحياة الصاخبة، الهادئة الحميمة..

تشدنى إلي هذا المكان..
كل تلك المشاعر والذكريات والصور.. الصور.
(تتجمد حركة المرأة)
المهرّج: (تتجمد حركته أيضاً....)
(المرأة والمهرج يلتقيان فى نظرة معبرة)
المهرّج: (يتحرك باتجاه المرأة....)
المرأة: لا.. ألا تفهم، ليس الآن..
لننتظر بضع لحظات، لحظات قصيرة فى عمر الزمن..
ماذا يغير لو أضفنا هذه اللحظات إلي تلك الساعات... والدقائق والأيام والسنين التى ضاعت ونحن ننتظر؟؟
هذه تضاف إلي تلك، ولن يتغير شىء.
لن يهتز، أو ينبض قلب لصرخة رفض.
لم يحن الأوان بعد.
أنا لا أخاف الذهاب معك.
لكن لا أرضي أن يحضروا فلا يجدوا من يستقبلهم.
أن ينادوا فلا يسمعوا ردى.
أخشي أن يؤلم ذلك «وائل»...
ويدخل الخوف إلي روحه الغضة...
فيبكى شوقاً إلي....
لا يحب الأطفال الرحيل، ويضيقون بالحفر الباردة.
المهرج (يتقدم ليقف قرب الصورة الأولي المعلقة فى سقف المسرح)
(تتجمد حركة المرأة ونظرتها)
المرأة: لا تفعل... امنحنى بعض الوقت.
لابد من الانتظار والأمل.
ثمة نبته صلبة تحاول أن تمد غصنها الغض، وترتفع فوق تربتها.
ثمة طير يخفق بجناحه ويحلق فى سماء حريته.
ماء يتدفق ويكتسح العقبات التى تعترض طريقه.
نور يتسلل عبر كوة صغيرة، لكن ينفذ ليحيل الظلمة نهاراً.
لا تفعل ... ليس الآن..
ليس فى هذه اللحظة.
المهرّج: (يمسك الصورة الأولي من طرفها ويحوّل وجهها نحو الجمهور والمرأة)
(الصورة الأولي تمثل رجلاً عربياً يتطلع بعتب..
الصورة مؤطرة بشريط أسود..)
المرأة: آه يا جرحى، ما استطعت سوي الانتظار والصبر.
ألم تطلب منى الانتظار والصبر.
فعلت كما أمرت، ولم يُجْدِ انتظارى وما أثمر صبرى.
المهرّج: (يمسك الصورة الثانية ليحولها نحو الجمهور والمرأة).
(الصورة تمثل شاباً مبتسماً.. وهى مؤطرة بشريط أسود.
وكذا الحال مع الصورة الثالثة التى تمثل شابة تتطلع نحو الجمهور والمرأة بعينين باسمتين.. وهى مؤطرة بشريط أسود.. الصورة الرابعة تمثل طفلاً ضاحكاً، بين يديه لعبة.. والصورة أيضاً مؤطرة بشريط أسود.)
(تبقي الصورة الخامسة دون أن تدار من قبل المهرّج)..

الانتباهة الثامنة:

المرأة: أعرف أنك تأتى لكى تعود...
وأنك لا تعود بيدين خاليتين.
أعرف أن ذاكرتي لم تعد سليمة..
وأن الأحداث تختلط عليّ، فتضيع مع الحلم.
وأعرف أن أحلامى كثيرة، وتشوشات ذهنى متعددة.
وأن الأمور اختلطت، وما كان حاضراً أصبح غائباً..
وما كان غائباً بقى فى إطار الصور وموجعات القلب.
انتظارى سيطول.. ولن يحضروا...
فهم لا يملكون القدرة علي الحضور.
لكن حنينى ووحدتى يدفعانى للذهاب إليهم.
الآن لم يجد انتظارى، وما عاد صبرى ذا قيمة.
أفلت من يدى زمام الأمر منذ ارتضيت الصمت فى تلك الليلة..
حين انتزعوك من فوق فراشك..
ومضوا بك يقودونك نحو مصير أعدّوه لك مسبقاً.
أفلت منى الزمام مرة أخري..
حين ارتضيت أن أربى ولدى علي الصمت والصبر
أرأيت، لم يجدنى الصبر، وما أثمر انتظارى عن نتيجة.
المهرّج: (يتقدمَ نحو المرأة... يمد يده إليها..)
المرأة: خذ بيدى..
أنت تعرف الطريق إليهم.
يدك أرحم من تلك الأيدى التى رسمت مصيرى..
وحدّدت لى درب تحركى.
خذ بيدى، فطالما مددت يدك لكثيرين قبلى...
وقدتهم نحو أحلامهم.
(تمسك المرأة بيد المهرّج)
المرأة: ما أبرد يدك وما أنعم ملمسها..
تبدأ بالحركة ويدها في يد المهرّج متجهين نحو الجمهور
حين يبدأ جرس الباب بالرنين يتوقف المهرج ثم حركة المرأة ما بين الباب والجمهور... المهرّج وجهه باتجاه الجمهور أما المرأة فوجهها يستدير نصف استدارة باتجاه الباب حيث الجرس ما زال مستمراً فى رنينه..
تحاول أن تندفع لفتح الباب لكن يد المهرّج تتشبث بيدها بقوة.. تجمد حركة الاثنين .. تخفت الإضاءة تدريجياً إلا حزم ضوئية تسقط علي الصور المعلقة وعلي المرأة والمهرّج.

النهاية

عواطف نعيم، «مسرحية المهرج»، من كتاب : مسرحيات عراقية، دار عشتار، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٢٥ – ٢٤٨.

بثينه الناصرى

حكاية سماح

عندما أفاقت سماح فى صباح اليوم وجدت أختها الكبري قد أعدَّت الشاى وهى تحمل أخاها الرضيع وتلكز باليد الأخري إخوتها النائمين. غمست سماح الخبز بالشاى وملأت به فمها وقطرات الشاى الساخن تخرُّ علي ذراعيها الصغيرتين، ولما انتهت مسحت فمها وأنفها بكمها ووقفت علي باب الحجرة تهرش كومة الشعرِ فوق رأسها.

قفزت فوق سلالم العمارة إذ لمحت أباها آتياً من بعيد محمّلاً بأكياس منفوخة فهرولت إليه وحاولت أن تمسك أحد الأكياس، فتواري خلف مدخل العمارة، تلفت حوله ثم أخرج لها ثمرة جوافة، اختطفتها منه وغرست فيها أسنانها، وبعد ذلك لم يرها أحد قبل الظهر.

ولم يكن من المألوف أن يبحث عنها أحد قبل ذلك الوقت، إذ كان من عادتها أن تتسكع وحدها بعيداً عن البيت ..تتقافز فوق رصيف الشارع أو تلعب بكوم الرمل أمام الدكان المجاور أو تلصق وجهها فى زجاج (الأجزخانة) القريبة وتتفرج بدهشة علي صور الأطفال المطبوعة علي علب اللبن. كانت تحب منها صورة بنت فى مثل سنها... وجهها مورد ضاحك وشعرها مرتب يزينه شريط أحمر، تمسك بيدها كوباً مليئاً بالحليب، كانت سماح تقف أمام الصورة تحدثها وهى تضم كفها بهيئة كوب ترفعه إلي فمها عدة مرات.. ومرة رآها أخوها حسنين فقرصها وهو يقول (تكلمين نفسك يا بنت؟)

سماح فى الرابعة من عمرها، الثالثة قبل الأخير من عشرة أطفال. وقد تعودت منذ الصغر – مثل إخوتها الآخرين – أن ترعي شؤونها ..فقد كانت الأم معظم ساعات النهار تلتقط رزقها من شقق العمارة.. مرة تغسل الهدوم للهانم فى شقة ١٠ ومرة تنفض السجاد فى شقة ٢ أو تلف المحشى وتحشى الممبار فى شقة ٦، وكانت فى غالب الأحيان تعود بعد العصر حاملة شيئاً من طبيخ البيت الذى كانت تعمل فيه. أما الأب فقد كان يقضى النهار وبعض الليل رائحاً غاديا يلبى طلبات السكان التى لا تنتهى وحين يجد بعض فسحة من وقت يجلس علي دكة خارج العمارة مع زملائه بوابى العمارات المجاورة يدخنون السجائر ويتسامرون.

كانت سماح مدوَّرة الوجه ضئيلة الجسم لا تعرف لوناً محدداً، فلم يلمس الماء جسدها منذ زمن طويل، يغطى رقبتها وركبتيها وقدميها سواد حالك. أما وجهها فقد كان بدرجات متفاوتة من الأبيض والأسود. فعندما كان أخوها الذى يكبرها بسنتين يطرحها أرضاً ويضربها فى بطنها كانت الدموع ترسم جدولين أبيضين فى خديها، وإذا مسحت أنفها بكمها ترك ذلك مادة لزجة يابسة صفراء تمتد عبر وجهها حتي أذنها.

قبل الظهر بقليل وصل الخبر إلي أمها وكانت فى شقة ١٠ فنزلت تركض وثوبها مبلل حتي بطنها ورغوة الصابون ما زالت علي يديها.

فى الشارع قالوا لها إن الخطأ كان من البنت، فقد كانت تنط من الرصيف إلي الشارع حين مرقت هذه السيارة المسرعة والبنت لم تصرخ أو تنزف نقطة دم واحدة، بل طبّت علي أرض الشارع ساكتة.

بعد صلاة العصر، دخلت الحجرة امرأتان متشحتان بالسواد، تلفتت إحداهما حولها حتي وقعت عيناها علي المنضدة الصغيرة الوحيدة في الغرفة فحملتها إلي الحمام الضيق الذى بالكاد احتوي المنضدة. ومددت المرأة سماح عليها فيما ذهبت الأخري لتغلى الماء وهى تسأل الأم الموجوعة التى تنزوى فى طرف الحجرة وتولول، فتشير لها بين دموعها إلي الطشت الكبير أو علبة الكبريت. وعندما طلبت صابونة.. وضعت الأم يدها فى صدرها وقالت لابنتها الكبيرة (إجرى يا بنت للجمعية.. اشترى صابونه أم الريحة).

وأكدت عليها وهى تخرج متعثرة (لا تنسى.. صابونة أم الريحة) وعادت إلي عويلها. وأولادها يتحلقون حولها، بعضهم يبكى والبعض يحسد سماح للاهتمام الذى انصبّ عليها اليوم.

نضت المرأتان عن سماح ثوبها المتسخ ودلقت إحداهما شيئاً من الماء الساخن عليها فيما راحت الثانية تدلك جسدها الصغير بليفة خشنة منقوعة بالصابون المعطّر. بدأت بوجهها فابيضّ وتورّد. ثم صدرها وذراعيها وبطنها ودعكت ركبتيها وقدميها بهمة شديدة وصبّت المزيد من الماء. ثم غسلت شعرها مرتين وثلاثاً. ناولتها صاحبتها مشطاً خشبياً فأعملته فى تلافيف الشعر المجعّد فجري فيه بعد لأى، وقامت المرأة بعمل فَرْق دقيق فى منتصف الرأس وجمعت الشعر من الناحيتين فبانت البنت منورّة كالعروسة حتي أن أمها لما اختلست النظر إليها من بعيد ذهلت وازدادت غلاوتها عندها وخيّل إليها أنها– فى بياضها ونظافتها – مثلما كانت يوم ولادتها. فيما حشرت أختها الصغري ذات السنوات الثلاثة رأسها المجعّد فى الباب الموارب. تأملت برهة ثم عادت إلي وسط الحجرة وهى تصفق جذلي (أختى تستحمّي .. أختى تستحمّي)!

بثينة الناصرى، مجموعة: وطن آخر، سينا للنشر، القاهرة ١٩٩٤، ص ١٣– ١٥.

لماذا لا نذهب إلي البحر كثيراً

كان ذلك في أواخر الشتاء، ولكن الشمس كانت ساطعة حين توقفت السيارة الصغيرة البيضاء علي شاطئ البحر.

قالت أمى وهى تطفئ المحرك:

– احذروا أن تبللّوا ملابسكم.

اندفعنا باتجاه البحر نرتجف شوقاً إليه. شريف ورفيق وياسر وأنا. شمرّتُ أطراف البنطلون وكذلك فعل الآخرون. خلعنا أحذيتنا وركضنا نحو الماء ونحن نحجل علي الحصي الصغير المتناثر علي رمل أبيض.

لسعتْ برودةٌ باطن قدمى واخترقت جلدى قشعريرةُ فرح فتوغلتُ فى الماء غير آبه بالبلل وهو ينقع البنطلون حتي فخدى، فجأة لطم خدى نثار ماء.

التفتُّ، كان رفيق يعاود الانحناء ليملأ كفيه من ماء البحر. ولكن قبل أن يعتدل، صوبتُ نحوه رشة بقدمى اليسري التى اعتدت أن أركل بها الكرة.

ودون أن ندرى كنا جميعاً فى وسط البحر نتقاذف الماء حتي سمعت صوت أمى يناديني غاضباً، التفتُّ مرغماً، وجدتها تلوح من بعيد وهى تسند ظهرها علي باب

السيارة.

خرجت إلي الشاطئ ومشيت نحوها متردداً والماء يقطر من ملابسى شاعراً بالأسي لانتهاء المتعة سريعاً، لكنها حين اقتربت قالت:

– اخلع ملابسك ضعها هنا علي سقف السيارة لتجف .

– ملابسى كلها؟

– كلها، تستطيع أن تسبح إذا شئت. هل الماء بارد؟

– قليلاً.

– إذن هيا، وليفعل إخوتك مثلك.

بلمح البصر، كنت قد خلعت ملابسى حتي لم يبق سوي القطعة الداخلية الأخيرة، ورجعت طليقاً نحو إخوتى الذين ما أن رأونى حتي تراكضوا نحو الشاطئ وهم يتخلصون من ملابسهم شيئاً فشيئاً، وسرعان ما اختفت معالم السيارة تحت الملابس المنشورة عليها.

أحسست بكل ذرة فى جسدى تتوتر وبعضلاتى تتجمد وأنا أرتمي علي الماء، غصت حتي عنقى، ولكن البحر كان دافئاً، ضربت الماء بذراعى قليلاً، ثم انقلبت علي ظهرى وتركت نفسى مرتخياً أنظر إلي السماء زرقاء صافية، ثم أغمضتُ عينى وأنا أحس بجسدى يتهادي علي الموج الخفيف حتي انتابنى شعور بأنى توغلت مسافة كبيرة داخل البحر. عندما فتحت عينى فزعاً وجاهدت لأقف علي قدمى فإذا بهما تلمسان الأرض وإذا بى قريب من الشاطئ.

كان رفيق وشريف يرشان أحدهما الآخر بالماء، أما ياسر أصغرنا فقد وقف بجسده الناحل ينتفض مرتجفاً علي حافة البحر.

أشرت إليه أن يأتى:

– هنا الماء دافئ تعال، لا تخف.

تطلعّ إليّ متردداً، فهتفت:

– أمسك يدى.

لكنه تراجع إلي الخلف ضاماً ذراعيه إلي صدره وعيناه تعانقان البحر شوقاً.

بعد نحو عشرين سنة، حين رأيته مسجّي علي طاولة المشرحة وقد جيء به من جبهة القتال. كان جسده العارى ناحلاً شاحباً وذراعاه مضمومتين إلي صدره. مما ذكرنى بصورته ذلك اليوم وهو واقف علي شاطئ يرتعش خوفاً ولهفة. وشعرت بالأسي لأن الخوف يومها ابتلع رغبته فى مجاراتنا، وها نحن لن نذهب إلي البحر معاً بعد الآن. كان وجهه هادئاً وعيناه مفتوحتين علي بحار وسموات غير مرئية همست يائساً:

– لماذا لم تنزل إلي البحر؟ كان الماء دافئاً والشمس ساطعة.

لكنه ظل يتراجع حتي استدار راكضاً، خرجت وراءه مهدداً أن أجرّه إلي البحر. فلاذ بأمّنا التى كانت تقف إلي جوار السيارة الصغيرة.

حين اقتربنا، فوجئنا بها تمسك بسيجارة رفعتها حين رأتنا إلي فمها ونفثت دخانها فى وجهينا وهى ترقب ذهولنا بعينين باسمتين. كانت المرة الأولي فى حياتنا التى نري فيها أمنا تدخن سيجارة.

هتف ياسر:

– دعينى أجرّب

فوضعت السيجارة فى فمه ولكنه حين حاول أن يسحب الدخان انفجر فى سعال مخنوق. تشجعت واقتربت وعاجلت إلي امتصاص السيجارة ونفثت الدخان مرتين بمهارة حيث كنت قد جربّت التدخين قبل ذلك.

ومع تبدد الدخان فى هواء ذلك اليوم الشتائى، بدأت أري أمى بضوء مختلف متواطئة وصديقة، وفى الوقت نفسه كان يتنامي بداخلى شعور بالقلق من براعتها فى إخفاء هذا الأمر حتي أننا لم نعثر يوماً علي آثار سيجارة فى بيتنا ولكنها كانت قادرة علي إخفاء أمور أخري توجتها بقفزها من شباك غرفتها بعد خمس سنوات من يوم الشاطئ ذاك، وارتطامها علي سلّم العمارة الخارجى بدوىّ ظلّ فى أذنى سنوات طوال بعد ذلك.

أتذكر تحلّقنا حول جثتها المرمية بغير عناية علي السلّم ونحن نحدق ببلاهة اليقظة المفاجئة من غيبوبة عميقة. نحاول أن نفهم لماذا ترتمى أمنا بلا حراك علي سلّم العمارة، وجهها شديد الشحوب غائباً عما حوله.

– حان وقت الرجوع .

قالت أمى وانهمكت فى مساعدة ياسر علي ارتداء ملابسه.

برز رأس رفيق من تحت الماء وقد احمرّ وجهه وتندّت عيناه. نفض شعره المبلل وأشار إلي بقعة بعيدة علي الشاطئ حين سألته عن شريف. واتجهت بنظرى إلي حيث كان شريف ينحنى علي الأرض يجمع القواقع فى كيس ورق.

– هيا يا رفيق حان وقت الرجوع.

غطس مرة أخري وانتظرت لحظات قبل أن يرتفع رأسه وهو يصيح:

– هل رأيت هذه الحركة؟

– هيا اخرج.

– ولكن هل رأيت هذه الحركة؟

– أستطيع أن أبقي مدة أطول منك تحت الماء.

– تعال، ولنر من يستطيع أن يقاوم أكثر.

التفتّ إلي أمى ثم ترددت هنيهة قبل أن أقفز إلي البحر.

– واحد، اثنان، ثلاثة.

وغطسنا معاً فى وقت واحد، كتمت نفسى حتي أحسست بصدرى يكاد ينفجر، فرفعت رأسى وأنا أشهق فى اللحظة نفسها التي ظهر فيها وجه رفيق. نظرنا كل منا إلي الآخر بتحدّ ثم انفجرنا ضاحكين. قلت له (هيا لا تدع أمنا تنتظر).

راقبته وهو يخرج من الماء يمشى خافض الرأس كعادته وكأنه مستغرق فى تفكير عميق، كان رفيق أكثر ذكاء وتفوقاً منى فى المدرسة، ينجح دون أن يبذل جهداً فى هذا السبيل. بل كان يقضى أوقاته يلعب الكرة مع أولاد الجيران أو يتمدد علي سرير أمنا (وكان أشدنا التصاقاً بها) يحدق في السقف حالماً.

كان يفعل ذلك حين اقتحمت عليه الغرفة ثائراً بعد سنوات، وهو استمع إلىّ أعنّفه دون أن تتحرك قسمات وجهه، ولكنى حين أطحت بزجاجة الخمر التى كان يضعها تحت السرير، نهض متثاقلاً محاولاً أن يمسك يدى. فلطمته وهززته من كتفيه علّه يصحو، لكنه كان غائباً عما حوله.

ظل جالساً يستمع إلىَّ خافض الرأس حتي انتهيت وعندئذ رفع وجهه فلمحت دمعتين تجريان علي خديه، حدقّ فى وجهى ملياً ثم تحامل علي قدميه ومشي مترنّحاً حتي جاوز باب الغرفة حيث أقف، ثم التفت وابتسم كما خيّل إلىَّ معتذراً وغادر البيت.

آخر ما رأيته كان محنىّ الظهر ومطرق الرأس كأنه مستغرق فى تفكير عميق.

– شريف تعال.

اعتدل شريف حين اقتربت منه، قال – يرينى ما بداخل الكيس الورقى:

– انظر، ماذا وجدت، قواقع كبيرة ملونة.

– ماذا ستفعل بكل هذه القواقع؟
– غمغم بشيء ما، وسوَّي وضع نظارته، وسار معى وهو ينحنى بين حين وآخر ليلتقط قوقعة هنا وأخري هناك.
ودون أن أدرى، وجدتنى أنتقل ببصرى بين الرمل ومخلفات الشاطئ لألتقط القواقع وأسقطها فى كيسه الورقى. وجدت واحدة مقفولة، وقفنا نحاول فتحها، فلما استعصت طوحت بها إلي البحر، ثم أخذنا نتباري فيمن يرمى أبعد من الآخر.
كان شريف أقرب إخوتى إلي نفسى، ربما لأنه كان يصغرنى بعام واحد فقط. لا نكاد نفترق، وحتي عندما حصل بعد انتهاء الحرب علي عقد فى دولة عربية ظل يراسلنى سنوات عدة بانتظام وفى كل رسالة يعد بأن هذا هو عامه الأخير فى الغربة وأن عودته صارت وشيكة، ويمر العام ويمضى آخر. بل إن رسائله ظلت تتباعد حتي انقطعت نهائياً، وكأنه غاب عنى إلي الأبد.
توقفنا نفحص قوقعة لامعة بخطوط صفراء وبنية ثم سمعنا صوت نفير السيارة يتعالي بإلحاح، فحثثنا السير.
أذكر الآن بوضوح صوت قرقعة القواقع فى الكيس الورقى يطوحه شريف وهو يسرع إلي جانبى، لا أدرى ماذا فعل شريف بالقواقع بعد ذلك. علي الأرجح أنه ركنها فى جانب فى غرفتنا ونسيها.
لكن صوت قرقعتها يملأ عليَّ الآن زنزانتى الانفرادية وأنا منكفئ علي وجهى متورم الجسم ممتلئ بقروح تنز ألماً.
كان صمت الزنزانة يثقل أذنى بطنين غريب بعد ساعات التحقيق الطويلة، ولكن جسدى يضج بألم زاعق فى حين لا أستطيع أن أحرك عضلة واحدة فى جثتى المنكفئة، كنت أود أن أنهض أغادر المكان، أركض.
– هيا يا شريف أمنا تنتظر.
كانوا قد اقتادونى عبر ردهة طويلة معصوب العينين.
وصلنا إلي السيارة، اختطفنا ملابسنا ارتديناها قطعة، قطعة. كانت ما تزال ندية، لكن من يعبأ؟ قفزنا إلي السيارة، ياسر فى المقعد الأمامى إلي جانب أمنا.
سمعت صرير باب يدفع ويطلب منى أن أجلس وأن أرفع العصابة عن عينى. كان الضابط الذى يواجهنى يماثلنى فى السن ويرتدى ملابس مدنية. سألنى عن اسمى وعملى وقدمّ لى سيجارة.
كانت رقته مثيرة للريبة. مرت ربع الساعة تقريباً وهو يرمى إلىَّ بأسئلة عامة وشخصية، ثم فجأة اكتست ملامحه غلظة وجموداً وهو يشدد علي كل كلمة من سؤاله المباغت:
– ما صلتك بالجماعة؟
وقبل أن أجيب التفتت إلينا أمنا، هل كان وجهها شديد الشحوب غائباً عما حوله؟ نظرت فى وجوهنا واحداً واحداً. أولادها الأربعة، وسألتنا:
– ما رأيكم بهذه النزهة؟
تصايحنا (كانت نزهة جميلة، لماذا لا نذهب إلي البحر كثيراً؟).
اعتدلت فى جلستها وأدارت محرك السيارة وانطلقنا. عبثت أصابع أمي بمؤشر المذياع. توقفت عند موسيقي مألوفة. انساب صوت عبد الحليم حافظ دافئاً (أهواك وأتمني لو أنساك).
وصدح صوت أمى (وأنسي روحى ويّاك).
– الله، الله، صوتك جميل يا أمى.

(أهواك) ..

ارتفعت حناجرنا جميعاً حتي أغرقت صوت المغنى. أسرعت السيارة باتجاه المدينة وخمسة أصوات زاعقة تغنى بهمة وحماس علي وقع الموسيقي، وأسمع ياسر وهو يصرخ وسط الضجيج المنغم: (ماذا يعنى أهواك؟).

وصوت أمى يرتفع فيملأ فراغ الزنزانة:

– أحبك.

بثينة الناصرى، جريدة «الحياة»، لندن، ١٩٩٨/٨/٢٥، ص ١٦.

هيفاء زنكنة

المحطة

المحطة واسعة، شبه مهجورة، أرادها أحد المعماريين، أولاً، وسط المدينة إلا أنها وبمرور الوقت هُجرتْ. هجرها الكل حتي أن بعض القطارات حولت مساراتها لتبدأ وتنتهى وتمر فى محطات أخري. باستثناء ساعات قليلة من النهار، صباحاً من السابعة حتي التاسعة، ومساء من الرابعة حتي السادسة، قلّما يُري أحد فيها. المصاطب، فيها، مصبوغة باللون الزيتى الأحمر وأرضيتها رمادية مختلطة بالسخام. علي الجهة اليمني امتداد طويل من السكك، قضبان وقضبان تتوقف عندها القطارات أو تندفع، يتحكم بها الضوء المنظم .. أخضر، أصفر، أحمر. علي الجهة اليسري، امتداد آخر طويل من السكك، قضبان تتوقف عندها القطارات أو تندفع، يتحكم بها الضوء المنظم.. أحمر، أصفر، أخضر. حين كان طفلاً، كانوا يسكنون قرب سكة للحديد، يصحو علي صفير القطار وينام علي ضجته. وكلما بحثت عنه أمه ونادته دون جدوي، أيقنت بأنه يقضى وقته كله قرب سكة القطار. أهم لعبة لديه كانت أن يتوجه إلي السكة مع بقية الأولاد وفتاة واحدة. ينحنون ليضعوا آذانهم علي السكة وينصتون برهبة. دقائق طويلة تمر. يصمتون ليحتويهم سكون غريب طارئ علي صراخهم وأصواتهم العالية.. يصمتون ليصغوا جيداً، ليصبحوا جزءاً من السكة الحديدية وقطارها المقبل. أذنه علي السكة...ها.. تهتز السكة فترتجف شفتاه كأنه علي وشك أن يلثم المعدن البارد ليبعث فيه الحياة، ويصرخ: القطار... القطار.. ويقفزون مبتعدين، ملوحين بأيديهم إلي الوجوه المارة بسرعة. وحالما يبتعد القطار وتخفت أصواتهم حتي يستديروا نحو الفتاة.. وكأنهم اتفقوا جميعاً، علي أهمية لعبتهم التالية. «من يستطيع القفز بين السكك دون أن يمسها؟». وتدفعه الفتاة، ترفع طرف دشداشتها قليلاً، تتغنج في مشيتها، وتقفز.

– «إذا كبرنا لن أتزوج غيرك». اتكأ علي المكنسة ناظراً في شبه غيبوبة إلي المشهد الذى يحبه. «إنك مهووس بهذا المكان»، قال له قاطع التذاكر، فهز رأسه موافقاً. كان يري كومة هائلة من الألوان، من السيارات المنبعجة إلي أشكال جديدة، مكعبات ومربعات. مثل يد عملاقة، مثل قبضة تنفتح وتنغلق كان الونش يواصل حركته بانتظام، رافعاً السيارات من أسفل الكومة حتي القمة. سيارات خضر وحمر وسود.. عن بعد، تبدو مثل الطين الاصطناعى الذى كان يعجنه وهو طفل. يتعب من الألوان المنفصلة فيعجنها معاً. العجينة لا تختلط تماماً، مهما حاول، بل تصير مثل قوس قزح مكور، صلب. يسحب بعضه فى كرة أصغر وأصغر ويبقي القوس قزح ممتداً مع حركة اليدين والأصابع. كومة من السيارات الملونة.

إذا ما كان محظوظاً واليوم مشمساً تنعكس الألوان من علي مبعدة، واليد العليا تنقبض وتنفتح. الكل تعود علي وجود الكومة والونش والانعكاسات الضوئية هناك، تقبلوها بضجيجها حتي صاروا لا يسمعون الضجة أو يرون الألوان، ما عداه. من كان يصدق بأنه سينتهى منظفاً فى محطة شبه مهجورة، بلندن؟ يراقب بهدوء مبهوراً بتلك البقعة.

علي المصطبة المقابلة جلست فتاة وامرأة. المرأة في منتصف الثلاثينات والفتاة في الثانية عشرة. علي المصطبة الأخري جلس شابان بيد أحدهما علبة بيرة، كانا يتحدثان بصوت عال، رفع الشاب قنينة البيرة عالياً شارباً نخب الفتاة والمرأة وهو ومكنسته والعالم كله. وضحك باتجاه الفتاة التى استدارت محتمية بالمرأة. لابد أنها أمها، كلتاهما قصيرتان وقصة شعريهما متشابهة، قالت المرأة شيئاً ونظرت بالاتجاه المعاكس، كان وجهها جامداً شاحباً، ملامحه قاسية والظلال تحت عينيها داكنة توحى بالسهر أو الأرق، تعض شفتها السفلي بحركة لا شعورية، لابد أنها عادة كرستها السنين. هناك توتر بين الأثنين، ما أن تتحدث الأم حتي تدير الفتاة ظهرها وتسير بضع خطوات مبتعدة، ثم تعود لتجلس بجوارها مستسلمة، بعد دقائق من جلوسها تتنهد الأم وتتحدث معها بنعومة أولاً. يحتد صوتها تدريجياً، فتتركها الفتاة لتسير إلي نهاية الرصيف، هذه المرة. تقف المرأة لتقرأ أوقات القطار ثم تستدير ناظرة إلي الفتاة عرضاً، ثم إلي الشاب. نزل الشاب عن الرصيف وبدأ يمشى بين القضبان ملوحاً بعلبته. وضحك بأعلي صوته، حين انتهي من عبور السكك كلها متحاشياً ملامستها. وضع علبة البيرة علي الرصيف ورفع جسده ليقف بجانبه. مد يده. تردد قليلاً ثم مد بدوره يده فصافحه بحرارة: «أنا أسترالى». ثم تركه ليعود إلي مكانه فى الجانب الآخر، ضاحكاً بصوت عال. ضحكت الفتاه بمرح بينما تجهم وجه المرأة. لو لم يجبر زوجته علي الإجهاض، فى تلك السنوات البعيدة فى تلك المدينة البعيدة، لكان لديه الآن ابنة فى العشرين أو ابن في العشرين أو كلاهما معاً. أى لغة كانت ستتحدث الابنة؟ أى لغة كان سيتحدث الابن؟ حين أوقف فى المطار طالباً اللجوء، متعباً بعد مروره بعدة بلدان وتعلمه عدة لغات وتعرفه علي عدة شعوب، تساءل: في الخمسين من عمرى هل أبدأ حياة أخري... هل أتعلم لغة أخري؟ أشار بيده إلي لسانه «أنا أخرس»، طلب ورقة وقلماً وكتب «أنا أخرس» ثم، كتابة، أجاب علي أسئلة المحقق. لم كُتبَ عليه الإجابة علي أسئلة المحققين، فى كل بلد يتوجه إليه؟ خاف من المدينة الواسَعة، خاف من الناس وطريقة سيرهم، مباشرون مستقيمو الظهور، خطواتهم مسرعة وواثقة، يعرفون المحطة التى يغادرونها كما يعرفون جيداً أى محطة يتوجهون إليها.. وهو بعد متردد أمام المحطة، أين يذهب؟ هل يريد زيارة صديقه؟ لماذا؟

ويتردد. ربما كان من الأفضل ألا يذهب، أن يؤجل الزيارة. يرتطم به المارة وهو واقف .. يستدير ويعود إلي غرفته، حاملاً فى داخله، فى انحناء كتفيه وسقوط رأسه الثقيل عليهما، وفى مشيته البطيئة، انكفاءه، وخبو ألق عينيه.

غيوم، غيوم، الشمس عمياء. النمل أعمي. كانت زوجته جميلة أو هكذا يتذكرها. حنينه إليها يشبه حنينه إلي مدينته بعدما تخلص من كل مساوئها: رجال مخابراتها وسجونها وتعذيبها، قيظها وعواصفها الترابية، تجهم ناسها وعدوانيتهم، أوساخها ورائحة مجاريها العطنة، ازدحامها والضجيج الذى كان يبدو وكأنه نابع من كل شئ فيها، ذبابها وبعوضها والبصاق المتناثر علي أرصفتها، أقدام الصغار الحافية وأيديهم الممدودة استجداء، المستجدون العور والعميان وكل ذوى العاهات فى الشوارع، وضع ذلك كله فى منخل حنينه وغربته

ليجمع فى النهاية، فى الجهة الثانية من المنخل، فى حضنه كل ذكرياته الحلوة عن طفولته وفتاته الغنجة، عن أصدقائه والنخيل السامق وأشجار الزيتون والسدر. إنها مدينة احتاج عشرين عاماً ليغفر لها ويصفّى حسابه معها. الآن، عبثاً يحاول زيارتها. يشعر وكأنها اختفت منذ عهد طويل. هل تستطيع العين رؤية ما تراه المخيلة؟ هل وُجدت مدينته حقاً! ربما لم تكن غير انعكاس لمدينة رسمتها المخيلة. إنها لم تعد كما كانت، هو الآخر لم يعد كما كان. صارت مجموعة من قطع خشبية تعود لعدة لعب في آن واحد. قطع يقلبها كيفما يشاء ويرتبها لتلائم موقعها الجديد ولتلائمه هو الطارئ الجديد بالنسبة إليها. مدينته صارت مثل زوجته، فى سنواته الأخيرة معها لا تكشف عن نفسها، ولا تفشى أسرارها إلا للقلة، للمقربين منها. لمن اختاروا البقاء فيها. معها. والسير في مسالكها ودروبها وأسواقها وأزقتها المظلمة. رغباتهم هى رغباتها وحريتهم فيها أن يكونوا عبيداً لها.

وصل، إلي ضواحى هذا البلد، متأخراً عشرين عاماً. وصل لينظر إلي الساحات العامة وروادها، إلي حاضره. الالم يعصر قلبه. الشوق يعصر قلبه. عليه أن ينظف الطرف المقابل.

كانت تنظر إليه بلوم. والداه، أيضاً كانا ينظران إليه لائمين. محملين إياه فشلهما في تربيته وفشله فى تحقيق ما أراداه. صار يمثل خيبتهما فى الماضى والحاضر وإخفقاهما فى تحسين المستقبل. تحصنا بصمتهما، مديرين ظهريهما باتجاهه وتحصن هو بصمته منحنياً علي كتابه.

كل ليلة، كانت تنظر إليه بلوم. بعد مرور عام، عامين، ثلاثة أعوام وهو مصر.. لا أطفال.. لا نريد أطفالاً. « تعني أنت لا تريد أطفالاً؟ ». تحولت الفكرة فى رأسها إلي هوس استحوذ عليها وغلف حياتهما معاً. كلما سارا معاً ورأت طفلاً ترقرق الدمع فى عينيها، كلما رأت امرأة تحمل طفلاً بين ذراعيها استدارت لتنظر إليه، كلما زارا صديقاً لديه طفل، عاتبته من دون كلمات. سراً بدأت تشترى أشياء لأطفال في مخيلتها: فستان صغير، عثر عليه وهو يبحث عن قميصه، زوج من الأحذية وجده قرب سلة خياطتها، وجواريب بألوان زاهية متناثرة فى أماكن مختلفة من شقتهما. ثم انتبه، ذات يوم، إلي حرارة غريبة تنبعث من جسدها، دفء يشع من عينيها ووجنتيها، واحمرار أثقل شفتيها فزادت جمالاً. باتت تتحرك بخفة أكبر، تحوم حوله، تريد الاقتراب منه وتداعبه وقد اختفي العتاب من عينيها. لم تخبره إلا بعد مرور ثلاثة أشهر فصرخ بصوت جريح « لا نريد أطفالاً ... ألا يكفى ما هو موجود فى العالم، لا أريد أن يصيبهم ما أصابنا! » « تعنى.. أنت لا تريد أطفالاً ». وأجبرها علي الإجهاض. قرأ، ذات مرة. أن بالإمكان معرفة جنس الجنين وهو فى شهره الثالث وأن، ولا يدرى لماذا علق ذلك فى ذهنه، أظافر يديه وقدميه تكون قد نمت. هل قرأت، هى الأخري، هذه الحقائق؟ بعد سنوات، حين أجبر علي مغادرة مدينته، رفضت مرافقته وذكرته للمرة الأولي، بما حدث. ذكرته بأنها، الأخري، ماتت مع الطفل فى ذلك العام. ذكرته بأنها لم تشعر بوجوده حياً إلي جانبها، منذ سنوات، فما فائدة مصاحبة الموتي للموتي فى بلدان أخري؟

قبضة اليد الحديدية تنفتح وتنسد، الأصابع الحديدية يحركها ذراع بلا جسد، نعم، إنه مهووس بهذا المشهد وهذه المحطة ونملها الأعمي.

الساعة الثالثة بعد الظهر. ساعة تمدد الظلال مثل الأمواج إذا حضرت الشمس. قالت له: « الحيوانات تتبع غرائزها وتلد، الحشرات والنباتات كلها تتكاثر ». آخر أيامه معها حدثها كثيراً عن حبه، كيف سيفتقدها، كم يتمني رحيلها معه، لم تنظر إليه. منذ إجهاضها صارت تتجنب النظر إليه، تتحدث إليه فتجيبه وتطيعه

وتنفذ ما يريد إلا أنها كانت تتحاشي رؤيته. روحه عقيمة، كيف يستطيع الجسد العقيم منح الحياة؟
أحس بالدموع في عينيه. هل يستطيع، أبداً وضع يده علي يد امرأة، يمسد شعرها، يشمها ويضمها إلي صدره؟ عليه أن ينظف الطرف المقابل. تقلصت عضلات جسده كلها كما لو ترغب بالتحول إلي عضلة واحدة، لتبعث الحياة فى العضو العنين فى الجسد العنين. تلك الفتاة علي الرصيف الثانى متي جاءت؟ بإحدي يديها حملت كتاباً وباليد الثانية، مراراً، دفعت خصلات شعرها الأشقر عن جبينها. فى مخيلته دفع تلك الخصلات بيده، أمسك وجهها بكفيه وقبل جبينها، عينيها وخديها. أحس بمودته تسرى إليها فتدمع عيناها، بلذة شرب الماء المالح وحرر جسدها من البلوزة والتنورة. كلتيهما فى المكان غير المتوقع. صارا جسداً واحداً. إنها جميلة مثل لؤلؤة استقرت طويلاً فى محارة، المحارة فى أعماق البحر المظلم، غطاها الطمى والرمل والحيوانات الإسفنجية.. «ليلاً فى ظلام غرفتى الدامس، تحت سقفها الواطئ، سأمرر أناملى مثل أعمي رأي الضوء مرة فى طفولته علي جسدك. سأهديك باقة من الزهور البرية، باقة من قوس قزح. سأقف عند سفوح الجبال البعيدة وأتلقي نهايته بين كفىّ، أتشبث به أضمه جيداً ثم أطلقه أمامك. فى ظلام غرفتى الدامس، سيصبح جسدك مضيئاً بألوان طالما حلمت بالإمساك بها» ... فتح كفه فسقطت المكنسة. النملة المبصرة تسير بتؤدة تاركة وراءها خيطاً شفافاً من مادة هلامية. علي المادة الهلامية سيسير العميان. فى نهاية المسيرة، وضع حصتها اليومية من الحنطة. خمس حبات يومياً، يتفنن بوضعها فى زاوية جديدة كل يوم، فتغير النملة المبصرة من مسارها لتعثر عليها.
بدأ اهتمامه بالنمل يوم السبت، فى العام الماضى. كانت المحطة هادئة، وكان، كعادته، متكئاً علي مكنسته مبهوراً بالقبضة الحديدية. فجأة انتبه إلي تطاير عدد كبير من النمل قريباً من قدميه، حشد من النمل الأسود الطائر، طار فجأة ثم حط فى زاوية أخري، أبعد قليلاً من مكانه الأول. بعد أسبوع من مراقبته. يوم السبت التالى كتب إلي زوجته رسالته الأسبوعية، حدثها فيها بحماس شديد عن النمل «فى يوم صيفى حار، كما لو كان سلوكها مبنياً علي تلقى إشارة خاصة، تطير الإناث، لتحط وتتخلص من أجنحتها، مكونة مستعمرة جديدة». ورغم أنه لم يتلق أى جواب، كما لم يتلق أى جواب منذ عشر سنوات، بعد أسبوع، كتب إليها «تصرف النمل موروث ويعتمد علي نقل الصفات الجينية، كل نملة تولد فتتصرف وفق سلوك محدد لتلائم موقعاً معيناً فى المستعمرة. الملكة هى أكثر الأعضاء أهمية فى المملكة. تجامع الذكر وهى طائرة ثم تحط علي الأرض لتبيض». مساء السبت التالى، فى رسالته التى لم تعد تحمل رقماً قال «لو أن واحداً من هذه الطيور المهاجرة، التى مرت بسماء هذه المدينة، أعارنى جناحه، لطرت نحوك ووقفت علي عتبة دارك» وحاول جهده ألا يذكر أى تفاصيل مملة عن نمله، إلا أنه ختم رسالته بجملة قصيرة عنها « بعض النمل يري وبعضه الآخر أعمي. العميان، عادة، أكثر عدداً من المبصرين». أى لغة كان سيتحدث طفلهما؟ أى لغة يستخدم للاعتذار منها؟ بأى لغة ستكتب إليه، لو كتبت ذات يوم؟
جاء القطار، مضت الفتاة وصديقها والمرأة وابنتها والشابان، الرصيف خال، المحطة ساكنة.. قضبان سكك الحديد، حتي لو نزل إليها مصغياً ما كانت لتوصل إليه ذبذباتها. إنها تتجه نحو محطة أخري. من محطة إلي أخري، تصل نقطة نهايتها فتدور لتبدأ من جديد. عصره الألم، فتح عينيه وسدد قبضته ليدفع شيئاً لا يراه.. انبعجت داخله الأبواب. أمامه الأبواب مسدودة والنوافذ مسدودة وسقف

غرفته واطئ جداً. ربما كان عليه التوجه إلي بلد آخر، ربما كان عليه التدرب علي نسيانها ونسيان الأصدقاء والنخيل وحقول الرز والحنطة والجبال وزهر البابونج البرى. حينئذ، ربما يستطيع الابتعاد عن ماضيه المقيم فى داخله. حينئذ، قد يستطيع الإمساك بممحاة ومحو ماضيه كله.

مايس ١٩٨٩

هيفاء زنكنة، مجموعة: بيت النمل، دار الحكمة، لندن، ١٩٩٥، ص ١١ – ١٩.

سهام جبّار

ذات انفجار

هكذا حتي حدث ذات انفجار أن خليْت الأرض من كل شيء إلا من جبال عالية تتصيد وحوشها الأنهار لتنزلق بينها مبتهجة، أو تقاذف بعضها بالأبحر وجوه بعض، ويكوِّر آخرون المحيطات غيوماً يثقبونها بعد ذلك بدبابيسهم فتخر بالمواليد وبالطيور علي الرؤوس فتتطاير الضحكات ويترنم أطفال الوحوش بالكبار القادرين.

هكذا اكتشفتنى بلا كبير قادر، وزعزع سلامى أن حنان المياه انتهي. فانثنيت بلا أول ولا آخر. أتوصل كل يوم ويضيع توصلى، أسير كل آلاف السنين وسلاسل الأرض الوعرة فلا أعثر علي سبيلى حتي تعبت وكاد يأسى يحطمنى علي صخرة من جبل. إلا أن الصخرة تعرفت عليّ وانبرت تربّت علي وحشتى أن قومى وهزى إليك الضروع ينقذف فيك الوجود ويتفتت كل أب مستسلماً.

هكذا فعلت وجمعت كل صخر الوادى فرميته من فوق عل حتي إذا ما تفتت الجبل استرحت إلي منظر الأرض نائمة بين يدى أمحو لون رمالها الأصفر وأغرس زرقة الحنان وأمومة الموج ليتبدل المشهد وتنقرض الوحدة فأعود لألعب ..ألعب.

سهام جبّار، مجلة «سطور» ع ٣٧، القاهرة، ديسمبر، ١٩٩٩، ص ٧٧.

دنيا ميخائيل

أبيض .. أسود

«هذا هو يوحنا المعمدان قد قام من الأموات...»

من الإنجيل

«... وكان فى الموضع الذى صُلبَ فيه بستان
وفى البستان قبرٌ جديد لم يوضع فيه أحد قط....»
فى الصبح مضيتُ إلي المبكيِ باكراً - والظلامُ باقٍ -
« فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر »
التفتُ ...
قال: - «لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد...»
احملى صليبك
ولا تتبعينى
لا تتبعينى
مددتُ يداً....
والأيام تتقافز فى كفى
أحكمتُ قبضتى علي الذكريات
قبل أن تتناثر
نبضةٌ نبضةٌ
مثل القلب
أقمت قُداس الطفولة
حملت ذاكرتى
- احملى صليبك
ولا تتبعينى
لا تتبعينى
كنتُ أدنو
وكان يصعدُ عالياً
« صعد فى اليوم الثالث »
وجلس عن يمين الشمس
هل عرفتم الآن
لماذا تدمع العين
حين تحدق فى الشمس؟
ولماذا ألتفتُ - كل يوم - مع زهرة عباد الشمس؟
بكي النهرُ الطفلُ
تفتحتُ فى دمعته
هل عرفتم الآن
لماذا الأزهارُ تذبلُ بسرعة ضربات القلب فى المستشفي؟
عدساتُ التصوير
لا تلتقط الغصن
وهو يرتجف في عين الطير
لمرأي الصيادين
هل عرفتم الآن
لماذا أرتجفُ من البرد؟
ولماذا الثلجُ مثل كلام الأطباء ؟
- ما الذى يحدث الآن ؟
- وكيف أعرف

فهرس المنتخبات: العراق

مرتبة حسب تاريخ ميلاد الكاتبة

العراق

(أ)
الدراسة

(ب)
المنتخبات

(ج)
البيبليوغرافيا

آمال الزهاوى (| ١٩٤٦ -)

شاعرة عراقية. ولدت فى بغداد، وأكملت الابتدائية والثانوية فى الأعظمية. تخرجت فى كلية الآداب فى جامعة بغداد سنة ١٩٦٣، كما حصلت علي دبلوم تربية وعلم نفس سنة ١٩٦٧. عملت فى الصحافة فى العراق وسورية، وكانت من ضمن المؤسسين لمجلة «ألف باء» فى أواخر الستينيات.

الأعمال الإبداعية:

الفدائى والوحش (شعر)، دار العودة، بيروت، ١٩٦٩
الطارقون بحار الموت (شعر)، دار العودة، بيروت، ١٩٧١
دائرة فى الضوء... دائرة فى الظلمة (شعر)، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٥
أخوة يوسف (قصيدة مطولة)، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٧٩
تداعيات (شعر)، منشورات آمال الزهاوى، بغداد، ١٩٨٢
يقول قس بن ساعدة (شعر)، مطبعة تموز، بغداد، ١٩٨٧

آمنة حيدر الصدر [بنت الهدي] (١٩٣٧ - ١٩٨٠)

روائية وقاصة عراقية. ولدت فى الكاظمية، وعاشت فيها حتي سن الحادية عشرة، حيث رحلت إلي النجف وأقامت فيها. درست فى البيت علي يدى أخويها آية الله إسماعيل الصدر ومحمد باقر الصدر. واستكملت دراستها فى العلوم الإسلامية والمعارف الحديثة بدروس خصوصية، حيث لا تتيح المدارس الدينية فى النجف دراسات عليا للبنات. كتبت الرواية والقصة والشعر، ونشرت أعمالها القصصية الكاملة فى ثلاثة مجلدات.

الأعمال الإبداعية:

صراع (قصص)، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٤
الفضيلة تنتصر (رواية)، مطبعة أوفسيت الميناء، بغداد، ١٩٦٩
امرأتان ورجل (قصص)، دار الأنوار للمطبوعات، بغداد، ١٩٧٧
الخالة الضائعة (رواية)، مطبعة أوفسيت الميناء، ١٩٧٨
لقاء فى المستشفي (رواية)، مطبعة الأندلس، بغداد، ١٩٧٩
المجموعة القصصية الكاملة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د. ت.، فى ثلاثة مجلدات: الأول يحتوى علي الفضيلة تنتصر، ليتنى كنت أعلم، امرأتان ورجل، والمجلد الثانى يحتوى علي صراع مع واقع الحياة، لقاء فى المستشفي، الخالة الضائعة، والمجلد الثالث يحتوى علي الباحثة عن الحقيقة، كلمة ودعوة، ذكريات علي تلال مكة، بطولة المرأة المسلمة، المرأة مع النبى.

آمنة محمد (١٩٢٨ –)

قاصة عراقية. ولدت فى البصرة، وهى خريجة دار المعلمات ببغداد. مارست التعليم.

الأعمال الإبداعية:

الحرف « ج » (قصص)، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٦
أبدا تسطع الأضواء (قصص)، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٧
أسفار الروح (قصص)، د .ن.، ١٩٨٧
الشمس التى تشرق (قصص)، د. ن.، ١٩٨٨
الشمس التى تغرب (قصص)، د. ن.، ١٩٨٨

آيدان النقيب (؟ –)

شاعرة عراقية

الأعمال الإبداعية:

اعتصر الحجر (شعر منثور)، مطبعة الجمهورية، كركوك، ١٩٦٩

ابتسام عبد الله الدباغ (١٩٤٣ –)

روائية وقاصة عراقية. ولدت فى كركوك، وتلقت دروسها الأولي فى كركوك والموصل. تخرجت فى كلية اللغات قسم الأدب الإنجليزى فى جامعة بغداد سنة ١٩٦٤. شغلت وظيفة رئيسة قسم الأخبار والترجمة فى تلفزيون بغداد، وعينت فى سنة ١٩٦٨ رئيسة قسم المتابعة فى المؤسسة العامة للصحافة. فى سنة ١٩٦٩ عملت محررة فى مجلة « ألف باء » الأسبوعية، ثم استقرت بعد ذلك فى جريدة « الجمهورية » كمترجمة ومحررة. قدمت للتلفزيون برنامجها الشهير «سيرة وذكريات ١٩٦٧ – ١٩٨٧ ». لها ترجمات أبرزها يوميات المقاومة فى اليونان لميكيس ثيودوراكيس ومذكرات أنجيلا ديفيز، كما ترجمت سيناريو فيلم إنجمار برجمان «سوناتا الخريف». تنتمى إلي اتحاد الأدباء والكتّاب فى العراق، وهى عضوة فى مجلس نقابة الصحفيين لثلاث دورات ١٩٨٤ – ١٩٩٠.

الأعمال الإبداعية:

فجر نهار وحشى (رواية)، دار الأديب، بغداد، ١٩٨٤
ممر إلي الليل (رواية)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨
مطر أسود... مطر أحمر (رواية)، دار مواقف عربية، لندن، ١٩٩٤
بخور (قصص)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٨

أحلام منصور (١٩٥١ –)

قاصة عراقية. ولدت فى مدينة خانقين بمحافظة ديالي. تخرجت فى كلية الآداب بجامعة بغداد (القسم الكردى). عملت فى حقول الصحافة، ونشرت قصصها فى الصحف الكردية والعربية.

الأعمال الإبداعية:
الجسر (قصص)، د. ن.، ١٩٨١

إرادة الجبورى (١٩٦٦ –)

روائية وقاصة عراقية. ولدت فى كربلاء. حصلت علي بكالوريوس ترجمة وماجستير فى الإعلام. عملت مترجمة وصحفية، وكتبت سيناريوهات لأفلام وثائقية، منها «حول أطفال العراق» الذى حاز علي جائزة. تدرّس الآن فى جامعة صنعاء فى اليمن.

الأعمال الإبداعية:
شجرة الأمنيات (قصص)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠.
غبار المدن (قصص)، دار الهامد، بغداد، ١٩٩٣
عطر التفاح (رواية)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٦
إينانا ابنة بابل (رواية للأطفال)، دار ثقافة الطفل، بغداد، ١٩٩٦

أسماء مصطفي (؟ –)

قاصة عراقية.

الأعمال الإبداعية:
نحو الحلم (قصص)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٩

إلهام عبدالكريم (؟ –)

روائية عراقية، خريجة كلية الشريعة فى بغداد. وهى ناشطة فى التنظيمات النسائية.

الأعمال الإبداعية:
خاتم الربيع الأبدى (رواية/سيرة)، الاتحاد العام لنساء العراق، بغداد، ١٩٩٤

أمل الجبورى (١٩٦٥ –)

شاعرة عراقية. ولدت فى بغداد ودرست فيها. التحقت بكلية الآداب فى جامعة بغداد، وحازت علي شهادة البكالوريوس فى الأدب الإنجليزى، عملت مترجمة وصحفية ومراسلة ثقافية. تقيم الآن فى ألمانيا. ترجمت كتابين هما: موت الحلاج لهربرت مايسن (١٩٩٥) و حيث تلتقى الأنهار (١٩٩٩).

الأعمال الإبداعية:
خمر الجراح (شعر)، د. ن.، بغداد، ١٩٨٦
أعتقينى أيتها الكلمات (شعر)، دار الشروق، عمان، ١٩٩٤
لك هذا الجسد لا خوف عليها (شعر)، دار الساقى، لندن، ١٩٩٩

أمل عبود عباس (؟ –)

قاصة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

التنزه فى الجحيم (قصص)، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٧١

بتول الخضيرى (١٩٦٥ –)

روائية عراقية. ولدت فى بغداد. درست فى جامعة المستنصرية فى بغداد ونالت شهادة البكالوريوس فى الأدب الفرنسى. ترجمت رواية للكاتب الإنجليزى جراهام جرين Graham Greene, ***Dr. Fischer Gerneva or The Bomb Party*** ، ونشرت الطبعة الأولي منها فى عام ١٩٩٠ عن دار منارات.

الأعمال الإبداعية:

كم بدت السماء قريبة!! (رواية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩

بثينة الناصرى (١٩٤٧ –)

قاصة عراقية. ولدت فى بغداد . درست فى جامعة بغداد وحصلت علي بكالوريوس فى الأدب الإنجليزى. تعمل مترجمة وناشرة (دار عشتار)، وتقيم الآن فى القاهرة. كتبت العديد من المقالات نشرتها بعنوان علي حدود الوطن فى عام ١٩٩٥. نالت جائزة الإبداع الثقافى فى معرض كتاب المرأة العربية الأول (القاهرة، ١٩٩٥)، عن مجموعتها وطن آخر. تُرجمت بعض قصصها إلي الإنجليزية والألمانية والإسبانية والنرويجية.

الأعمال الإبداعية:

حدوة حصان (قصص)، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٤

موت إله البحر (قصص)، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٧

فتي السردين المعلّب (قصص)، دار الخريف، بغداد، ١٩٩٠.

وطن آخر (قصص)، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٤

الطريق إلي بغداد (قصص)، دار عشتار، القاهرة، ١٩٩٩

بديعة أمين (؟ –)

قاصّة وباحثة عراقية. حصلت علي بكالوريوس فى الأدب الانجليزى من جامعة بغداد ودبلوم الفنون التشكيلية من معهد الفنون الجميلة. لها كتب عديدة ودراسات حول الصهيونية والمشكلة اليهودية.

الأعمال الإبداعية:

العربة والمطر (قصص)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٥

بشري البستانى (١٩٥٠ -)

شاعرة عراقية. ولدت فى الموصل. حصلت علي دكتوراه فى الأدب العربى عن رسالة بعنوان «نقد الشعر الحديث: البناء الفنى لشعر الحرب فى العراق». نشرت العديد من البحوث فى مجال النقد الأدبى فى المجلات الأكاديمية والثقافية داخل العراق وخارجه. تعمل الآن أستاذة للأدب العربى فى كلية الآداب فى جامعة الموصل.

الأعمال الإبداعية:

ما بعد الحزن (شعر)، مكتبة النهضة، بيروت، ١٩٧٣

الأغنية والسكين (شعر)، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٦

أنا والأسوار (شعر)، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٧٩

زهر الحدائق (شعر)، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٤

أقبل كف العراق (شعر)، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٩

بلقيس حميد حسن (؟ -)

شاعرة عراقية. تقيم فى هولندا.

الأعمال الإبداعية:

مخاض مريم (شعر)، دار الطليعة الجديدة، دمشق، ١٩٩٨

بلقيس نعمة العزيز (؟ -)

قاصة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

زفاف الأيام المبحرة (قصص)، مطبعة الغرى الحديثة، ١٩٦٩

الرفيق (قصص)، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٤

تحية الخطيب (١٩٤٢ -)

شاعرة عراقية. ولدت فى البصرة وأكملت فيها الدراسة الابتدائية والثانوية. انتقلت إلي بغداد ودخلت كلية الطب وتخرجت فيها عام ١٩٦٥. وعادت إلي البصرة لتعمل طبيبة فيها. تدافع عن قضية المرأة بحرارة فى أعمالها. ترجمت كتابا بعنوان مرض فقدان المناعة المكتسبة، وكتبت عن مرض الشاعر بدر شاكر السياب، وعن تجاربها فى العيادة والمستشفي.

الأعمال الإبداعية:

حقيبة الروح (شعر)، د. ن. ، د. ت.

ثريا محيى الدين شيخ العرب (؟ -)

روائية عراقية.

الأعمال الإبداعية:

لست دمية يا أمى (رواية)، مطبعة الحرية، بغداد، ١٩٨١

حربية محمد (؟ -)

قاصة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

جريمة رجل (قصة طويلة)، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٥٣

من الجانى (قصة طويلة)، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٥٤

حميدة الحبيب (؟ -)

قاصة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

فوق المسارح (قصص)، د. ن. ، بغداد، ١٩٤٠.

حورية هاشم نورى [فتاة بغداد] (؟ -)

قاصة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

دماء و دموع (قصص فى حلقتين): الحلقة الأولي [«بائعة الدم»، «بائعة الأطفال»، «ليلة الحياة»]، مطبعة الهلال، بغداد، ١٩٥٠. الحلقة الثانية [«بريد القدر»، «خالصة البريئة»]، ١٩٥١

حياة الزبيدى [حياة النهر] (١٩٣٤ -)

شاعرة وروائية عراقية. ولدت فى الصويرة فى محافظة واسط. تخرجت فى مدرسة الراهبات وثانوية المنصور فى بغداد، والتحقت بالجامعة المستنصرية، كلية الآداب، فرع اللغة الإنجليزية، وتخرجت فيها عام ١٩٧٠، وعينت مترجمة فى وزارة الزراعة.

الأعمال الإبداعية:

الغد المشرق (شعر)، د. ن. ، بغداد، ١٩٥٨

أغنيات للثورة (شعر)، د. ن. ، بغداد، ١٩٥٨

الشاهر (رواية)، د.ن، بغداد، د.ت.

حياة جاسم [الزهرة البيضاء] (١٩٣٦ -)

شاعرة وقاصة عراقية. ولدت فى بغداد. تخرجت فى كلية الآداب فى جامعة بغداد، وحصلت علي الماجستير عام ١٩٧١ ونشرت كتابا بعنوان : الدراما التجريبية فى مصر والتأثير الغربى عليها (١٩٦٠ - ١٩٧٠) فى بيروت عام ١٩٨٣، كما ترجمت كتابا نقديا لمارتن والاس بعنوان: نظرية السرد الحديثة، نشر فى القاهرة عام

١٩٩٨. كتبت الشعر منذ أواسط الخمسينيات، ونشرت فى المجلات البيروتية والبغدادية. نشرت رسالتها التى حصلت بها علي درجة الماجستير بعنوان وحدة القصيدة فى الشعر العربى حتي نهاية العصر العباسى فى بغداد عام ١٩٧٢. وحصلت علي الدكتوراه من جامعة إنديانا بالولايات المتحدة عام ١٩٧٨.

الأعمال الإبداعية:

سيزيف يتمرد (شعر)، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٧٠

للفرح أغنية أخري (قصص)، د. ن.، دمشق، ١٩٩٨

القفز فوق الموجة (شعر)، منشورات الموجة، الرباط، ١٩٩٩

حياة عبد السادة (؟ –)

شاعرة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

شعلة الحياة (شعر)، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٨

خديجة جعفر يمنك (؟ –)

شاعرة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

ديوان محرق القلوب فى المراثى الحسينية (شعر شعبى)، مكتبة الوراق، النجف، ١٩٧٣

دلال خليل صفدى (؟ –)

قاصة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

حوادث وعبر (قصص)، مطبعة الراعى، النجف، ١٩٣٧

دني طالب (١٩٦٣ –)

قاصة وروائية عراقية. ولدت فى البصرة وتقيم فى الدانمارك. حصلت علي بكالوريوس فى علم البساتين وزراعة النخيل من جامعة البصرة وعلي دبلوم التعليم فى الدانمارك. تعمل مترجمة ومستشارة مكتبة كوبنهاجن الملكية فى مشروع نشر وترجمة أعمال هانس كريستين أندرسن.

الأعمال الإبداعية:

حرب نامة (قصص)، دار المدي، دمشق، ١٩٨٨

دنيا ميخائيل (١٩٦٥ –)

شاعرة عراقية. ولدت فى بغداد. تخرجت فى كلية الآداب فى جامعة بغداد قسم الأدب الإنجليزى عام ١٩٨٧. تدرس فى الوقت الحاضر فى قسم دراسات الشرق الأوسط فى جامعة وين ستيت Wayne State قسم الدراسات العليا فى ولاية

مشيجان فى الولايات المتحدة. عملت فى مجال الصحافة والترجمة فى جريدة «بغداد أوبزرفر» العراقية، وفى جريدة «المشرق» الأردنية. صدرت لها مقالات ثقافية عديدة باللغتين العربية والإنجليزية، نشرتها فى العراق وفى الخارج.

الأعمال الإبداعية:

نزيف البحر (شعر)، مطبعة عشتار، بغداد، ١٩٨٦

مزامير الغياب (شعر)، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٩٣

يوميات موجة خارج البحر (نثر)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٥

علي وشك الموسيقي (شعر)، دار نقوش عربية، تونس، ١٩٩٧

ديزى الأمير (١٩٣٥ -)

قاصة عراقية .ولدت فى الإسكندرية، وتقيم حاليا فى بيروت. حصلت علي بكالوريوس فى اللغة العربية وآدابها فى بغداد، وعكفت علي دراسة النحت فى معهد الفنون الجميلة فى بغداد. درّست فى مدرسة ثانوية ثم فى دار المعلمات فى البصرة. عملت فى الملحقية الصحفية فى السفارة العراقية فى بيروت، ومديرة مركز الثقافة العراقية فى بيروت. نشرت رسائل الشاعر اللبنانى خليل حاوى بعنوان رسائل الحب والموت. وهى تعكف الآن علي كتابة مذكراتها. ترجمت مجموعتها علي لائحة الانتظار إلي اللغة الإنجليزية.

الأعمال الإبداعية:

البلد البعيد الذى تحب (قصص)، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٤

ثم تعود الموجة (قصص)، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٩

البيت العربى السعيد (قصص)، دار العودة، بيروت، ١٩٧٥

فى دوامة الحب والكراهية (قصص)، دار النضال، بيروت، ١٩٧٩

وعود للبيع (قصص)،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١

علي لائحة الانتظار (قصص)، بيت سين للكتب، بغداد، ١٩٨٨

جراحة تجميل الزمن (قصص)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦

رابحة أحمد الجميلى (؟ -)

روائية عراقية.

الأعمال الإبداعية:

شىء منه (رواية)، مطبعة دار الحياة، بيروت، ١٩٨٩

رحاب حسين الصائغ (؟ -)

شاعرة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

قصائد لا تحزن (شعر)، د. ن . الموصل، ١٩٩٨

رشيدة العكيلى (؟ -)

شاعرة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

البشارة (شعر)، مطبعة ميسلون. البصرة، ١٩٧٠

فاكهة الزمان الآتى (شعر)، مطبعة وعى العمال، بغداد، ١٩٨٧

ريم قيس كبّة (١٩٦٧ -)

شاعرة عراقية. ولدت فى بغداد. حصلت علي بكالوريوس فى الترجمة من الجامعة المستنصرية فى بغداد عام ١٩٨٩. حازت علي جائزة أندية الفتيات بالشارقة لإبداعات المرأة العربية فى الأدب.

الأعمال الإبداعية:

نوارس تقترف التحليق (شعر)، د. ن. ، بغداد، ١٩٩١

أغمض أجنحتى وأسترق الكتابة (شعر)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٧

احتفاء بالوقت الضائع (شعر)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٩

زهرة أم حسن البكرى (؟ -)

شاعرة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

الروضة الحيدرية الجديدة (شعر شعبى)، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٣

زهور دكسن (١٩٣٣ -)

شاعرة عراقية. ولدت فى مدينة أبو الخصيب فى محافظة البصرة، وفيها أكملت الدراسة الابتدائية والمتوسطة وتخرجت فى دار المعلمات. اعتمدت علي تحصيلها الذاتى فى إثراء ثروتها اللغوية والأدبية. مارست التعليم، ثم أصبحت مديرة مدرسة، كما عملت فى الاتحاد العام لنساء العراق، ورئيسة قسم فى مجلة « المرأة ». وهى عضوة اتحاد الأدباء.

الأعمال الإبداعية:

صدأ الصدي وأسفار الليل (شعر)، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٥

خلف الذاكرة الثلجية (شعر)، دار العودة، بيروت، ١٩٧٥

وللمدن صحوة أخري (شعر)، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٦

فى كل شىء وطن (شعر)، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٧٩

مرت أمطار الشمس (شعر)، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٨

واحتى هالة القمر (شعر)، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٩

ليلة الغابة (شعر)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٤

مرايا الأعاصير (شعر)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٨

زينب قاسم (؟ –)

قاصة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

ساعات إضافية (قصص)، دار الشؤؤن الثقافية، بغداد، ١٩٩٩

ساجدة البصام (؟ –)

قاصة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

الحياة البائسة (قصص)، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٣

ساجدة الموسوى (١٩٥٠ –)

شاعرة عراقية. ولدت فى بغداد. تخرجت فى كلية الآداب عام ١٩٧٥. عملت مديرة تحرير مجلة «المرأة » عام ١٩٨٢، وهى عضوة فى المجلس المركزى للاتحاد العام لنساء العراق، وعضوة فى المجلس المركزى لاتحاد الأدباء والكتاب العراقيين.

الأعمال الإبداعية:

طفلة النخل (شعر)، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩
هوي النخل (شعر)، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٣
الطلع (شعر)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦
عند نبع القمر (شعر)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧
ديوان البابليات (شعر)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩
قمر فوق جسر المعلق (شعر)، آرام للدراسات والنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٣
شهقات (شعر)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٦

سافرة جميل حافظ (١٩٢٦ –)

قاصة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

دمي و أطفال (قصص)، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٦

سالمة صالح (١٩٤٢ –)

قاصة عراقية. ولدت فى الموصل، وعملت فى الصحافة.

الأعمال الإبداعية:

فى ركب الحياة (قصص)، مطبعة الجمهورية، الموصل، ١٩٦١
لأنك إنسان (قصص)، مطبعة التلغراف، بغداد، ١٩٦٣
التحولات (قصص)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٥
زهرة الأنبياء : يقظة الذاكرة (شذرات من سيرة ذاتية)، دار المدي، دمشق، ١٩٩٤

شجرة المغفرة (قصص)، دار المدي، دمشق، ١٩٩٦

سرور أحمد (؟ –)

قاصة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

دخان الغرفة (قصص)، مطبعة الثقافة والشباب، أربيل، ١٩٨٥

سعاد عبدالحر الجنابى (؟ –)

قاصة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

صمت وعنفوان (قصص)، دار الشؤؤن الثقافية، بغداد، ١٩٩٨

سعاد على الزاملى (؟ –)

روائية عراقية.

الأعمال الإبداعية:

خفايا القدر (رواية)، مطبعة الغرى الحديثة، النجف، ١٩٧٠

سلام خياط (١٩٣٤ –)

روائية وشاعرة عراقية. ولدت فى البصرة. تخرجت فى كلية الحقوق بجامعة بغداد عام ١٩٦٥. مارست المحاماة والكتابة فى الصحف العراقية والعربية، تولت مسؤولية سكرتارية تحرير مجلة «المرأة» ثم مجلة «الأجيال» الصادرتين فى بغداد. شاركت فى مؤتمرات عربية ودولية، وتقيم فى لندن . نشرت دراسة بعنوان البغاء عبر العصور وأخري عن فنون الكتابة بعنوان اقرأ الصادرتين عن رياض الريس للكتب والنشر فى لندن .

الأعمال الإبداعية:

ممنوع الدخول، ممنوع الخروج (رواية)، مطبعة مودى برس، لندن، ١٩٨٤

معزوفات (نص إبداعى)، د. ن. ، لندن، ١٩٨٦

سليمة (سلمي) الملائكة [أم نزار] (١٩٠٩ – ١٩٥٣)

شاعرة عراقية. ولدت فى بغداد، وتزوجت فى سن مبكرة من ابن عمها صادق الملائكة وهو شاعر، أيضا. وهى والدة الشاعرة العراقية المعروفة نازك الملائكة. تتلمذت علي أركان أسرتها وتعلمت بالتثقيف الذاتى. كتبت الشعر مبكرا، ونشرته فى الصحف المحلية والعربية. تبنت فى شعرها قضايا الحرية وفلسطين وتحرير المرأة.

الأعمال الإبداعية:

أنشودة المجد (شعر)، مطبعة التضامن، بغداد، ١٩٦٨

سليمة خضير (؟ –)
كاتبة عراقية.
الأعمال الإبداعية:
ثورة الأعماق (قصص ومسرحية)، مطبعة حداد، البصرة، ١٩٦٢
نخيل وقيثارة (رواية)، مكتبة النهضة، بيروت، ١٩٧٣

سميرة الدراجى (؟ –)
قاصة وروائية عراقية.
الأعمال الإبداعية:
رسالة غفران (قصص)، مطبعة الزوراء الحديثة، الموصل، ١٩٦٩
أشواك فى طريق الشباب (رواية)، مطبعة الجمهورية، الموصل، ١٩٧٠

سميرة المانع (١٩٣٥ –)
روائية وقاصة عراقية. ولدت فى البصرة. تخصصت فى الأدب العربى فى جامعة بغداد. أقامت فى لندن منذ ١٩٦٥. تعمل فى الوقت الحاضر نائبة رئيس التحرير لمجلة «الاغتراب الأدبى» التى تصدر فى لندن. وفى عام ١٩٩٠ ساهمت ببرنامج الكتابة العالمية فى جامعة أيوا فى الولايات المتحدة لمدة ثلاثة أشهر واشتركت فى مهرجان المؤلف العالمى فى تورنتو، كندا.
الأعمال الإبداعية:
السابقون واللاحقون (رواية)، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢
الغناء (قصص)، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٦
الثنائية اللندنية (رواية)، مطبعة إيثاكا، لندن، ١٩٧٩
حبل السرّة (رواية)، منشورات الاغتراب الأدبى، لندن، ١٩٩٠
النصف فقط (مسرحية)، بانوراما المحدودة، لندن، ١٩٩٤
القامعون (رواية)، دار المدي، دمشق، ١٩٩٧
الروح وغيرها (قصص)، مؤسسة الانتشار العربى، بيروت، ١٩٩٩

سميرة الوردى (؟ –)
كاتبة مسرحية عراقية.
الأعمال الإبداعية:
ثلاث قصص لعنوان واحد (مسرحية فى ثلاث لوحات)، طبع رونيو، بغداد، ١٩٧٣

سهام الجبورى (؟ –)
شاعرة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

امرأة شرقية من العالم الثالث (شعر)، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٨٦

سهام جبار (١٩٦٣ -)

شاعرة عراقية. ولدت فى بغداد. التحقت بجامعة بغداد، ومنها حصلت علي شهادة الماجستير والدكتوراه فى الأدب العربى. تكتب قصيدة النثر. اهتمت فى بحوثها بأشكال التجنيس الأدبى وتمازج الأنواع الأدبية. فازت بجائزة الشعر لمجلة «أقلام» عام ١٩٩٢، وبجائزة حسب الشيخ جعفر لاتحاد الأدباء والكتاب العراقيين عام ١٩٩٥، عن مجموعتها عن سرب المرآة. عملت فى مجالى التدريس والصحافة، وساهمت فى البحث الأدبى والنقدى.

الأعمال الإبداعية:

عن سرب المرآة (شعر)، د. ن. ، د. ت.

من نسل الماء (شعر)، د. ن. ، د. ت.

أدوار العالم (شعر)، د. ن. ، د. ت.

عربتى الساحرة (شعر)، د. ن. ، د. ت.

إلي الأوغاد الأولاد الماكرين (شعر)، د. ن. ، د. ت.

أوانها (شعر)، د. ن.، د. ت.

الشاعرة (شعر)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٥

أبواب خارجة (؟)، د. ن.، د. ت.

سهيلة الحسينى (١٩٤٢ -)

روائية وقاصة عراقية. ولدت فى الموصل. حصلت علي تعليمها فى ثانوية الفنون المنزلية فى الموصل. درّست فى مدارس ابتدائية ومتوسطة فى بغداد والكويت. وقامت بتحصيل العلم بجهودها الذاتية. نشرت كتابا عن الشيخ محمد الغزالى فى القاهرة بعنوان المرأة فى منهج الإمام الغزالى (١٩٩٨). وهى تقيم فى مصر.

الأعمال الإبداعية:

الدفن بلا ثمن (قصص)، مطبعة راشد، بغداد، ١٩٦٨

أنتم يا من هناك (رواية)، دار الاتحاد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٢

سهيلة داود سلمان (١٩٣٧ -)

روائية وقاصة عراقية. ولدت فى بغداد. حصلت علي شهادة البكالوريوس فى اللغة والأدب العربى من جامعة بغداد عام ١٩٥٧. عملت موظفة فى وزارة الإسكان، ثم نقلت إلي وزارة الثقافة والإعلام، فتولت مديرية مدرسة الموسيقي والباليه ١٩٧٦ - ١٩٨٠، ثم عينت خبيرة لغوية فى دار المأمون للترجمة والنشر. عاشت وتنقلت فى عواصم ومدن مختلفة: عربية، وأوروبية، وإفريقية. بدأت الكتابة ثم النشر فى أوائل الستينات، حيث نشرت قصصها فى مجلات بيروت وصحفها.

الأعمال الإبداعية:
انتفاضة قلب (قصص)، منشورات دار المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٩٦٦
وفجأة أبدأ بالصراخ (قصص)، منشورات دار المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧٦
كان اسمه ضارى (قصص)، منشورات دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٧٨
اللقاء (قصص)، منشورات دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٨
الطريق السريع (٦ قصص ورواية)، منشورات دار الصباح للصحافة والنشر، عمان، ١٩٩٤
القهر (رواية)، منشورات دار الصباح للصحافة والنشر، عمان، ١٩٩٤

شرقية الراوى (١٩٤٢ -)

شاعرة وقاصة عراقية. ولدت فى الموصل بالعراق. كانت عضوا نشطا فى كثير من الجمعيات الخيرية فى العراق. ساهمت فى وضع أول مشروع لمكافحة الأمية فى وطنها. حضرت عدة مؤتمرات، منها مؤتمر أدباء العرب الخامس فى بغداد عام ١٩٦٥، ومؤتمر أدباء العرب السابع عام ١٩٦٩.

الأعمال الإبداعية:
للشعب قضية (شعر)، دار البصرى، بغداد، ١٩٧٠.
عيناك علمتانى (قصص)، دار السياسة، الكويت، ١٩٧٢
أنت درع وسيف (شعر ومقالات)، دار الحمامى للطباعة، القاهرة، ١٩٧٤

صابرة محمود العزى (١٩٢٨ - ١٩٩٥)

شاعرة عراقية. تعلمت القرأة والكتابة علي يد والدتها، ولم تدخل المدرسة. بدأت تكتب الشعر وهى فى مطلع الخمسينيات من عمرها.

الأعمال الإبداعية:
نفحات الإيمان (شعر)، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠.
أريج الروضة (شعر)، د. ن. ، بغداد، ١٩٨٢
نسائم السحر (شعر)، مطبعة الأوقاف، بغداد، ١٩٨٥

صبرية عبد الرازق الحسّو (١٩٣١ -)

شاعرة عراقية. ولدت فى العمارة، ونشأت فى عائلة محافظة. فقدت والديها وهى فى سن الخامسة. بدأت تكتب الشعر عندما بلغت الخامسة عشرة من عمرها. وفى عام ١٩٤٨ شاركت فى انتفاضة الجماهير وفى الوثبة، وألقت بقصائد حماسية، مما أدي إلي انقطاعها عن المدرسة.

الأعمال الإبداعية:
قيد ولحن (شعر)، مطبعة الوفاء، بغداد، ١٩٥٩
القمر فى شوارع بغداد (شعر)، مطبعة اتحاد الأدباء العراقيين، بغداد، ١٩٦١

صدي خلوصى (؟ -)

شاعرة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

أصداء الاغتراب (شعر)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧

صفية الدبونى (١٩٣١ -)

قاصة عراقية. ولدت فى الموصل. درست فى العراق ومصر، وتخرجت فى قسم اللغة العربية فى جامعة القاهرة.

الأعمال الإبداعية:

مسألة شرف (قصص)، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٧

ضوية عبد الباقى (١٩٤٢ -)

كاتبة عراقية. ولدت فى البصرة. تخرجت من مدرسة الفنون المنزلية فى البصرة عام ١٩٦٠. عملت فى التعليم ، ثم تقاعدت عام١٩٨٢.

الأعمال الإبداعية:

نهر الحنان والأحزان (؟)، د. ن. ، ١٩٨٦

عاتكة وهبى الخزرجى (١٩٢٤ - ١٩٩٧)

شاعرة وكاتبة مسرحية. ولدت فى بغداد. حصلت علي ليسانس الأدب العربى من دار المعلمين العالية عام ١٩٤٥. عملت مدرسة، ثم رحلت إلي باريس، ودخلت كلية الآداب فى السوربون سنة ١٩٥٠، حيث حصلت علي درجة الدكتوراه عام ١٩٥٥ عن أعمال الشاعر العباس بن الأحنف. نشرت تحقيقها لديوان العباس بن الأحنف فى القاهرة عام ١٩٥٤. عملت مدرسة فى قسم اللغة العربية فى دار المعلمين العالية. قالت الشعر ونظمته ونشرت جزءا منه وهى فى الرابعة عشرة من عمرها فى الصحف العراقية. لها دراسة نشرتها فى كتاب عن الشاعر إسماعيل صبرى.

الأعمال الإبداعية:

مجنون ليلي (مسرحية شعرية)، مؤسسة فن الطباعة، القاهرة، ١٩٥٤

أنفاس السحر (شعر)، مؤسسة فن الطباعة، القاهرة، ١٩٦٣

لألأ القمر (شعر)، د. ن. ، القاهرة، ١٩٦٥

أفواف الزهر (شعر)، المطبعة العصرية، الكويت، ١٩٧٥

المجموعة الشعرية الكاملة (شعر)، (تشمل ستة دواوين ومسرحية)، د. ن.، ١٩٨٦

عاطفة رومايا (؟ –)

شاعرة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

ساقية الخلود (شعر)، مطبعة عشتار، بغداد، ١٩٨٦

عالية طالب (١٩٥٧ –)

قاصة عراقية. ولدت فى بغداد. درست فى كلية التجارة بجامعة بيروت العربية. تعمل فى مجال الصحافة وهى مسئولة عن القسم الثقافى فى جريدة «الجمهورية» فى بغداد. ومسئولة إعلام بيت الحكمة. فازت مجموعتها بعيدا داخل الحدود بجائزة تقديرية فى العراق.

الأعمال الإبداعية:

الممرات (قصص)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٨

بعيدا داخل الحدود (قصص)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٩

عالية ممدوح (١٩٤٤ –)

روائية وقاصة عراقية. ولدت فى بغداد. حصلت علي ليسانس علم النفس، وهى تقيم حاليا فى باريس. نشرت فى الصحف والمجلات الآتية: «مواقف»، «الكرمل»، «الموقف الأدبى»، «الحياة»، «السفير»، «القدس العربى». تُرجمت روايتها حبات النفتالين إلي الإنجليزية والفرنسية والهولندية والألمانية والإيطالية. نشرت فى الرباط عن دار عكاظ مصاحبات – قراءة فى الهامش الإبداعى.

الأعمال الإبداعية:

افتتاحية للضحك (قصص)، دار العودة، بيروت، ١٩٧٣

هوامش إلي السيدة «ب» (قصص)، دار الآداب، بيروت، ١٩٧٧

ليلي والذئب (رواية)، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٠.

حبات النفتالين (رواية)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦

الولع (رواية)، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٥

عزيزة سلّوم (١٩٦٧ –)

شاعرة عراقية. ولدت فى ناحية الخالدية، محافظة الأنبار. أكملت دراستها الابتدائية والمتوسطة، ثم التحقت بدار المعلمات وتخرجت فيها، وعينت معلمة.

الأعمال الإبداعية:

عذرا أنى استبحت الحقيقة (شعر)، د. ن.، بغداد، ١٩٨٤

عواطف نعيم (١٩٥٠ –)

ممثلة وكاتبة ومخرجة وناقدة مسرحية عراقية. خريجة كلية الفنون الجميلة

(دبلوم فنى تمثيل) وحاصلة علي درجة البكالوريوس فى الإخراج. كتبت العديد من الأعمال المسرحية والتلفزيونية والإذاعية، وساهمت فى إخراج العديد منها فى الوطن العربى وفى أوروبا. نالت جائزة التمثيل الأولي فى مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى فى دورته الثانية. كُرِّمت فى مهرجان قرطاج الدولى، ونالت جائزة عالمية فى مهرجان البحر المتوسط.

الأعمال الإبداعية:

انظر وجه الماء (مسرحية)، فى مجلة «الحياة الثقافية»، تونس، ١٩٩٣
يسألونك (مسرحية)، فى مجلة «المسرح»، القاهرة، ١٩٩٣
المهرج (ضمن أربع مسرحيات عراقية)، دار عشتار، القاهرة، ١٩٩٨

غادة الصحراء (؟ –)

شاعرة وروائية عراقية.

الأعمال الإبداعية:

شميم الفرار (شعر)، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٦٤
هل من معبد آخر (رواية)، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥
أشرعة الليل المنسية (شعر)، حائك وكمال، بيروت، ١٩٦٩

غادة سليم (؟ –)

قاصة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

الهاوية (قصص)، مطبعة عشتار، بغداد، ١٩٨٧

فائدة آل ياسين (١٩٥٧ –)

شاعرة عراقية. ولدت فى بغداد، ونشأت فى أسرة علمية وأدبية معروفة فى مدينة الكاظمية. أكملت دراستها فى كلية الآداب فى جامعة بغداد، قسم التاريخ، وتخرجت فيها عام ١٩٧٨. عملت فى مجال الصحافة.

الأعمال الإبداعية:

دائرة اللهو والآلام (شعر)، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٧٩
تداعيات امرأة (شعر)، د. ن.، بغداد، ١٩٨٦

فاطمة الوصيبعى الإحسائية (؟ –)

شاعرة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

كنز الآخرة فى مراثى العشرة الطاهرة (شعر)، مكتبة دار المعارف، النجف، ١٩٧٥

فخرية عبد الكريم [زينب] (؟ - ١٩٩٨)

عملت ممثلة، وكانت تعيش حتي وفاتها فى السويد.

الأعمال الإبداعية:

قول للصوجر (مسرحية قدمت فى تلفزيون بغداد)

فريال حسن العبيدى (؟ -)

شاعرة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

شىء آخر للحب (شعر)، مطبعة حداد، البصرة، ١٩٧٥

فطينة النائب [صدوف العامرية/ العبيدية] (١٩١٧ - ١٩٩٣)

شاعرة عراقية. ولدت فى بغداد. تخرجت فى دار المعلمات الابتدائية سنة ١٩٣٧، ثم واصلت دراستها فى كلية الملكة عالية فى بغداد، قسم اللغة الإنجليزية. عملت فى التعليم وفى التدريس الثانوى والإشراف التربوى. كانت تجيد الإنجليزية والفرنسية. وأذيع الكثير من شعرها فى الإذاعات العربية، ولها قصائد كثيرة منشورة فى الصحف المحلية. وهى أخت القاصة ماهرة النقشبندى.

الأعمال الإبداعية:

لهيب الروح (شعر)، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٥

رنين القيود (شعر)، د. ن. ، بغداد، ١٩٦٢

رسيس الحب (شعر)، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٧

فليحة حسن (؟ -)

قاصة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

لأننى فتاة (شعر)، د. ن.، بغداد، ١٩٩١

فوزية فرج الحسون البلداوى (؟ -)

شاعرة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

ديوان مجري المدامع (شعر شعبى)، مطبعة الغرى الحديثة، النجف، ١٩٧٤

كلشان البياتى (؟ -)

قاصة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

الحصان الطائر (قصص)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩١

كليزار أنور (؟ -)

قاصة وروائية عراقية. تعمل موظفة فى مديرية تربية نينوي.

الأعمال الإبداعية:

بئر البنفسج (قصص)، دار الشؤن الثقافية، بغداد، ١٩٩٩

لطفية الدليمى (١٩٤٣ -)

كاتبة عراقية. ولدت فى بغداد. حصلت علي بكالوريوس آداب اللغة العربية عام ١٩٦٦، وحضرت دورات فى كلية جولد سميث فى جامعة لندن لتعلم آداب اللغة الإنجليزية. عملت في التدريس ثم سكرتيرة تحرير مجلة «الثقافة الأجنبية»، وعملت، أيضا، رئيسة لمنتدي المرأة الثقافى فى بغداد، ثم تفرغت للكتابة منذ عام ١٩٨٤. كان لها، فى عام ١٩٩٣، زاوية أسبوعية أدبية فكرية فى «القادسية الثقافية»، وفى عام ١٩٩٤ كان لها نصوص ومتابعات وكتابات فى صحيفة «القدس العربى». صدرت لها عدة ترجمات: بلاد الثلوج (رواية) لليابانى ياسونارى كاواباتا، ١٩٨٥، ضوء نهار مشرق (رواية) للكاتبة الهندية أنيتا ديساى، ١٩٨٩. نشرت دراسة عن المرأة المبدعة فى حضارات العراق القديم فى كتيب بعنوان شريكات المصير الأبدى، ١٩٩٩. ترجمت بعض قصصها إلي لغات أوروبية وآسيوية. وقد حازت مجموعتها موسيقي صوفية علي جائزة أفضل كتاب قصصى لعام ١٩٩٤ فى العراق، ومسرحيتها الليالى السومرية علي جائزة أفضل نص مسرحى مستلهم من التراث العراقى. نشرت مجموعة من المقالات الفكرية فى كتاب بعنوان المغلق والمفتوح عام ١٩٩٧. وخصصت مجلة «ضفاف» عددها الخامس (تشرين الأول ٢٠٠٠) للأديبة بعنوان «لطفية الدليمى فى مرايا الإبداع والنقد».

الأعمال الإبداعية:

ممر إلي أحزان الرجال (قصص)، مطابع دار الجاحظ، بغداد، ١٩٦٩

البشارة (قصص)، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٥

التمثال (قصة)، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٧

إذا كنت تحب (قصص)، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.

عالم النساء الوحيدات (رواية وقصص)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦

من يرث الفردوس (رواية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧

بذور النار (رواية)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨

موسيقي صوفية (قصص)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٤الليالى السومرية (مسرحية)، د. ن. ، ١٩٩٥

ما لم يقله الرواة (قصص)، دار أزمنة، عمان، ١٩٩٩

قمر أور (مسرحية)، د. ن. ، د. ت.

الكرة الحمراء (مسرحية)، د. ن. ، د. ت.

الشبيه الأخير (مسرحية)، د. ن. ، د. ت.

لطيفة عبد الحسين (؟ –)

روائية عراقية.

الأعمال الإبداعية:

مات النهار (رواية)، د. ن.، ١٩٦٦

لميعة عباس عمارة (١٩٢٩ –)

شاعرة عراقية. ولدت فى بغداد. تخرجت فى دار المعلمين العالية عام ١٩٥٠، ثم عينت مدرسة فى دار المعلمات الابتدائية. كتبت الشعر فى الخامسة عشرة من عمرها، وزاملت الشاعر السياب فترة فى أثناء الدراسة. كان لها علاقات ثقافية كثيرة مع رجال الفكر والشعراء العرب، وكانت لها مطارحات ورسائل متبادلة مع الشاعر المهجرى إيليا أبى ماضى. وكانت عضوة فى الهيئة الإدارية لاتحاد الأدباء عام ١٩٦٠. لحّن المغنى العراقى كاظم الساهر بعض أشعارها.

الأعمال الإبداعية:

عودة الربيع (شعر)، مطبعة اتحاد الأدباء العراقيين، بغداد، ١٩٦٢

أغانى عشتار (شعر)، المطبعة التجارية، بيروت، ١٩٦٩

يسمونه الحب (شعر)، دار العودة، بيروت، ١٩٧١

عراقية (شعر)، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢

لو أنبأنى العرّاف (شعر)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠

البعد الأخير (شعر)، د. ن.، بيروت، ١٩٨٨

بالعامية (شعر)، نشر خاص، ١٩٩٩

لهيب عبد الخالق السامرائى (١٩٥٦ –)

شاعرة عراقية. ولدت فى بغداد. حصلت علي شهادة دبلوم مكاتب سياحية من كلية الإدارة والاقتصاد فى الجامعة المستنصرية عام ١٩٨٠. عملت فى مؤسسات إعلامية ومحررة فى جريدة «الجمهورية». حضرت مؤتمرات المربد الشعرية ومهرجان جرش ١٩٨٩ والمجلس الوطنى الفلسطينى فى الجزائر ١٩٩١.

الأعمال الإبداعية:

انكسارات لطفولة غصن (شعر)، مطبعة عشتار، بغداد، ١٩٨٧

وطن وخبز وجسد (شعر)، د. ن.، ١٩٩٣

ليلي الحسينى (؟ –)

شاعرة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

رسالة الآس (شعر)، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧١

ليلي عبد القادر (؟ -)

روائية عراقية.

الأعمال الإبداعية:

نادية (رواية)، مطبعة المتنبى، بغداد، ١٩٥٧

مائدة الربيعى (؟ -)

روائية وقاصة عراقية. حصلت علي الدكتوراه فى اللغة والأدب الإنجليزى، ودرّست فى كلية التربية ببغداد فى الثمانينيات.

الأعمال الإبداعية:

جنة الحب (قصة)، مطبعة الغرى الحديثة، النجف، ١٩٦٨

الحب والغفران (رواية)، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٧١

مائدة عبد الحسين الكعبى (١٩٤٢ -)

قاصة عراقية كتبت للأطفال.

الأعمال الإبداعية:

الأسيرة البريئة (قصة)، د. ن. ، د. ت.

مسرة حميد (؟ -)

شاعرة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

كل يجدف، كل يلقى بحجر (شعر)، دار الكرمل، عمان، ١٩٩٤

معصومة رضا الحداد (؟ -)

شاعرة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

تحفة الباكين فى رثاء ومدح الأئمة الميامين (شعر شعبى)، مكتبة دار المعارف، النجف، ١٩٧٣

مقبولة الحلى [عفراء] (١٩٢٩ - ١٩٧٩)

شاعرة عراقية. ولدت فى بغداد من عائلة وجيهة من الحلة. تخرجت فى كلية الملكة عالية فى بغداد، فرع الآداب، عام ١٩٥٣. عينت مدرسة للغة العربية فى محافظة ديالي، وبعد أن أمضت ثلاث سنوات، عادت إلي التدريس فى مدرسة ثانوية فى بغداد حتي وفاتها. كتبت قصائد فى الوصف والتأمل، بالإضافة إلي قصائد عاطفية وقصائد قومية عن فلسطين وثورة الجزائر.

الأعمال الإبداعية:
الحب الكبير (شعر)، د. ن.، بغداد، د. ت.

مليحة إسحق (١٩٢٥ –)

قاصة عراقية. ولدت في بغداد.
الأعمال الإبداعية:
عقلي دليلي (قصص)، مطبعة منيمنة، بيروت، ١٩٤٨
ليالي ملاح (قصص)، شركة فن الطباعة، القاهرة، ١٩٥٠
رائعة (قصص)، د. ن.، القاهرة، ١٩٥٢

مي مظفّر (١٩٤٠ –)

شاعرة وقاصة عراقية. ولدت في بغداد. حصلت علي ليسانس أدب إنجليزي من جامعة بغداد. ترجمت العديد من الكتب الإنجليزية، منها كتب في الشعر والرسم والفن، كما ساهمت بمقالاتها وبحوثها (بالعربية والإنجليزية) في التعريف بالفنون التشكيلية والشعر. نشرت سيرة المفكر ناصر الدين الأسد في كتاب سفر في المدي. عملت باحثة غير متفرغة في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (آل البيت) في عمّان. تقيم الآن في البحرين مع زوجها الفنان التشكيلي رافع الناصري.
الأعمال الإبداعية:
خطوات في ليل الغجر (قصص)، مطبعة الإيمان، بغداد، ١٩٧٠
البجع (قصص)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٧٩
طائر النار (شعر)، د. ن.، مطبعة تويني، بغداد، ١٩٨٥
غزالة في الريح (شعر)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨
نصوص في حجر كريم (قصص)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣
ليليات (شعر)، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٤

ميادة نزار (؟ –)

قاصة عراقية.
الأعمال الإبداعية:
حكايات حب عراقية (قصص)، مطبعة سلمي، بغداد، ١٩٨٦

ميسلون هادي (١٩٥٤ –)

روائية وقاصة. ولدت في بغداد. حصلت علي بكالوريوس الإحصاء من كلية الإدارة والاقتصاد عام ١٩٧٥، وعلي دبلوم اللغة الإنجليزية من المدرسة العالمية للغات (إكستر، المملكة المتحدة) عام ١٩٨٠. عملت سكرتيرة تحرير الموسوعة الصغيرة، وسكرتيرة تحرير مجلة «الطليعة الأدبية»، وعملت، أيضا، رئيسة

للقسم الثقافى فى مجلة «ألف باء». تقيم الآن فى الأردن. صدرت لها ترجمة كتاب أساطير الهنود الحمر، بغداد، ١٩٨٣. تُرجمت بعض قصصها إلي الإسبانية والإنجليزية والصينية. كتبت مجموعات عديدة من قصص وروايات الأطفال منها أعمال تنتمى إلي الخيال العلمى. وقد فازت روايتها العالم ناقصا واحد بأفضل كتاب فى استفتاء جريدة «العراق».

الأعمال الإبداعية:

الشخص الثالث (قصص)، مطبعة الاقتصاد، بغداد، ١٩٨٥
الفراشة (قصص)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦
أشياء لم تحدث (قصص)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢
رجل خلف الباب (قصص)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٣
الطائر السحرى والنقاط الثلاث (قصص)، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٥
العالم ناقصا واحد (رواية)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٦
لا تنظر إلي الساعة (قصص)، دار الشؤؤن الثقافية، بغداد، ١٩٩٩

ميعاد القصاب (؟ –)

شاعرة عراقية.

الأعمال الإبداعية:

هواء العالم (شعر)، د. ن.، النجف، ١٩٦٨

ناجية أحمد حمدى (١٩٢٠ –)

روائية وقاصة عراقية. ولدت فى بغداد. عملت مدرسة، وكتبت كتابا عن التربية البدنية للفتيات عام ١٩٤٩.

الأعمال الإبداعية:

من الجانى؟ (رواية)، د. ن.، ١٩٥٤
أربع نساء (رواية)، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٥
أبو حميد (قصص)، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، ١٩٧٧

نازك الملائكة (١٩٢٣ –)

شاعرة وناقدة عراقية. ولدت فى بغداد فى أسرة يجمعها الأدب والشعر، فوالدها شاعر ووالدتها شاعرة، وشقيقها نزار الملائكة هو الآخر شاعر. تخرجت فى دار المعلمين العالية سنة ١٩٤٤ بدرجة بكالوريوس فى اللغة العربية. ولرغبتها فى تعلم الموسيقي، انتمت إلي معهد الفنون الجميلة، وتخرجت فى قسم الموسيقي (العزف علي العود) سنة ١٩٤٩. درست اللغة اللاتينية والفرنسية والإنجليزية، وأكملت دراستها العلمية، فى أمريكا، وحصلت علي شهادة الماجستير فى الأدب المقارن من جامعة وسكونسن سنة ١٩٥٦. عملت فى التعليم فى جامعات بغداد والبصرة والكويت. تقيم الآن فى القاهرة. وهى من رواد الشعر الحديث (الحر) فى الوطن العربى. لها العديد من الدراسات فى مجال الشعر العربى والاجتماع

منها: محاضرات فى شعر على محمود طه، معهدالدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٥، والأدب والغزو الفكرى (دراسة ونصوص)، د. ن، بغداد، ١٩٦٥، والتجزيئية فى المجتمع العربى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤، وسايكولوجية الشعر ومقالات أخري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٣، والصومعة والشرفة الحمراء (نقد)، د. ن، القاهرة، ١٩٦٥. وقد أعيد طبع كتابها الرائد قضايا الشعر المعاصر (دراسة) دار الآداب، بيروت، ١٩٦٢، عدة مرات، كما أعيد طبع ديوانها يغير ألوانه البحر فى القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٨، و يحتوى علي ملحق بقلم نازك الملائكة بعنوان "لمحات من مسيرة حياتى و ثقافتى".

الأعمال الإبداعية:

عاشقة الليل (شعر)، مطبعة الرمان، بغداد، ١٩٤٧
شظايا ورماد (شعر)، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٩
قرارة الموجة (شعر)، دار الآداب، بيروت، ١٩٥٧
شجرة القمر (شعر)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨
مأساة الحياة وأغنية للإنسان (شعر)، دار العودة، بيروت، ١٩٧٠ديوان نازك الملائكة (فى مجلدين)، دار العودة، بيروت، ١٩٧١
يغير ألوانه البحر (شعر)، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧
للصلاة والثورة (شعر)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨
الشمس التى وراء القمة (قصص)، المجلس الأعلي للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧

ناصرة السعدون (١٩٤٦ –   )

روائية عراقية. ولدت فى مدينة الحى فى محافظة واسط. حصلت علي بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية من جامعة بغداد سنة ١٩٦٦. عملت مديرة للدائرة الاقتصادية فى الاتحاد العربى للصناعات الغذائية، وهى رئيسة منتدي المرأة الثقافى وعضوة اتحاد الأدباء.

الأعمال الإبداعية:

لو دامت الأفياء (رواية)، مطبعة بابل، بغداد، ١٩٨٦
ذاكرة المدارات (رواية)، بيت سين للكتب، بغداد، ١٩٨٩

نسرين محمد الصابونجى (١٩٣٧ –   )

شاعرة عراقية. ولدت فى مدينة السليمانية. حصلت علي الدكتوراه فى الدراسات اللغوية (اللغة الكردية) من جامعة كيروف فى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٦٥. عملت أستاذة فى كلية التربية فى جامعة بغداد، وحضرت مؤتمر دراسات الشرق الأدني فى أمريكا، ١٩٧٨. بدأت النشر منذ عام ١٩٥٧ بنشر قصيدة «اللحن الأخير». نشرت كتابا فى الدراسات اللغوية بعنوان الألعاب الشعبية.

الأعمال الإبداعية:

أنا فى جرحك النزف (شعر)، د. ن.، ١٩٨٦

الفصل السادس

فلسطين و الأردن

(أ)

الدراسة

(ب)

المنتخبات

(ج)

البيبليوغرافيا

رضوي عاشور

عن الكتابة فى فلسطين والأردن

رضوي عاشور

يصعب عموما، فصل الكتابة عن الجغرافيا والتاريخ. وفى حالة الكتابة فى فلسطين والأردن يصبح هذا الفصل مستحيلا. ففلسطين والأردن، وهذه حقيقة تاريخية/جغرافية، يحسن عدم إغفالها، هما جزء من بلاد الشام، وفصل الدولتين إداريا جاء ضمن مشاريع التجزئة الاستعمارية فى مطلع القرن العشرين. أما بلاد الشام الممتدة من طوروس شمالا إلي رفح جنوبا، ومن ساحل المتوسط شرقا إلي الفرات غربا، فكانت ومنذ الفتح الإسلامى وحتي نهاية الحرب العالمية الأولي- أى لأكثر من ألف ومئتى عام لم يقطعها سوي فترة الحكم الصليبى- جزءا من دولة واحدة هى الخلافة العربية الإسلامية ثم الدولة العثمانية.

بموجب اتفاقية سايكس بيكو الموقّعة من قبل بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية فى مارس ١٩١٦ تم الاتفاق علي اقتسام العراق وبلاد الشام بين فرنسا وبريطانيا. حدّدوا بالألوان علي الخريطة نصيب كل منهما: لفرنسا «المنطقة الزرقاء» (سورية الساحلية: لبنان الحالى وجزء من شمال سورية وجنوب تركيا) و«المنطقة أ» بيضاء علي الخريطة، مطوقة بحزام أزرق (سورية الحالية وجزء من شمال شرق العراق)، ولبريطانيا «المنطقة السمراء» (فلسطين)، والمنطقة الحمراء (الجزء الأكبر من العراق)، و«المنطقة ب»، المطوقة بحزام أحمر، تمتد من العقبة شرقا إلي كركوك فى الشمال الغربى، وإلي غرب البصرة جنوبا مرورا بعَمَّان. (١)

موضوعنا كتابة المرأة فى فلسطين والأردن، أى فى «المنطقة السمراء» والجزء الشرقى من «المنطقة ب» داخل الطوق الأحمر، حددتهما الأقلام الملونة فى يد موظف ما فى الخارجية البريطانية عام ١٩١٦، وفى العام نفسه قدمت اللجنة السياسية المنبثقة عن المنظمة الصهيونية مذكرة إلي مارك سايكس تشتمل علي بنود ثلاثة أولها: «الاعتراف رسميا بالشعب اليهودى فى فلسطين- ونقصد هنا بالشعب اليهودى، اليهود الموجودين حاليا فى فلسطين واليهود الذين سيهاجرون إليها مستقبلا- كنواة للوطن القومى اليهودى ...» ثانيها: «أن تمنح الحكومة البريطانية لجميع اليهود فى مختلف أنحاء العالم

حق الهجرة إلي فلسطين، وأن تسهِّل لليهود فى فلسطين وسائل الاستقرار وشراء الأرض»، وثالثها: «أن تبارك الحكومة البريطانية تكوين جمعية يهودية هدفها استعمار فلسطين وأن تكون هذه الجمعية تحت رعاية الحكومة».(٢) فى العام التالى أجابت الحكومة البريطانية فى رسالة موجهة من وزير خارجيتها آرثر بلفور إلي لورد روتشيلد تقول: «إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلي تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين...»، إلي آخر نص الرسالة التى عرفت باسم وعد بلفور. ثم سان ريمو ١٩٢٠: خرائط معدّلة واتفاقية جديدة تمنح فرنسا حق الانتداب علي سورية ولبنان، وتمنح بريطانيا حق الانتداب علي العراق والأردن وفلسطين. ستبقي حكومة الانتداب وقواتها العسكرية فى فلسطين حتي يوم ١٤ مايو ١٩٤٨: يوم إعلان دولة إسرائيل لترحل فى اليوم التالى. تنشب الحرب، يُهزم العرب، ويقيم الصهاينة دولتهم علي أربعة أخماس فلسطين: الشريط الساحلى والنقب، وتقسّم القدس: شرقية للعرب وغربية لليهود. وفى رودس عام ١٩٤٩ يتم الاتفاق علي خطوط الهدنة، تصبح الأراضى الفلسطينية الواقعة غرب نهر الأردن (الضفة الغربية) جزءا من المملكة الأردنية الهاشمية (فى مؤتمر أريحا فى العام نفسه يتقرر عقد الوحدة بين الضفتين تحت التاج الهاشمى فى المملكة الأردنية الهاشمية). وفى رودس، أيضا، يتم الاتفاق علي أن يصبح قطاع غزة- من رفح حتي بيت حنون- تحت الإدارة المصرية.

لن نخوض فى هذا المقال فى النتائج الناشئة عن إعادة ترسيم الخرائط ونشأة دول جديدة فى المنطقة، ولكننا نتوقف لنشير عبر ملحوظات سريعة إلي أوضاع كان لها انعكاساتها علي المشهد الثقافى:

(١) عرفت المدن الفلسطينية منذ مطلع القرن العشرين الحياة المدنية فكانت القدس وحيفا ونابلس وغيرها مراكز نشيطة نسبيا بها مطابع وصحف ومدارس وجمعيات، أما الأردن فكانت بالدرجة الأولي ممرا لقوافل التجارة بين الحجاز والساحل السورى، قليلة الموارد وغالبية سكانها من البدو. وكانت عمان التى قرر الأمير عبد الله (لاحقا الملك عبد الله) أن تكون عاصمة إمارته الجديدة قرية خلّف فيها العثمانيون بعض المبانى الإدارية. ويفسر هذا الاختلاف السبق النسبى للكتابة الفلسطينية إجمالا وظهور الأقلام النسائية تحديدا.

(٢) كان عدد سكان شرق الأردن قبل توحيد الضفتين ٤٠٠ ألف نسمة. وبعد ثلاث سنوات (فى عام ١٩٥٢/١٩٥٣) ارتفع عدد السكان ليصبح مليونا و٣٨٥ ألفا و٤٥٦ نسمة، نتيجة ضم الضفة الغربية إلي المملكة وانتقال آلاف الأسر المهجّرة من القري والمدن الفلسطينية المحتلة إلي الضفتين الشرقية والغربية للنهر. وفى عام ١٩٤٨ كانت عمان مدينة صغيرة يسكنها ٦٠ ألف نسمة . وفى عام ١٩٦٨، وبعد موجتين من الاحتلال والتهجير وصل عدد سكانها إلي نصف المليون.

(٣) ترتَّب علي احتلال الجزء الأكبر من فلسطين عام ١٩٤٨ تشتت جغرافي للفلسطينيين طال الكتاب والكاتبات وانعكس غالبا علي تسميتهم: أ- «كتاب الأرض المحتلة» وهو الاسم الدارج في الستينيات للكتاب الذين بقوا في أرضهم بعد إعلان دولة إسرائيل فصاروا من مواطني الدولة يحملون جواز سفرها، ب - كتاب وكاتبات يقيمون في الأردن بما في ذلك الضفة الغربية وغالبا ما يشار إليهم بوصفهم كتابا أردنيين، ويشار إليهم أحيانا ككتاب فلسطينيين خاصة بعد احتلال الضفة عام ١٩٦٧ ، ج-كتاب وكاتبات يقيمون في غزة أو في مختلف البلاد العربية أو الأجنبية ويحتفظ لهؤلاء باسمهم ككتاب فلسطينيين.

(٤) أما في الأردن فنجد، فضلا عن كتاب وكاتبات شرق الأردن والأردنيين من أصول فلسطينية، كتابا وكاتبات من أصول سورية (نتيجة ليسر الحركة تاريخيا بين بلاد الشام)، وآخرين من أصول شركسية جاء أسلافهم إلي المنطقة في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين واستقروا فيها. ولأن هذه التقسيمات كافة مستجدة سنجد كاتبة (أو كاتبا) من أصل سوري ولدت في حيفا واستقرت في الأردن، أو أخري من أصول أردنية ولدت في فلسطين وتعلمت في مدارسها، أو فلسطينية ولدت في الأردن وتحمل جواز سفر أردني...إلخ .

المرأة في فلسطين، المرأة في الأردن:

I

تشكل وعي المرأة الفلسطينية بذاتها في خضم المواجهة الجماعية للواقع الاستعماري. كان الغضب شاملا، وكذلك أشكال التعبير عنه. تقول عنبرة سلام الخالدي- وقد شاركت الرعيل الأول من النساء الفلسطينيات في العمل العام- إن المرأة الفلسطينية: «قامت بالمظاهرات منذ بدأت في فلسطين مظاهرات، وفي الاحتجاجات ، تقدم إلي المراجع ذات الشأن، منذ عمد العرب إلي سلوك هذا السبيل».(٣)

في عام ١٩٢٠ عمّت المظاهرات فلسطين مطالبة بإلغاء وعد بلفور. شاركت النساء في هذه المظاهرات. وساهمت كل من زليخة الشهابي وميليا السكاكيني في تنظيم احتجاج النساء. في عام ١٩٢٤ تأسست في رام الله جمعية النهضة النسائية، وتم في إطارها تشكيل فريق من الممرضات وجمع التبرعات لشراء الأسلحة للمناضلين ومساعدة الأسر المتضررة. وفي عام ١٩٢٨، تأسست في القدس جمعية السيدات العربيات وشرعت في تأسيس فروع لها في مختلف المدن الفلسطينية. ونص دستور الجمعية «علي حق سيداتها في المشاركة في العمل السياسي». ولم يكن تأسيس الجمعيات النسائية بالأمر المستجد في فلسطين إذ شهدت عكا تأسيس جمعية نسائية عام ١٩٠٣، وفي عام ١٩١٠ تأسست جمعية نسائية أخري في مدينة يافا (٤)،

وكان فى نابلس جمعية نسائية منذ عام ١٩٢١. (٥)

وعقب هبّة البراق،(٦) تشكلت لجنة نسائية دعت إلي مؤتمر نسائى فى ١٩٢٩/١٠/٢٦ وعقد المؤتمر بحضور ٣٠٠ امرأة من مختلف مدن وقري فلسطين. وانتهي المؤتمر بمجموعة من القرارات منها رفض الهجرة اليهودية ووعد بلفور، وتأييد إقامة حكومة وطنية، وتنشيط التجارة والصناعة الوطنية، وتعزيز الرباط الاقتصادى مع سورية وباقى البلاد العربية، وضرورة القيام بنهضة نسائية. وانتخب المؤتمر لجنة تمثل المرأة الفلسطينية عرفت باسم اللجنة التنفيذية للسيدات العربيات:

> وبعد انتهاء المؤتمر خرجت السيدات، علي الرغم من معارضة سلطة الانتداب، فى مظاهرة احتجاج طافت شوارع القدس فى ثمانين سيارة مرت بدور قناصل الدول الأجنبية. ولما وصلت إلي دار المندوب السامى البريطانى لورد شانسلور حملت إليه خمس سيدات مذكرة بمطالب المؤتمر...(٧)

وتقول عنبرة سلام الخالدى التى شاركت فى المظاهرة:

> أذكر أن السيدات اللواتى قابلن المندوب امتنعن عن شرب القهوة التى قدمت إليهن، تمشيا مع العادة العربية القديمة التى لا تقبل الضيافة فى ظروف مماثلة، إلا إذا نالت وعدا صادقا بقبول ما جاءت بشأنه. وبعد هذا الاجتماع عهد إلي اللجنة المنتخبة أن تتماشي بجهودها مع اللجنة التنفيذية التى سبق وتألفت من الرجال، واعترفت بها الحكومة، فأصبحت تسمي باللجنة التنفيذية للسيدات العربيات. وبدأت أعمالها فلم تقصّر بإظهار وجودها فى أى سبيل، مثل تقديم الاحتجاجات، والمطالبة بالحقوق، والقيام بالتظاهرات ... إلخ وكن قد اتخذن قرارا، مع القسم العظيم، فى هذا الاجتماع بمقاطعة المتاجر اليهودية مقاطعة تامة.(٨)

واصلت الحركة النسائية الفلسطينية نشاطها السياسى والاجتماعى وكللت جهودها بعقد أول مؤتمر نسائى عربى فى القاهرة لبحث القضية الفلسطينية برئاسة هدي شعراوى عام ١٩٣٨.

وتقول فدوي طوقان فى سيرتها الذاتية مشيرة إلي أواخر العشرينيات والثلاثينيات:

> أصبح الاتحاد النسائى الفلسطينى يقوم بتنظيم النضال السياسى للمرأة الفلسطينية فى معظم المدن الفلسطينية وأحيانا فى قراها. ولئن كان اشتراك المرأة فى المدينة مقتصرا علي المظاهرات وبرقيات الاحتجاج وعقد المؤتمرات من خلال الهيئات النسائية، تلك الهيئات التى أفرزتها البورجوازية الوطنية آنذاك، فإن المرأة القروية كانت تملك

حرية الحركة بشكل أفضل وأكثر فعالية بفضل سفورها، فكانت تقوم بنقل السلاح والطعام إلي الثوار القابعين فى الجبال.[٩]

أتيحت فرصة التعليم للمرأة الفلسطينية منذ نهاية القرن التاسع عشر. وعشية اندلاع الحرب العالمية الأولي بلغ عدد المدارس الابتدائية فى متصرفيات القدس، ونابلس، وعكا حوالى ٩٢ مدرسة تضم ٧٧٥٨ طالبا منهم ١٤٨٠ طالبة،[١٠] فضلا عن ٥٠٠ مدرسة طائفية وتبشيرية (منها المدارس البريطانية والفرنسية والألمانية والروسية والأمريكية) تتيح التعليم حتي إنهاء المرحلة الثانوية. وفى فترة ما قبل الحربين فكان فى قري فلسطين ٤٠٠ مدرسة (العام منها والتابع للإرساليات)، منها ٤٦ مدرسة مخصصة للبنات يدرس فيها ٣٣٩٢ تلميذة فى مقابل ٣٨٧٦٠ تلميذا مسجلين فى مدارس الأولاد (أى كانت نسبة البنات إلي الذكور أقل من ١٠بالمئة). وفى المدن كانت النسبة بنتا بين كل ٣ أولاد (أى أكثر من ٣٠بالمئة) إذ بلغ عدد الطالبات ١١٩١١ طالبة مقابل ١٧٥٩٩ طالبا.[١١]

II

لم يكن للأردن كيانا مستقلا قبل ١٩٢٠، وحتي العام الدراسى ١٩٢٢ – ١٩٢٣ لم يكن فيه سوي معلمتين وست مدارس ابتدائية يدرس فيها ٣١٨ تلميذة فى مقابل ٢١٨٢ تلميذا . وفى العام ١٩٤٥–١٩٤٦، ارتفع هذا العدد إلي ١٩٥٦ طالبة مقابل ٧٩١٨ طالبا، وحتي عام ١٩٦١ كانت نسبة الأمية بين الإناث تصل إلي ٨٤,٨ بالمئة [١٢] وانعكس ذلك بطبيعة الحال علي مشاركة المرأة فى العمل العام وفرصتها فى الإنتاج الثقافى. تأسست عام ١٩٤٤ جمعية التضامن النسائى الاجتماعية الهادفة «إلي رفع مستوي الفقراء»، وكانت الأولي من نوعها فى شرق الأردن. أعقبها بعد عام تأسيس جمعية الاتحاد النسائى الأردنى الهادفة إلي رفع مستوي تعليم المرأة. وفى عام ١٩٤٩ اندمجت الجمعيتان تحت اسم الجمعية النسائية الهاشمية الأردنية إلا أنها حُلّت فى العام نفسه. وفى عام ١٩٥٤ تأسس اتحاد المرأة العربية ورأسته إميلى بشارات وهى أول محامية فى الأردن، وكان من بين أهدافه «مكافحة الأمية، ورفع مستوي المرأة أدبيا واجتماعيا واقتصاديا، وإعدادها إعدادا صحيا لتمارس حقوقها الكاملة كمواطنة» وأيضا «تنمية أواصر الصداقة والتفاهم بين النساء العربيات ونساء العالم من أجل المساهمة لتحسين أوضاع الوطن فى شتي الميادين الحيوية».[١٣]

الكتابة فى البدايات:

I

ظهرت الأقلام النسائية فى فلسطين منذ بداية القرن أما فى الأردن فلم تظهر تلك الأقلام إلا بعد ما يقرب من أربعة عقود. ولا تقتصر أسباب هذا

التفاوت علي ما أتيح للمرأة الفلسطينية من سبق نسبى فى مجال التعليم ووجود مجتمعات مدنية متطورة إلي حد ما فى عدد من المدن الفلسطينية، بل تمتد إلي ما فرضته الهجرة اليهودية من تحديات وأملته من مواجهات كانت المرأة طرفا فاعلا فيها.

كتبت المرأة الفلسطينية منذ مطلع القرن العشرين المقالات والخواطر والرسائل والأحاديث المذاعة والخطب فى كافة المواضيع. اشتركت ساذج نصار مع زوجها نجيب نصار فى إعداد جريدة «الكرمل» التى أسسها فى حيفا عام ١٩٠٨ ونشرت فيها مقالاتها لاحقا. نشرت سلمي النصر مقالا حول تعليم الفتيات فى «النفائس العصرية» عام ١٩٠٩، وروز حسون مقالا فى المجلة ذاتها العام التالى حول المرأة الهندية. وفى الثلاثينيات والأربعينيات نُشرت مقالات لمارى صرّوف شحادة (مواليد يافا عام ١٩٠١) وأسمي طوبى (مواليد الناصرة ١٩٠٥) وساذج نصار وقدسية خورشد وعنبرة سلام الخالدى وفدوي طوقان وشهرة توفيق المصرى ونجوي قعوار فرح ونمرة طنّوس التى وقعت باسمها وبأسماء مستعارة.(١٤)

ويقول كمال فحماوى فى دراسته عن أدب المرأة الفلسطينية الحديث:

> فى أواخر الثلاثينيات شهدت الساحة الأدبية الفلسطينية ما يمكن تسميته (بالأدب الإذاعى). وعلي الرغم من أن الإذاعة فى ذلك الوقت كانت أداة بيد سلطات الانتداب البريطانى وخاضعة لإشرافها المباشر، إلا أنها أثرت علي الحياة الثقافية تأثيرا ملموسا، وساعدت علي إيجاد لون جديد من المقالة هو: المقالة الإذاعية أو المقال الإذاعى. والحقيقة أن هذا النوع الجديد من المقالة، لم يخرج فى أطره العامة من أنواع المقالات الأدبية المعروفة إلا أن طريقة تقديمه... جعل الكتاب ينحون منحي إصلاحيا تهذيبيا ويتأنقون فى اختيار ألفاظهم، ومن خلال هذا الميدان شارك عدد من الكاتبات الفلسطينيات....(١٥)

تناولت هذه المقالات المنشورة فى الصحف وعبر الإذاعة مختلف القضايا السياسية والاجتماعية، لنأخذ مثلا، هذه المناظرة المنشورة علي صفحات جريدة «الدفاع» عام ١٩٤٣ بين الشاعر أبى سلمي أحد كبار شعراء فلسطين والكاتبة التى اختارت لنفسها اسم «فتاة غسان» (ولا ندرى إن كانت «فتاة غسان» اسما مستعارا لامرأة فلسطينية أم أنها فاطمة سليمان الأحمد، ابنة سليمان الأحمد عضو مجمع اللغة العربية فى دمشق وأخت الشاعر بدوى الجبل، وهى شاعرة اختارت الاسم نفسه: «فتاة غسان» لنشر كتاباتها، وقد هاجمت فى شعرها تقسيم سورية إلي دويلات فى ظل الانتداب الفرنسى ودعت إلي الوحدة).

كتب أبو سلمي تحت عنوان «أشواك وأزهار»:

> المرأة موضوع شائك- علي نعومته- وأكبر أعدائها من

يصارحها، ولا تعترف بالحقيقة ولا تريد أن يراها الإنسان إلا من وراء طلاء، ولا تري العالم إلا من خلف طلاء. عيناها لا تتطلعان إلا علي صفحات ثيابها وجمالها ، وعلي من يتصفحها فقط، بهرجة خداعة وبهرج كاذب، «وجوه وسيمة وعقول صغيرة » ....

ويواصل أبو سلمي:

تريد أن تتساوي مع الرجل، أهلا وسهلا، ولكنها لا ترضي بأن تسرى عليها الأحكام التى تسرى علي الرجل... لا أريد أن أقول إن المرأة مخلوق تافه، فهى أغزر وأعذب ينبوع للشعر والخيال. ويكفى أن تكون عروس الأحلام، يسير فى موكبها الهوي، والشعر والنور، ولكنها لا تكتفى. اعطها المرآة والحلوي فقط كما يقول اللورد (بايرون) وإلا فإنها تدس أنفها فى كل شىء بلا فكر ولا روية، رأس نعامة تتجاوب فيه الأوهام، وآخر ما حُرِّر نغمة حق المرأة فى الانتخاب وأين؟ فى بلادنا التى تطالب بحقها فى الحياة أولا فإذا قلت لها : إن الرجل يطالب بحقه. تقول: رجعى قليل الذوق ولا يقدِّر المرأة.

تبدأ «فتاة غسان » ردها علي أبى سلمي بلهجة هادئة لا تخلو من ود واحترام لقيمة الشاعر، ثم تناظره، تلتقط التناقض بين تحقير الشاعر للمرأة فى مقاله وتغنّيه بها فى قصائده، تقول: «لقد اكتشفت المرأة عدوها فى شاعر رقيق مبدع يستلهم وحيه إن لم يكن من المرأة فمن بنفسجة لها وداعتها أو زنبقة اختلست بعض جمالها، أو وردة سرقت من عطرها وفتنتها سحرها»!

يجمع رد فتاة غسان بين المنطق المحكم والانفعال الغاضب فتسوق حججها واحدة وراء الأخري بأسلوب سريع الإيقاع تتعاقب فيه صيغ الاستفهام، وبدايات الجمل المتطابقة البنية، وتكرار المفردات وتصاعد نبرة الانفعال. تستنكر رأى أبى سلمي وتفنّده:

ولا أذكر أن نظرية من نظريات البيولوجيا أو فقرة ما من الكتب السماوية تذكر أن حواء من ضلع زائد، أظن أن الأديب استعمل كلمة زائد ليحقر المرأة ولا أخاله ينجح فى مسعاه، إن ألف كلمة من ألف شاعر لن تضير مركز المرأة، فهى محترمة بحكم وظيفتها الحيوية ، وستظل كذلك حتي لو قلتم إنها من ضلع زائد.

وبعد دفاع عن القدرات العقلية للمرأة واستشهاد بالنماذج النسائية المشرقة تنهى فتاة غسان مناظرتها بالرد علي عبارة بايرون التى استشهد بها أبو سلمي: «اعطها المرآة والحلوي» مستخدمة مفردات حرب فعلية متدرجة من الآلة إلي القانون فالسلاح.

قل اعطها مبضعا، اعطها آلة ميكانيكية، اعطها قانون العقوبات، اعطها سلاحا تدافع به عن نفسها فالخطر من جهتك يا سيدى عظيم. وهناك شيء آخر ، أكثرت من ذكر الطلاء ووصفت المرأة بالغرور والأنانية والخداع، هذه صفات تلائم بعض النساء كما تلائم بعض الرجال، ولكن إن كثرت هذه الصفات فى النساء فالرجل هو السبب، نعم الرجل، لأنه يحاول فى كل مناسبة أن يشعر المرأة بأنها ضعيفة لا تحسن التفكير السليم ولا تعرف كيف تشق لها طريقا فى الحياة، وأحيانا يأمرها بالوقوف حيث يضعها، أو بالسير وراءه، أليس كذلك يا حضرة الشاعر؟ والمرأة حين تري هذا تحاول أن تبرهن عليه فتسعي بكل وسيلة ممكنة إلي انتزاع المديح وإثارة الإعجاب ولا يهمها أسميت ذلك خداعا أو غرورا أو أنانية، أو نبلا أو تواضعا أو تضحية.(١٦)

ولو جاء هذا الهجوم علي المرأة علي لسان شخص ما مجهول الهوية، أو كاتب غير ذى قيمة لما أثار ما أثاره، ولكنه جاء- وهنا المفارقة- من شاعر ارتبط اسمه بالثورة والتمرد علي العبودية وتناقل الناس أبيات قصيدته الأشهر التى منعتها معظم السلطات الحاكمة آنذاك لهجومها علي الملوك والرؤساء العرب، وهى القصيدة التى يقول الشاعر فى مطلعها:

أنشر علي لهب القصيدِ
شكوي العبيد إلي العبيدِ
شكوي يرددها الزمان
غدا إلي الأبد الأبيدِ

ولا يفوت الكاتبة التقاط المفارقة فى هذا الفصل الغريب بين حرية الوطن وحرية نصف مواطنى هذا الوطن نفسه.

حتي عام ١٩٤٨ عبرت المرأة الفلسطينية عن نفسها من خلال المقال المنشور والمذاع، وكتبت أسمي طوبى وهدية عبد الهادى ونجوي قعوار فرح وغيرهن فضلا عن المقال القصة القصيرة و«القصة التمثيلية». وكانت فدوي طوقان بدأت تنشر بعض قصائدها منذ نهاية الثلاثينيات فكان عموديا يتطلع إلي قيم التراث الفنية ويسعي إلي تقليده.

أما فى مجال القصة القصيرة فى فترة ما قبل النكبة فلم تحقق المرأة الفلسطينية سوي إنجاز متواضع إذ «طغي... (علي القصص) الوصف الخارجى الذى يتقدم الحدث كأنه مدخل إليه غير أنه ليس له به علاقة وثيقة. كما يتصل بالمقدمات الوصفية الإنشائية لون آخر من المقدمات يعني بتقديم الحكم والنصائح.... كانت (القصص) أشبه بمقال وصفى يعرض للعواطف الذاتية».(١٧)

ويُجمّل أسامة شهاب سمات القصة القصيرة فى مراحلها الأولي فى النقاط التالية:

(١) احتفاء الكاتبة باللغة وبالصنعة البيانية.

(٢) الميل إلي الوعظ.

(٣) تدخّل الكاتبة.

(٤) اعتبار القصة القصيرة تلخيصا لرواية.

(٥) تقديم شخصيات جاهزة لا تنمو عبر تفاعلها مع الحدث وهى غالبا إما خيِّرة أو شريرة.

(٦) المنحي الرومانسى.(١٨)

II

فى ديسمبر عام ١٩٤٠ نشر تيسير ظبيان صاحب جريدة «الجزيرة» الأردنية سلسلة من الرسائل فى جريدته بعنوان: «أين حماة الفضيلة؟» وقد قدم لها قائلا إنها وصلته من صاحبتها تلتمس نشرها قائلة: «أفسح صدر صحيفتك لهذه الصرخة المدوية والقصة المضنية». تحكى أبجد فى رسائلها عن الظروف الاجتماعية الضاغطة التى واجهتها- ضغط الفقر واضطرارها للخروج للعمل، وضغط الأم لتزوجها بثرى سيئ الخلق، وضغط الواقع الاجتماعى المحيط. وفى ختام الحلقات تقدم الصحيفة إضافتها السعيدة للمتن بإعلان التالى: «يسر دار الجزيرة أن تعلن بأن صاحبة هذه المذكرات قد أفلحت بالاقتران بالزوج الصالح الذى تنشده، وبذلك هجرت حياتها المريرة، وأخذت تعيش عيشة هادئة مطمئنة».(١٩) وللنص توجه اجتماعى واضح، ترد فيه بعض تفاصيل الواقع السياسى فى حلقات الجريدة، يسقطها تيسير ظبيان لاحقا فى الكتاب المنشور عام ١٩٥٨.(٢٠)

هل كانت الكتابة علي لسان امرأة ونسبة المكتوب إليها حيلة صحفية تضمن للنص رواجا أم أن تيسير ظبيان اعتمد علي رسائل فعلية وصلته من قارئة فنشر البعض منها وأضاف البعض الآخر وأعمل قلمه فى الحالتين صياغة وحذفا وإضافة؟ لم يكن النص المنسوب إلي امرأة عام ١٩٤٠ موجها للنساء فعدد القارئات فى أردن ذلك الزمان كان ضئيلا للغاية. وهو نص له كل مواصفات الكتابة «البليغة» فى زمانه من صيغ خطابية، وتعبير إنشائى موشّي بالحكم والمواعظ، ومقابلة الطيب بالشرير، وانتصار الحق فى نهاية المطاف.

وفى عام ١٩٤٥ أسس أيمن أبو الشعر مجلة «الرائد» وخصص فيها بابا بعنوان «نسائيات» «كان معلما واضحا فى مسيرة الأدب النسائى فى الأردن».(٢١) وصدر من المجلة ٣٢ عددا حتي أوقفت فى يوليو ١٩٤٧. وكانت بعض المقالات تنشر بأسماء الكاتبة والبعض الآخر بأسماء مستعارة أو بالحروف الأولي من الاسم.

الشعر:

تحكى فدوي طوقان فى سيرتها الذاتية أن أخاها ومعلمها إبراهيم حذّرها من قراءة الشعر الحديث باستثناء قصائد يختارها لها لشوقى وحافظ وإسماعيل صبرى ومطران. «لقد كان للتراث قداسة فى وجدان إبراهيم. فقد كان ابنا لجيل فتح عيونه علي حركة إحياء كبيرة للتراث وذلك بنشر وابتعاث قيمه الفنية، كقوة السبك ونصاعة العبارة ورونق الديباجة».
وتواصل فدوي طوقان: «التصقت بهذا التراث الشعرى سنين عديدة ظل خلالها هو النموذج الذى أحتذيه فى محاولاتى الشعرية علي امتداد الفترة ما بين ١٩٣٣ و١٩٤٠، وظل اهتمامى ينصب علي ما يسمي بالديباجة والتعابير الفخمة».(٢٢)

تذكر فدوي طوقان أنها كانت توقّع قصائدها الغزلية باسم دنانير وتنشرها فى مجلة «الأمالى» البيروتية و«الرسالة» المصرية. وتضيف أن التزامها بالقالب الجاهز للشعر القديم كان يكبّلها ويحول بينها وبين التعبير عن دفق مشاعرها إلي أن قرأت مقالات الدكتور محمد مندور عن أدب المهجر التى نشرها فى الأربعينيات فى مجلة «الثقافة» المصرية.

> وجدت أن شعر أولئك الشعراء أقرب إلي تكوينى النفسى وتركيبى الذهنى. كما صادف تلك الفترة اكتشافى لشعراء مدرسة «أبوللو» كإبراهيم ناجى والشابى وعلى محمود طه والتيجانى. ومن هنا بدأت أدير ظهرى للديباجة العباسية وأصبح مطمحى الأكبر هو كتابة شعر يستمد جماله من البساطة والليونة والصدق والصياغة الشعرية الخالية من التكلُّف. (٢٣)

بعدها بقليل «اكتشفت» فدوي طوقان إمكانية جديدة لكتابة القصيدة حين قرأت لنازك الملائكة ولغيرها من الشعراء الذين شقوا طريق التجديد فى القصيدة العربية. «اقتنعت بقصيدة التفعيلة. تخليت عن البيت المستطيل ذى الشكل التقليدى والإيقاع الرتيب ورحت أمارس كتابة القصيدة الجديدة».
وتؤكد فدوي أن اقتناعها بالتجديد لم يعن التخلى عن الوزن والقافية، «فالشعر يبقي فنا مستقلا عن النثر، ولا أجمل من القرارات الموسيقية وهى تتجاوب ضمن الأسطر المتباينة فى أطوالها، ولا أجمل من القوافى وهى تتراوح فى قصيدة التفعيلة بين الظهور والاختفاء».(٢٤)

اتسمت قصائد فدوي طوقان بالغنائية سواء كان الموضوع وطنيا أو عاطفيا. وبدا تأثير الشعر الرومانسى بمفرداته وصوره (الحنين، الشوق، العزلة، الحضور الطاغى للطبيعة والرغبة فى التوحد بها، تمجيد الخيال...إلخ) غالبا فى شعرها المبكر.

فى ديوانها الأول وحدى مع الأيام (١٩٥٢) تلتزم فدوي طوقان غالبا بوحدة

البيت والبيت ذى الشطرين والتوشيح، أما فى التالى من الأعمال فتلتزم بأسلوب الشعر الحر القائم علي وحدة التفعيلة. (٢٥)

أما سلمي الخضرا الجيوسى (١٩٢٦؟-) فقد نشرت قصائدها فى الخمسينيات ثم ضمنتها مجموعتها العودة من النبع الحالم (١٩٦٠) وهى مجموعتها الشعرية الوحيدة (٢٦)، لم تنشر بعدها إلا قصائد متفرقة فى المجلات، وقد توزعت طاقتها بين العمل الأكاديمى والنقد والترجمة. كتبت سلمي الخضرا الجيوسى قصيدة التفعيلة وتجاوزت الغنائية المباشرة وقد بدا واضحا استفادتها من موروثين شعريين، الموروث العربى والأوروبى. تميزت نصوصها بالتنوع، وبقدرٍ من التركيب والترميز، وراحت تستلهم التاريخ والموروث الثقافى، تضمّن تعبيرات عامية وأغنيات شعبية فى قصائد لها بنية عضوية وعناصر درامية وصور موحية، وتجرأت علي التجريب الموسيقى فانتقلت من بحر إلي بحر فى القصيدة الواحدة، وكلها عناصر مستجدة فى الشعر العربى الحديث فى تلك الحقبة. قدمت سلمي الخضرا الجيوسى فى هذه المجموعة الأولي والوحيدة نصوصا شعرية ضمنت لها موقع الريادة بين شعراء قصيدة التفعيلة (رجالا ونساء)، ومكانة سبق وتفوق إذ ما قورنت بنصوص بنات جيلها من الشاعرات العربيات.

وكانت ثريا ملحس (١٩٢٥-) سبّاقة بين الشاعرات الفلسطينيات إلي التحرر من أوزان الشعر العربى. كتبت الشعر المنثور بدءا من ديوانها الأول، النشيد التائه، المنشور عام ١٩٤٩. وشعرها غنائى غالبا، كثيرا ما يميل إلي التعبير عن تجربة صوفية، بمفردات وصور غير مألوفة.

احتلت فدوي طوقان المكانة الأبرز فى شعر المرأة فى فلسطين والأردن علي مدي النصف الثانى من القرن العشرين. وفى وجودها ظهرت ثلاثة أجيال من الشاعرات - من بنات جيلها وجيلين لاحقين- توزعن جغرافيا بين فلسطين المحتلة فى ٤٨ والضفة الغربية وغزة والأردن ولبنان والمنافى البعيدة، كما توزع شعرهن بين كتابة القصيدة العمودية، وقصيدة التفعيلة، والشعر المنثور وقصيدة النثر. واحتل الموضوع الوطنى المساحة الأكبر من القصائد، وهو شعر غنائى غالبا ينحو إلي البساطة حينا والتركيب حينا. من جيل فدوي طوقان برزت سلمي الخضرا الجيوسى وثريا ملحس. وبرز من شواعر الجيل التالى سلافة الحجاوى ومى صايغ وسلوي سعيد وليلي علوش ورجوة عساف، وجميعهن فلسطينيات ركزن علي الموضوع الفلسطينى والاقتلاع والمقاومة، وكتبن الشعر الحديث أى قصيدة التفعيلة. ونلحظ تشابها غالبا فى موضوع الكتابة، وأحيانا فى أساليب التناول برغم التفاوت فى مستوي النصوص. كتبت ليلي السايح شعرا غنائيا منثورا، وكتبت كل من سهام داود ونداء خورى قصيدة النثر (وثلاثتهن فلسطينيات|: الأولي من مواليد ١٩٣٦ عاشت فى الكويت، والثانية من مواليد ١٩٥٢، والثالثة من مواليد ١٩٥٩، وكلتاهما من فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨)، وكذلك كتبت قصيدة النثر مني سعودى وأمينة العدوان وزليخة أبو

ريشة (وثلاثتهن من الأردن). يتسم شعر مني سعودى بحس تشكيلى وهى نحاتة ورسامة، يميز نصوصها حضور للمرئى يتشكل عبر مفردات حسية تسهم مجتمعة فى تكوين تجربة روحية ذات أبعاد نفسية وسياسية. أما أمينة العدوان فتكتب نصوصا سياسية فى المقام الأول، مباشرة غالبا. وتنشغل زليخة أبو ريشة بالتعبير عن موقف نسوى، تركز غالبا علي المرأة وعلاقتها بالآخر وتجربة التمرد . وهنا، أيضا، نلحظ فروقا واضحة بين الشعر المنثور ذى الطابع الغنائى (شعر ليلي السائح، مثلا) وقصيدة النثر الأكثر حداثة فى رؤيتها وتشكيلها (مثلا، شعر مني سعودى).

ثم هناك جيل ثالث دفع بباكيره للنشر فى أواخر التسعينيات منه غادة الشافعى (من مواليد قضاء عكا ١٩٧٧) التى تكتب قصيدة النثر وتنحو فى قصائدها منحي «حداثيا» يتجاوز القصيدة الغنائية المباشرة إلي تشكيل شعرى أكثر تركيبا.

الرواية:

من هى مريم مشعل؟ لن نجد إجابة عن السؤال فى أى كتاب يتناول الأدب الفلسطينى. لا نعرف عنها سوي أنها كتبت هذه الرواية اليتيمة فتاة النكبة (١٩٥٧) وهى طالبة مدرسة فى الخمسينيات. لم تعُد للكتابة ثانية. جهلنا بجميع تفاصيل حياة الكاتبة يجعل من نصها صوت التجربة الجماعية، سجلته فتاة مجهولة لا يميزها عن غيرها ممن عاشوا التجربة شىء سوي أنها حكت. ليست كاتبة محترفة ولا تتوفر فى نصها الشروط المتعارف عليها للأدب، وكيف لفتاة فى المدرسة بكتابة «النكبة»؟ ولكنها كتبت، سجلت ما عاشته.

تحكى، وتتحمس وتسقط فى الخطابية حينا والمباشرة حينا. تبدأ بإهداء نصها إلي جميلة بوحريد، جان دارك العرب- هكذا تقول، فتربط بين ثلاثة نماذج للبطولة. النموذج الأوروبى الأبرز للبطولة النسائية فى مواجهة غزو خارجى، والنموذج العربي الأبرز فى زمانها: البطلة الجزائرية، وفتاة النكبة . تكتب مريم مشعل وفاءً لتاريخ عاشته- طفلةً -علي الأرجح. تسمى بطلة روايتها وفاء. تتبّعها فى واقع فلسطين المعارك والتهجير، والحب بين من يمثلون المستقبل: وفاء وضياء. ويبقي النص، برغم سذاجة الرؤية والصياغة، نتاجا أصيلا لواقعه يجمع بين وعى التاريخ ووعى قيود الواقع السائد علي الفتاة وتطلعها إلي علاقة حب تجمع بين حلم التحرر، علي المستويين الخاص والعام، فالحبيبان يجتمعان علي حبهما وعلي ذاكرتهما المشتركة وحلمهما بالعمل من أجل العودة.

لا نعرف عن مريم مشعل شيئا ولكننا نعرف أن هدي حنا التى كتبت رواية فتاة الملاجيء فى السنوات الخمس التالية علي النكبة، والتى ولدت فى قرية الرامة عام ١٩٢٢، هُجِّرت من فلسطين وهى فى السادسة والعشرين من

عمرها، ثم كتبت روايتها الوحيدة: فتاة الملاجيء - لم تحترف الأدب لا قبل ذلك ولا بعده، ولكنها أرادت، كمريم مشعل، أن تحكى حكايتها، تذيعها فى الناس. اختارت شكل الرسائل وحمّلتها تجربتها، تقصها علي صديقة لها تصادف وجودها خارج فلسطين فى تلك الفترة. تبدأ هدي حنا بالفردوس قبل فقده، تحكى الذكريات الجميلة فى المدن البعيدة الآن: صفد، عكا، حيفا، اللِّد وغيرها. ثم تحكى عن المعارك الشرسة ودخول القوات العربية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ثم تجربة التهجير وأخيرا مخيمات اللجوء التى تعمل فيها وتصفها.

هنا، أيضا، نحن أمام نص يتعثر فى التعبير المباشر والخطابية ويسقط فى شراك الموضوع التاريخى الكبير ويد الكاتبة غير المدربة وهى تمسك بجمراته المشتعلة ما تزال.

ونلاحظ أن هاجس التأريخ والتسجيل و«نبش الذاكرة» قواسم مشتركة بين هذه النصوص علي هشاشتها الفنية وتواضع قيمتها والنصوص الروائية ذات القيمة الفنية سواء تلك التى أنتجتها كاتبات أو كتاب. إذ انشغلت الرواية الفلسطينية منذ نصها الأول (خليل بيدس: الوارث ١٩٢٠) إلي نماذجها المهمة التى قدمها غسان كنفانى وإميل حبيبى وجبرا إبراهيم جبرا فى الستينيات والسبعينيات، انشغلت بالمسيرة الجماعية ورصد ملامح هذه المسيرة والتأريخ لها كل بأسلوبه وطريقته.

أما أول الروايات التى قدمتها امرأة من شرق الأردن فهى نصوص جوليا صوالحة. والملفت أن هذه السيدة التى ولدت فى مأدبا عام ١٩٠٥، قد بدأت فى النشر بعد أن تجاوزت السبعين، فنشرت روايتها الأولي وهى فى الواحدة والسبعين وروايتها الأخيرة وهى فى الثمانين. وهنا، أيضا، كما فى بواكير الرواية الفلسطينية نلمس اتجاها واضحا لتتبع ملامح الواقع التاريخى وتسجيل تفاصيله، فرواية سلوى (١٩٧٦) وهى، بقدر علمى، الرواية الأولي للكاتبة تتبع الحياة فى الريف الأردنى قبل تأسيس إمارة شرق الأردن، فى ظل الحكم العثمانى والحرب العالمية الأولي. أما فى الرواية الثانية النشمى (١٩٧٨) فتواصل جوليا صوالحة تصوير المراحل التالية وتنتهى باستشهاد بطل الرواية عام ١٩٤٨ فى حرب فلسطين. وفى روايتها الرابعة اليتيمة (١٩٨٥) تعود الكاتبة إلي تناول القرية الأردنية فى العشرينيات. فى روايات جوليا صوالحة وعى ملحّ بما تتعرض له المرأة من قهر مزدوج فى ظل الفقر والتقاليد الجائرة. ولنصوصها قيمة تاريخية مزدوجة الدلالة فهى ترصد واقع الريف الأردنى فى العقود الأولي من القرن العشرين كما تقدم نصوصا روائية، علي تعثرها الفنى، هى السابقة بين الإنتاج الروائى للمرأة الكاتبة فى شرق الأردن. أما من الناحية الفنية فنلحظ ارتباك البنية وبساطة التناول والأسلوب الإنشائى وميل الكاتبة لاستخدام السجع والاستشهاد بالشعر وقد «ختمت روايتها هل ترجعين بقصيدة استغرقت خمس صفحات ونصف دون أى مبرر فنى». (٢٧)

II

شهدت السبعينيات ظهور جيل من الروائيات الفلسطينيات سوف يتابعن نشر نصوصهن ويرسخن تدريجيا مكانتهن فى المشهد الثقافى الفلسطينى والعربى. إن سحر خليفة وليانة بدر وسلوي البنا ثم ليلي الأطرش بعدهن ببضع سنوات قدمن مجتمعات مجموعة من النصوص تتوفر فيها غالبا شروط الكتابة الفنية، وتقدم أساسا وأرضية انطلاق للأجيال التالية من كاتبات الرواية فى فلسطين. إن التشتت الجغرافى سوف يمنح هذه النصوص زوايا متعددة للرؤية ويخلق بينها تكاملا من نوع ما. تكتب سحر خليفة من موقعها فى نابلس فى الضفة الغربية فتتبّع واقع المجتمع الفلسطينى تحت الاحتلال كما تكتب عن الانتفاضة وما استجد بعدها علي المجتمع فى التسعينيات. وتتابع سلوي البنا من موقعها فى عمان ثم فى بيروت واقع المقاومة الفلسطينية وكذلك تفعل ليانة بدر. أما ليلي الأطرش فتمكنها تجربتها فى الضفة الغربية التى ولدت وتعلمت فيها، ثم حياتها فى الخليج حيث عملت وأقامت، أن تصور التجربتين بنفس نقدى مميز.

تحتل سحر خليفة بنصوصها الروائية الستة (٢٨) وتمكنها من أدواتها مكان الصدارة بين الروائيات الفلسطينيات. فى ثنائيتها الصبّار (١٩٧٦) وعبّاد الشمس (١٩٨٠) تقدم الكاتبة تجربة الاحتلال عبر كتابة واقعية سلسة تمزج بين رصد المشاهد الخارجية وتتبع تيار وعى شخصيات متعددة تتفاعل عبر الأحداث والمشاهد والحوار، وهو حوار غالبا ما يتسم بالحيوية وسرعة الإيقاع. تدور الصبّار حول اضطرار أعداد متزايدة من أهالى الضفة الغربية بعد احتلالها عام ١٩٦٧ للعمل فى المصانع الإسرائيلية، وارتباك الفدائى القادم من «الخارج» فى التعامل مع هذا الأمر المستجد، وانتقاله المكلِّف من براءة رؤيته الرومانسية المحلقة للوطن إلي معرفة الواقع الأرضى القاسى لهذا الوطن وأبنائه فى ظل الاحتلال.

وفى عبّاد الشمس تواصل الكاتبة تتبع مصائر بعض شخصيات الصبّار ومصائر شخصيات أخري فى محاولة للإحاطة بشكل أعمق بالعناصر المتشابكة المكونة لواقع الاحتلال: القمع الإسرائيلى، حلم الخلاص الفردى واستحالته، ضغوط تقاليد بالية ترفض أن تموت فتزيد إلي أعباء واقع الاحتلال والقيود المكبلة لفعل مواجهته.لا يتصدر الهمّ النسوى فى الصبّار وإن كان يتخذ بدءا من عبّاد الشمس حيزا متزايدا فى الروايات حتي يصبح مركز الحدث فى مذكرات امرأة غير واقعية (١٩٨٦)، وكانت سحر خليفة عبرت عن هذا الشاغل فى روايتها الأولي لم نعد جوارى لكم (١٩٧٤). وتطرح سحر خليفة فى معظم رواياتها قضية المرأة من منظور نسوى فتضع بعض الأفكار الدارجة للحركة النسوية فى الستينيات والسبعينيات علي لسان بعض شخصياتها النسائية وتجسد هذه الأفكار فى مسار الحدث ومصائر

الشخصيات.

وفى باب الساحة (١٩٩٠) تتناول سحر خليفة المواجهة بين الفلسطينيين وجنود الاحتلال فى سنوات الانتفاضة، ومواجهة القهر المفروض علي المرأة أيضا. فى حيّز باب الساحة يتمحور الحدث وتجتمع الشخصيات علي اختلافها وتتقاطع الخطوط الدالة علي واقع مدينة فلسطينية محتلة ومكبلة بأفكارها البالية. يتطور الحدث باتجاه مزدوج: يكسر الأهالى الحصار بهدم البوابة التى سدها الإسرائيليون، وتكسر المرأة «المحاصرة» القيد المفروض عليها بإنجاز عمل بطولى، ويتم الأمران معا فى ظل الجنازة الاحتفالية للشهيد.

وفى روايتها الأخيرة الميراث (١٩٩٧) ندخل الضفة الغربية فى التسعينيات لنتأمل واقعها بعينى فتاة فلسطينية عاشت صباها فى أمريكا وعادت إلي بلادها للتعرف عليها، و الحصول علي نصيبها من ميراث والدها. إنه واقع التسعينيات ما بعد الانتفاضة حيث الانكسار والتحلل والشراسة فى اقتسام الكعكة والتهام النصيب الأكبر منها.

تعتمد سحر خليفة علي حبكة أساسية فى نصوصها تنتهى غالبا بمشهد ختامى صاخب له صفة المشهد المسرحى، تلتقى فيه الخيوط الرئيسية للحدث وأهم الشخصيات المساهمة فيه. وتبرز إمكانية الكاتبة فى رسم المشاهد الجماعية والشخصيات، خاصة الشخصيات النسائية (سعدية وخضرة فى الصبّار وعبّاد الشمس والست زكية الداية ونزهة فى باب الساحة). وتوظف سحر خليفة فى عالمها الروائى مجموعة من الصور تحولها إلي مجازات دالة، منها الأرض والحارة والبيت، فهناك دائما البيت القائم أو المحلوم به، القديم أو الحديث، المغلق أو المفتوح، المهدد بالنسف أو المتنازع عليه بين الطامعين من الورثة. فى أكثر نصوصها توفيقا يصبح للمجاز حضور مادى يحيط بتعقيد الواقع وتركيبه، يترجمه إلي صورة محددة محملة بالمتعدد من الدلالات الموحية، زمان-مكان، حاضر وتاريخ، تكثيف واقع اجتماعى تتشابك عناصره وتشتبك. لنأخذ مثلا باب الساحة فى الرواية التى تحمل هذا العنوان، إنه حيِّز المواجهة وبؤرتها، مكان القهر ومقاومته، والعدسة العاكسة لمتناقضات الواقع وما فيه من عناصر سلبية وإيجابية. وفى الحالات الأقل توفيقا يتحول المجاز إلي تمثيل مباشر يبسط الواقع فى صورة تقابله، وهو ما يحدث فى الميراث حيث تترجم الكاتبة الواقع إلي رموز بسيطة داخل حبكة مكتظة بالتفاصيل. وإن كان لهذه الرواية السبق فى تناول مظاهر التفسخ التى أعقبت انتهاء الانتفاضة.

فى روايات ليانة بدر[٢٩] تتراجع الحبكة كعنصر أساس من عناصر تنظيم مادتها الروائية. هنا تتداخل الأزمنة عبر التداعى أو تعاقب الفصول، فالذاكرة تلعب الدور الأبرز فى التجربة وهى موزعة متشظّية فى الأماكن والأزمنة. تتناول الكاتبة فى روايتها الأولي بوصلة من أجل عبّاد الشمس

(١٩٧٨) اصطدام النظام الأردنى بالمقاومة الفلسطينية فى أيلول ١٩٧٠ وانتهاءه بهزيمة الفدائيين وطرد المقاومة من الأردن. يتنقل بنا الحدث الروائى بين مدن الضفة وعمان وبيروت ينقل لنا ملامح التجربة الفلسطينية فى أواخر الستينيات ومطلع السبعينيات: احتلال الضفة، المقاومة، أحداث أيلول، خروج المقاومة والانتقال إلي بيروت. وفى أحدث روايتها نجوم أريحا (١٩٩٣) وهى رواية سيرة ذاتية، تعود الراوية من موقعها المغترب بعد رحيل جديد إلي ما حفظته الذاكرة من عالم الطفولة، تعيده استحضارا ووصفا وتضفره بالحاضر المعاش. نجوم أريحا رواية من عشرة فصول جعلت الكاتبة لكل منها، باستثناء الفصل الأول اسم حجر: «حجر النحاس»، «حجر لازورد»، «حجر فيروز»، «ذهب أبيض»...إلخ. أحجار أو معادن مكونة للطبقات الجيولوجية للتجربة، تتفاعل فى الأرض وتتحول، تتخلق منها الذاكرة الفردية والجماعية.

وفى رواية عين المرآة (١٩٩١) تقدم ليانة بدر حصار مخيم تل الزعتر وهو ما قدمته سابقا فى مجموعتها القصصية شرفة علي الفاكهانى (١٩٨٣). وهنا، أيضا، تستبدل بالحبكة الروائية الواقعة التاريخية: وضع المخيم، حياة أهله، الحصار، المقاومة، الموت، الهزيمة.

وتوظف ليانة بدر «الشهادة»- فلأهل المخيم شهاداتهم ومناماتهم- كما تستخدم الأغانى والأمثال الشعبية.

يشكل تداخل الأزمنة سمة مميزة لكل روايات ليانة بدر. لا تفى الحبكة بتسلسلها الزمنى والمنطقى بمقتضيات تجربة قائمة علي تشظى الأمكنة وتشعب الذاكرة. وليست أحداث أيلول ولا مخيم تل الزعتر ولا الرحيل الأخير فى الروايات الثلاث إلا بؤرة تجتمع علي سطحها عناصر حكاية، فكل منها «كرونوتوب» زمان-مكان محمل بالدلالات التاريخية والشخصية.

وتقدم ليلي الأطرش(٣٠) فى تشرق غربا ما يسمي «برواية النشأة والتكوين» فترسم طفولة البطلة فى بلدة بالضفة الغربية، وتتابع نموها من الطفولة إلي الصبا وصولا إلي النضج علي خلفية الوقائع التاريخية التى مرت بها فلسطين الخمسينيات، والستينيات، احتلال الضفة والمقاومة. وفى روايتها اللاحقة امرأة الفصول الخمسة تقدم نصا نقديا يمزج بين الهم النسوى والهم الفلسطينى حيث يتشارك أثرياء النفط مع الوسطاء الفلسطينيين وأجنحة فاسدة فى المنظمات الفلسطينية. أما فى الرواية الثالثة يختصر الحدث إلي لقاء بين أختين، القادمة من الضفة والقادمة من الخليج، الأولي ست بيت والثانية امرأة عاملة.

تكتب ليلي الأطرش الرواية الواقعية بنفس نقدى، وتمزج بين والوعى النسوى والشاغل الوطنى، وتتّبع فى جميع نصوصها مسيرة الواقع الفلسطينى بعناصره المشرقة والمعطوبة، أيضا.

اخترنا التوقف السريع عند ثلاث من كاتبات الرواية الفلسطينية لما

يمثلنه من اتجاهات رئيسة فى الكتابة الروائية للمرأة الفلسطينية. هناك شاغل التأريخ والتسجيل وهو من الصفات المميزة للرواية العربية إجمالا والفلسطينية تحديدا، وإن انتقل مركز الصورة إلي المرأة، فمن اللافت للنظر أن هذه الروايات تجعل المرأة الشخصية المركزية فى النص ويأتى السرد فى الغالب الأعم من منظورها.

III

شهدت التسعينيات ظهور نصين روائيين مهمين لكاتبتين أردنيتين وهما الخروج من سوسروقة: رواية الشتات الشركسى (١٩٩٢) لزهرة عمر، وشجرة الفهود: تقاسيم الحياة (١٩٩٥) لسميحة خريس. ويشترك النصان علي اختلافهما فى مشروعهما التأريخى إذ يتتبع كل منهما مسيرة مجموعة بشرية راصدا التفاصيل المميزة لحياتها عبر عقود متصلة. هي رواية أجيال ذات بعد ملحمى فى الحالتين، وإن اختلف أسلوب القص وعناصره.

تبدأ رواية زهرة عمر بمشهد احتضار الجدة. لا تفهم البنات والحفيدات من حولها تلفُّتَها وهمهمتها واتساع حدقتيها وفتحتى أنفها وانتصاب أذنيها «كهر يختطف الصوت من أعماق المجهول». (٣١) لا تنتبه البنات والحفيدات أن ذكريات الجدة، تفاصيل عمرها، تفيض فتعيش مجددا الخروج الجماعى من بلاد الشركس، تحدّث أهلها الموتي، ويحدثونها.

تتعدد مستويات القص فى رواية الخروج من سوسروقة بين الصوت المحايد لراوية ينقل المشاهد والتفاصيل، وصوت الجدة، وصوت من تستحضرهم من أهلها الموتي، وصوت الملاحم والأساطير والحكايات الشعبية الشركسية، مجالس النارتيين، آلهتهم، سوسروقة البطل الأسطورى الذى ولد من حجَر، وأمه سنتاى. تقطع الكاتبة الحكاية المركزية: حكاية الشتات- غالبا حين تثقل وطأة الحدث علي الراوى والمستمع- بمقتطفات مطولة من النصوص الملحمية المترجمة أو بثرثرة النساء حول فراش الجدة المحتضرة.

تدون زهرة عمر تاريخ الشركس منذ رحيلهم القسرى من أراضيهم فى نهاية القرن التاسع عشر وقد وقعوا بين مطرقة الحكم القيصرى فى روسيا وسندان الدولة العثمانية. تسجل رحلة شتاتهم حتي وصولهم إلي الأردن و استقرارهم فيه. تضفر الوقائع التاريخية بالأسطورة بعناصر واقعية سحرية تحيلنا إلي ألف ليلة حينا وروائيى أمريكا اللاتينية حينا آخر، وتحيط بتجربة الشتات الشركسى، تسرى فيها تجربة الشتات الفلسطينى، وعيا مشتركا بين كاتبة النص وقرائها.

تتميز رواية زهرة عمر بتناولها موضوع جديد لم تقربه الكتابة الإبداعية العربية من قبل كما تتميز بجرأة الكاتبة علي التجريب، والقدرة علي المزج بين الأسطورة ووقائع التاريخ، بين المشهد الواقعى وسحر الخيال، بين رسم الشخصية الفردية والمصير الجماعى.

ولنأخذ هنا مثلين، أولهما يصف الولادة الأسطورية لسوسروقة. كانت سنتاى، أمه، تغسل علي ضفة النهر. رآها الراعى، ناداها. نظر إليها. نظرت إليه فاتقدت النار فى قلبها ولم تعُد قادرة علي الوقوف. جلست علي حجر ثم أخذت هذا الحجر معها وأخفته فى نخالة الذرة. ثم تكتشف سنتاى أن الحجر يصدر صوتا ويكبر يوما بعد يوم: «أخرجت الحجر من بين النخالة ووضعته فى مكان دافئ قرب الموقد حيث بقى مدة تسعة أشهر وتسعة أيام»، ثم حملته إلي إله الحديد فاستغرقه تكسير الحجر سبعة أيام بلياليها .

«وكان قلب سانتاى يتقد كلما ضرب الحجر. وأخيرا انفلق الحجر ووقع منه الصبى. كان جسم الصبى مشتعلا كالنار والشرر يتطاير منه كما يتصاعد منه البخار . أمسكه لبش (إله الحديد) بكماشة متينة من فوق ركبتيه وغطسه فى الماء سبع مرات. كان الماء يغلى فى كل مرة من شدة الحرارة الخارجة من جسم الصبى. وبعد ذلك أصبح جسمه كالفولاذ، ما عدا المنطقة التى كان لبش يمسكه منها بالكماشة».(٣٢)

أما الاقتباس الآخر فينقلنا من حيِّز المُتَخَيِّل الأسطورى إلي حيز تسجيل الواقعة التاريخية: رحيل الشركس عن بلادهم. نعايش الرحيل معينا عبر شخصيات الرواية. قبل الرحيل مباشرة يقتل الصبى تامر. يودعه أهله التراب ويرحلون. تستدعى الجدة المحتضرة مشهد ساعة الرحيل وهى طفلة صغيرة: العربة الكبيرة تجرها الثيران تحمل أفراد العائلة، الطفلة- الآن الجدة المحتضرة- تستيقظ خائفة لتري أخيها القتيل عاتبا علي الرحيل دونه، يريد أن ينام بجوارها لأنه متعب وخائف.

> ابتعدت وتمدد بينى وبين جان... سألته وأنا أغالب دموعى:
>
> - ولكن لماذا جسمك هكذا محدودب؟...
>
> - عندما أصابت الرصاصات صدرى تمزق جسمى وأحسست أن روحى بدأت تخرج من هذه الفتحات... انحنيت أحاول إغلاقها لأمنع روحى من الانسلال بعيدا عنى... لماذا تتوق الروح إلي الانطلاق بعيدا عن الجسد؟... لا أعرف... أردت أن أمسك روحى ولكننى لم أستطع... انسلت بعيدا وتركتنى غريبا يبحث عن خيط من الضياءَ... دفئينى ...
>
> حاولت أن ألمس جسده، كان باردا، باردا...رياح من أصقاع جليدية انجمدت تحت جلده.(٣٣)

تبدأ الخروج من سوسروقة فى أواخر القرن التاسع عشر وتنتهى بالحرب العالمية الأولي، أما سوسروقة خلف الضباب (٣٤) وهى الجزء الثانى الذى لم ينشر بعد وأتيح لى الاطلاع علي مخطوطته، فيبدأ بالحرب العالمية الأولي وينتهى بالثلاثاء الحمراء: إعدام الأبطال الثلاثة، محمد جمجوم وفؤاد حجازى وعطا الزير، من قبل سلطات الاحتلال البريطانى فى فلسطين عام ١٩٢٩. ومن الواضح أن للرواية أجزاء أخري نأمل فى أن تتمكن الكاتبة من

إنجازها. ينتهى الجزء الثانى والجدة مازالت مثقلة بالحكاية، تطل من خلف الضباب، وتواصل فيض الذكريات.

لا تبدأ سميحة خريس (٣٥) الجزء الأول من روايتها شجرة الفهود: تقاسيم الحياة من النهاية حيث الجدة تحتضر- توفر هذه اللحظة إلي ختام الجزء الثانى شجرة الفهود: تقاسيم العشق (١٩٩٨). هنا نبدأ مع البداية: الفتي فهد الرشيد «يرسم بيديه وعينيه دائرة واسعة، ويقول لنفسه: «هذه الأرض لفهد... وأولاده... للفهود من بعده» فيكون. ينفصل عن أعمامه وأخواله وينتقل إلي الهضبة ويزرعها ويعمرها. تؤرخ سميحة خريس لعائلة فهد الرشيد وهو تاريخ يبدأ بعلاقته بالأرض وامتلاكها وبالزوجات الأربع والأبناء والأحفاد الذين حملهم إليها. شجرة الفهود: تقاسيم الحياة نص عن علاقة بشر بمكان فى زمان .

توفق سميحة خريس فى رسم شخصيات تستقر فى وجدان القارئ وقد عايش تفاصيل حياتها اليومية واستجاباتها المعلنة والمبطنة. تكتسب هذه الشخصيات امتلاء إنسانيا وحيوية تضمن لها حضورا بين الشخصيات الحية التى أبدعتها الرواية العربية: شخصية فهد الرشيد وزوجاته الأربع: غزالة وتمام وذهب ونوار. شجرة الفهود: تقاسيم الحياة نسيج فضفاض عامر بالتفاصيل، وراو عالم بكل شىء ينقل مصائر الشخصيات وأفعالها وما يعتمل فى داخلها، يضفرها بوقائع التاريخ العربى الحديث: نهاية الحرب العالمية الأولي، تأسيس إمارة شرق الأردن، الحرب العالمية الثانية، إعلان الأمير عبد الله ملكا، حرب فلسطين، المد القومى، هزيمة ٦٧. تمر الأحداث مرورا خاطفا بمضافة الرجال فنسمعهم يتحدثون عنها ويراقبونها عن بعد أو تفرض وطأتها علي الحدث والشخصيات المشاركة فيه ليصير بينهم: الشهيد والمعتقل والمنفى.

ويبدو أن هاجس التأريخ هاجس ملح علي سميحة خريس. وقد حاولت فى روايتها الأخيرة القُرمية: الليل والبيداء (١٩٩٩) أن تسجل تاريخ «الثورة العربية الكبري» وتضفر بين الشخصيات المتخيلة وشخصيات تاريخية منها الأمير فيصل ولورنس، وإن لم تحقق سميحة خريس فى نصها الأخير ولا فى الجزء الثانى من شجرة الفهود المستوي الفنى الذى حققته فى شجرة الفهود: تقاسيم الحياة. فى تقاسيم العشق تعوق الغنائية غير المبررة سلاسة السرد. أما فى القُرمية: الليل والبيداء فنجد، فضلا عن هذه الغنائية، صعوبات تناول الموضوع التاريخى وتفادى ما يطرحه أمام الكاتبة من شراك لا توفق دائما فى تفاديها.

وإن كان نجيب محفوظ فى ثلاثيته أرّخ للطبقة الوسطي المصرية ولمسعاها من أجل التحرر من الاستعمار ولتفاصيل واقعها الاجتماعى باقتدار فإن ما يميز الخروج من سوسروقة لزهرة عمر و شجرة الفهود: تقاسيم الحياة لسميحة خريس هو اضطلاعهما بالتأريخ لواقع مهمّش: هجرة

الشركس واستقرارهم فى الأردن فى الخروج من سوسروقة وسوسروقة خلف الضباب لزهرة عمر، وواقع أسرة أردنية فى إربد فى ثنائية تقاسيم الحياة لسميحة خريس. لم تنهمك أى من الكاتبتين فى كتابة تهميش المرأة كموضوع قائم بذاته لكن تجربة التهميش التى قد تعرفها المرأة أكثر من كثير من الرجال فتحت للكاتبتين بابا من المعرفة والوعى دلفتا منه فإذا بكل تكتب التجربة بتفاصيلها التى تشمل الرجال والنساء.

القصة القصيرة:

I

قدمت نجوي قعوار (ستعرف لاحقا باسم نجوي قعوار فرح نسبة إلي زوجها القس رفيق فرح) النموذج الأبرز للقاصة الفلسطينية فى الأربعينيات. كتبت فضلا عن القصة القصيرة المقال المنشور والمذاع. نشرت إنتاجها فى مجلات: «الأديب» و«صوت المرأة» و«المنتدي» و«القافلة» و«الغد» وبثته إذاعات القدس والشرق الأدني ولندن. وبعد النكبة بقيت نجوي قعوار فى الناصرة فى حين تشرد العديد من زملائها وزميلاتها الكتّاب فى المنافى. وفى عام ١٩٥٤ قامت مجموعة من أصدقائها (عيسي الناعورى وسامى حبيبى ورفيق فرح) بجمع خمس عشرة قصة مكتوبة فى الأربعينيات سبق نشرها أو إذاعتها ونشرت فى دار الريحانى ببيروت تحت عنوان : عابرو السبيل. وقال الناعورى فى مقدمته للمجموعة:

> ...لا تكاد تخلو قصة من هذه المجموعة من عظة وعبرة، ففى بعضها ثورة علي الرشوة والنفاق والدجل الاجتماعى، وفى بعضها نقمة علي غطرسة الأغنياء وذوى المظاهر الخداعة، وفى بعضها حث علي الإيمان برحمة الله وعدالة السماء، وفى بعضها نقد لأوضاع المجتمع السيئة، أو لرجعية بعض من يحاربون المدينة العصرية فتصرعهم المدينة وتمضى فى تقدمها. (٣٦)

واصلت نجوي قعوار كتابة القصة القصيرة والمسرحية والصور القلمية ونشرت أعمالها طوال الخمسينيات وحتي عام ١٩٦٣ فى الناصرة وكفر ياسيف فى فلسطين المحتلة، ثم غادرت إلي المنفي فنشرت أعمالها اللاحقة فى بيروت.

تكتب نجوي قعوار القصة الواقعية ذات المضمون الاجتماعى غالبا والنزعة الأخلاقية ولا تخلو نصوصها من التقريرية والمباشرة وبعض تقنيات البلاغة القديمة.

وفى العام التى نُشرت فيها المجموعة الأولي لنجوي قعوار، نشرت كاتبة فلسطينية شابة فى التاسعة والعشرين من عمرها مجموعتها القصصية الأولي: أشياء صغيرة. وبعد عامين نشرت مجموعتها الثانية الظل الكبير.

وفى هاتين المجموعتين وثلاث مجموعات لاحقة هى قصص أخري و الساعة والإنسان والعيد لا يأتى من النافذة الغربية (لم تنشر هذه المجموعة الأخيرة إلا بعد أربع سنوات من رحيل الكاتبة) - قدمت سميرة عزام [٣٧] نموذجا للقصة القصيرة الواقعية يجعل منها رائدة لهذا الشكل الأدبى. كتبت سميرة عزام القصة الواقعية المتماسكة البنيان القائمة علي وحدة الحدث والاقتصاد اللغوى. ركزت علي العاديين من البشر بهمومهم اليومية ومواجهاتهم المستمرة لأشكال القهر المتعددة، الاقتصادية والاجتماعية والوطنية. «إن سميرة عزام من بين كل أديباتنا تعتبر شاعرة الهموم الحياتية من كل حجم. فالأطفال الصغار تشاغلهم هموم صغيرة ولكنها، أيضا، هموم نموذجية يتلون بها عالمهم. أما مشكلات الكبار فى عالم الكبار فهى كبيرة بحجم عالمهم».[٣٨] يزدحم عالمها ببشر «يتواجهون ليس مع ذوات منقسمة يستبطنونها بمونولوجات طويلة، وإنما يردون هجمات عالم عدوانى طبقى شرس يدوس علي من يقع وسط الصراع». [٣٩]

كتبت سميرة عزام عن الفلسطينيين وعن غير الفلسطينيين، وكتبت عن واقع المرأة وواقع الرجل. فى نصوصها تنوع إذ تتسع رقعة مادتها القصصية وتتعدد نماذجها الإنسانية، وتكتسب المرأة حضورا وإن لم تنفرد بمسرح الحدث. و «لا نجد فى قصصها النمط النسائى الواحد (...) علي أرضها تلتقى هواجس الأم والزوجة، المراهقة والمناضلة، اليتيمة وبائعة العلكة، والأنثي التعسة الملقاة جسدا بلا روح.. تتنوع المشكلات بتنوع الأوضاع والشخصيات».[٤٠]

II

شهدت العقود الثلاثة الماضية، من السبعينيات إلي التسعينيات، نشر كَمٍّ لا يستهان به من الإنتاج القصصى لعدد غير قليل من الكاتبات الفلسطينيات والأردنيات، نشر البعض منهن ثلاث مجموعات قصصية وأحيانا أكثر. ليست النصوص بطبيعة الحال علي درجة واحدة من الجودة، هناك تفاوت واضح فى عمق الرؤية واتساع مداها، وتملك الأدوات الفنية اللازمة لصياغتها. فى النصوص الأكثر جودة نلحظ أول ما نلحظ تنوعا فى الموضوعات والشخصيات وأساليب التناول. فى قصص سهير التل وإنصاف قلعجى وهند أبو الشعر وحزامة حبايب ومريم جبر ومنيرة شريح ومنيرة قهوجى وبسمة نسور وسميحة خريس، مثلا، يتسع المشهد أو يضيق، محملا فى الحالتين بعناصر دلالة مركبة تحاور علاقة فرد بنفسه، بالآخر رجلا كان أو امرأة، بالمجتمع، بالواقع السياسى، بالتاريخ. تروى المرأة، أو يروى الرجل، بصيغة الأنا، أو تتقدم النحن لتحكى عن تجربة مشتركة، أو يختفى الراوى مسلما مسار الحدث لصوت يبدو محايدا يحكى بصيغة المفرد الغائب. [٤١]

تتنوع أساليب الكتابة: من الكاتبات من تكتب القصة ذات البنية العضوية، والحدث المركزى، ونقطة التنوير فى فقرتها النهائية (قصص سهير التل، مثلا، وبعض قصص بسمة النسور)، ومنهن من تحاول كتابة القصة القصيرة جدا القائمة علي اللقطة السريعة والمفارقة (بعض قصص جواهر الرفايعة وبسمة النسور)، وهناك، أيضا، اجتهادات فى توظيف الموروث الشعبى (وهو ما حاولته سهير التل وجواهر الرفايعة فى بعض نصوصهما)، وهناك الكتابة الرمزية القائمة علي توظيف المجاز وتكثيف الدلالة (وهو ما تتسم به بعض نصوص هند أبو الشعر تحديدا فى مجموعتها الحصان). وهناك نصوص تركز علي التجربة النفسية لشخصية بعينها فى لحظة تتكثف فيها مشاعر الإنسان المحاصر والمقهور فى واقع عربى مفزع (قصص إنصاف قلعجى وجميلة عمايرة، مثلا، وإن كانت الأولي تفتح نصها واسعا علي التاريخ والثانية تركز علي لحظة الفزع الناتجة من هذا التاريخ). وأخيرا هناك قصص تعتنى بتقديم مساحة من التجربة الإنسانية وتتبع تفاصيلها مزاوجة بين رصد الحدث الخارجى والمشاعر المعتملة داخل الشخصية، وهنا تبرز قصص حزامة حبايب (٤٢) التى تتميز نصوصها القصصية بإيقاع خاص وقدرة علي التعبير السياسى فى نصوص فنية تبتعد جملة وتفصيلا عن مفردات الخطاب السياسى. تقدم حبايب بشرا عاديين، «شقيانين» وتفاصيل مشهد يشى بقسوة واقعهم ، تتبّعهم القصة لتكشف عن نواة إنسانية صلبة تتمثل فى لحظة خاطفة تتأكد فيها قدرتهم علي الحلم، الحب، الاشتهاء، التعاطف أو الانفلات المقبل علي الحياة.

فى النماذج الأكثر تواضعا من الكتابة القصصية نلحظ ميلا واضحا إلي التعبير المباشر عن الذات ، الحكى بصيغة الأنا، والراوية هى نفس المروى عنها، شخصية تتكرر ملامحها غالبا فى مجموعة من القصص أحادية الصوت، مباشرة وسنتيمنتالية فى تعبيرها. وتتمحور الكتابات حول العلاقة بالرجل: حب الرجل، كراهيته، عبء ما يمليه من قيود أو وطأة هجره... إلخ. تبدو النصوص، فى أسوأ حالاتها، نصوصا خارج التاريخ تتنكر له ولتفاعلاته وتناقضاته فتقدم العلاقة بين الرجل والمرأة كأنها ليست محكومة فى جل عناصرها بشروط تاريخية. وتنجح بعض هذه النصوص، علي تواضعها، فى تصوير الواقع المغترب والمحاصر للمرأة وإن كانت، فى تقديرى، تقع فى شرك هذا الحصار وتعززه بجعل العلاقة بين الرجل والمرأة موضوعا وحيدا للكتابة.

تشترك القصص المكتوبة باقتدار وتلك الأقل جودة فى التعبير عن مشاعر الاغتراب، والخوف من تهديد مستمر. وهى مشاعر تصل فى بعض الحالات إلي درجة الشعور بالحصار أو بوجود كابوسى لا فكاك منه. وتتقلص الأحلام إلي أمنيات صغيرة وإن احتفظت بقيمتها الهائلة تحديدا لأنها مستعصية، بعيدة المنال.

III

فى أواخر الستينيات قدم غسان كنفانى كتّاب الأرض المحتلة بنشر كتاب بعنوان **أدب** المقاومة فى فلسطين المحتلة، (٤٣) أعقبته كتابات عديدة نشرت علي اتساع العالم العربى تعكس الفرح الممزوج بالدهشة لاكتشاف ذلك الأدب المقاوم الذى نشأ تحت الاحتلال وهيمنة الدولة العبرية. انتبه القراء العرب لمجموعة من الشعراء وكتاب القصة والرواية لهم قيمتهم بل انتبهوا لوجود كتّاب كبار سيتركون بصمتهم الواضحة علي الكتابة العربية لعل أبرزهم علي الإطلاق محمود درويش وإميل حبيبى. ولم يشر غسان كنفانى ولا أى من الكتابات النقدية عن «أدب الأرض المحتلة» التىَ أعقبت دراسة غسان كنفانى إلي امرأة كاتبة فهل كان الأمر غفلة من قبل النقاد، أم يشفع لهم أن كاتبات الأرض المحتلة فى الستينيات وحتي نهاية السبعينيات لم يستطعن فرض حضورهن ولا أنتجن الكم والكيف الذى يفرض وجودهن بما يحقق لَهن الانتشار العربى الواسع؟ قد تحتاج الإجابة علي السؤال دراسة مطولة تضع فى اعتبارها واقع المرأة الفلسطينية داخل فلسطين المحتلة فى ٤٨ (نشير هنا إلي أن غالبية من بقوا علي أرضهم وباستثناء أهالى مدينتى عكا والناصرة كانوا ريفيين يسكنون قراهم وكانت فرص التعليم المتاحة للفتيات محدودة).

فى كتابه أنطولوجيا القصة العربية فى إسرائيل ١٩٤٨- ١٩٩٨ (٤٤) وهو كتاب جامع من جزئين يضمن حبيب بولص ٧١ كاتبا للقصة القصيرة فى فلسطين المحتلة عام ٤٨ منهم ٩ كاتبات ينتمين إلي ثلاثة أجيال. هناك نجوي قعوار فرح المولودة عام ١٩٢٠ التى بدأت فى الكتابة والنشر قبل النكبة، وهناك جيل ولد فى الخمسينيات برز فيه فاطمة ذياب وشوقية عروق، ثم هناك جيل ثالث من مواليد أواخر الستينيات ومطلع السبعينيات منه رجاء بكرية وجاكلين حداد. ويشير حبيب بولص فى مقدمته إلي أن «الواقعية... كانت المدرسة الأم التى حوت معظم القصص» وهو ما ينطبق علي إنتاج الرجال والنساء. ونلاحظ أن المباشرة والتقريرية تغلب علي قصص العديد من الكاتبات خاصة المنتميات لجيل الخمسينيات والستينيات. وتتناول القصص مواقف اجتماعية وتركز علي واقع المرأة ومشكلاتها، والراوية غالبا امرأة وكذلك الشخصية الرئيسية. ونلاحظ أن الكاتبات الأصغر سنا برغم استمرارهن فى التركيز علي تجربة المرأة تشى نصوصهن بتمكن من أدوات الكتابة فهى تتسم بتعدد مستويات الدلالة وسرعة الإيقاع وتداخل الأزمنة.

السيرة الذاتية:

I

فى عام ١٩٤٧ طرحت مجلة «الهلال» القاهرية سؤالا علي عدد من الكتاب

والكاتبات العرب يقول: «كيف يعيش المرء هنيئا؟» أجاب عن السؤال من بين من أجاب كلثوم نصر عودة أستاذة الأدب العربى فى الاتحاد السوفييتى. وقدمت هذه الإجابة علي قصرها نصا مبكرا- الأرجح أنه الأول من نوعه- من نصوص السيرة الذاتية لامرأة فلسطينية. كانت كلثوم عودة ولدت فى الناصرة عام ١٨٩٢ وتعلمت فى المدرسة الروسية فيها ثم تزوجت من طبيب روسى ورحلت معه فى أثناء الحرب العالمية الأولي.

تكتب كلثوم عودة:

ولدت خامس فتاة فى أسرة تشتاق صبيا بعقلية ما قبل ٧٣ عاما... ولك أن تتصور الاستقبال الذى استقبلت به يومئذ... بالدموع... ورافقتنى كراهة والدى... وكنت سمراء اللون فكان ذلك معيرة لى، فكنت أنادي بالسوداء. وانكمشت علي نفسى حتي أصبح أهل بيتنا يدعوننى «الست سكوت» وانكببت علي العلم رغم إرادة والدى.

هربت من البيت لأقترن بطبيب روسى فلم يغفر لى والدى ذلك إلا بعد سنوات... سافرت مع زوجى إلي روسيا عام ١٩١٤ ونشبت الحرب الكبري ونحن فى مياه البوسفور فما إن وطئت قدماى أرض روسيا حتي ابتدأت أتعلم مهنة التمريض فلما أتممتها سافرت إلي الصرب ومنها إلي الجبل الأسود وبعد تقهقر الجيش الروسى رحلت عن طريق ألبانيا إلي فرنسا فالنرويج ثم إلي فنلندا فروسيا. بعد زواجى بست سنوات توفى زوجى تاركا لى ثلاث طفلات عمر الكبري ثلاث سنوات والصغري شهران... وتاركا إياى وحيدة فى محيط غريب، إنما كيف كانت مشاعرى يومئذ؟

لقد كنت فى ساحة الحرب فى البلقان وفى روسيا ولكن ألم أكن سعيدة لمعافاة كل جندى أو لتخفيف آلامه...؟ لقد علّمت... زرت الفلاحين فى منازلهم...عالجتهم... طببت عيون أطفالهم... عملت الأعمال الشاقة لأعيل نفسى وطفلاتى الثلاث، فاستأجرت أربعة أفدنة من الأرض لأزرعها وكنت بالفعل أزرع وأسير وراء الحصّادين لأجمع لفائف القمح.

وتواصل كلثوم عودة:

عندما توفى زوجى سمعت إحدي المعلمات السائرات خلفى فى الجنازة تقول لرفيقتها:ما أتعس هذه المرأة ، لم يبقَ لها سوي أن تحمل الكشكول وتطرق الأبواب متسولة فهى غريبة لا معين لها وطفلاتها يعقنها عن العمل، وخاصة الصغري ابنة الشهرين... ثم إنها لم تصل هذه القرية إلا منذ ثلاثة أيام. ولم أكن فى عهد زوجى أشتغل لهذا لم يعرفننى سوي «أننى امرأة

زوجى»- ولكن لم يمضِ علي ذلك سوي نصف عام حتي قالت تلك المعلمة نفسها سعيدة أنت ما أهنأك: تري ما هو سبب هنائى؟ ...

لقد كنت فى كل أدوار حياتى أعمل راغبة لا مكرهة... ولا أجد الراحة إلا عند تذليل المصاعب ... لم أخجل مرة من أى عمل كان ما دام هذا العمل لا يمس شرفى أو شرف سواى. وأخيرا لقد علمنى الرجل الكبير العلامة المستشرق كراتشكوفسكى أشياء كثيرة جميلة عن شعبى لم أكن أعرفها فزادت سعادتى بالأمل أنه لابد لنا نحن العرب من مستقبل لا يقل مجدا عن الماضى.(٤٥)

II

تستوقفنا وشائج الصلة بين سيرة فدوي طوقان: رحلة صعبة رحلة جبلية وسيرة نجمية حكمت: ٦٥ عاما من حياة امرأة أردنية: رحلتى مع الزمن.(٤٦) يدهشنا التكامل بين النصين والحوار الضمنى بينهما: العشرينيات فى فلسطين. العشرينيات فى الأردن. صبية من نابلس ولدت قبل عام من نهاية الحرب العالمية الأولي، وصبية وصلت إلي الأردن من دمشق ولم تبلغ العامين من عمرها فى مطلع العشرينيات. كلاهما تُرغم علي ترك دراستها فى سن واحدة تقريبا، ثم يفترق المسار. تتزوج نجمية حكمت قسرا وهى فى الرابعة عشرة من عمرها من ضابط فى الجيش الأردنى من أصل سورى يرعاها وترعاه ولا تجد لطاقتها الإبداعية مجالا حيويا سوي داخل البيت، توظفها فى تربية صغارها.

فى قراءة السيرتين معا متعة تتبع الجدل بين غياب الكاتبة وحضورها: كيف تفلت فدوي طوقان لتعلن عن حضورها بالديوان المنشور، وبالوجود الفاعل فى الحياة الثقافية، وكيف تغيب نجمية حكمت فى تفاصيل عمرها المرسوم لها سلفا. يبدو أنها غابت، ثم فجأة وهي فى عقدها السابع تشق الصمت والحجاب لتذيع فى الناس حكايتها.

فى النصّين وعى حاد بالقهر. والبيت فى نص فدوي طوقان، علي اتساع مساحته، ضيق خانق لا متسع فيه لطاقة طفلة نامية تضطرم بالحيوية والحياة. إنه المجاز الدال علي الواقع الاجتماعى:

البيت أثرى كبير من بيوت نابلس القديمة التى تذكرك بقصور الحريم والحرمان... والتى هندست بحيث تتلاءم وضرورات النظام الإقطاعى. تري فيه العقود والأقواس والباحات الواسعة ونوافير الماء والطوابق العليا والسلالم الملتوية ...

فى هذا البيت، وبين جدرانه العالية التى تحجب كل العالم

الخارجى عن جماعة «الحريم» الموؤدة فيه، انسحقت طفولتى وصباى وجزء غير قليل من شبابى.

أما الجو العائلى فيسيطر عليه الرجل كما فى كل بيت. وعلي المرأة أن تنسي وجود لفظة (لا) فى اللغة إلا حين شهادة (لا إله إلا الله) ...

حق التعبير عن النفس محظور عليها، الضحك والغناء من المحرمات ويمكن اختلاسها بعد أن يغادر الرجال (الأرباب) إلي أعمالهم، الاستقلال الشخصى مفهوم غائب لا حضور له إطلاقا فى حياتها. (٤٧)

ينتبه أخوها إبراهيم لاهتمامها بالشعر فيقوم بتعليمها، يعيدها إلي الدفاتر والأقلام : «ها أنا أعود إلي جنتى المفقودة». (٤٨) تكتب: «علي غلاف دفتر المحفوظات تلألأت فى عينى هذه الكلمات التى كتبتها بخطى الردىء، خط التلميذة فى الثالثة عشرة من العمر:

الاسم: فدوي طوقان

الصف (شطبت الكلمة وكتبت بدلا منها «المعلم»): إبراهيم طوقان

الموضوع: تعلم الشعر

المدرسة: البيت». (٤٩)

وببصيرة مدهشة وموجعة معا يختار إبراهيم فى درسه الأول كتابة وحفظ أبيات «امرأة ترثى أخاها»:

طاف يبغى نجوة　　من هلاك فهلك

ليت شعرى ضلة　　أى شىء قتلك

أى شىء حسن　　لفتي لم يك لك

كل شىء قاتل　　حين تلقي أجلك

والمنايا رصد　　للفتي حيث سلك

« ... قال: لقد تعمدت أن أختار لك هذا الشعر الجميل لترى كيف كانت نساء العرب تكتب الشعر الجميل». (٥٠)

سيعلمها إبراهيم الشعر ثم يرحل. ويتوقع أبوها أن تكتب الشعر السياسى لتملأ بعضا من الفراغ الذى خلَّفه إبراهيم ولكن «كيف وبأى حق أو منطق يطلب منى والدى نظم الشعر السياسى وأنا حبيسة الجدران ...؟ ».(٥١) تبكى عجزا أو تنفر احتجاجا وتزداد فى الحالتين انكفاء علي ذاتها. تتوقف عن الكتابة ثم مع «انهيار السقف الفلسطينى» عام ١٩٤٨ ووفاة الأب فى السنة نفسها (فى تلك الفترة، أيضا، تخلع المرأة فى نابلس الحجاب وقد سبقتها بسنوات المرأة فى القدس وحيفا ويافا)، تعود فدوي إلي الكتابة،

القصائد العاطفية والوطنية: «لم يعُد انفعالى بالسياسة معدوما ، ولكنه لم يكن حادا ، فقد ظل يجتاحنى علي فترات متقطعة ويفتقر إلي صفة الاستمرارية، يشتعل فى المناسبات المشتعلة ويخمد بخمودها».(٥٢) ثم تقول: «وهكذا فقد ظلت كتابتى للشعر أسيرة الحالات العاطفية والنفسية التى تباغت فجأة وتذهب فجأة. ولم أعرف الإحساس الدائم بالواقع والالتصاق الوجدانى الملازم بالقضية الاجتماعية إلا بعد حرب حزيران». (٥٣)

وتقول نجمية حكمت: «حكم علىّ بالحرمان من التعليم وحجبى فى البيت لأنى تجاوزت الثانية عشرة». تواصل:

> كنت بعد حرمانى من إتمام تعليمى ألتهم الكتب التهاما ولم يبقَ لدىّ ما يشغلنى ... ويسلّينى سوي الكتب والمطالعة، وكنت أقرأ كل شىء، حتي الأوراق التى تحملها العواصف لحديقة منزلنا وحتي أوراق الصّر التى كان يصّر بها الباعة بضاعتهم من فاكهة ولحم وخضار. وكنت ما إن أدخل بيتا من بيوت أقاربنا وأصدقائنا حتي أنظر ما حولى لأري هل هناك من كتب وكانت أسهم تقديرى لها ترتفع وتنخفض بمقدار ما يملكونه من كتب ومجلات . (٥٤)

يدهشنا قدر التشابه بين كلام نجمية حكمت وما تقوله فدوي طوقان: «أنا أقرأ فأنا موجودة. ظللت قارئة كتب شرهة.وقد نمّي هذه الشراهة حرمانى من الدراسة الأكاديمية، فالإنسان الطموح يظل ينطوى علي مرارة مصدرها ذلك الفراغ الذى يتركه فى النفس الحرمان المبكر من المدرسة. هنا يتحول إلي «دودة كتب». (٥٥)

نعود إلي نجمية حكمت، يهوِّن أهلها عليها فيأتون لها بكمان:

> مع كثير من الصبر والتدريب تمكنت ... من إمساك عصا الكمان ومن شد أوتاره والعزف عليه إجادة تامة...
>
> ولكن كيف تعلمت؟ وأين كنت أعزف! فقد كان من العار والمستهجن خروج وتصاعد صوت الآلات الموسيقية خارج البيت ... كنت عندما أعزف أقوم أولا بإحكام إغلاق النوافذ والأبواب وألجأ إلي غرفة داخلية لكى لا يتسرب الصوت إلي المارة فى الشارع.
>
> وغالبا ما كنت أغتنم فرصة الليالى الماطرة والعاصفة ليتلاشي الصوت والنغم مع صوت الأعاصير والزوابع، عندها كنت أعزف بحرية مطمئنة بأن ليس هناك من أناس ومارة ولا لوم وتأنيب من إخوتى ووالدتى . (٥٦)

ليست حكاية هذا القهر الذى عاشته العديد من أمهاتنا وجداتنا- علي أهميته ومركزيته فى النص- وقدرةالكاتبة علي نقله إلينا بسلاسة مؤثرة

فلسطين و الأردن

(أ)
الدراسة

(ب)
المنتخبات

(ج)
البيبليوغرافيا

اختيار:

رضوى عاشور

فدوي طوقان

رحلة صعبة - رحلة جبلية

منذ صغرى أعلن عن نفسه ميلى الفطرى للشعر. كنت أجد متعة كبيرة فى ترديد محفوظاتى المدرسية منه، وأقف مملوءة بالانبهار والدهشة أمام ما يقع عليه بصرى من قصائد أو مقطوعات مطبوعة فى الكتب المدرسية أو فى الصحف التى كان يحضرها أبى وأخوتى إلي البيت، وذلك رغما عن عجزى عن إدراك مضامينها.
كان هناك كتاب اسمه (الكشكول) يضم مجموعة من الطرائف والشعر والأخبار الأدبية والتاريخية. وفى هذا الكتاب كان لى أول لقاء مع قصيدة (أيها الساقى اليك المشتكي).
وضعتنى القصيدة أو بالأحري الموشح فى دائرة سحرية غامضة، لعل منشأها موسيقاه الخارجية المنبعثة من طبيعة الوزن، والمتميزة بتنوع القوافى، مع الالتزام بقافيتى الشطرين الأخيرين من كل مقطع، مما أكسب الموشح إيقاعا يريح السمع ويهدهد النفس.
أما الكلمات فكان معظمها بالنسبة لى محمّلاً بمعان انفعالية نفسانية غير التى قصدها الشاعر.
كان السقاؤون فى تلك الأيام يزودون بيوت البلدة بالماء باستثناء بعض البيوت القليلة، لا سيما بيوت الإقطاع القديمة، والتى كان أصحابها يمتلكون حصصهم الخاصة بهم من مياه الينابيع العديدة فى البلدة.
وكانت المياه تصل إلي تلك البيوت بواسطة القنوات الفخارية تحت سطح الأرض وتصب فى البرك القائمة وسط ساحات البيوت الفسيحة.
وحين كنت أبدا بالقاء المطلع «أيها الساقى اليك المشتكي قد دعوناك وان لم تسمع) كانت كلمة الساقى تتخذ فى ذهنى معني انفعاليًا خاصًا، مقرونًا بصورة السقاء الكهل الذى كان يزود بيوت «حارة العقبة» بالماء ينقله اليها من (عين الكاس) شرقى البلدة.
كان مجيء السقاء إلي منزل خالتى فى «حارة العقبة» مبعث إثارة محببة لى، فمنذ يطأ بقدمه أول درجة من درجات السلم الخارجى المفضى إلي الدار. كان صوته يرتفع بالكلمات المألوفة: «يا ساتر، يا الله» وذلك تنبيهًا للنسوة لكى يتوارين خلف الأبواب.
كنت أركض إلي السقاء وأقف بجانبه عند الزير الكبير، أرقبه وهو يرفع القربة عن ظهره بيديه القويتين، ثم يسندها إلي بطنه وقد جعل فوهتها المربوطة علي فم الزير الواسع، وبعد ذلك يشرع بفك الرباط، فيندلق الماء العذب الفضى فى الزير الذى لم يكن ليمتلىء قبل أن يبتلع حمولة أربع قرب أو أكثر.
كان الساقى الذى يخاطبه الشاعر يمثل دائما فى خيالى متقمصًا شخصية السقاء الكهل، سقاء (حارة العقبة). ولما كنت أجهل ما هو (الزق) فى قوله: (جذب الزق اليد واتكأ) فقد استلزم الفعلان (جذب- واتكأ) اعطاء كلمة الزق عندى معني الوسادة.
أما النديم الذى هام الشاعر فى غرته، (ونديم همت فى غرته) فكنت أتخيله ابن جارنا بائع حلاوة الطحينة، ذلك الفتي الأسمر الطويل النحيل الذى كان يحمل اسم نديم، وهكذا كان يعطى خيالى للكلمات صوراً ودلالات خاصة به وحده، وكنت أغتنم فرصة غياب أبى وأبناء عمى وقت العصر فأرتقى السلم الخارجى المكشوف والمؤدى إلي أحد طوابق الدار العليا، وأقف متجهة نحو الشجر المنتصب فى صحن الدار،

وأشرع فى إلقاء الموشح بصوت واثق مرتفع، مقلدة بذلك إبراهيم فى إلقائه للشعر، وأتخيل نفسى شاعرة تقرأ شعرها علي الجمع المحتشد كما يفعل إبراهيم، وأستغرق فى تخيل الصورة حتي يكاد يصبح الخيال فى احساسى حقيقة، فاذا انتهيت عدت إلي الانشاد مرة ثانية، ثم ثالثة، ثم رابعة، وأنا فى حالة أشبه بالجذب الصوفى.

بعد ستة وعشرون عاما، فى عصر يوم من أيام حزيران ١٩٥٥، وقفت فى قاعة (وست) فى الجامعة الأمريكية فى بيروت، لأواجه لأول مرة فى حياتى الحشد الذى دعته الدائرة العربية فى الجامعة للاستماع إلي مختارات من شعرى.

خلال الدقائق التى كان يقدمنى فيها الأستاذ جبرائيل جبّور، وبينما أنا أجيل بصرى فى الوجود أمامى، مر بعينى شريط سريع قصير، رأيتنى فيه بمواجهة الشجر المنتصب فى صحن الدار، ألقى علي مسامعه القصيدة العزيزة (أيها الساقى اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تسمع! وابتسمت.

ربما بدت ابتسامتى فى ذلك الحين وكأنها تحية للحاضرين، وما كانت فى الحقيقة الا تحية لتلك البنت الخيالية البعيدة، المأخوذة بقصيدتها الموشحة وبالحالة الشعرية الصوفية الغامضة التى كانت تعتريها عند القاء الموشح علي شجر الدار.

ثم تجاوزت مجرد إنشاد الشعر إلي محاولة كتابته. كان داخلى يمتلىء أحيانا بمشاعر غير واضحة، وبانفعالات مبهمة، خصوصا اذا استمعت إلي الموسيقي والغناء.

فهنا كنت أشعر بميل إلي التعبير عن شىء ما، شىء أحسّ به ولا أفهمه. فأهرع إلي قلم وورقة سرعان ما تمتلىء بكلمات لا رابط بينها، ثم أذهب بالورقة المحملة بالألغاز إلي إبراهيم، وأرجوه بصوت متردد أن يقرأ ما كتبت (من شعر). ولم يكن إبراهيم يخيّب رجائى، بل كان يقرأ الكلمات ويبتسم لى ويربت علي كتفى، وأنصرف أنا دون أن أسمع كلمة تشجيع أو تثبيط.

ظلت الموسيقي حتي اليوم تشعرنى بالصفاء الروحى، وتحرك داخلى تلك الحالة الغامضة المصحوبة بالرغبة فى كتابة الشعر. ولقد التقيت فى كتاب (العهد القديم) ببعض أنبيائه الذين كانوا يستعينون بالموسيقي علي تجلّى الرب، فيهبطون من الأكمة، أمامهم رباب ودف وعود، وهم يتنبأون فيحل عليهم روح الرب.

كما التقيت باليشع الذى قال: الآن فأتونى بعوّاد، فلما ضرب العوّاد كانت عليه يد الرب.

أجل، إن الموسيقي تثير الوجدان، وتحرك الخيال، انها تجعلنا نحلم ونري عوالم غير منظورة، تعج بالحيوية والحركة.



أى دور تلعبه الصدفة فى حياتنا!

حادث تافه، أو خبر عادى، أو محض مصادفة تعترض طريق المرء، فيتغير معها مجري الحياة، وتنعطف طريق السير انعطافة حادة قاطعة وتصبح الدنيا غير الدنيا والعالم غير العالم.

لو لم يعترض ذلك الغلام طريقى، ولو لم يحبسنى أخى يوسف بين جدران الدار الهرمة، لاستمرت حياتى تسير فى اتجاهها المألوف العادى، ولكنت واصلت دراستى فى المدرسة العائشية حتي نهاية السنة الخامسة، وعندئذ ما كان إبراهيم ليفكر فى أن يجعل منى تلميذة له.

كان قد علم من أمى بسبب قعودى فى البيت، لكنه وهو الإنسان الواسع الافق، الحنون، العليم بدخائل النفس البشرية، نظر إلي ذلك الأمر نظرة سبقت الزمن خمسين سنة إلي الامام.

لم يتدخل، ولم يفرض إرادته علي يوسف العنيف، لكنه راح يعاملنى بالحب والحنو الغامر.

وظلت تتجمع الأمور الصغيرة لتصبح جسرًا ينقلنى من حال إلي حال.

كل ما كان منتظرًا هو فقط الصدفة العابرة! ودق جرس الغيب ليعلن قدوم اللحظة، الصدفة.



كان إبراهيم قد وصل لتوه لتناول طعام الغذاء، وشرع يتحدث إلي أمى بفرح- بينما هو يغسل يديه- عن تلميذين من تلاميذه كانا قد جاءا اليه فى الصباح بقصائد من نظمهما، خالية من عيوب الوزن والقافية، وكم كان فخوراً ومسروراً وهو يتحدث عن الموضوع. وبعفوية مطلقة، وبصوتى الخافت الضعيف قلت: «نيالهم» وتعنى الكلمة بالفصحي: هنيًا لهم.

نظر إلىّ إبراهيم وصمت. ثم قال فجأة: سأعلمك نظم الشعر، هيا معى.

كانت أمى قد سكبت له الطعام، ولكنه ترك الغرفة، ولحقت به، وارتقينا معًا السلم المؤدى إلي الطابق الثانى حيث غرفته ومكتبته.

وقف أمام رفوف الكتب وراح ينقل عينيه فيها باحثاً عن كتاب معيّن. أما أنا فكان قلبى يتواثب فى صدرى. وقد كتمت أنفاسى اللاهثة.

دقيقتان، وأقبل علىّ وفى يده كتاب «الحماسة» لأبى تمام. نظر فى الفهرس ثم فتح الكتاب عند صفحة بالذات.

قال: هذه القصيدة، سأقرؤها لك وأفسرّها بيتًا بيتًا ثم تنقلينها إلي دفتر خاص وتحفظينها غيبًا، لأسمعها منك هذا المساء عن ظهر قلب.

وبدأ يقرأ:

امرأة ترثى أخاها

طـــاف يـــبـــغي نجـــوة
مـن هـلاك فـــهـــلك

لـــيت شـــعـــري ضـــلـــة
أي شـئ قـــتـــلك

أي شـئ حـــســن
لـــفـــتي لم يك لك

كـل شـيء قـــاتـل
حـــين تـــلـــقي أجـــلك

والمـــنـــايـــا رصـــد
لـــلـــفـــتي حـيث ســلك

شرح لى معني الأبيات، فشعرت بخيط رفيع من السوداوية يحز فى قلبى. قال: لقد تعمدت ان أختار لك هذا الشعر لترى كيف كانت نساء العرب تكتب الشعر الجميل.

ونزلنا إلي غرفة الطعام وفى قلبى عالم جديد يضطرب بالانبهار والتوقع.

فى المساء أسمعته القصيدة غيبًا دون خطأ أو تلكؤ فى تلاوتها.

حين أويت إلي فراشى ذلك المساء كنت أحتضن بين ذراعىّ دفترًا ذا لون حشيشى باهت، وقلمًا أزرق اللون، وعيداً من أعياد الشعور!

ها أنا أعود إلي الدفاتر والأقلام والدراسة والحفظ. ها أنا أعود إلي جنتى المفقودة.

وعلي غلاف دفتر المحفوظات تلألأت بعينىّ هذه الكلمات التى كتبتها بخطى الردئ، خط التلميذة فى الثالثة عشرة من العمر:

الاسم- فدوي طوقان

الصف- (شطبت الكلمة وكتبت بدلاً منها «المعلم»): إبراهيم طوقان

الموضوع- تعلم الشعر

المدرسة- البيت

ولم تكن هذه بعينىّ كلمات، بل كانت شموسًا وأقمارًا قبلها كانت حياتى واقفة لا تسير مع الزمن ولا أعرف ماذا أفعل بها. أما الآن فها هى حياتى تتحرك، وها هو إيقاعها يسرع، وها أنا أشعر بتجددى وبعودة الثقة بالنفس من جديد.



ما أروع الخطوة الأولي! ما أجملها! ما أشد سحرها!

أصبحت خفيفة كالطائر. لم أعد مثقلة القلب بالهم والتعب النفسى. فى لحظة واحدة انزاح جبل الهوان وابتلعه العدم. وامتدت مكانه فى نفسى مساحات المستقبل شاسعة مضيئة، خضراء كمروج القمح فى الربيع.

ويا لرهبة الخطوة الأولي

إن قوي الشر، الظاهرة منها والخافية، لا تهادن أبدًا. إنها تقبع دائما فى زوايا الدروب متربصة بنا، مع الخطوة الأولي يبدأ العراك والصدام بين إرادة الحياة وقوي الهدم، سواء أكانت عشوائية أم مخططة ومرسومة سلفا.

قالت أختى (فتايا) لأبى وهى تظن أنها تزف بشري منيرة: هل تعلم أن إبراهيم شرع يعلم فدوي نظم الشعر؟

أشاح أبى بيده، وواصل شرب القهوة المرّة، كانت حركة يده حين أشاح بها تحمل كل معانى الإستخفاف والاستهانة.

انكمش قلبى مع حركة يده، وتقلص...

انه لا يؤمن أننى أصلح لشئ- قلت هذا بينى وبين نفسى- إنه لا يحمل لى سوي شعور اللا اكتراث، كأننى لا شئ. كأننى عدم وفراغ، كأننى لا لزوم لوجودى إطلاقا.

وازدادت الفجوة فى عيون عمتى وأفراد أسرة عمى مثار سخرية بادئ الأمر، ثم تحولوا إلي أعداء حقيقيين. يعملون علي قطع الطريق دون مسيرتى الجديدة.

وكان عليهم أن يتصرفوا حسب تكتيك خاص وذكى، فلم يكن من الهيّن إقناع إبراهيم بالعدول عما بدأه معى، فهو مستقل التفكير، صريح، جرئ، وصعب الإنقياد إلي غير ما يؤمن به.



مضيت فى المسيرة مع إبراهيم والشعر لستة أيام متتالية، فجأة توقف إبراهيم.

ثلاثة أيام مرت دون أن يدعونى لأسمع له آخر قصيدة طلب إلىّ حفظها وليختار لى قصيدة أخري للحفظ.

مع هذا الصمت المفاجئ عاد الشعور بالثقل إلي قلبى، وبدأت كتفاى تتهدلان من جديد، وعاد ظهرى يحدودب وأنا أمشى، كما فى الأيام التعيسة السابقة.

كنت ذات طبيعة خجول، تعوزنى الجرأة وإقحام نفسى علي الآخرين حتي لو كان إبراهيم. انتظرت حتي يقول هو شيئًا ما، وكان انتظارى علي هم وقلق.

فى صباح اليوم الرابع كنت قد قررت مبادرته بالسؤال، مستمدة بعض الجرأة من يقينى بمحبته الحقيقية لى ورفقه بى.

وكعادتى كل صباح حملت اليه ابريق الماء الساخن لحلاقته اليومية، وضعت الوعاء الصغير علي المغسلة. ووقف هو أمام مرآتها البيضوية الشكل متهيأ للقيام بعملية الحلاقة.

بدأ يمرر الفرشاة والصابون علي جانبى وجهه وعلي ذقنه، أما أنا فوقفت بجانبه انظر إليه من خلال المرآة، وأبذل مجهوداً صامتاً لأبدأ بالسؤال، حتي أعاننى الله فى النهاية وفك عقدة لسانى. سألته بصوت مرتعش: هل غيرت رأيك؟ هل كففت عن..

وانكسر صوتى وذاب، رغماً عنى، فى دمعتين. وأجابنى فورا وقد أصبحت رغوة الصابون البيضاء تغطى نصف وجهه: كلا لم أغير رأيى. ولكننى توقفت لأتأكد من صدق رغبتك فى التعليم. سنواصل اليوم الدرس.

هبطت الدرج بقامة منتصبة، وفتحت لى الدنيا ذراعيها من جديد.

المستقبل ينتظرنى، إنه هناك. لا ريب فيه ولا شك! وكان هذا كافيا لتبدل إحساسى بالوجود.



وجه بيضوى ممتلىء، عينان دعجاوان، غرة ناعمة سوداء تغطى الجبهة، وظل ابتسامة علي شفتين مطبقتين مع وضع سينمائى للجسم والرأس.

لا تزال الصورة واضحة فى خيالى بكل قسمات الوجه الذى لم تمحه السنوات البعيدة من ذاكرتى: وتحت الصورة، أو فوقها، أو جانبها، الاسم المطبوع بخط عريض أسود: «الشاعرة العراقية رباب الكاظمى».

لقد تخمرت فى نفسى صورة مثالية لرباب، فأصبَحتْ مثلاً أعلي أطمح إلي بلوغه. وكان للانطباعات الوجدانية والتأثرات النفسية التى تركتها فى أعماقى تلك الصورة شأن كبير فى توجه تفكيرى للشعر قبل الحكم علىّ بالإقامة الجبرية فى البيت.

وحين بدأت محاولاتى الجادة فى نظم الشعر كانت أول قصيدة كتبتها دون أخطاء عروضية أو نحوية موجهة إلي رباب الكاظمى:

أربـاب تـاج الـشـاعـرات
أربـاب فـقـت الـنـابـهـات
والـلـه أنت خـلـيـقـة
بـالـمـدح بـين الآنـسـات(!!)
وأبـوك قـد أعـطـاك كـنـزا
زاخـرا بـالـطـيـبـات
الـكـاظـمـي مـا الـكـاظـمـي
هـو نـاظـم لـلـبـيـنـات
يـا أيـهـا الـشـعـراء
لا تـقـفـوا أمـام الـشـاعـرات

وحين توفى أبوها الشاعر عبدالمحسن الكاظمى بعد ذلك بسنوات رثيته بقصيدة أُعزّى رباب من خلالها.



فدوي طوقان ، رحلة صعبة.. رحلة جبلية ، دار الأسوار ، عكا، ١٩٨٥، ص ٦٤ – ٧٣.

لماذا

أحاول من غور يأسى وحزنى
أفلسف موتك، أضفى عليه
ظلالاً ومعني.
أقول لقلبى:
رويدك، كانت حياة بألف حياه
وان عبرت فى سراها كخطف الحلم
حياة امتلاء، حياة احتدام وعنفْ
وكالنّجم أهوتْ هُوِّياً
بأى احتدامٍ وعنفْ
حياةٌ تناسقً فيها النّغمْ
مع الموت؛ أىّ ختامٍ
للحنٍ مثير

◆ ◆ ◆

أقول لقلبى: لقد عاش يهوي
عناق الحياة علي المرتقي
وتخلبه الشمس عشقاً فيمضى
يشق السماء [illegible]
أكان يطيق احتمال دبِيبِ المساء؟
فيلقى المصْير بنار خبتْ
وروح ذوتْ فى هشيم السنين؟
علي المُرتقي عانق الموت، ما بين–
أهداب صبح مبين

◆ ◆ ◆

أقول لقلبى اكتمالٌ هو الموت –
تتويج عمرٍ، وفيضُ امتلاء
هو الآن جزءٌ من الكون حرٌ
يدور مع الفلك الدائر
تفلّت من لمسات السنَين –
من الزمن الغادر
أقول...
ولكن قلبى فى غمرات أساه –
العميق الصموت
يعود فيقرع جدران صدرى
يسائل فى حيرة فى قنوط:
لماذا يموت؟

لماذا يموت؟



فدوى طوقان ، ديوان : أمام الباب المغلق ، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٧، ص ٣٢٧ – ٣٢٨.

هذا الصمت المكابر

قصيدة
علي الليل محمولة، تغزل الحلم عند موانى التوقّعِ –
تنسجه فى انتظار الصباح
وعند ارتحال النجوم البعيدة
يظلّ غيابك ملءَ الصباح، وتبقي القصيدة أرجوحةً –
فى الفراغ معلقة بذيول الرياح

تجيءُ المراكب لا صوت منك، تعود المراكب لا صوت منها
وعند الموانى يحوّم طائر.
يقيس الزمان بدقّات قلبِهْ
ويدفن فى الثلج آهات حُبِّهْ
وتبقي القصيدة عصفور شوقٍ بغير جناح
فلا هى يوماً إليك تسافر
ولا الوقت يُدنى البعيد.

لماذا نضيّع أعمارنا فى منافى الجليد؟
لماذا نبددها تحت صخرةِ شوقٍ كئيبٍ وصمتٍ مكابر؟

فدوي طوقان ، ديوان : تموز والشىء الآخر ، دار الشروق، عمان، ١٩٨٩، ص ٥١٧ – ٥١٨.

سلمي الخضراء الجيّوسى

قمريات

القمر الأعرج

أيها القمر الأعرجُ
يا رفيق صبانا
تدل علي أرضنا
وفى السر ضاجع قرانا
أيها القمر الابله الأهوجُ
خنتنا!
فالعدو رآك وهبَّ يروم لقانا

وأتانا وفى يدنا قمر أبلجُ.

لندن حزيران ١٩٦٨

حكايـة

كان عمى
يصلّى لفردوسه، بعد أن قام واغتسلْ
سُنّة الله والرسول ونهر من القبلْ
تتلوي حضارة الجنس فى فخذيه، فى السرة المترعةْ
زوجه مهرجان السرير وأولاده زينة الأجلْ

كان زوجى
يصلّى لبرغوثه ويصر الدنانير كى يشترىْ زوجةً معهْ.
وأنا؟
ندبة فى الجبين المهاجر، ختم علي الريحِ، عقد زواج مع النفىِ، أهلى مواتٌ،
صغارى مصابيح مقصوَرة شاردةٌ
وبلادى؟
بلادى قمير من الحزن غاب
وجثمان أمى توغل بين الهضابْ
الرياح علي قبرها جامدة

لندن ربيع ١٩٦٩

السماء الضائعة

(إلي مى)

الهلال أراق دماءه
كم بحثت علي شعره الأسود البكر فى عتمات الوجوهْ
وصرخت له عبر ساحات لندَن، فوق المداخن أن يستريحْ
وسألت عيون الزجاج عليه فقالوا تخبأ فى الريحْ
ما يريد الهلال المعذب، يلبد فى عطفات الدهاليز، يسفح فيها رداءه
وجهه الشرق يبحث عن أهله ويتوهْ
استرح يا هلالٍ، جيوب المغارة قبر فسيحْ
استرح يا هلالُ، استرحْ يا شريدُ، استرح يا هلالْ
الأهلة تمرح فوق التلالْ
يا قميرا اضاع سماءهْ .

لندن خريف ٦٩

البدر والكلاب

أول بدر نبحته الكلابْ
فبات فى جوفها
سهم من الضوء تلاشي وذاب
بلا بقايا
هل رأيت الكلابْ؟
منفوخة الأوداج، عوج الرقاب

والبدر فى جوفها
تمشى كأن الأرض فى كفها
العوبة أو كتاب؟

لندن .

بلع الحوت القمر

بلع الحوت القمر
يوم كانت زاهرات النجومْ
فى إجازة
بلع الحوت القمرْ
وأحال السماء
مأتما أو مغازة

فخلعنا سماءنا والقمرْ
واخترعنا سماءنا والقمرْ
وحفرنا طريقنا فى الرجومْ
فى برارى الحجرْ
ودفنا الجنازة.

لندن ايلول

سلمي الخضراء الجيّوسى، «قمريات"، اختيار الشاعرة، د. ن، ١٩٦٩.

بغداديات

(١)
تردّدت
لم تعرفَينى
وأنا نخلة من سمائك
صوتى جهير ويأس رُ
أحمل وجهك أينما وزّعتنى المطاراتْ،
هل تعرفينى؟
أنت طيبة، وأنا مثل أهلى:
أحب، وأكفرُ.

....

(٢)
أتعبتنى المآذنُ
تمسك بى كلما سرت غرباً
كأنى عثرتُ
وتتبعنى بعد كل صلاةٍ

كأنى كفرتُ
أتعبتنى المآذنُ.

....

(٣)
رأيت ببغدادَ وجهى يداورنى
كأنى الغريبة لم أرتكز يوم أقلعت عنها عليها
سمعت ببغداد صوتى يحاورنى
يتمتم يشتدُّ، يغرى وينذرُ،
صوتى يحاورنى
ويفرج عنى
رأيت ببغداد قبرى يغادرنى.

....

(٤)
لقد كثرت فيك خيل الرشيدِ
وشدّت عليك الجَوامعُ
هل أنت صومَعة أو رباطٌ؟
وأين وصلت
لتنبع منكِ الزوابعُ؟

....

(٥)
أتيت وفى نخلها
رأيت ذهولى القديمْ
وشاهدتُ فيها انقسامى المبرحَ
درتُ علي نهرها
أباعد بينى وبين التذكّرِ
خادعنى نهرها
وألقي علىَّ التحايا
ولما أجِبت التحيةَ
أشهرَ حولى المرايا.

....

سلمي الخضراء الجيّوسى ، «بغداديات"، اختيار الشاعرة ، د. ن ، ١٩٩٤.

سميرة عزام

الغريمة

هذا ثامن فندق تلف حول عمارته محاولة أن تجد بابًا لا يكشف عن ترف فى الموجودات يشعرها بأن مثلها لا يمكن له اقتحام هذا الترف فى سبيل السؤال عن

عمل...

– أنا غسّالة يا سيدى.. أستطيع أن أعمل يومًا كاملاً بلا ملل و.. ويسكتها مدير الإدارة دون أن يعني كثيرا بوعى ما تقول..

– لا، لا نريد.. فنحن نغسل بالكهرباء..

بالكهرباء، بالكهرباء... وتروح تحمل سؤالها لفندق آخر تلف حوله ساعة أو أكثر قبل أن تهتدى إلي باب خلفى، تنفذ منه لتلقى سؤالها وتسمع الجواب نفسه.. ولكنها لا تنثنى.. يجب ألا تعود إلي البيت إلا وقد ارتبطت بعمل يسكت معه ضيق زوجها وسخطه فلا يعود يضربها كما فعل الليلة، فيثبت أنه لا يختلف عن أزواج سعدي وعيوشة وأم حسن ويفقدها إحساسها بالتفوق علي رفيقاتها حين كن يقلن فى ثرثرتهن «وهيبة الوحيدة التى لها زوج كرجال المدن لا يضرب زوجته..».

أجل ما كان من عادة زوجها أن يهينها، ولا شك أن الأزمة قد بلغت معه منتهاها حتي فقد أعصابه وضربها علي فمها بظاهر يده حين طلب إليها أن تناوله إبريق الماء فلم تسمع إذ كانت تنفخ علي نار موقدة فى حوش البيت وناداها مرتين فلم تسمع أيضًا، فما أن فتحت صوتها علي مدي طبقته بعد أن ضربها وصاحت به أن يخجل، حتي ناولها لكمة علي خدها وأخري فى صدرها ثم دفعها دفعة قوية هوت معها إلي الأرض.

وما تدعى وهيبة أن زوجها كان لطيفًا، كلا فهو علي شىء من جفاء فى الطبع لا يزايله إلا اذا حانت لحظة يشد فيها يده علي كراثة أو علي أجرة وهيبة من غسلة، فيبتسم ابتسامة تغيب تحت شنبه المتهدل ثم يدعو لوهيبة بصوت مخنوق بالعافية وقوة الذراع.

كانت تحس أنه علي برّه بها أحيانًا لا يحبها، ولم تكن تطمح فى أن يغرم بها فما تنسي ساعة مالت أمها عليه تغريه بها وتحاول ما وسعت أن تعمى عينيه عن فمها الكبير وشعرها الخشن كذيل الحصان بقولها «لها ساعد لا يكل. أجيرة حقل وحمالة ماء من النبع» فهرش رأسه وبرم شنبه ثم حاول أن يبتسم مغمغمًا: «ماشى الحال».

وفى ليلة العرس قال لها: «اسمعى يا وهيبة، مكاننا ليس هنا أجراء نخدم باللقمة ولا نكاد نظفر بالستر، بل هناك فى المدينة حيث مضي اخوالى كلهم وابن عمى وعادوا وفى أكياسهم فضة استملكوا بها».

أجل نبقي هناك عشر سنوات، عشرين سنة، ثم نعود إلي ديارنا نستملك أرضا صغيرة نقيم عليها غرفة من حجر.. أتسمعين؟».

وأجفلت اذ سمعته– لأول مرة– يضحك ضحكة مجلجلة.

هى ذى معه فى المدينة منذ بني بها لم تزر بلدتها مرة واحدة تشتاق أهلها وأترابها فلا يخليها تذهب إليها، حتي عرس أختها لم ~~تشهده، وما حضرت مأتم أمها~~ إذ ماتت وبلغها أن أهل القرية اتهموها بالعقوق وسبّوها سبابًا لا تستحقه.. كان زوجها يزجرها كلما رجته أن يزورا الديار.

«والله ما أعود إلا مالكًا أو محمولاً».

نعم ما تزوجها إلا لأنها قوية كالحصان، ما توانت يومًا عن غسلة وكانت أجرتها تؤول إلي جيبه ليرة علي ليرة.. ما ينفق منها إلا ثمن أرغفة سمراء وحبات زيتون وزيت للسراج، ويعد المتجمع لديه يومًا بعد يوم ويقول: «الفدان بكذا ليرات، دربنا طويل وأرضنا بسعر الذهب..».

وكانت تأخذها نشوة كلما أحست وهى تعطيه ليرة بأنها ثمينة له، وأنها شئ فى حساب مطامعه وتفرح حين يتحدث إليها عن الأرض فيقول أحيانا: «أرضنا

التى سنشتريها».. ويربت كتفها..
وكانت نقطة التحول حين سمعت بشىء عجيب. إذ قالت لها أقدم زبوناتها وهى تطلب إليها ألا تأتى إلي بيتها فى الموعد الأسبوعى المخصص للغسل.. «بأنهم صاروا يملكون غسالة كهرباء».
كانت تعرف من الغسالات غيرها كثيراً.. مبروكة وخضرة وفطوم.. أما «كهرباء» فما عرفتها بين المنافسات..
فلما استزادتها إيضاحاً وأدركت المرأة أن الأمر ألبس عليها ضحكت من قلبها وقالت يا غبية.. ما أقصد إنسانة إنما هى آلة تغسل الغسيل وتعصره أحسن مما تفعلين أو تفعل أية غسالة ماردة..
وظلت طيلة مساء ذلك اليوم تفكر فيما سمعته من المرأة.. وضايقها أن تحتفظ بالأمر الغريب لنفسها فقصّت علي زوجها خبره ففكر كثيراً وقال والله ما سمعت أحداً يتحدث بها فلعل فى الأمر حيلة لتتخلص بها المرأة منك. فقامت تفنّد ظنه وتعدد له أنها أحسن من يكشط الوسخ عن بنائق القمصان وياقاتها، وينشر الملابس علي الحبال زاهية كالورق النظيف. وفى البكور سارعت إلي المرأة ترجوها أن تدعها تعرف كيف تغسل الآلة فقامت المرأة تريها بفخر دون أن تنتبه إلي جحوظ عينى وهيبة وهى ترقب كيف تدور الدواليب فى ذلك الوعاء الأبيض بالماء والصابون فتخرج منها الملابس نظيفة مهفهفة.. وعادت وهيبة تفكر فى عدوتها البيضاء.. وجلست ساهمة علي طرف الحصير فسألها زوجها ما بها فاخبرته بقصة الغسالة فقال: «هذه المرأة أول حبات المسبحة وجارينها بعدها وبعدهن كل نسوة الحى، وكل نساء المدينة».
وصدق زوجها.. فبعد أيام سمعت زبونة أخري لها ترجوها غير مشفقة ألا تأتى اليهم بعد اليوم. وفى نفس الأسبوع سمعتها من واحدة ثالثة.. وفى أقل من شهر سمعتها من خمسة بيوت. وفى خلال سنة صار الغسل باليدين موضة قديمة..
وكان أكثر ما آلم وهيبة أن النسوة اللاتى غسلت لهن باخلاص سنوات كثيرة ما فكرن فى قطعهن رزقها وسلب آلاتهن لقمتها. وعذبّها أكثر أن تري زوجها يمتعض من تعطلها ويزم ما بين عينيه ولا يحاكيها ليلة علي ليلة، حتي إذا ظلت يدها ترتد فارغة انفجر بها صائحاً: «ترانى تزوجتك لطراوة يديك؟ أكان يتطلع إلي مثلك الا كادح مثلى..» ثم يرميها بالبلادة لأن النسوة آثرن عليها (مكنة).
كم كرهت هذه الآلة.. مرت يوماً فشاهدتها مصفوفة واحدة واحدة، عشر فى الواجهة أو أكثر، وخالتها تهزأ بها، بيديها المتغضنتين بعصابتها المشدودة علي رأسها، وودت لو تفعل شيئاً.. لو تحطمها مثلاً.. أو تعطّل دواليبها فلا تدور.. واندفع الدم إلي وجهها.. وظلت هكذا طويلاً حتي أبصر بها موظف المحل، فتقدم منها يقول بحذلقة هازئة.. ماذا تريد المدام؟.. فانصرفت ترتعش علي شفتيها اللعنات..
وهوذا زوجها قد ضربها الليلة.. وأشعرها بأنها عاجزة عن أن تكون ذات فائدة..
وكم قوّي شعورها بالعجز فى الصباح حين حاولت أن تشتغل خادماً فى بيت فسرحتها صاحبة المنزل بعد ساعتين وقالت لها بأنها همجية لا تعرف كيف ترتب فتكدس المخدات بغير ترتيب وتدلى أطراف الملاءات فى غير رشاقة.
هى لم تكن الا غسالة ولا يمكن أن تكون غير هذا..
وظلت تلف حول الفندق الثامن.. تحار كيف تدخل وتخشي لو دخلت أن تسمع نفس الكلمة.. ودخلت باباً فتصدّت لها خادمة تزجرها ونفذت من غيره فرأت سادة يغوصون فى مقاعد وثيرة يتأملون سحب الدخان المنعقد..

وكادت تتعثر وهى تستدير لتخرج..

واهتدت إلي باب خلفى أفضي بها إلي المطبخ.. فدنت من طباخ وقالت: «اسمع يا عمى أنا غسّالة..» فنحاها عنه بملعقة خشبية وأجابها أن ليس من شأنه أن تكون غسّالة أو لا تكون..

ولا تدرى بعد هذا كم بابًا دخلت وكم ممشي قطعت قبل أن يشفق عليها مراسل أوصلها إلي المسؤول.

ووقفت لحظة تتطلع إلي وجهه بحيرة.. كانت تحس بما سيقول (غسّالة كهرباء..).

وتعثرت الكلمتان الأوليان علي شفتيها: «اسمع يا سيدى أنا.. أنا..»

– أنت ماذا؟

وصمتت كأنها تخشي أن تتم كلامها.

وتضايق الرجل فصاح: «قولي ماذا لديك؟..»

– اسمع يا سيدى، أنا غسّالة.. أغسل بيدى.. وأغسل بالكهرباء.. بالكهرباء إذا شئت.. دعنى فقط أشتغل.. ولا تعطنى أجرًا إذا ما أعجبك شغلى..»

كيف خطرت لها الفكر فى أقل من لحظة لا تدرى.. ولكنها قالت وأغمضت عينيها تتذكر كيف رأت زبونتها القديمة تصب فى الآلة ماء ساخنًا ومسحوقًا أبيض، ثم تدير الآلة فتروح هذه ترقّص بدواليبها الماء والصابون وكومة الثياب.

ليس الأمر عسيرًا كما توهمت.. وستتعلمه حتمًا لو أديرت أمامها مرة أو مرتين أخريين..

ستحاول أما لها عينان ويدان ورأس كالنسوة اللاتى تعلمن الغسل بالآلة..

وارتعشت أطرافها وهى تفكر فى هذه المغامرة.. ولكنها ما شاءت أن تتراجع.. وظلت عيناها معلقتين بلهفة فى وجه الرجل.

ولعلها لم تسمعه حين قال للمراسل خذها إلي غرفة الغسيل ودع زكية تجد لها شغلاً، إذ كانت ما تزال تعدد له أنها غسّالة، تغسل بيديها، والكهرباء!..

سميرة عزام، مجموعة: الظل الكبير، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢١ – ٢٨.

فلسطينى

قال متردداً والكلمات تجرح حلقه المتيبس: «أعطنى هويتك، أنظر فيها قليلاً وأعيدها».

وبدا علي جاره أنه لم يفهم فعاد يقول مادًا يده من نفاد الصبر: «أقصد بطاقتك، بطاقة الهوية» وتحت عصبية اليد الممدودة، أخرج الآخر محفظة متآكلة وأخرج البطاقة ودفع بها إليه وقبل أن يخطو بها متجاوزًا العتبة مرق الصوت من وراء اذنه يقول «وما تفعل بهويتى يا فلسطينى؟» ولو سمع الجار الشتيمة التى دمدم بها، لانتزعها حتمًا من بين أصابعه. ولكنه سارع بها إلي دكانه ورغم أمام الطاولة المبقعة، وفتحها، ثم مد يده إلي جيبه وأخرج بطاقته الجديدة، خضراء يجرى فيها رونق. أرزتها سليمة الأغصان لم يتلفها التغضن. جديدة ما تسلمها إلا قبل اسبوعين. صورته علي جانب منها، وعلي كل طيّة من طيّاتها الثلاث، ختم مستدير لقسم النفوس فى وزارة الداخلية، ورابع علي الوجه الآخر من الطيّة الرابعة.

أربعة أختام مستديرة صريحة لا تنفذ شبهة من حلقتها المفرغة، وتوقيع الرئيس، والمأمور، يكادان يتعانقان فى خطوة ملتوية ملتفة غامضة منيعة، لا يبين منها اسم ما شأن تواقيع بيدهم مقدرات الأمور..

وتلك بطاقة الجار لا تختلف إلا بالصورة العتيقة الباهتة وبتفصيلات الاسم والسن ومكان الولادة وتاريخها، وبالتغضن والتكسر وكثرة ما تحمل من آثار أصابع ملوثة لا مكترثة، لا تحسن الرفق بما يأتى كحق طبيعى لم يقاض صاحبه جهداً أو قلقًا أو شكًا نفوداً.. بطاقة لم تكن بنت شعور مغيظ محنق ممض من أنه فى الحى الذى يعيش فيه، والذى افتتح فيه دكانًا تعامل معها الحي أكثر من عشر سنوات نقداً، أو دَيْنًا، أو (نصبًا)، لم يستطع أن يفرض لنفسه اسمًا.. فهو فى هذا الركن الذى تقوم فيه دكانًا لا تختلف شئ عن أكثر الدكاكين ليس أكثر من «فلسطينى».. بها ينادونه، ويعرفونه، ويشتمونه إذا ما اقتضي الأمر، شأنه شأن ذلك الأرمني الإسكافى الذى عرفه فى صباه، والذى سلخ من عمره التعس ثلاثين عامًا متداركًا نعال الحى بالرقع فلم يبال أحد- بل لم يجد حاجة- بأن يعرف أهو هاجوب، كما يمكن لأسماء الأرمن أن تكون، أو سركيس أو وارطان، فالأرمنى هو كل اسمه، هكذا عاش، وهكذا مات، فعزله اسمه عن كل الناس حيًا وميتًا، ولعل التسمية قد عقدته فما ترحرحت تلك العجمة فى لسانه، ولم ترتفع اهتماماته بما حوله عن مستوي الأقدام!

بطاقتا الهوية، وإصبعه تنتقل بينهما، والتفاصيل تهتز أمام عينيه، وزبون يدخل فيصرفه بحركة من يده دون أن يري وجهه، فيمضى هذا ساخطا لا يعرف لماذا لا يريد الرجل أن يبيع.. والصحيفة تنزلق إلي الأرض، فيرفعها فيرهبه العنوان الأحمر يتوج صور أعضاء العصابة. وما جدوي أن يقرأ الخبر للمرة الخامسة أو المائة؟ فلن يفهم أكثر مما فهم، والصورة برهان دامغ.. الوجه النحيف وقد أكلت النظارتان أكثر من نصفه، والصلعة التى تمتد من فوق النظارتين ولكنها لا تكشف عن مخ جهنمي.. وآخرون معه لا يعرف منهم إلا واحدا.. قد يوحى بأى شئ الا بحقيقته، كان واسطة التعرف إلي ذاك الآخر.

أجل كان يلبس بذلة زرقاء حين دخل واشتري علبة كبريت دفع ثمنها (فرنكا)، ثم مد يده وأخرج صندوق سجائره وأخذ واحدة وعرض عليه أخري اعتذر عنها.. ودخن نصف السيجارة وهو علي العتبة ووجهه إلي الشارع، ثم عاد وتلكأ كمن يريد أن يجرؤ إلي حديث، أى حديث.. ولكنه عاد وطرق الموضوع بصراحة.. لقد سمع، ورفض أن يقول كيف بأنه راغب فى أن يتلبنن.. فاذا شاء فهناك طريقة واحدة.. والثمن، أجل هناك ثمن، الفا ليرة.. أغلي قليلاً مما اعتاد الناس أن يدفعوا، فموقف السلطات بات أصلب، ولقد نبش الفلسطينيون كل جذور العائلات فما ظلت شجرة لم تمد فرعًا فى فلسطين.. وهؤلاء المحامون الذين أُثروا من تجارة التجنس قد بدأ يخذلهم علم الانساب!!..

كثير.. وقبل سنوات لهم يهضم أن يدفع ربعه ليبحث عن جد له فى قرية لبنانية طيبة، أو ليبتعث تاريخًا جديداً لجده أبى صالح الذى ولد فيما يعلم، ومات فيما يعلم أيضًا، فى «الرامة» ويهذا لا يكون قد أنكره قبل صياح الديك ثلاثًا، ولكنه يستأذنه فى أن يعدّل من صدفة جغرافية تعفيه من كلمة (فلسطينى) تشده إلي قطيع أمحت فيه معالم الفردية، يتلفظون بها مشفقين حين يرفض أن يكون موضع شفقة، أو ساخطين دون مبرر لسخط، أو متوعدين كلما نفث منافسوه من أصحاب الدكاكين الصغيرة حقدهم ونسجوه إشاعات يفسرون بها الأحداث علي هواهم، تلتف حوله خيوطا واهية ولكنها متكاثفة، ضبابة قلق تحسسه أنه وحانوته

هذا وأولاده الأربعة وزوجه، ليسوا أكثر من ألهية يتعابث بها مفسروا الحوادث، وان ضمانته الوحيدة من الترحيل إلي مجهول من اللجوء المركب هى أن يكون متجنسًا، وكان الحافز فى نفسه يضعف كلما تراخت خيوط الإشاعات ومات خوفه فى ثنايا الحياة اليومية، ويقوي كلما عرض له أمر يهز وجوده المتداعى، حين تخرّج ابنه من المدرسة مثلاً فما لّه عمل واحد أكثر من الأسبوعين.. القانون صريح.. ومحظور العمل فى المصالح والشركات علي غير أبناء البلد، فما وجد الشاب بدّاً من أن يطير إلي صحراء من هذا الصحاري التى تجمع الناس أخوة علي شقاء، وتتسامح فى إشقائهم ولو اختلفت الجنسيات..

ويقوي الحافز، يقوي أكثر فأكثر كلما عزم علي سفر لشأنٍ آخر إلي أهله الضاربين هنا أو هناك، فيضطر إلي الوقوف بباب السلطات أسبوعًا ليحصل علي ورقة مرور.. وحين مات أبوه الذى يعيش فى بيت أخيه فى عمان، أبرق لهم يقول (أخروّه أسبوعًا أو فادفنوه) وكانت أتعس نكتة استمع إليها موظف البرقيات ضاحكا.



الفان؟ كثير..

ويزوى المفاوض ما بين حاجبيه، ويقرع طرف سيجارته الثانية بالعلبة قبل أن يشعلها «لن تحصل علي هويّة بأقل، وأظنك حاولت، ألم تحاول؟؟».

بلي، لقد حاول، وتأرجحت دعواه ثلاث سنوات بين أعذار المحامى الذى عاد ونفض يده من كل شئ، إلا من نصف مبلغ الأتعاب الذى تقاضاه مقدمًا..

«ولكن أتكون مضمونة؟»

«لن تدفع قبل أن تمسك بها بيدك. ولن نتقاضي شيئًا مقدمًا». وتلين القسمات، وترتسم ابتسامة، وينسحب الرجل ويتردد صوته طريئًا فى أرجاء الدكان وخافتًا ولزجاً.. «فكر، فكر، وسأفر بك بعد أيام.» ولم يفكر وحده.. بل حاول أن يدع زوجته تفكر، وقالت مستهولة المبلغ «الفان يا رجل، أهى هوية وزير وغيرنا نالها بثلثمائة أو بستمائة أو بالمجان؟» فرد دون أن يكون أساسا شديد الاعتقاد بما يقول ولكن ضنًا منه علي الفرصة أن تموت فى جولتها الأولي «ألفان، لأننا استكثرنا الثلثمائة ذات مرة.. وقد نضطر أن ندفع العشرة آلاف يومًا.. أتريدين لابنك أن يعيش حياته فى جحيم الدرجات الخمسين صيفًا فى بلد لا تعرف الشتاء؟» فتقول وقد مس أضعف أوتارها «إفعل ما تشاء! ألفًا، الفان، لا بارك الله لهم فيها.. هذا إذا وجدتها..».

«أجدها إذا افرغت نصف واجهتى.. وسأعلّق فيها تلك الهوية فقد يعرف لنا الناس إسمًا..».



من عادة الكذب أن يكون حاسمًا فى صدقه.. ثلاثة أسابيع أو أربعة وانتهي كل شئ.. بسرعة ومضاء.. ما قابل ذاك الذى يسمى نفسه أستاذاً أكثر من مرة واحدة، ولقد سجل كل التفصيلات علي ورقة، الاسم، واسم الزوجة، والأولاد، وأمكنة الولادة والأعمار، وقال بأنه سيتدبر كل شيء، الشهادات والوثائق، لا يريد شيئا عدا الصور، والألفين طبعا.. وهى ليست خالصة له، المصاريف كثيرة والأطراف أكثر..».

أجل الأطراف أكثر.. خمس صور فى الصحيفة لخمسة مزورين، عصابة مستوفية شروطها، زعيمها أستاذ، وأنفارها لا يقلّون استاذية، ولديهم- كما تقول الصحيفة- عِدّة شغل كاملة، وقد اعترف أحدهم بأنهم زوروا العشرات من

البطاقات.. لم يكن الأحمق الوحيد، فوجود الحمقي ضرورة لتجد العدالة ما تشغل به نفسها.. آه خذلتنى يا جدى أبا صالح، تراك ما أحببت أن تعيش مرتين، مرة ترعي بستان زيتون فى الرامة، ومرة ترفع أنصاب كرمة علي جلول جبل لبنانى؟ ».



مزّق، مزق الصحيفة وافقأ بأصبعك عين هذا الأستاذ من وراء نظارته السوداء، وما يجديك تمزيق الصحيفة؟ أنت بذلك لا تمسح حقيقة الكذبة، ولا تلغى أنك دفعت ألفين ثمن كرتونة، وأنك تعاونت مع مزورين، وقد...

كيف لم يفطن لذلك..؟ وشعر بالنار تأكله مرة واحدة.. ألا يمكن أن يكن هؤلاء قد كشفوا عن المتعاملين؟ ما أغباه.. أو ما يزال يشك فى أن هذه هى النتيجة التى لا نتيجة بعدها؟ كيف إذن يتاح للسلطة أن تجمع البطاقات المزورة؟

مخدوع أم متواطيء؟

حين يدفع الفين تلتهمان نصف واجهته يكون مخدوعًا، وإلي أن تسجل الحقيقة فى محاضر التحقيق يكون قد أنهك حتي العظم، وتكون سيرة حمقه دخانًا لسجائر الجيران.

مزّقها، مزّقها فقد بدأت تأكل لحمك. لماذا عدت ووضعتها فى جيبك الداخلى؟ هى ليست- بألفيها- أثمن من هذه الصحيفة التى دفعت فيها «ربعًا». مزّقها فواجهتك الفارغة ستمتليء يومًا وستظل حقيقتك مفرغة حتي تملأها بغير السرور، بغير خديعة المزورين.

مزّقها، أو تريد مزيدًا من الإثبات؟ تتاجر الصحف أحيانًا بالأكاذيب ولكنها لا تزين كذبها بخمس صور لأشخاص عرفت منهم اثنين، وستشرف بمعرفة الباقين حين تواجه بهم.

أتجبن عن تمزيقها حتي وأنت تحملها بين ابهامين وسبابتين؟ مزّقها، مزّقها فهى لا تسوي أكثر من ثمن الورق الذى طبعت عليه. ولكن لا. دعها فى جيبك الداخلى، دعها فتمزيقك إياها لا يخفى شيئًا، أو يلغى شيئًا.



ويجلس ثم يقوم، ثم يجلس ثم يقوم، ويلف فى الحانوت كثور أعمي يواجه الشارع، فقد يخنق اضطرابه بين مظاهر الحياة المطمئنة إلي رتابتها، المستكينة إلي حظوظها، الحافلة بلا شيء، محطة البنزين تفرغ وقودها فى بطن سيارات لامعة، وبائع الفاكهة يجلو غبار البستان عن تفاحاته، ويجهد فى أن يجعلها حمراء، واللحّام يأكل بسكينة أطراف الذبيحة المعلّقة، والحلاّق يعبث برأس مستسلم، رأس لا يتفصد منه القلق كرأسه.

ويرتد عن الباب ملتفًا إلي الصحيفة المزقة فينحنى عليها ويجمعها ويكوّرها ثم يلقى بها ويدير وجهه للشارع ثانية، فيري تلك السلة الأزلية، تتدلي إليه بحبل من الطابق الثانى الرابض فوق دكانه وقد راحت تتراقص فى نزق تحت الشرفة، وصوت الجارة يندلق من فوق تريد شيئا.. هى ابدًا تريد شيئًا.. ولا تتذكر أشياءها إلا علي دفعات.. ولكنه لا يسمعها الساعة، ولتصح مثلما تشاء فلن يبيع أحدًا.. ولكن الصوت لا ييأس، والسلة لا تيأس. وتمد المرأة صوتها الأرعن جسرًا عبر الشارع تبلغ به صبى الكراج المواجه وتقول له بلهجتها المطوطة الخلية «وينك يا ولد قل «للفلسطينى» أن يضع لى فى السلة زجاجة كولا...».

وأحسّ «الفلسطينى» فى وقفته المرتعشة خلف الطاولة بالصوت المطوط ينفذ من سترته إلي جيبه الداخلى، فيحيل البطاقة إلي مزق، مزق صغيرة تخشخش

فى جيبه، فى غير عنفوان!.

سميرة عزام، مجموعة : الساعة والإنسان ، ط٢ ، دار الأسوار ، عكا ، ١٩٨٨، ص ٧١ – ٧٩.

زهرة عمر

من رواية: الخروج من سوسروقة

ملحمة الشتات الشركسى

ليلة محفورة فى ذاكرتى... أظن أنها ستبقي حتي بعد موتى... ويضيق بها قبرى.. ايه... الجو منقبض والليل كئيب، ولقد تلبدت السماء فجأة. فمع مغيب الشمس بدأت الغيوم السوداء تتكاثف، ولمع برق باهر فملأ صفحة السماء الداكنة بالضياء... وهدر الرعد... ثم بدأ المطر ينهمر بغزارة وهمر يملأ الصمت بهسيس حزين. بعض شقوق فى السقف تسربت منها مياه المطر... ارتفعت الرطوبة، واجتاحنى شعور بالصقيع فلم استطع النوم.

أذكر أنك خرجت بعد دفن تامر. لقد أخذت مجرفة وامتطيت فرسك السوداء الأثيرة وانطلقت بها كالعاصفة، وانهمك من فى الدار فى تحزيم الأمتعة. أخرجت أمى ملابس تامر وفردتها كلها حولها ثم بدأت تغنى وتنوح بصوت رفيع مهزوم متقطع... أحسست بقلبى يهبط إلي كعبى، وأمعائى تنعقد بعقد مؤلمة، وشعرت بالخوف... مم؟ أعتقد من كل شىء، خوف لم أشعر به أبداً من قبل...

تمنيت لو تعود بسرعة لتنظر إليها نظرتك التى تجعلها تلملم فجيعتها تلف بها... ليتها تصمت.

اندسست بالفرشة. لم أستطع النوم. أغلق أذنى بابهامى لأمنع نواح أمى من التسرب إلي دماغى، ومع ذلك يظل يضرب فى الداخل كدمّل ينبض بالقيح.

فجأة استيقظت... لقد زحف بجسده المحدودب تحت غطائى... صدره ممزق والدماء تملأ ملابسه، وجهه ويديه مخضبة بالدماء، وشعره الأشقر الضارب إلي الحمرة ملبّد بالدماء الجافة، عيناه مفتوحتان جفت فيهما نظرة دهشة حائرة، فمه مفتوح، صرخة ما انطلقت ثم تيبست واختنق بها، أطرافه جافة بتشنج.

لم أصرخ... عضضت شفتى السفلى... أحسست بشىء مالح يسيل علي لسانى.

بدا وجهك صلداً جامداً كوجه ميت، ليس له علاقة بوجه إنسانى. كنت تنظف الدماء عن وجهه وشعره ويديه. اختلست نظرة إلي عينيك، كانتا مفعمتين بالعاطفة المفجوعة حتي أعماق أعماقك...

صوت الرفوش وهى تضرب الأرض، تنغرس فى التربة السوداء الناعمة، فتنتفش بسرعة مذهلة، حفرة عميقة سوداء مستطيلة... صوت صلاة منغم حزين، مرة أخري صوت الرفوش يُهَسْهِسْ ناعماً وهو يهيل التراب الطرى الأسود.

بعدما اشتد الظلام ثمة طرَق شديد علي الباب، ضربات شديدة متسارعة، تسارعت ضربات قلبى، حاصرنى شعور بالكآبة والتوجس، وتمدد الخوف فى

صدرى. التففت علي نفسى حتي اتصلت ركبتاى بكتفى، وخبأت رأسى تحت الغطاء. سمعت صوت خطوات، ولفحنى وأنا تحت الغطاء هواء بارد، سمعت صوتك:

– هل انهيتم تحزيم الأمتعة...

أخرجت رأسى ببطء كما تفعل البزاقة عندما تمد رأسها من داخل حلزونتها باستطلاع وحذر. كنتم أربعة رجال منقوعين بماء المطر حتي العظم، يحمل كل منكم فى يمناه كيسًا ملطخًا بالوحل، وعبقت الغرفة برائحة الجلود عطنة رطبة، وتبادلت الحديث باقتضاب مع أمى. قالت بذات الصوت الرفيع النائح المختنق بالغصات:

– هل تمكنتم فى هذا الجو العاصف المعتم الماطر من اخراج...

وبترت جملتها. أجبت بهزة رأسك رحركت الكيس الذى فى يمناك. سكنت أمى وكانت تنظر إلي الكيس مواربة مزروعة بشىء مثل الخوف... تمنيت أن تفلت يدك الكيس لأتسلل وأنظر إلي ما بداخله... شعرت بفضول لا يقاوم، ولكنى مضطرة أن أتظاهر بالنوم حتي لا أصطدم بواحدة من نظراتك التى كنت أحسها قاطعة كحد السيف الذى لا يفارق خاصرتك. سألك الرجال الثلاثة بغمغمة مبهمة:

– متي تتحرك القافلة؟

– مع أول خيوط الفجر... لا داعى للاصطدام بالقوات الروسية.

بعد منتصف الليل انتشر الدفء فى أطرافى فاستغرقت فى النوم. ولكن لم تلبث «نانا» أن أيقظتنا أنا و«جان». شعرت برغبة ملحة للبكاء، أريد أن أستمر فى النوم، أنا تعبة حتي الموت. اردت أن أصرخ، أن أضرب الفراش الذى انتزعت منه بيدى وقدمى، ولكن عينى المغشيتين بالدموع ارتطمتا بوجهك الصارم الصامت، وحزنك الأخرس، فاختنق الصوت فى حلقى... وانهمرت الدموع بصمت علي صفحة وجهى. كان ضوء القنديل الباهت يلقى بظلال كئيبة علي الوجوه، مددت يدك، مسدت علي رأسى لحظة، أحسست بأن وجعًا ما يقطر من بين أصابعك... انتشر الوجع فى داخلى. نهضت بصمت، ناولتنى أمى معطفًا ثقيلاً مصنوعًا من جلود الخراف الصغيرة، وانتعلت الحذاء المصنوع من الجلد المدبوغ الناعم، بلونه الأسود، وطرفه المعكوف إلي أعلي من الأمام.

كانت العربة الكبيرة المصنوعة من الخوص المجدول، تنتظر بعجلاتها الخشبية الضخمة، مربوطة إلي ثورين اسودين قويين، ترتفع قرونهما الغليظة فى الفضاء، كهلال خشن منطفيء. توقف انهمار المطر الغزير... ولكن الجو كان مشبعًا بالبرودة التى يتحسسها الأنف... والأرض مملوءة بالطين. حملت أنت وزاور ووسمان الصناديق الخشبية المرتفعة بأغطيتها المزركشة فى عربة، وفى الثانية مددتم جلود الخراف لنجلس عليها ونغطى أرجلنا بها، وكان هناك ما يكفى من المساحة للشعور بالراحة، ثم تكدست سلال المؤونة، اللحم المقدد والقاورما، أقراص الجبنة المستديرة المحززة بخطوط سلال القش، وقطع الحلاوة، جلسنا كلنا النساء والأطفال. سرحت بنظرة سريعة مرتعبة نحو الهضبة الصغيرة السوداء، القريبة منا... هل يبقي تامر هنا؟... ألا يشعر بالخوف، بالوحدة؟... لماذا؟ يصرخ من قبره مناديًا «انتظرونى... انتظرونى... انتظ....

كنت أمد أذنى لألتقط صوت ندائه... ولكن لا شئ.

لماذا لا يزيح هذا التراب السخيف ويخرج من الحفرة منتصبًا غاضبًا ينفض التراب عن جسده وجراحه.

انحدفت أمى بسرعة هناك قرفصت للحظة، تمتمت بشىء ما، وضعت شيئًا ما، صرّته بسرعة ودسّته فى صدرها... ثم هرولت تلحقنا، كان كتفاها يهتزان بشدة، لم

أسمع صوت نشيجها، ولكنها كانت تمسح أنفها ووجهها باستمرار، احتضنت يلدار الصغير الذى أخذ يرغى كخروف صغير، أعطته ثديها ولفتّه جيداً.

جلست فى المقدمة لتقود العربة، وامتطي زاور ووسمان فرسيهما وأمسك زاور بعنان فرسك السوداء الليلية الأثيرة...

التفتت «نانا» إلي اسطيلات الخيل والماشية والمخزن الكبير الذى كان يطفح بالحبوب حتي السقف... ثم انتقلت أنظارها إلي أقنان الدجاج والبط والأوز والحبش. كانت الديوك قد بدأت تنفض أجنحتها بقوة، فيسمع لها حفيف قوى فى العتمة والصمت، ثم يرتفع صياحها المبشّر باقتراب الفجر.

دويّ انفجار بعيد، وتبعه صوت اطلاقات، كانت تسمع بشكل متقطع، والتماعات سريعة كالبروق تبدو بين الحين والآخر تصاحب صوت الانفجارات والاطلاقات فى الأفق المعتم خلفنا... سألت «نانا» عن ذلك، ولكن لم يجيبها أحد، وتمتمت لنفسها بغضب:

– الآلة الجهنمية هذه... احرق الله وجه مخترعها ومستعملها، انها تنشر الموت اينما انفجرت!.

فى الأفق البعيد ظهر لسان وردى ناعم كلسان خروف صغير، بدأ يلحس العتمة ويبتلعها... الطريق الضيق يمتد بين الغابات. بدت الأشجار الضخمة فى العتمة الشفيفة كأشباح عملاقة تراوح مكانها ناعسة. أينما مددت بصرى أري أشجاراً، أشجاراً، أشجار الجوز المنفوشة، أشجار الصنوبر المقشعرة، السرو الطويلة بقممها المدببة، عرائس الحور تهز أعطافها مختالة برشاقتها واخضرار أوراقها الزاهية... أشجار عارية بدأت تفجّر براعمها الخضراء، أشجار التفاح والخوخ والدراق والمشمش واللوز بأغصانه شبه العارية وينتشر علي جسدها غلالة من النوار الثلجى والوردى والأرجوان... عطر غامض فوّاح ينتشر فى الجو... وقفت ممسكة بأطراف الخوص وأنا أتطاول علي أطراف أصابعى... مررنا بشجرة هائلة فى ارتفاعها وامتدادها وكانت الأغصان تنسدل جدائل طويلة ناعمة... انها عروس تفرد جدائلها الخضراء للفجر... أينما مددت بصرى أري غابات وأحراشاً، وقمماً بعيدة شاهقة تبدو ككتلة هائلة من الاخضرار.. نظرت إلي الأرض فكانت بساطًا أخضر نديًا تتخلله بحيرات وجداول صغيرة من الماء.

بدأت تظهر العربات فى الطريق من كل جهة... ولم تلبث أن انتظمت قافلة طويلة، وارتفع صوت نشيج منغم:

– أول شام... آخر شام...

لقد تمزقت الأسر، وتفرقت العائلات... ابنة متزوجة يرفض زوجها الخروج... أخ مع عائلته قرر البقاء... عجائز وشيوخ قرروا البقاء والموت علي أرض الوطن... لم تبق أسرة لم تتمزق بين الخروج والبقاء... وتمزقت معها القلوب والعواطف... الكل ينشج نائحًا، إنه فراق الموت... لا عودة إلي الوطن بعد ولا رؤية للأهل.

ازداد طول قافلة العربات وامتد، وتبعثرت مجموعات المودعين تركض وراء العربات... النساء يلوحن بمناديلهن وينوحن، والرجال تحترق الدموع فى مآقيهم... ومن بين العويل ترتفع الأصوات مختلطة نائحة، أصوات الرجال مع النساء مع الأطفال وكأنهم فى يوم الحشر:

– أول شام... آخر شام.

ويبقي المودعون يركضون خلفنا حتي ابتعدت القافلة ولم نعد نري لهم أثرًا... واستمر الموكب الطويل الحزين يسير مع الفجيعة... وكان هناك عدد من الفرسان يسيرون حولنا ولم نعرف أكانوا معنا أو أنهم يودعوننا الوداع الأخير...

شمس الربيع تتسلل إلينا من بين الأشجار الكثيفة السامقة، ناعسة ذابلة، تتململ فى خدرها بكسل، نحن منهوبون من وجع الأحداث والفجيعة، والصباح يطل علينا جديداً فتياً ينبض بالحياة، والكون من حولنا يتفجر بالخلق... الأشجار الخضراء تتألق فى الفضاء تطل علينا من أعاليها البراعم غامزة لاهية لعوب، تلعق قطرات الندي وتحدق فى فجيعتنا باندهاش... فراشات تحلق من حولنا متباهية بأجنحتها البيضاء الثلجية... وتحدق فينا أبقار امتلأت ضروعها بالحليب بحيرة وانتظار، ان تمتد الأيدى تفرغ ثقل الضروع الطافحة. عنزات سمراء وبيضاء ذات أصواف حريرية تتقافز حولنا وتناطح الهواء بقرونها الصغيرة... تتعب العين وهى تلاحق كل هذا الاخضرار والتوهج والامتلاء بالحياة.

مهما كان الحزن ثقيلاً، للحياة شروط لا تتنازل عنها...

انتصف النهار وبدأت الشمس تميل إلي العصر. بدأت حركة القافلة تتباطأ ثم توقفت بين الأشجار وهبطت الجموع من العربات وعن ظهور الخيل. أخذ الكل ينفض الأيدى والأرجل ويتمايلون كدجاجات تزاحمت البيوض فى أحشائها.

تفرق الرجال يقفون عند جذوع الأشجار يبولون... وأما النساء فأمورهن أصعب، انهن يخضن بالوحول مبتعدات ليقرفصن خلف الأشجار الصغيرة المنتفشة وبين الأعشاب والحشائش الطويلة، والكل يتجه حيث ينابيع الماء تتدفق من بطون الجبال... هل الجبال تتبول أيضا؟

تفرق الكل مجموعات بين الأشجار يمدون الطعام علي الأعشاب وبين الحشائش، أكل الرجال قليلاً... واقتطعت النساء بعض اللقيمات، اما الأطفال فقد أكلوا كثيراً وبشهية... ولاحقنا الفراشات، وركضنا خلف الضفادع، وقطعنا بعض الأزهار الجميلة، ولم ينهرنا أحد... كان الكل منهزمين حد الانهدام... فلم يقو أحد منكم علي أن يفتح فمه صارخاً بالأطفال المتراكضين كالأرانب.

عدنا إلي غرف الخوص المترجرجة... استندت بظهرى مائلاً إلي خلف العربة... أخذت أرقب قمم الأشجار السامقة وهى تتشابك فى الفضاء أو تمتد أغصانها وتطل علينا بعيوننا الخضراء من فوق العربة التى بدون غطاء مئات من الطيور السوداء تتماوج فوق قمم الأشجار... استسلمت لاهتزازات العربة الرتيبة، ولقعقعتها المتواصلة.

استيقظت عند منتصف الليل، كانت العتمة حالكة، خُيّل إليَّ أن النجوم تفتح عيونها علي اتساعها لتحدق فينا متجهمة عابسة... كان اتساع الفضاء وبعده مخيفا، علي طرف من هذه السماء اللا متناهية كان هلالاً هزيلاً ينوص بضوئه المتلاشى، أحسست حولى أنفاساً تتردد، وازداد إحساسى بالخوف. كان علىّ أن أتذكر كل الأحداث التى مررنا بها لأعرف أين أنا... رفعت رأسى وأنا طافحة بالخوف لأتبين مصدر الأنفاس... هل هى أشباح؟... لم استطع أن أتبين أى وجه. تسمّرت لحظة من الخوف وأنا لا أستطيع أن أتحرك... ثم مددت يدى بحذر، هذا جسم يتكوّر بجانبى، تحسست الوجه، هى ذى جدائل جان... تنفست الصعداء...

أمسكت بموجة من الشجاعة...

مددت يدى إلي الخلف بحذر أقل، وخوف أخف.. رأس حليق... رأسان... انهما أولاد العم زاور... وترتطم قدمى التى مددتها بجسم صغير طرى... أتحسس بأطراف أصابعى امتداده... إنه صغير... هو يلدار... وتامر؟... وانتصب أمامى بصدره الممزق الدامى وفمه المفتوح بتساؤل، وعيناه المندهشتان... قال بعتب «أنتم تركتمونى... ولكن لم أستطع البقاء وحدى... ها أنا قد عدت... قد عدت... قد عـــ...

خبأت رأسى تحت الغطاء، والصقته بظهر جان، ونمت.

ولكن لم أشعر إلا والغطاء يرتفع عن وجهى. سمعت صوتا ينادينى: مسره خان... ناشوخة... ناشوخة... افتحى عينيك.. انظرينى... هل أنت خائفة منى... أنا بردان ونعسان وخائف من ظلمة القبر... ابتعدى قليلاً... لأنام بجانبك... أريد أن أحس بجسم دافىء قريبا منى... لا تدعى الوالد يعرف شيئًا... سيغضب إن عرف أننى شعرت بخوف... افسحى لى مكانًا لأنام بقربك.

ابتعدت، وتمدد بينى وبين جان... سألته وأنا أغالب دموعى:

– ولكن... لماذا جسمك هكذا محدودب؟...

– عندما أصابت الرصاصات صدرى تمزق جسمى وأحسست أن روحى بدأت تخرج من هذه الفتحات... انحنيت أحاول اغلاقها لأمنع روحى من الانسلال بعيداً عنى... لماذا تتوق الروح إلي الانطلاق بعيداً عن الجسد؟... لا أعرف... أردت أن أمسك روحى ولكننى لم أستطع... انسلت بعيداً وتركتنى غريبًا يبحث عن خيط من الضياء... دفئينى «ناشخوه» ها أنا قد عدت... قد عدت... قد عـ...

حاولت أن ألمس جسده، كان بارداً، بارداً... رياح من أصقاع جليدية انجمدت تحت جلده...

استيقظت وأنا أرتعش، تكوّرت علي نفسى ونمت.

مضي أسبوع علي هذا الحال، فى النهار عندما ننزل من العربات أركض وراء الفراشات وأتبع نقيق الضفادع وأقطف الأزهار ويذهلنى الاخضرار الممتد أينما نظرت... وفى الليل يوقظنى يلدار بالدهشة التى انجمدت فى عينيه، والصرخة التى تيبست علي فمه المفتوح يحمل وحدته وخوفه ويطلب منى أن ادفئه وأنومه...

فى اليوم السابع كنت أقف علي أطراف أصابعى وأطل برأسى وأنا أتشبث بحافة القصب المجدول، والعربات تنحدر عن طريق جبلى متعرج ممتلىء بالأشجار المثمرة وغير المثمرة بينما بنباتات ذات أوراق كثيفة تشبه أوراق الدالية، ولكن بوريقات أصغر، يانعة الاخضرار تتسلق علي الأشجار الضخمة ثم تتهدل أطرافها خضراء متماوجة تملأ البصر... ومن بين الأذرع الخضراء المتشابكة هناك فى السفح لاحظت وجود بقع زرقاء ضيقة، أخذت تتسع وتمتد... هل تثاءبت السماء ضجرة ومدت أطرافها علي اليابسة؟... ولكن هذه الأطراف الزرقاء تتسع وتقترب... انها تتماوج؟... يا للهول... هذا هو البحر... لقد وصلنا... لقد وصلنا... كم هو وسيع هذا البحر... أنظروا... أنظروا... إنه كصدر الرب، واسع بلا نهاية... لقد اقتربنا... وصلنا... وصلنا... أريد أن أتدليّ... أتدليّ قليلا... سوف أكمش من عرفه الأبيض المتطاير كمشة واخبئه فى صدرى...

بدأت أقفز وأصفق، وأصرخ «أنظروا... أنظروا...».

نهرتنى أمى ولكنى لم أسمع... كان انفعالى أكبر بكثير من أن يوقفه انتهار.

قرصتنى أمى فى ساقى... أحسست أنها اقتطعت من لحمى... انخرست، وأنا أنظر إليها بحدة.. لم أعرف ماذا فعلت لأستحق هذه القرصة اللعينة... استدرت وأنا أتشبث بطرف الخوص وأنا أبربر بالسباب بصوت خافت... لقد تحول فرحى إلي غضب.

شاع الدفء فى الجو، والشمس تسطع ببهاء تنظر إلينا باسمة من خلال خمارها الذهبى المتوهج. كنا نسير بقرب البحر أكاد أجن، لو أننى كنت أكبر قليلاً إذن لانثنيت خارجاً واختطفت قطرات اللؤلؤ الذائب ذاك... لقد اتسع صدر الله وامتد حضنه بلا حدود... ليتنى أقفز إلي أعماق هذا الحضن المتماوج وأتمدد فى دفئه...

كتلك المخلوقات الوردية التى تشبه حبات فطر ضخمة شفافة متماوجة تنسل نابضة متماوجة بين أمواج البحر.
وصلنا إلي المينا، نزلنا إلي ساحة واسعة، علي طرفها الغربى مبني خشبى فيه بضعة أشخاص وجوههم صارمة لا تنفرج أساريرها لأحد، ولا يتوقفون عن الرواح إلي الساحة الكبيرة المليئة بالأمتعة والصناديق والصرر، ورجال ونساء يجلسون بين الأمتعة بوجوه شاحبة متعبة... وفى البحر علي بعد غير قليل يربض جسم مستطيل مرتفع له أشرعة بيضاء وصوار، وعلي الجسم الطويل كوي صغيرة مستديرة متتابعة. كانت المياه تحيط بها من كل جانب وهو طاف علي السطح.
بقينا ثلاثة أيام بلياليها، فى الليل تشتد البرودة، ويتساقط الندي فيترطب كل شىء. يبقي الرجال وبعض النساء جلوساً بين الأمتعة وهم يلتفون بالبرانس الصوفية «الشاكوه». وأما الصغار فكنا ننام بالعربات التى أطلقت ثيرانها، فصفت بمقدماتها المائلة، مما كان يسبب أوضاع متعبة عند النوم. كان الندي يتساقط علي وجوهنا وأغطيتنا، فيتشبع الجو بالرطوبة والبرد القارس فلا ندفأ إلا عندما نتلاصق كالقطط الوليدة، علي بعضنا فنغفو.
فى النهار كنا نستمتع بالشمس وبالدفء، نركض إلي الغابة التى لا تبعد إلا بضعة أمتار عنا، ولكن الطعام كان شحيحاً... ولهذا لم يقلقنا كثيراً التخلص من الفضلات... فلم يكن فى الجوار أى مرحاض، وكان الكل يتخلص من أموره تلك عند الأشجار وخلف الشجيرات ثم نغسل أيدينا ووجوهنا بماء الينابيع ونستقى منها.
فى اليوم الثالث نقلتنا قوارب صغيرة مترجرجة إلي السفينة. تكدست الأمتعة والأجساد علي السطح، وفاحت رائحة الأجساد القذرة، والملابس المتسخة والأنفاس المحشورة جعلت رائحة الباخرة كلها نتناً وزنخاً.
عندما نقلنا بالقوارب عاد الغناء النائح يرتفع: «أول شام... آخر شام...»
جأرت السفينة، ثم تحركت ببطء وبدأت تبتعد شيئاً فشيئاً عن الشاطئ وهى تجر خلفها ذيلاً من التخاريم البيضاء ومن الزبد... السفينة تبتعد، صوت بكاء المودعين وعويلهم يخفت تدريجياً ويبقي الرجع وصورة الأيدى ترتفع تارة ملوحة بالوداع وأخري تخفى الأعين الهاطلة دمعاً.
وابتعد القبر الجماعى العائم ذاهباً فى عرض البحر، وابتعدت الصورة رويداً رويداً... وتغبشت الرؤية... تضببت، تراجعت... تراجعت، ثم اختفت.
وقفت بقامتك المديدة علي ظهر السفينة، وللمرة الأخيرة التفتَ مفجوعاً تلقى نظرة الوداع علي أرض الوطن... انحبست الدموع تملأ عينيك، وانحدرت متلاحقة تنسكب كينبوعين متواصلين ثم تختفى بين شعر لحيتك الطويلة المسدة الشهباء التى تبللت كلها بالدموع... وتلك كانت المرة الثانية التى أراك فيها تبكى فى هذا اليوم النحس... والوحيدة التى رأيتك فيها تبكى دون أن تأبه بوجود الناس حولك.
فى الصباح الباكر عندما ذهبتَ مع فرسك «فتسه»- السوداء- للمرة الأخيرة إلي الغابة تبعتك خفية، مسدتَ النجمة البيضاء، قبلتّها، قلت لها مفجوعاً:
- لابد من ذلك فتسه... لابد من ذلك... يدى تأبي أن تنصاع، وقلبى ينسحق... ولكننا كسرنا من وسط الظهر... لا أستطيع أن آخذك معى يا رفيقة الرجولة... ولا أستطيع أن أتركك لأيدى الغرباء والأعداء... نحن نمضى إلي المجهول، حيث ننسل من أكفاننا ونضيع شواهد قبورنا.. أرقدى هنا بسلام، وسألتقى بك هناك ذات يوم... لا أعرف متي آتى إليك... ولكننى آت... آت أكيد... فلا تسبقيننى إن تأخرت عليك فتستبدليننى بفارس آخر... رفيقتى فتسه... سامحينى.

كانت الدموع تسح علي وجهك وكأنها تندلق من فوهات قرَب، خفضت رأسها، وكأنها تستعجل مصيرها. أطلقت رصاصة علي النجمة البيضاء. انفجرت الدماء من النجمة وتمددت بجسمها الكبير الرشيق، نظرت اليك بامتنان وجسدها يختلج، ثم همدت وفى عينيها دموع.. أجهشت بالبكاء كطفل.

انسللت أنا بهدوء، وتركتك وحدك معها قبل أن تلحظ وجودى وها أنت ذا تبكى الآن أمام كل أولئك الرجال والنساء والأطفال فلا ترفع يدك حتي لتخفى دموعك.. علي كل كان كل الرجال يبكون، ولم ينتبه أحد لآخر، كانت الخسارة أكبر من الحرص علي الكرامة والرجولة.

السماء زرقاء... البحر أزرق... أعراف بيضاء مخرمة تمتطى رؤوس الموج... دلافين عابثة تتقافز فوق الموج... مياه زرقاء ماسية بدون مدي وبلا حدود..

مر الأسبوع الأول، ثم الثانى، كنا نصل إلي موانيء ثم نبتعد دون أن يسمحوا لنا بالنزول... اصفرّت الوجوه وهزلت الأجساد، وتشعثت الرؤوس.. الوجوه تطفح بالقذارة، والأيدى متسخة زنخة والأظافر مسودة..

أصيب أحدهم بإسهال وتقيوء لمدة ثلاثة أيام، ثم شاهدت جسمًا ملفوفًا بخرق يقذف بالبحر... وانتشر الذعر... وانتشر المرض... قىء، إسهال، وأجساد تتلوي من الألم والحرارة... ثم جثث تقذف فى البحر وأخذت الوجوة المألوفة تختفى.

لاحظت جسد أمى منحنيًا ذات صباح، وجهها فى اصفرار ورقة جوز جافة. انقبض شىء ما فى داخلى وأحسست بقلبى ينسحق عند كعبى، وأنا أراها تتحرك كشبح وهى تضم يلدار إلي صدرها وكأنها تحيل كل جسدها إلي رحم يحيط به. فمه ومؤخرته يسيلان بسائل أصفر لزج برائحة منتنة... ازدادت استدارة جسدها حوله، وازداد تشبثه بها... وبدأت تتقيأ وتركض إلي المرحاض... حاولت أن تبعدنا عنها، ولكنى لم استطع أن أمتنع من التلصص عليها وأنا اتفتت من الفزع... كنت تغسل وجهها ووجه الصغير وتسقيهما ماء وكانت تلوح بيديها متوسلة أن تبتعد. سمعتها تتوسل اليك:

– بحق الله انج بنفسك... نحن انتهينا... اعتن بجان ومسره خان، سأعتنى أنا بالأولاد، تامر ويلدار... كنت أبكى وأنا أراقبكما من بين الأمتعة... يبدو أن يلدار قد مات، كان جسدها يتقلص وينتفض... بقيت فترة كذلك... لم تبتعد عنها... وكانت «نانا» والعم زاور ووسمان يحيطون بها أيضًا... ابتعد عم وسمان عنكم قليلا شاهدته يتقيأ وجسده ينتفض بتقلصات عنيفة... سيرافقهما إذن...

اشتبكتم مع القبطان. إثنان من البحارة أرادا أن يرميا أمى مع يلدار قبل أن تموت، ولكن أيديكم امتدت مرعدة إلي الـ «القامات» المعلقة وسط خصوركم وبرقت عيونكم غضبًا، فتراجعوا وهم يرطمون شتائم لم نفهمها باللغة التركية. عند منتصف الليل صليتم عليهما وهما ملفوفان «بالبرنس». أغمضت عينىّ بفزع وأنا أسمع صوت الصلاة المنغم مرعوبة، ثم سمعت صوت جسم ثقيل يرتطم بالماء.

لم أسأل عنها بعد ذلك، كنت أتحاشي أن أتذكر، ولكن الحوادث المفجعة تحولت إلي كوابيس تملأ ليلى رعبًا.

بدا واضحًا أن العم وسمان فى طريقه للإنضمام إلي سكان البحر... بعد ثلاثة أيام، وعند الفجر، استيقظت علي صوت الصلاة المنغم، ثم صوت ارتطام جسم ثقيل فى الماء. أخفيت رأسى تحت الغطاء وعدت للنوم... رأيته يتخبط وسط أعماق مظلمة عميقة. كانت أسماك كبيرة تفتح أفواهها وتحدق بعيون مستديرة لا تطرف وهى تحيط به... كان يصرخ وينادى عليك وعلي عم زاور وهو يهذى:

– أنا لم أمت... وتدفعونى إلي الماء وأنا حى... اللعنة... اللعنة... انقذونى...

السمك.. السمك المتوحش ينهش جسمى... هذا مؤلم يا إخوانى... هذا مؤلم.
شاهدت الدماء نوافير، نوافير، كما تدفق من جبهة «فتسه» تلطخ الماء... أخذت أصرخ وأصرخ... وأصرخ... استيقظت ونانا ترطب وجهى وعنقى بقطعة قماش مبللة، تجمدت من الفزع... إنها قطعة من ملابس يلدار... تراءي لى وجهه الشاحب وخط القيء الأصفر يسيل من طرف شدقه ويتساقط علي كتفه الأيسر... كانت عيونه مستديرة لا تطرف كعيون السمك... فتح فمه، كان مليئا باسنان صغيرة رفيعة حادة... عدت أصرخ من جديد، نانا تقرأ أية الكرسى، وتنفخ علي وجهى، امتدت أصابعك كبيرة تتحسس جبهتى ثم تنهدت ببعض الراحة. ويشوب صوتك القلق وأنت تتمتم:
– لا توجد حرارة... جسدها قوى، وروحها كالعاصفة... لا أعتقد أنها مصابة بالمرض... ربما كوابيس... كوابيس من شدة العناء... ونمت بهدوء وأنا أستسلم للمساتك علي جبينى ووجهى ويدىّ.
لم يبق إلا ربع المسافرين، والموانيء ترفض نزولنا خوفًا من الوباء القاتل... وأخيراً سمحوا لنا بالنزول بعد أن توقفت الإصابات... وجمعونا فى أحد مستودعات الحبوب الفارغة. بقينا مدة شهرين فى حالة من البؤس والتشرد... استنفدنا كل المؤونة المتوفرة، وبدأنا ببيع بعض الأمتعة... ملابس أمى ونانا، الأحزمة الفضية والذهبية المشغولة بصناعة رائعة، ثم امتدت أيديكم إلي الأمتعة: الأباريق الفضية والأوانى النحاسية والأطباق ثم إلي البنادق... والأسلحة واحداً بعد الآخر...
استطعت أن أجد، فى أحد الأيام، ذلك الكيس الملطخ بالوحل الذى حملته ليلة سفرنا فى تلك الليلة الماطرة، عندما عدت منقوعاً بماء المطر، ولاحظت أنك شديد الحرص علي إخفائه دائمًا بين الأمتعة بعيداً عن أعيننا وأسئلتنا... وعندما تحاصرك الفواجع تمسك به فى الليل، عندما تكون وحدك، تضغط عليه بصدرك العريض القوى...
أحسست كمن وجد كنزاً... فتحته بأصابع ترتجف من شدة الإنفعال... فاجأتنى جمجمة بيضاء خالية من أى سوء، بمحجرين معتمين، وفكين عاريين حتي آخر ضرس فيهما... وفاحت رائحة جلد عتيق... قفزت صارخة برعب، ولكن لم ألبث أن عدت أتفحص المحتويات: إنها عظام... عظام ميت... ذلك هو الكنز الذى حملته معك من البلاد، وتحرص عليه حرصك علي حدقات عينيك. وانضم إلي كوابيسى الليلية جدك يأتينى عظامًا عارية تقرقع مفاصله ويضحك هازئاً بشدقيه العاريين البيضاوين وأسنانه الكاملة المكشوفة تطقطق، ويحدق بمحجريه الفارغين المظلمين وهو يقترب منى مادًا إلىّ ذراعيه العنكبوتيين، فأصرخ.. وأصرخ... وأصرخ... فتقرأ «نانا» آية الكرسى و«الفاتحة» و«قل هو» وتنفخ علي وجهى حتي اهدأ وأنام.
مات الأكبر سناً بيننا من قلة الأكل... ومن الآلاف الذين هجروا لم يبق إلا بضعة مئات أخذوا يتناقصون من الموت جوعًا. وانتشرت القبور التى ضاعت معالمها مع الزمن هنا وهناك... فضاع موتانا. أما عظام الأجداد التى جئت بها معك، فقد بقيت فى حرز أمين، تحملها معك فى تنقلنا القاسى فى جنة عدن العثمانيين.

زهرة عمر، الخروج من سوسروقة ، أزمنة للنشر، ، عمان ،١٩٩٣، ص ٤٥ – ٦١.

سحر خليفة

من رواية: باب الساحة

(١)

لكأن حشد النسوة هذا اكتظاظ استقبال من استقبالات المرحومة الخوالي. كانت المرحومة ما زالت فى ريعان الشباب، رغم رعيل الخلفة الممتد طولاً وعرضاً. كانت بيضاء ميالة إلي البدانة، لكن الخصر مكسّم والساقان ممشوقتان. وكانت ذات كبرياء وقوة، ومع ذلك فقد كانت تحسب للاستقبال ألف حساب. تلبس وتتعطر وتتزين وتحيل بيتها جنة ياسمين وريحان وقرنفل وعبير تنباك وبريق أراجيل محلاة بالقصب والخرز وبرابيش المخمل، وكانت تجيء بامرأة مستورة الحال ذات لسان حلو وفيض وكياسة، تدور بالقهوة وأقراص المشّبك وهامات الأراجيل. تحمل الأرجيلة بيد والبربيش بيد تسحب منه الأنفاس وهى تقطع المسافة هرولة ما بين الصالون والمطبخ. وحين تصل المقصودة، تركن الأرجيلة عند ساقيها وتمسح طرف البربيش وتثنيه فى شبه حلقة وتهمس: «اتهنّى» ومرة حاولت الست زكية تقليدها- وكانت ما زالت صغيرة- فتغامزت النسوة عليها وتبادلن التعليقات حول طوله وامتداده وحسن ذواقه. وأسرعت المرحومة خلفها فهفهف الجورجيت وانثال العبير. سحبت البربيش من يد ابنة زوجها وقالت بنبرة تحمل معني التأنيب: «منقدمه هيك» قالت واحدة من طرف الصالون البعيد: «لأ... الممدود أحسن» واهتز المكان بضحكة جماعية هرولت الفتاة علي أثرها وهى تتعثر بخجلها وذهولها، فهؤلاء النسوة كبيرات وعارفات ومحترمات، فكيف يعنين ما يعنين! وفيما بعد عرفت زكية أن ما يعنين ويهجسن به هو سنة الحياة وسر النسل وهموم النساء، ومصدر رزق كل داية، فسبحان مخرج الحى من الميت، مخرج الميت من الحى!

أم محمد انحنت بتيرموس القهوة السادة وقدمت لها فنجاناً عديم الأذن وهمست: «حسام عاوزك فى المطبخ» هبت من موضعها فى صدر الصالون وهرولت نحو المطبخ. وجدته يقف عند النافذة والجبل الشمالى خلفه يأتلق بلون الأصيل. لم تر قسماته، فضوء الخارج أحال الشكل إلي شبح مظلم. قال بعتاب:

– شو كل هذا؟

مدَّت يدها بذعر:

– دخيلك، وطَّى صوتك، الناس!

– استحوا أهل الشهدا!

وضعت يدها علي ذقنها مسترحمة:

– دخيلك خلينا مستورين.

ونظرت من الشباك بقلق:

– حدا شافك؟

ابتسم وهزّ رأسه:

– خايفة علي الدار والا عليّ؟

لم تجبه لكنها نظرت من الشباك بقلق وحوقلت.

والدار مليئة بالمغريات وصوت القرآن والقهوة السادة.

قالت باستعطاف:

– ستك؟

– طبعا ستى، ومرت أبوك، وتسعين سنة، يعنى شبعت من عمرها. بس الشباب...

ولم يكمل.

قالت بخشوع:

– الموت حق علي الجميع
– ولكل موت زفة؟!
– ٧ أيام، مش أكثر.
دمدم بغيظ:
– وللشباب ثلاثة!
أسرع نحو الباب وأغلقه خلفه فدوي فى صمت الردهات وفقرات التلاوة وشعاع الأصيل. ولمحت شبحه يختفى بين الدوالى والحلزون وكفوف الصبار.
وبقيت ترقبه وتترقب. ورأته يتسلق السلسلة فالسور فالخريس المقصوص علي شكل فتحة. ثم اختفي بين الصخور والأشواك وامتداد الجبل الشمالى.

(٢)

« أم الشباب لا تخشي العتمة » هذا ما تناقلته الحارة ويهمس به الملثمون وهى تمر بهم فى خان التجار والحواكير والتواءات الأزقة. ترفع صوتها بالتحية قبل اقتحام العتمة: « السلام عليكم ورحمة الله. السلام عليكم ورحمة الله » ولا تتلفت بل تنظر من زوايا عينيها لتتأكد. ومن العتمة يسألها ملثم: « الجيش في الطريق يا خالتى زكية؟ » ولا تلتفت بل تواصل سيرها وهى تردد: « الدار أمان للأنس والجان. السلام عليكم ورحمة الله. السلام عليكم ورحمة الله » وتمشى فى الطريق حتي تجمدها صرخة. « وقف! » وتقف. ويقتربون والعوزيات مصوّبة نحوها ونحو الشنطة.
– افتح شنطة.
وتفتح الشنطة. ويرون أدواتها البسيطة: قطن، شاش، سرنجات، مطهرات وتحاميل.
دكتورة؟
– لأ، قابلة.
– كابلة؟ ما كابلة؟
– داية.
– داية؟ ما داية؟
– يعنى بولد النسوان وبجيب بيبيات.
– بيبيات؟ بيبيات!
وسمعتهم يتناقلون الكلمة ويضحكون: « بيبيات، بيبيات » لكن الواقف لم يضحك.
قال بغلظة: « خُطّ شنطة هون ».
وضعت الشنطة علي الأرض. ابتعد خطوات وما زال العوزى وعوزيان آخران مصوّبة نحوها ونحو الشنطة. وقال آمراً:
– أقلب الشنطة
نظرت إليه دون فهم فصاح بهياج:
– أقلب الشنطة
وتزلزلت أركان الشارع وبنايات الليل وأشباح العتمة.
رفص الشنطة بقدمه وابتعد بسرعة. وأخذ يرقبها من بعد وهى تخرج أدواتها وتحوقل: « لا حول ولا قوة إلا بالله. لا حول ولا... »
– ما هازى؟
– حقنة.
– حكنة؟
أمسكت بالطابة المطاطية وضغطتها فتراجع خطوة أخري وصاح:
– « خُطّ علي الأرض »
وضعتها علي الأرض فرفسها بعيداً.

ابتسمت: يخافون كل شئ حتي الحقن ويتوجسون من كل مخلوق حتي القطط.

ومرّت قطّة بمحاذاة الدكاكين المغلقة باتجاه تنك الزبالة. تبعتها بعينيها وهى تهجر بؤرة الضوء البرتقالى من فانوس البلدية. ولمحت خلف تنك الزبالة خيالات سوداء. وبدأ قلبها يتخبط فكادت أن تصاب بنوبة. ماذا لو رشقوا حجراً؟ ماذا لو قنينة مولوتوف؟ ماذا لو اشتبك الطرفان وهى ما زالت وسط الشارع؟ أمن المعقول أن يعملوها وهى هنا وسط الشارع؟

وصلت الدار وهى مازالت تحوقل، وكانت الولاّدة مازالت تطلق، والتوسع ما زال ثلاثة أصابع. هرعت تغسل يديها وتتفقد الماء والشاش وملابس الطفل الأولي. وجلست تأخذ أنفاسها وهى تبسمل. طلبت أرجيلة فعمروها خلال دقائق، وجلست علي الشرفة تنتظر التوسع وطاقات الفرج.

من الجبل تبدو نابلس كانون نار، والمصابيح تأتلق كحبات الدق. لكن العتمة والآهات ونداءات الشباب. وحسام المطارد أين ينام؟ يجيء مع شقشقات الفجر وآذان الصبح. ينقر شباك العليّة ويقول وهو ما زال خلف القواطع: «صباح الخير عمتى» «يسعد صباحك ويطلق جَناحك ويجعل نهارك نور وسرور. فوت يا عمتى فوت. فوت خدلك غفوة» وتقوم من فراشها فيندس فيه، وينام حتي قبل الظهر.

وذات مرة جاءها برفيق له. كانا جائعين كالقطط الضالة، فأكلا الخبزات واستقرضت المزيد. وبعدها بأيام جاءها بالرفيق نفسه وفى صدره صلية دمدم. ومات الشاب بين يديها، وحسام يبكى فى العتمة. وقف علي السطح وصفّر، فجاءوا كالجنّ من الليل. حملوه ودفنوه فى لحظات دون أن تعلم أمة. وحين حملت لها الخبر المشؤوم صاحت بجنون:

– ابنى لحالى؟ ابنى وابنك، أنت سحبتيه!

وتذكرت. بلى والله، فهى من قصت سرّته، وهى من تلقّت بشارته، وهى من حملته يوم طهوره، واليوم، هى من تمسح دمعته الأخيرة. وتذكرت عينيه الغاءمتين ورائحة عرقه. مات وهو يحلم بحمام ساخن، ودفنوه بعرقه ورائحة الاصطيل والتبن العالق فى شعره.

صاحت الولاّدة فهرعت إليها. وأطل الرأس ثم غاب فنامت، وبرد الطلق وتراجع. وخافت أن يبرد أكثر، فصاحت فيها تصحيها:

– عينى ولدك يا مستورة، عينى ولدك!

(٣)

افترشت طرّاحتها وعمّرت أرجيلتها وبدأت تقرقر. ليالى الصيف النابلسى تتشابه. أنسام بليلة مضمخة برائحة الياسمين والندي وهبات المجارى. تجتهد البلدية اجتهاداً مريعاً، ومع الصبح تبدو الأسواق كالفل المقطوف. وما إن يجيء الظهر وتموت الحركة وتغلق الدكاكين وتختفى البسطات والعربات ونداءات الباعة حتي تصبح المدينة ساحات زبالة. أوراق، أكياس، محارم، وأكوام فواكه مدعوكة. ومن المستشفي، عبر امتداد الشارع وأرصفة الدوار وجذوع النخيل، تري الأشياء تتطاير، تهب الريح فتنتشر الأوراق وتنتفخ الأكياس والشالات وتنانير النساء، وتدوس علي شئ طرى.

أما الليل فيا سبحان الله! سبحان الخالق فى عرشه. ضباب المدينة كالتخريم يهبط من قمة عيبال. وأحيانا يمن الله علينا بليلة حنونة دون قلق، فلا تنطلق السماعات والنداءات وهتافات «الله أكبر» ولا يقتحم الجند حارة قريبة أو بعيدة. فالقرب والبعد فى مدينتنا مختلطان. نري الأشياء من بعد فنظنها قريبة. فإذا حاولنا الوصول إليها، وجدناها أبعد من مكة. سبحان الله! سافرت إلي بلاد العالم كله، الشام وبيروت والكويت ومكة، لكنها ما رأت مثل هذه المدينة. وهى فى القاع تراها من جميع الزوايا.

هى فى الوسط وحولها الناس مسارح، وقمم تمتد إلي الخالق. والجبل درجات درجات، والناس طبقات طبقات، وهى مع الحارة التحتا فى زاروب من زواريب باب الساحة.

لكنها من هذا السطح المخفى بين القباب ومدخنة الفرن وقمرات الحمام، تضاهى المآذن فى الارتفاع، وتري الجيران من غير حواجز. فهذه أم الصادق: بائعة الخبز والبقسماط، مازالت تخبز منذ العصر. وهذه أم حمد الله، تلف الورق وتحشو الكوسا وأولادها حولها يلعبون الشدَّة. وهذه أم محمد تنفض ملحفة نظيفة فوق طراريح خشب الدوشك. تري من يضيّفهم هذه الليلة؟ أما زال الناس يضيفون؟ وحارتنا من أسوأ ما يمكن، ولا يمر يوم دون مشاكل. والجنود يفترشون باب الساحة ولا يدعون ماراً يفلت دون تحرّش. ضرب، صيحات، لكمات، و«هات دهان وهات فراش وعزِّل متراس ونزِّل أعلام». ومن هنا تراهم وتحوقل: لا حول ولا قوة إلا بالله،. أستغفر الله العظيم، وتسمع وجيب قلبها فتهمس برجاء: أستر يا رب. أستر يا عالم يا قيوم. وترن صفرة فى قاع الزقاق فتدوى الجبال بصفرات أخري، وينطلق الرصاص وتحوم الكشافات وشرار الدمدم، ويضاء الجبل بفيض من نور. فتحمل أرجيلتها وتدارى البصات بقبضتها، وتسترق الخطو علي «السكّيت».

(٤)

عند الظهر جاءت سمر بنت أم الصادق بائعة الخبز والبقسماط وفى يدها كيلو أصابع وكيس شراك. الست زكية تحب سمر وتتمناها لابن أخيها حسام، فهى حلوة و«نغشة» وخريجة جامعة النجاح، وموظفة بمعاش مربوط بالشيكل. وإذا تغيرت الأحوال والله هدأ البال يمكن، «ويا ريت»... ولو أنها تشك فى إمكانية ذلك، فأم حسام وأبو حسام قد لا يرحبان بابنة فران.

قالت وهى تخرج من جزدانها كدسة أوراق:

[illegible]ى زكية، معى استبيان، ممكن تساعدينى أعبّيه؟

جلستا فى الحضير عند الياسمينة حيث شرب حسام قهوته قبل ساعة. وبدأتا بتعبئة الاستبيان:

– عمرك؟ متزوجة؟ مطلقة؟ أرملة؟ لا أرملة ولا مطلقة. يعنى شو؟ الله يسامحه. من أيمتي؟ من ٢٠ سنة وتجوزت كمان مرة؟ لا. ليش؟ قعدت علي بناتى. وكان يصرف عليكم؟ شكيناه للمحكمة. تعهد يدفع بالشهر ٢٥ دينار. الله يسامحه. رجعنا للمحامى وقال: ضبّوا الطابق أحسن يأخذ منك البنات. أخوى أبو عزام ساعدنى شوية. وبعدين تعلمت داية وصرت أشتغل. بالأول صرت أدور عالدور مع أم أحمد. وبعدين قبلونى فى المستشفي وتخرجت بشهادة. وبناتك؟ كنت تتركيهم فى الدار لوحدهم؟ ومين كان يطبخ؟ ومين يشترى الأغراض من السوق؟ ومين يكنس ويمسح؟ أنا، أنا، أنا. والجلى؟ البنات. بس مرات كنت أرجع وجه الصبح وألاقى المجلي مليان. كنت أجلى الجلى وأطبخ الطبخة وأقعد استني البنات ليرجعوا من المدرسة. كنت تتعبى؟ تزعلي؟ تنرفزى؟ تصيحى؟ تؤتؤتؤ. ما كنت تزعلي وتنرفزى وتصيحى؟ أعوذ بالله، عمرى ما رفعت صوتى أبداً، عيب. إذن كيف تفشّى قلبك؟ أعمّر أرجيلة وأقعد لحالى أتأمل هالدنيا والجبال والوديان والناس اللى تحت والسيارات من فوق تمشى عالجبل كأنها معلقة بخيطان. وبالليل بعد ما الناس يناموا أقعد علي السطح فوق بيت الدرج أتطلع للنجوم والقمر وأشم الياسمين والريحان وأسبح الله والرحمن.

وتبادلتا نظرات المحبة فتمتمت الست زكية بإعجاب:

– يسعدك ما أحلاك ويجعلك من نصيب اللى ببالى.

احمرت الفتاة ولم تجب، ولحظت الست زكية احمرارها فأيقنت انها تحب مثل هذا الكلام فاستدرجتها.

– أخى عنده ولدان والاثنان خرج الجيزة.
ظلت سمر ساكتة فواصلت الست زكية:
– الأول دكتور وبتخصص بأمريكا والثانى ما شاء الله، بكرة يتخرج وبصير إشى وشويه.
– قصدك حسام؟
– آه حسام، بتعرفيه؟
استدارت سمر بوجهها وتمتمت بقلق:
– بعرف عنه.
– وبتعرفيه؟
هزت سمر رأسها فدق قلب الست زكية.
– وشو بتعرفى؟
قالت سمر بحرارة:
– الله يقويه ويقويهم، مين إلنا غيرهم؟ بس أنا متوقعة اقتحام قريب. ديرى بالك، الحارة مش أمان.
وأطلت من حافة السطح وتأملت دار سكينة، وكان الأباجور ما زال مغلقا. وعادت تدمدم:
– اقتحام قريب ولازم ندير بالنا.
– خالصة ما عندنا شئ نخاف منه.
تأملتها سمر بخبث فدق قلبها: سترك يا رب. أينعم، خلينا فى الاستبيان.
– خلصنا من الاستبيان؟ أقوم أعمل قهوة.
صاحت سمر ضاحكة:
– لأ، وين ناوية تهربى؟ استنى، جاوبى هذا: ما هى التغيرات التى طرأت علي المرأة خلال الانتفاضة؟
فكرت الست زكية لحظة وهمست:
– بدك الحق؟
– ولا شئ غير الحق.
– بصراحة ما تغير عليها إلا الهم. همها زاد وقلبها انحرق، قولى الله يكون لهالنسوان معين.
صاحت سمر محتجة:
– يا خالتى زكية، معقول هالكلام؟ شو هالتشاؤم؟
– يعنى شو بدك أقول؟ صارت ترشق حجار وتخلّص الولاد وتخبّى الشباب وتتظاهر؟ مفهوم، بس همها زاد كتير كتير. همومها القديمة بقيت علي حالها وهمومها الجديدة ما بتنعد. حبل وميلاد ونفاس ورضاعة وغسيل وقش ومسح وطبيخ ونفيخ ونكد الجوز وهم الولاد، وهم الشباب المشردين بين الصحر والوعر وحم الشمس وزمهرير الشتاء وشوك البرارى وواويات الجبال. وهم القريب وهم البعيد وهم الصغير والكبير والمقمط بالسرير. إن كان بحضنك خايفة يا خدوه وإن أخذوه خايفة يضيعوه. من ساعة ما يفوت السجن لحد ما يخرج منه وأنت دايرة وراه من محكمة لمحكمة ومن باب لباب. وإن كان مش بالسجن دايرة وراه من مغارة لمغارة ومن زقاق لزقاق. إذا شفتيه بتنحرقى معه وإذا ما شفتيه بتتحرقى عليه. هذى حياتنا، حرقة بحرقة وعذاب بعذاب. قولى الله يكون لهانسوان معين.

سحر خليفة، باب الساحة ، دار الآداب، ، بيروت ، ١٩٩٠، ص ٩ – ٢١.

منـي السـعودى

نساء فى مخيم

ثلاثُ أمهات جلسنَ علي زورق، فى صحن الدار،
ثلاثُ نساء، أحلامُ أرض. يتحدثنَ عن أبناءٍ
مسافرينَ أو شهداء
يذكرنَ الوطنَ ومسار الزمنْ..
ويمزجنَ الحلمَ والخبزَ والخَبرْ..
تساءلْنَ:
– هل ماتوا؟
وكان النباتُ ماء أزرق، أو جسدَ الذكري.

نزهة

نزلتُ إلي السوق فى الصباح، دون أن أرتّب شَعرى،
دون أن ألبسَ حذائى،
نزلتُ لأصرخَ فى صمت المدينة،
لأتحسّسَ الأرضَ تحت قدَمىّ..

رأيتُ الشوارع خاويةَ، وصباحٌ ورديٌ يضىءُ
الجدران الحجرية،
ناديتُ: هل من بشر هناك، هل من أحدْ؟
ضحك الصباحُ وقال: الناسُ نيامٌ، وإذا ماتوا
استيقظوا،
يأخذُنى العجب: الشجرُ أكثرُ حضوراً من البشر،
الحجرُ بهاءٌ، والناسُ غياب..

حملتُ الصباحَ الجميل بين يدىّ، وعدتُ إلي بيتْى، حافيةَ
القدمين، منكوشة الشعر، وفى حنجرتى أغنيةٌ لا أجدُ
من يسمعُها!

منـي السعودى، ديوان: محيط الحلم، دار المدي للنشر، عمان، ١٩٩٢، ص ٢١ – ٢٣.

ليانة بدر

من رواية : نجوم أريحا

حجر نحاس

أعرف! اليوم يوم جمعة، ولن أستطيع الذهاب إلي بيت عمتى فى القدس القديمة، تطعمنى فقوساً محشواً وغارقاً فى اللبن الجميد. لا يخطر علي بال أحد فى العالم حشو كل أنواع الخضار بالرز عدا أهل القدس وحدهم. يملئون القرع، الكوسا، الباذنجان الأسمر والبتّيرى، الخيار، البندورة، البطاطا، ورق الملفوف والدوالى، ولسان الثور والحميضة. يحفرون باطن كل الخضار التى لا تزيد عن حجم عقلة الإصبع لحشوها. أسأل عمتى وأنا أراقب عملية فرم البندورة وتقطيع الخيار بحجوم دقيقة للسَلَطَة: هل تحشون العدس أيضا؟ أم تكتفون بالخراف والطيور الصغيرة والكبيرة؟ تبرع عمتى فى تتبيل حشوة الرز بالبهارات ذكية الرائحة، والتوابل التى ستزين ضلع الخروف الذى يجلب ليلة وقفة العيد من دكان « عكّة » الجزار. لن أجد اليوم دارها لأشاكس نهلة البدينة ذات العينين الزرقاوين وأنا محتجزة وراء قضبان نافذة بيزنطية، أو لأستمع علي الأقل إلي شتائمها المعتادة القادمة من الطابق السفلى. نهلتى! يا نهلتى! تكرهين الذهاب إلي المدرسة فأقدرك حق التقدير علي هذا، تظلين حافية القدمين فى صحن الدار لأن المدرسة تعلم قلة الحياء والبهدلة كما تقولين، أتستطيعين الرؤية حقا بحدقتى عينيك المستديرتين مثل قدحين من البورسلان الشفاف؟ هل تستطيعين التحديق رغم شدة بياض رموشك والشيب عليها يتذرذر كالأشعة النورانية حينما تقفين تحت وهج الظهيرة! تلقين بالأمثال تلو بعضها كمن يلقى بحجارة مسننة. لا، لن أستطيع تكرارها لأن لسانى تدرب علي العفة طويلا لكثرة جرعات الفلفل الأسود المسحوق التى أهالتها أمى عليه عقاباً علي قول الألفاظ النابية. كانت الصفعات تقوم بالمهمة أحياناً حين أنسي وأعيد فى البيت بعض ما سمعته منك أثناء النهار، عمتى يا عمتى! إنها نهلتى قريبتك وأخت زوجك التى حظرت علي ذكر اسمها فى الصغر وربما فى الكبر أيضاً، نصحو صباحا عندك علي رائحة القهوة الطازجة تفوح فى أرجاء البيت الكبير. بيت له قمرات مدورة تدخل ضوء النهار إلي وسطه، فلا يحتاج إلي إنارة رغم قلة الشبابيك. بيت بسقوف تتقاطع فيها الأفاريز منحنية إلي الداخل، ومزدانة بجامات بللورية، تجلس نهلتى فى صحن دارهم وعلي رأسها نقيع الزيت والبيض لتغذية شعرها الأشقر، تستفز عامل مصنع « الطحينة » الذى ينتج حلاوة زيت السمسم، تطل عليه من الأعلي، فلا يكترث بها حتي ترمى عليه قشر البطيخ الأحمر، تقهقه وتكركر عندما يثور الشاب ويرد عليها بأقذع الكلمات والمسبات. تجهز نفسها آنذاك لإلقاء مثل شعبى وحيد ببرود شديد:

« ميت من البرد، وبضرّط لحف ».

ما أوقحها فى تلك الأيام نهلتى: لا تقبل الانضمام إلي مراسم الاستقبالات التى تقيمها عمتى مرة كل أسبوع، تأتى النساء فرحات، متجلات بأفضل أثوابهن، حريصات علي بسط الود والمسرة. بغنين، يضربن علي العود، ويتضاحكن فى غرفة الاستقبال ذات الأقواس والخزائن المغطاة بالدانتيل الأبيض. تخفى الستائر المسدلة الكوة التى أشرف منها علي صحن دار نهلتى، وتبرز بدلاً منها قواوير

« الفضية »، الست « المستحية » و« الشنطة » بألوان أوراقها الفضية والذهبية، تستحيل فوضي الحياة اليومية فى الدار الكبيرة إلي كبرياءٍ وأناقة خالصة، ينتهى الاستقبال النسائى الأسبوعى بعد ساعات عديدة من البسْط والانشراح، يُسدل حجاب الأنس والتباسط إلي موعد الاستقبال التالى بعد أسبوع، تعود رائحة القهوة العربية الممتزجة مع النحاس الأصفر ورغوة الصابون النابلسى إلي الفوحان فى أرض الدار المكشوفة صباحاً. تتقلص رائحة المهلبية « الهيطلية » المخلوطة بماء الزهر عن البلاط الرخامية الوردية اللون، تنمسح آثار فناجين الشاى البيضاء التى لا يشاهدها أحد منا إلا إذا ظهر ضيوف بغتة فى البيت. نعاود السأم أنا وصغري بنات عمتى. ننق علي أختها الكبري فتصطحبنا خارج بوابة « الدار الكبيرة »، ومنها نزولا من « عقبة المفتى » إلي الأزقّة المتلئة أدراجاً تتفاوت فى الضيق والاتساع. نهبط عن طريق « درب الآلام ». نعبر من تحت الشناشيل الخشبية المخرمة لمنزل كهل أبيض الشعر يدعي « عارف العارف »، منحدرات إلي باب العمود ومنه إلي خارج السور حيث الباص الذى نستقله بقرشين لكل نفس ذهابا وإيابا عدا ما يسرى علي الأطفال من تخفيض يخول لهم الذهاب والإياب « بتعريفة ». يصعد الباص ذو البوز الحديدى المتطاول إلي طريق رام الله لكنه ينهى جولته فى [illegible] علي طريق شعفاط- بيت حنينا، نحمل معنا كنزات صوفية لأن البرد يهيمن عصر كل يوم علي تلك الأرض البرية حتي لو كنا فى عز الصيف. تواقت الشمس غروبها مع استدارة الباص رجوعاً، ووقفته فى محطة المنتصف بانتظار ركاب مغادرين إلي القدس. تسرى أنظارنا المفتتنة وراء جمر الغروب وهو يذوب فى حدقاتنا المفتوحة صوب أغنية الشمس اللانهائية، يكون الغروب ذروة الوهج والألق علي منبسط تتكاثر فيه أشواك برتقالية صفراء بلون العُصفُر الجاف. يستدير الباص عائداً بعد اختفاء القرص الذهبى الأحمر وراء الأكمات فكأنه يرجع من الأطراف إلي مركز الكون. يشتد التصاق كفيّ علي مقبض الكرسى الأفقية فتعلق رائحة النحاس الباردة بين أصابعى وضاءة ثقيلة. أسحب يدى لشدة حيرتى من انجذابي إليه وتشبثى بها، كأن هناك ما يضايقنى فى استمتاعى العميق بالرائحة الملغزة، تكون قاسية، ومُرّة لكنها مشبعة بذرات الشمس الغاربة.

حين تنتهى الرحلة، ونعاود المسير من ساحة باب العمود عبوراً بسوق باب خان الزيت التى تكون حوانيتها قد تأهبت للاقفال، يجعل النعاس باطن جفنيّ، كأنه من بعض فيض ذلك النحاس الأصفر المتروك علي راحتيّ. تبادرنى أمنية غريبة بأن أكتشف خان الزيت الذى سمى السوق علي اسمه، أعرف أن هناك بعض الخانات التى كانت مصانع صابون فى الزمان القديم. تنزلق رائحة زيت الزيتون علي حوائط الأقواس والقباب المظللة التى ترصف حائط السوق. تنبثق من جميع النواحى لتغمر بفيض بركتها المكان. للزيت لمحة قدسية منذ أيام عيسي المسيح عليه السلام، أتمايل شوقاً للنوم أثناء سيرنا الطويل إلي عقبة المفتى إلي أن نصل إلي بوابة الدار الكبيرة. نجتاز المعبر المغطيّ بالقوس المملوكى الكبير. تظللنا قبة ذات حجم عظيم علي جانبيها مكسلتان حجريتان ترنوان إلي المقرنصات أعلي المدخل، وإلي الصنج المعشّقة، واللوحة الكتابية غامضة المعالم نمرق من تحتها كما يعبر المرء طلسماً يسير به إلي دنيا الأنس بعد طول اغتراب بين الكائنات.

يشبه المدخل المكين بوابة قصر خشبية هائلة لا تغلق أبداً، تمتد إلي درجات تفضي إلي بهو معقود، ومنها إلي باب صغير محفور فى الصخر المتين. أفتح عينىّ علي وسعها آنذاك لأن الدرجات القليلة الباقية سوف تقلنى فورا إلي قبة الليل الشمسية. تضىء النجوم باحة الدار المكشوفة ببياضها ليشع فضة ولآلىء.

تصير قريبة، دانية، عناقيد ضوء منتشر كمشكاة الأنوار. أستعيد أقصي النشاط آنذاك وأتأهب لصعود الأدراج الطويلة الموصلة إلي الجزء الخاص بنا من الدار الكبيرة. ليست داراً، بل مجمعًا سكنيًا هائلا قد من أحجار تغلبت علي الأزمان، وازدادت عراقة بمرورها علي البيزنطيين، الأيوبيين، إلي فيض هذه الأيام. لابد أن نجد في البيت من يفتح لنا لأن المفتاح الذي يفوق وزنه الكيلو جرامين لا تتسع له حقيبة نسائية أو جزدان. إذا لم تكن رقيّة جارتنا في بيتها، فليس هناك أحسن من البقال كمال يحفظه في درج النقود. تنحني ابنة عمتي علي كوم «اللبنة» المجعول علي شكل هرم صغير، وتنادي عليه كيّ يناولها المفتاح، يأتي كمال الشاب بشاربه المشابه لأنور وجدي، وبمريلته البيضاء المعقودة وراء ظهره، ويهمس لها من خلف طبق الحلاوة المزين بأوراق ذهبية حمراء وخضراء:

– علي رأسي وعيني، تكرمي.

يعجبني النوم علي حشية وضعت تحت صورة أم كلثوم، وقد كتب عليها «كوكب الشرق». نزعها ابن عمتي حسين من مجلة الكواكب وعلقها فوق ركسة الثياب الداخلة في تجويف الحائط. في الصباح ينسدل الشرشف الأبيض فوق الحشيات المكدسة فتبين وكأنها ملصقة فوق ستارة مسرح أما في الليل فهي تقابل مكان نومه فيشرد بصره إليها حتي ينعس. يحاول اقتناص اتجاه نظراتها لكن لفتة عنقها المشبعة كبرياء، انفراجة شفتيها الذاهبتين إلي استدارة خاصة، وحلقها الماسي الطويل لا توحي إلا بانهماكها في التطلع داخل أغانيها. لا يقبل ابن عمتي المكوث في البيت إلا إذا كانت الصورة مواجهة له عند النوم. حاولت عمتي يوما، وقامت بتمزيقها في غيابه، وهي تستمطر اللعنات تلو اللعنات علي إغراء الشيطان، لكن هجره الدار أياما طويلة لقنها درسا مرا في الصبر والاحتمال. كيف يمكن لولدها الحبيب أن يقع في غرام هذه المرآة التي تمتلك صوتاً ذهبيًا، إلا أنه يبقي صوت امرأة علي أية حال. تراودها الشكوك في الرائحة اليانسونية الفائحة من ثيابه فتلقي عليه مواعظها، وتناشده اختصار لعب الورق مع أصحابه الذين يطيلون السهر «مثل فيران الخمارة، سهرانين ومكيفين». تزعل عمتي من سلوك ابنها وتعتبر أن صورة المطربة هي إعلان عن إنحرافه. لا تخفي طربها بأغنيات عبدالمطلب، ولا سعادتها بصوت عبدالوهاب، لكنها تعتبر أن أغنيات كوكب الشرق هي من أنواع المخدرات. عطر قوي لا يعلّم إلا النسيان. لا يجلب سلواً أو راحة إنما يخلف أحمالا ترهق القلب وتدعوه إلي الشراب. يقعد الإنسان عن السعي. ويُمسي كئيبًا مغمومًا ليس لديه طاقة للبحث عن عمل، إلي أن يدمن التبطل ولعب الورق رغما عن حاجة الأقربين إليه. والسبب، السبب! إنما هو فن الإغواء الذي تمارسه المطربة. تزعل عمتي ولا تتوقف عن طبخ «السليمكة» المصنوعة بالباذنجان والبندورة، أو «المسقعة» المروية بالبصل والصنوبر المقلي. يتفجر غضبها في بعض الأيام فتلعن الذي يخلفّ أولاداً وبنات مثلها، وتحلف انها وستكف عن الطبخ حتي يضطر أهل الدار إلي استجداء حساء الفريكة من عقبة التكية التي يلجأ لها المعدمون. أسألها بحياء مبين: هل كان أهل القدس يتناولون طعامهم في الأسواق كما يقول جارنا والد ماري؟ سمعته يخبر أن البيوت كانت خالية من المواقد، وأن مطبخ المدينة كان في أسواقها، فهل هذا صحيح؟ ترد عمتي آسفة الوجه، كسيفة العينين: من علمّك الإصغاء إلي كلام المجانين! إذا سمعته يقول هكذا فلأنه شحاذ ابن شحاذ، لا تردّي عليه يا ابنة أخي. لكنني أستعيد كلامه وهو يحكي عن الصليبيين الذين فوجئوا بتنوع طعام الأسواق ونظافته، وبتناول أهلها منه لأن المجاعة جعلت بيوتهم خلواً من المطابخ. أتراجع ولا أجرؤ علي سؤالها حول

خاصكى عثمان زوجة السلطان العثمانى التى أولع بها رغم أصلها الروسى، وبالرغم من تآمر حاشيته عليها، تلك المرأة الجميلة التى بنت التكية وأوقفتها علي الفقراء والجوعى والمعدمين. لو تكلمت فستلوح بيدها أمام وجهى لتأمرنى بالخرس، وكى تعرض بى لأنى أردد كالببغاء كل ما أسمعه حولى. يكفينى أننى أفرح وأطير كلما شغلت مارى جهاز أسطواناتها الذى يدق رقصات غريبة منوعة تعلمنى إياها بمنتهي الصبر والدقة. برعت فيها إلي الدرجة التى تسللت فيها عمتى إلي الغرفة المشرفة علي الفناء الخارجى دون انتباه منا، لتشده بمنظرى وأنا أقفز وأتمايل مقابل مارى التى نالها ما نالها من الهجاء المرّ تحت حجة الخوف من عتاب أمى. تقول عمتى: ماذا نفعل إذا درى أهلها؟ والدها المسخم فى السجن وأمها استودعتنا الأمانة، ابنة خمس سنوات وترقص هذا الرقص! هل يخلصنا وقتها اننا أفسدناها، وجعلناها مثل الكبار المجانين؟ لا الكبار طبعًا! إنما مثل مارى وحدها التى يحتل الحديث عنها نهارات كاملة فى الحى. تتولع بولد ملعون لم تقابله يومًا فى حياتها، وتذهب إلي سينما المدينة الجديدة لكى تشاهد صوراً خيالية لمن يسميه ابن عمتى «الفص برسيم» بدلا من الفيس برسلى. يدارى ولهه بالشابة التى تهمله ولا تتطلع صوبه حتي لو قتل نفسه، هو الذى يقضى الأوقات الطويلة فى معالجة خصلة شعره الأمامية كى تشبه غرة متهدلة علي جبين الفيس برسلى. يحمل المطرب الشاب جيتاراً مجنونًا ولا يكف عن العزف حتي يطير عقول الفتيات البريئات من رءوسهن. تلطم عمتى وتقول: ماذا يبقي؟ روبابكيا. روبابكيا. وتغضّ النظر عن بناتها اللواتى يغرمن علي التوالى بفريد الأطرش، عبدالحليم حافظ، وجمال عبدالناصر. طبعًا ليس كل هؤلاء يتمتعون بالتقدير ذاته، إلا أن الغرام هو الغرام فى النهاية.

استنهضت عمتى حكمتها بحثاً عن الحل الأمثل الذى يتيح لها الذهاب إلي السينما دون أن ينتقدها أهل الدار الكبيرة وسكان الحى. لجأت إلي ستى خدوج رفيقة درب، كى لا يبرر الناس إشاعات مغرضة عن تحديها للترمل المفروض عليها. ذهبت خدوج بقامتها القزمة، متلفعة بدراعتها الخليلية الفضفاضة، وغطاء رأسها الداكن الذى ينسدل علي وجهها مخفيًا ملامحه، ومستبدلاً تقاسيمه بزهرات بنفسجية اللون تخضب مادته الشفافة. دخلنا إلي القاعة، وبحثنا عن مكان قبل بدء العرض إلا أن ستى خدوج حردت وأرادت مغادرة المكان فى التو. فلماذا يجلس الناس وقد أعطوها ظهورهم! ألا يدل هذا علي استهتارهم وعدم ترحيبهم بالقادمين! هدأتها عمتى فى الوقت المناسب، هى التى اعتادت علي نزوات جدتها منذ وفاة أمها أثناء طفولتها. بالكاد استطاعت إفهامها بأن جلسة الأفقية والظهور هذه إنما هى من لزوم الحال. لكن معركة جديدة ما لبثت أن بدأت حينما تمنعت ستى خدوج عن رفع المنديل عن وجهها بسبب وجود رجال أغراب فى المكان. بعد أخذ ورد وجدال، أقنعتها عمتى بأنه من سابع المستحيل أن ترى عبدالوهاب وصديقته فى «الوردة البيضاء» إن لم تكشف وجهها، وهكذا فعلت ستى خدوج علي مضض، حينما أطفئت الأنوار تدريجياً، أوشكت ستى خدوج علي الانسحاب من جديد بسبب تشككها فى نوايا أصحاب المكان. فإذا كانت هنالك فرجة باهرة تماثل صندوق العجب فلماذا إطفاء الأنوار؟ إلا أن عمتى وقد اعتادت نزوات جدتها جعلتها تنتظر العجب العجاب بأن همست لها أن العرض الخطير قد أزف وأتي أوانه. هكذا ابتدأ العرض، وتمايلت خدوج فى مقعدها استحساناً مرة، وغيظًا مرة أخرى بسبب غلظة عنق الرجل الجالس أمامها. إلي أن أتي القطار. تتمهل عمتى فى الحديث هنا حينما تصل إلي نقطتها المأثورة التى ترسم أوج الحكاية. تسكت

قليلا كى تثير فضولنا وتسأل: هل بإمكانكم أن تتصوروا ماذا فعلت حينما اتجه القطار علي الشاشة صوب المتفرجين؟ صاحت خدوج وقد سيطر الفزع عليها، وهى تحاول الهرب بسنوات عمرها المائة، داعسة فوق أرجل الناس حتي لحقتها وعاودت إجلاسها رغماً عنها، وأنا أشرح لها أن هذا القطار يولى ولا يقترب أبداً لأن الحكاية تجرى فى مصر، وهو ذاهب إلي القاهرة فى التو، وليس إلي العبور فوق رءوس الجالسين. تصوروا، وتخيلوا كيف وقفت خدوج القزمية علي رءوس أصابعها آنذاك، وهى تلوح بغطاء رأسها، صارخة بلكنتها الخليلية: هيه يا مسافر هيه، سلم لى علي بنتى زهرية مرت الحج صبح اللى ساكنة بباب اللوق.

يرنو الجميع عندنا إلي مصر، ويتطلعون صوبها بشغف وليس ستى خدوج وحدها. إذ إن إبنة عمتى الوسطى طردت من فصلها الدراسى الأخير بسبب هتافها فى المظاهرات باسم عبدالناصر. زين الفرسان الذى بادر إلي نصرتها، ولم يتخل عنها. بعثت له برسالة توضيح فيها أحزانها، فإذا بمنحة آتمام العام الثانوى «المتْرك» الذى يعرف فى مصر بالتوجيهية تأتيها فتسافر وتصير طالبة فى قسم داخَلىَ فى مدرسة فى إحدي ضواحى القاهرة. لتعود بعدها فتاة من طراز آخر لا يستسلم لتأثيرات مارى وقذلكات عالمها. عادت جديّة ورصينة، إلي الدرجة التى ما عادت تقبل فيها علي الحديث معنا، أنا وأختها الصغري، تتكبر علينا، وتعتقد أنها التحقت بصنف الشخصيات الخطيرة فى البيت مثل أختها الكبري التى ذهبت فور تخرجها من المدرسة للعمل فى الكويت. ما عادت تقبل الاستيقاظ صباحا لتذهب إلي محل «زلاطيمو» خلال العطلة الصيفية لإحضار المطبّق بالجبنة لإرضاء ضيوفنا من غائبى الخليج المحرومين من مباهج الطعام والحياة. تسحب اللحاف فوق رأسها، وتنهرنا كى نتدبر أنا وأختها أمر الذهاب إلي باب العمود فى الفجر لإحضار التين الشحامى الذى تجلبه الفلاحات فى قفف قشية يفرشنها علي جانبى الطريق، تتأفف كلما طالبناها بالجولة المأثورزة فى باص شعفاط، وتتساءل بغيظ وتشف: متي ستفتح المتيسة؟ المتيسة! آية متيسة؟ نسألها بغيظ. تعلّى صوتها وتقول: حيث يتم تعليمكن التحول من بهائم إلي أوادم. بهائم؟ سامحك الله يا سنية، فلماذا تتكبرين علينا إلي هذا الحد؟ لكنها لا تسمع بقية الجواب بعد أن تكون قد عاودت نومها العميق.

عمتى يا عمتى، ماذا أفعل الآن بذكري نهلتى المحرمة؟ هل سأتوفر علي قوة تبعثنى إليك فى إحدي شقق جبل عمان بعد حضورك من الخليج الذى سحبك إليه ذوو القربي لتشاهدى حروباً لم تحلمى بمثلها من قبل! سأذهب إليك فى إحدي زوايا المدينة المثقلة بالمبعدين من الوطن، والمهجرين من رمال الخليج. أنتظر لمعات ضحكك التى لم تتراجع رغم كبر السن وثقل العمر. تسأليننى عنه قائلة: أين هو؟ لماذا لم تحضريه معك؟ أخبرك أنه منشغل بالعمل الكثير، فتمدين يديك فى إيماءة تذكرنى بعز طفولتى وفىء شبابك، تقولين بخجل وتجرئة: يا الله كم أجده وسيماً يشبه بطلى المفضل كلارك جيبل فى فيلم «ذهب مع الريح». شاهدته مرات عديدة رغم مشاكل خدوج الكثيرة فى تلك الأيام. أخاطبها بجدل تدفعه مسرات القلب الباطنية: قد يكون حبك لجيبل أصابنى بالمس أيضا، فرميتنى بعدوي مختزنة فى دمى حتي اليوم. تقفز ابنتها الصغري قائلة: لم تعد تهددنا بالإضراب عن الطبخ المقدسى واللجوء إلي شوربة فريكة التكية. تهز رأسها بأسي متابعة: ولم يعد معها مفتاح بيتنا الثقيل الذى ظل معلقًا علي جدار شقتنا فى الكويت.

ليانة بدر ، نجوم أريحا ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٩٣، ص ٢١ – ٣١.

سميحة خريس

من رواية: شجرة الفهود: تقاسيم الحياة

حين شحت المياه هذا العام جاءت إلي البئر تجر ولديها التوأم. تسير رافعة رأسها صالبة عودها ممشوقة كالرمح لا ينثنى وغزالة لا تفهم كيف تستطيع امرأة أن تسير علي هذا النحو من الكبر. وعند البئر كلمات محدودة لا معني لها من المجاملات مع نساء فى مستواها العائلى، وتسارع الأخريات يملأن لها جرتها. ولم تكن فريدة تقاضيها ثمن المياه إذ يخجلها أن تطلب من آل أبى فالح... ولعل صيت اخوة تمام كان مفزعاً فى البلدة إلا أنه محاط بكثير من الاحترام والتبجيل والمحبة.

لم يظهر لدي تمام أى ضعف إلا فيما يختص بالتوأم زيد وزياد الذين تغير اسماهما بفعل سخريات غزالة فأصبحا المفعوص والمفطوع. فالصغيران اللذان يثيران الشفقة الداخلية فى نفوس النسوة. يلتصقان بثوبها الأسود الواسع، شديدا البيضا حتي انهما يميلان إلي البرص أكثر. كوالدهما فالح الشقران.

والشقران يمتازون بالشعر الأحمر وفى بعضهم هو أبيض عيونهم صغيرة للغاية لا تكاد تري وسط البياض الفج لبشرتهم واهدابهم شقراء تبدو وكأنها عبء علي العين لا حماية لها.. فى بعضهم اثار نمش صغير منمنم ينتشر علي الوجه وقد كان زواج تمام بابن الشقران ينبىء بأطفال تتغير عيونهم بعض الشىء. الا أن هذا لم يحدث وجاء التوأمان تماماً كوالدهما... ومنذ أشهر ستة نعي القادمون من المعركة زوج تمام.. لم تبك حتي أن عينيها ظلتا مفتوحتين علي سعتيهما دون أن تذرف دمعة. وضمت إليها زيد وزياد بشدة. وقد شعرت بالمذلة حين أجبرها اخوتها علي ترك بيتها والرجوع إلي حماهم. كانت مفعمة بالمرارات والأوجاع. وقد فقدت رجلها، لم تستطع وهى الصامتة المتعإلية أن تحكى عن تجربة العشق التى هزتها من صميم الفؤاد وكيف اشتعلت روحها وعرف جسدها مباهج الحياة إلي جانب زوجها فكان رحيله لطمة لم تفق منها بعد..

بكل هذه المرارات تأتى إلي بئر الفهود لتعود بالماء ذاهلة ساهية عن الكراهية التى تؤجج صدر غزالة. بل انها لم تكن تعتقد أن غزالة ند لها فى كراهية أو ود أو صداقة لهذا ذهلت حين ضربت تلك يد امرأة تحاول أن تصب الماء لتمام فغمر رذاذ الماء وجهها... بحلقت بغزالة وهى تهذر غاضبة.

– هون ما فى قمح وشعير... كل واحد يملى لنفسه.

ردت المرأة المضروبة:– ليش ياختى؟؟ هيك راح الماء خسارة

– خسارة... خسارة، ميتنا وإِحْنا أحرار والله عاجبه وبعدين ما فى حد علي رأسه ريشة.

أدركت تمام انها المقصودة ولكنها كانت بحاجة إلي وقت لتفهم سببًا لهذه الغضبة المفاجئة وقد ظلت واقفة مكانها واتسعت عيناها ودكن لونها البنى. لم

تطق غزالة هذه النظرات الفاحصة المتعالية، فقدت أعصابها تماماً وواصلت الانزلاق فى حماقتها.

– مالك؟؟ فاتحة عيون البقرة؟؟ لدى فى عيونى لدى..

هنا تكلمت تمام:– عيب... يا بنت.. عيب.

– بنت!! لا والله كترتيها.. أنا بنت يا ناقصة. أنا مرت خير الرجال. شوفى حالك لا بنت ولا مره.... زوجك هج من قرفك مع العسكر ومات وترك لك يا حسرة جوز البريعص هذول...

اهتز رمح جسدها لثوان وتحول وجهها إلي أزرق... حلفت بعض النسوة أن عينيها أوشكتا أن تنفصلا عن وجهها وتنقضا علي غزالة... ولكنها استدارت بعنجهية وعنف.. وسارت بقوة وسرعة والصغيران يتشبثان بطرف ثوبها... لم تكن كلمات غزالة فى لحظتها ألمها الوحيد ولكنها مع كل خطوة تفوز وتستخرج من أعماقها أوجاعها وتراكمات من الوحدة والمذلة تتضخم وتزداد كلما سارت خطوة.

ومن بين النسوة أيضاً هرعت الصغيرة «ذهب» باتجاه بيت فهد ووراءها غزالة وين رايحة يا هبلة... وقفى. وقد امطرتها بحجرين لم يصلاها. لم تتوقف الفتاة السمينة ولكن أدارت رأسها بتحد قائلة.

– والله لا قول لعمتى...

حين وصلت تمام بين اخوتها، كانوا ثلاثة يجلسون فى الفناء وأصوات ضحكاتهم تتداخل وكأنها لرجل واحد... وقفت قبالتهم ترتجف تنوء قدماها بحملها... صمتوا لبرهة يستطلعون الخبر، بدأ أنها ستقول شيئا... هيئتها تنبىء بخبر عظيم والصغيران يرتعشان وقد تبلل وجهاهما بالدمع... لم تتكلم ففقد أحدهم صبره صائحًا...

– ها... مالكْ... ما تحكى.

تفجرت أحَزانها. سيل من الدموع والشهقات. هبَّ أخوتها كزوبعة واحدة... انها المرة الأولي التى يرون تمام تبكى، ما الذى جعلها تجثو علي ركبتيها مختنقة بعبراتها؟ القوية التى لم تبك لموت زوجها... ما هو الخطب الذى آلمها إلي هذا الحد؟؟

ولأن تمام لا تستطيع تفسيرا لمجموع آلامها ولا حتي تجرؤ علي الاعتراف بها فإن السبب الوحيد الئى تستطيع سرده لحظتها هو ما حدث عند البئر... ولفرط فجيعتها لم يستطلع أبناء أبو فالح حقيقة ما حدث فتوثبوا وتوعدوا... لفوا عباءاتهم علي القامات العريضة المنبسطة، لم يتحدثوا فيما يجب عمله وكأنهم يعرفون بصورة غريزية كيف يجب أن يكون رد فعلهم عن الاهانة التى لحقت بشقيقتهم الأرملة التى جعلها وضعها أكثر قدسية لديهم. سألوا عن فهد فأشار عليهم بعضهم أنه فى سوق الغلال يتعامل مع بعض المشترين. وقد انذرت لهجتهم الغاضبة بأزمة ممتعة لأولئك الذين ملوا من سير الأحداث اليومية الرتيبة... تراكض بعضهم إلي سوق الغلال يستجلى الخبر. أخرون وجدوا فهد قبل أبناء أبوفالح وأخبروه أن شراً فى الطريق...

فى هذا الوقت انزوت غزالة فى حجرتها ترتجف وقد أدركت أن ما فعلته فى يومها هذا لن يمر سهلاً.

نقلت «ذهب» التفاصيل إلي عمتها فصكت فريدة وجهها مرتين... احقا أن مثل هذا يحدث لبنت أبوفالح عند بئرهم. هذا ما لا يمكن اخفاءه عن فهد. ليست المسألة مجرد خلافات نسائية يمكن كتمانها، وحين دخلت غزالة مسرعة تقتفى خطوات ذهب وتشتمها بأنها نمامة بلهاء فوجئت بغضبة حماتها التى اسكتتها بعنف. وقد

حاولت أن تدافع عن نفسها.
– هذى بئرنا، واحنا مش مجبورين نعطى الشحاذين كمان
– شحادين!! طبعا... معلوم مثلك ويش يعرفها بالمقامات أنت بدك توطى رأس زوجك وتهينيه بين العشائر... والله ليطربقوها علي رأسك... هذا كلام تقولينه لبنت الأصول... معلوم مفكرة مثل أهلك تصكى الواحد علي وجهه يقول كمان... إيش دراك أنت بالناس اللى وجوهها كريمة..

واصلت فريدة موالها... فانكمشت غزالة وقد أدركت أن الأمر لن يمر ببساطة ما دام الحديث عن كرامة عشائرية وان عقابها سيكون قاسيا اذا ما عاد فهد. وجلّ ما كانت تخافه العقاب الجسدى. خُيّل إليها انها قد تموت لو ضربها.

لم تمض ساعة إلا وكان فهد يمتطى حصاناً رمادياً مبرقعاً ويصعد فى اتجاه الهضبة. فى البداية كان يلكز حصانه ليزيد من سرعته، ولكنه عند أول الهضبة شد اللجام وتوقف. أغمض عينيه لثوان وتنفس بعمق أصبحت هذه عادة يكبح فيها جماح غضبه، وتدفعه إلي التفكير بصورة حكيمة... سار بعد ذلك خبباً... بدا كما لو أنه يتأمل هذا الجمال الساحر من حوله، وكأنه نسى فى لحظة واحدة الرجال الغاضبين اللذين اقتحموا عليه السوق مطالبين بحق العرب وإهانة من أهان عرضهم. لقد سمع الواقفون بالسوق القصة وسمعوا رد فهد برد كرامة أبناء أبوفالح وتأديب بنت الحراث ولكنه الآن يشعر بعضلاته المشدودة تسترخى ودمه يبرد ونبضه يتتابع بانسجام السعيد الراضى.

كان المنظر آسراً، وقد أوشك أن يري قمة بيته من بعيد ولكنه لم يكن مهووسا بالمنظر كما يقدر من يراه. كان يفكر بحل للقضية الطارئة ويعد حزامه الجلدى السميك ليقطعه علي بدن غزالة المتطاولة. الا أنه ابتسم وهو يتذكر الجسد الرخص الرقيق... هذا لن يفيد والمرأة لا يؤدبها الضرب والكريم لا يضرب أنثي... الطريقة كلها فجة بل أن القضية كلها لا تساوى هذا الغضب، ولكنه لا يستطيع انكاره علي أولاد أبى فالح وقد صرحوا به. كان يبحث عن حل يرضيهم، والحقيقة أنه لم يكن يفكر بتأديب غزالة حين هبطت عليه السكينة إلي هذا الحد، ولكن بتطورات أخري يمكن له أن يستفيد منها.

كان الرسن يهتز فى يده اهتزازات راقصة إلي أن قرر... فلوي عنق الحصان واستدار هابطاً الهضبة من جديد تصطرع فى داخلة مشاعر شتي. لو أنه وصل إلي المنزل والتقي بأمه لاضطر أن يكشف عن أفكاره وأن يستمع إلي آراء أخري ولكنه أراد شيئاً ولن يسمح لأحد مهما كانت صفته أن يثنيه عما يدور فى نفسه.

فى وقت قصير جداً وصل فهد إلي حوش آل أبى فالح. طوال الطريق كانت تتراقص فى ناظريه صورة الأرملة المحتشمة التى لمحها مرات وقد تشبث صغيران بأطراف ثوبها. كانت تمر كخيال أسود لم يعن شيئا فى حينه. ولكنها الآن تبدو له مهرة أصيلة... ولود... تطربه فكرة التوأم.. ويتذكر أمه حين تحدثت عن الظهر الذى لا يجده ليستند عليه.. آل أبى فالح ظهر صلب. ولا يتذكر فهد أين سمع أن للأرملة أجمل عينين فى البلاد كلها.

شعر الرجال بأن عودة فهد إلي ديارهم تحمل فى ثناياها خيراً، ولكنهم لم يتوقعوا ما وراءه... لذلك صمتوا وكأن علي رؤوسهم الطير حين طلب الزواج من تمام... وقد وجل نفسه من المغامرة. ماذا لو ردّوا طلبه؟ عليه أن ينتزع الموافقة.

– إسمعوا يا رجال.. أنا لا اؤدب امرأة بالضرب ولا أطلق أم ولدى وأنتم لا يرد كرامتكم غداء أو عطوة ولا يرفع شأن أختكم إلا أن تكون فى بيتى هى الآمرة الناهية.. هى السيدة.

بعد عبارات مضطربة وافق الشبان الثلاثة مطالبين بشروط معينة أولها أن لا يظل بئر فهد مشاعاً لنساء المنطقة وأن يسوره ويقيم لتمام حجرة داخل السور. بإختصار أن يصبح لفهد بيت آخر يضم البئر وتكون تمام سيدته. ولم يكن لفهد شروط بدا موافقاً ومستعداً وقد حدد شهراً لتنتقل العروس إلي بيته. الا أن شقيقها الأكبر أجاب علي سؤال حائر فى صدر فهد لم يجرؤ علي طرحه.

– بالنسبة للأولاد زيد وزياد يعيشان معنا ويكون لأمهم أن تراهم وهز فهد رأسه موافقاً.

حين انطلق بحصانه عائداً إلي الهضبة كان مبلبل الأحاسيس. مزيج من الشعور بالنصر والألم والتخوف. أى مغامرة أقدم عليها.. كل هذا القلق غادر قسمات وجهه حين وقف فى باب بيته فأغمض عينيه واستزاد من الهواء ثم دلف إلي الداخل.

فريدة المتوثبة المستعدة للخوض فى الموضوع، صعقت وصمتت حائرة حين سمعت الحل الذى ارتآه ولدها. وغزالة بكت. ظننت لوهلة أن قليلاً من الدلال والضعف الأنثوى والاعتذار الرقيق قد يرقق قلب زوجها، وقد حدث هذا فعلاً وأن أصيب فهد بالندم ووخز الضمير الا أنه لم يكن يستطيع أن ينثنى فقد تحصن لهذا الشغف والحنان بأن طرق باب آل فالح مقدماً. وجعل من كلمته مربط لسانه. وهو الآن لا يملك لغزالة الا أن يهدىء روعها ويتضاحك معها مؤكداً بأنها هى الغالية. وأن القضية خرجت من يده لتصبح قضية عشائر وقبائل.

هذه اللحظات النادرة من الحنان التى يجود بها فهد علي زوجته ووخزات الضمير التى أحسها لم تمنعه بعد ذلك أن ينتشى كعريس مقدم علي الزواج فيسعد ويذهب قدماً فى تنفيذ الشروط وبناء الجديد من الحجرات حول البئر وتسوير المنطقة. بني أربع حجرات علي خط واحد من الحجر الأبيض الجميل وألحق بها مطبخاً ومخزناً للغلال وبيتا للخلاء وقد رصف البئر بحجر أبيض منقط. واستطاع أن يطلب من أبى عايش وأولاده أن يساعدوه دون أدني حرج. فانطلقوا يعملون بجد واخلاص، وقد همست والدة غزالة فى أذنيها بأن لا تخاف لأن معركتها القادمة أسهل من معركتها مع فريدة نفسها لأن رجلاً كفهد لن يغرم بامرأة عرفت رجلاً قبله ولها منه تذكاران غاليان. كل هذا لم يذهب أوجاع غزالة وأن تظاهرت بأن ما يجرى حولها لا يعنيها. وقد تألمت عميقاً وهى تري الحجرات الأدبع تقوم حول البئر الذى أحيط بحجر أبيض عند فتحته. وفاجأها الباب الخشبى المطرز بالنقوش ويده النحاسية الضخمة التى تبدو علي هيئة كف فى خنصرها خاتم من الفيروز الأزرق تحيط فى أحكام بكرة ثقيلة من النحاس تؤدى طرقا منغما اذا ما دفعتها وقد أرسل فهد الكثير من المال إلي نجار فى عمان ليحصل علي هذا الباب الذى أسيج بالسور ليصبح تحفة فنية تدافع الرعاة والفلاحون لرؤيتها.

قاومت غزالة مشاعرها وقد ظنت أنها لن تفقد زوجها بسهولة. بعد انتهاء العمل فى البيت الجديد زفت إليه نبأ حملها. هلل فرحاً وضحك.

– يا سلام الأفراح تهل سوية.. وجه «تمام» تمام علينا.

لم تظن غزالة أن فهداً يمكنه أن يجرحها أكثر مما فعل. حتي حين جاءته متفوقة بحملها، يعزو الفضل إلي سواها، فكرت بهدوء وقد قدرت أن عليها أن تراجع خططها بدهاء أكبر. وهى وحيدة فى الميدان رغم علمها بأن فريدة ليست سعيدة بهذا الزواج إلا أنها لا تستطيع أن تركن لجانبها وتفضى لها بمكنونات نفسها أو تحارب معها علي جبهة واحدة، لأن الأخيرة لن تتيح لها فرصة الشماتة بولدها، وقد زجرتها بعينين تتقدان شرراً وتعنيفاً حين كان بعض العمال يدخلون حجرة نوم العروس الجديدة بقطعها الخشبية الضخمة إلي حجرة تمام. تطلعت غزالة بحسرة

إلي الحجرة التى لم تملك مثلها يومًا بحقد دفين وتمتمت بلؤم:

– عساها لا تكون نفس حجرة المرحوم ابن الشقران!!

وهبت فريدة غاضبة:– يا ميّة من تحت تبن. خمسة فى عيون الحسود.. لا تفاولى علي ابنى يجعل يومك قبل يومه.

وقد فهمت بعدها أنها لا تملك حق التلميح أمام فريدة رغم شقائها هى نفسها بهذه الزيجة..

فريدة الوحيدة التى صارحت فهد بوجعها

– أيوه.. ما قلنا شيء عن أصلها وفصلها، أهلها خير الناس ولكنها أرملة.. هذا مش قيمتك.. أرملة بأولادها.. مكتوب عليك يا مطلقة يا قابرة جوزها.. لم يرد فهد إلا بعبارة قصيرة مقتضبة:– وحّدى يمه وردت فريدة من بعده: لا إله إلا هو..

فجأة وقبل الزفاف بأيام أوشكت الأمور أن تنقلب رأساً علي عقب، ذلك أن تمام عزمت علي عدم اقامة عرس ومنعت أن يكون هناك رقص أو غناء ولا حتي زفة من بيت أخوتها إلي بيت عريسها وقد غضب فهد حين نقل إليه أخوتها الخبر. قائلاً أنه من العار أن يكتفى باطعام الرجال فقط، وهو قد تزوج سابقاً ودون عرس وبإجراءات بسيطة وكان يطمع هذه المرة بإعلان هذا النسب بالشكل اللائق. وقد تمالك غضبته فى محاولة لاقناع العروس وأرسل أمه إليها تستطلع النبأ.

جلست هذه إلي تمام متحفزة اذ تقوم بمهمة لا تعجبها

– ليش يا بنيتى تحرمينا نفرح زى الناس والعالم؟؟

صمتت تمام للحظات ثم واجهت بعينيها وجه فريدة. لم تكن منكسرة ولا مترددة ولكن حاسمة بأدب حتي أن الأخيرة لم تملك حق مناقشتها.

– يا حجة.. أنا مانى بنت بنوت... ولا صغيرة.. أنا أم لولدين. عيبى اكسر خاطرهم بالرقص والغنا.

– الولدين صغار..و..

– الولدين كبروا وفاهمين. وهذا آخر كلام عندى..

نقلت فريدة الحديث لولدها حرفياً دون أن تعلق وكان هذا يكفيه ليقدر مدي غضب أمه وعدم رضاها ولكنه رأي فى كلام عروسه وجهة نظر تحمل حساً بالمسؤولية ونبلا فى التصرف. وحين آوت فريدة إلي سريرها تعوذت من الشيطان ثم قالت لنفسها: يمين الله هذي البنت كارهة ومغصوبة عالزواج.

لم تخبر فهد بهواجسها وانصرفت إلي إعداد البيت الذى يستقبل عروساً جديدة بعد أيام، وقد خفت المسؤولية عن غزالة التى راحت تتمارض وتتصنع وحاماً حاداً هذه المرة.

ولكن يوم أن دخلت تمام بيتها الجديد وجدت عدداً لا يستهان من النسوة ينتظرنها فى حوش المنزل حول البئر وزغرد بعضهن وتمام تلصق قرصاً من العجين علي البوابة فتلتصق بإحكام متخللة النقوش والزخارف الخشبية وازدادت حدة الزغاريد وفريدة ترش العروس بالملح والقمح قد قطبت العروس جبينها ورذاذ الملح يدخل عينيها..!

وصاحت فريدة:– من تحب فهد ترقص وتغنى عندما دبت فى أوصال غزالة رعدة خفيفة وألم مرير تستشعره فى حلقها... إنها المعركة وهذه العروس تدخل بيتها عابسة ترتدى ثوباً من الستان يخلو من المباهج والزركشة. وفهد إلي جانبها يضحك للأخريات. كان التحدى كبيراً وجاداً. ولكنها قفزت برشاقة إلي وسط الحلبة وردت علي صرخة فريدة.

– من يحب فهد يرقص... وأنا سأرقص وأدعو أن يتمم الله سعادة سيد الرجال

وتاج راسى..
وانتزعت غزالة منديلين من النساء المحيطات بها وعلي صوت غنائهن وزغاريدهن والحمي الداخلية التى تعتريها تثنت وتقافزت وتمايلت فى حين كانت كلمات الأغنية تجلدها كالسياط.
«صافحنى بيده وسلم عليه الزين... صافحنى بيده... قلبى يريده الأسمر كحيل العين... قلبى يريده».
لم تبتسم تمام ولم تبد خجلي أو مطرقة كانت هناك تنظر نظرة محايدة بعيون بنية مفتوحة ولم تغب عن غزالة النظرات التى يرشق بها فهد عروسه فواصلت ارتعاشاتها كطائر مذبوح.. وقد انتزعت نظراته بقوة ومكر. كم هى لينة وانثي هذه الملعونة ولكنها ترنحت فجأة.. ثم واصلت، عندها استوقفها فهد.
– بس يا غزالة.. أنت حامل.. ديرى بالك علي صحتك..
نصرها الأول فى ليلة تفترض فيها الهزيمة كاملة.. نصرها الذى أكد لها أن انتصارات أخري قادمة.

سميحة خريس ، شجرة الفهود: تقاسيم الحياة ، دار الكرمل ، عمان ، ١٩٩٥، ص ٢٢ – ٣٠.

جميلة عمايرة

دم بارد

أذكر أننى أفقت من نومى مذعورة وخائفة. المرارة فى فمى. جفاف فى حلقى (الجفاف الذى لا يلين)، أحسست أنه يقيم منذ القدم. والعرق قطرة ثقيلة تهوى من جبينى لتبلل وجهى منزلقة حتي ذقنى..!
إذ رأيت، فيما يري النائم، أن رجلا يطاردنى بقدمين من نار، ويدين طويلتين حادتين يحمل بهما شيئاً ما لم أستطع أن أتبينه جيداً. كنت أجرى لاهثة بساقىّ طفلة، عاجزة، إلي أن استطاع أن يحشرنى أخيراً فى زاوية ضيقة مهجورة، ويتمكن منى. أخذ يضغط بيديه القويتين ضغطات متتالية علي عنقى، إلي أن لفظت أخر أنفاسى. وهكذا رأيتنى أموت بهذه الطريقة البشعة لسبب لست أدريه، وبدم بارد.
شربت كأس ماء دفعه واحدة. استعذت بالله من الشيطان وأعوانه. وغسلت وجهى، وبقيت صاحية فى سريرى حتي الصباح، وأنا أردد: خيراً، أللهم اجعله خيراً لى.
لكن عقلى لم يهدأ ويستقر، وبدأ يعمل علي الفرز.
أخذ يستعرض رجال العائلة منذ زمن. الأحياء منهم والأموات. القريبين والبعيدين. خاصة الذين نحرص علي زيارتهم باستمرار وبقاء صلات المودة والقربي بيننا. لكننى، ولحسن حظى، خرجت بنتيجة مُرضّيه استطعت بعدها أن أستعيد توازنى وأبدد مخاوفى. ذلك أننى لم أجد أحداً من عائلتنا، ذكوراً أو إناثاً. مات قتلاً أو خنقاً علي يد أحدهم!
صباح اليوم التالي.

خرجت. لا زلت أحس بالمرارة فى فمى. والجفاف فى حلقى (سحقًا! هو الذى لا يلين)، رغم تناولى المستمر للماء البارد. كنت هناك وإذ بى أسير، فيما يسير السائر، امرأة وحيدة فى الطريق العام. وفجأة أحسست أن رجلاً يتعقبنى! ولكى أثبت لنفسى بأننى غير خائفة أو قلقة، لم ألتفت ورائى، مقتنعة أن هذا كله محض تصور أخرق لخيالى الواسع. مجرد وهم كاذب ليس له أية علاقة بما رأيته فى منامى ليلة أمس.

تابعت سيرى ببطء أكثر (إذا كان رجل يتعقبنى فليتجاوزنى الآن). لكن أحداً لم يسبقنى أو يخلفنى وراءه.

بقيت خطواتى تتتابع ببطء شديد، وبدأت أتفحص الشارع جيداً اكتشفت أشجار الطريق المقلمة حديثاً، وقد نمت وكبرت، وبدأت تأخذ شكلاً جميلاً لترسم لوحة خضراء متناسقة علي جانبيّ الطريق. كما اكتشفت عمارات أخري ترتفع بطوابق عديدة (هذا يعنى كثافة سكانية متزايدة: قلت لنفسى).

محلات أزياء جديدة تعرض ألبستها للمرأة العصرية بطريقة مدهشة ومغرية (منذ متي وأنا لم أسر فى هذا الطريق الجميل؟!). وأخري تعلن عن ملابس شرعية جاهزة، وحسب الطلب أيضاً (ليس فى ذهنى ما يلّح سوي كابوس ما رأيت الليلة).

بقيت أسير ببطء.

مضي وقت سعدت به، رغم شعورى المتردد بأننى مُسَرْنَمَة! الخطوات التى أحسستها تلاحقنى فى بداية الطريق نسيتها تماماً تلاشت مخاوفى وظنونى من أساسها.

حسنا.

فجأة، حينما كنت أقترب من نهاية الطريق، وإذ برجل يتجاوزنى، حدست بأنه هو الذى يتعقبنى منذ بداية سيرى، ويترصدنى فى مكان اختفي فيه لحين خروجى! إذ أن هيأته تشى بعدم الاطمئنان: ذلك المعطف الأسود الطويل الذى يلف جسده كله (الطقس ليس بارداً) من كتفيه حتي قدميه. يداه الإثنتان يخفيهما داخل جيوب المعطف (تراه ماذا يخبىء بهما؟). وجهه غير الحليق. خطواته المتساوقة مع خطواتى. الاضطراب الذى أحسسته حينما تجاوزنى. توقيت ظهوره المفاجىء أمامى الآن. كل هذا جعل موعد خطّتى يقترب من التنفيذ!

أسرعت بخطواتى. أصبحت وراءه تماماً. ولكن (خطر لى خاطر: من يقود الآخر؟ أنا أم هو؟ وإذا كان هو، فإلي أين تراه يقودنى؟). الآن، أستطيع أن أُعدّ أنفاسه المتلاحقة والسريعة، كأنما هى أنفاسى المتلاحقة والسريعة، وأحس كذلكَ بمخاوفه واضطرابه.

الخطة جاهزة وتنتظر البدء.

توقف، علي غير توقعى، فى منتصف الطريق.

توقفت وراءه تماماً. لاحظت اختفاء المارة من الطريق فى هذه اللحظة بالذات. كل شىء انتظم من تلقائه ليكون مسرح التنفيذ.

وحدنا فى الطريق. أنا وهو. هو وأنا.

صوبت نظراتى الواثقة إليه، إلي ظهره من الخلف، عند المنتصف. فليواجهنى الآن إذا كان يريد.

لكننى لم أدع الفرصة لتفوتنا معا.. أنا وهو، هو وأنا.

ما إن رأيته يخرج يديه من جيبىّ معطفه الأسود الطويل، ويستدير ليواجهنى، حتي صوبّت إلي وجهه، عند الأذن اليسري، فوق صدغه وبهدوء، ثلاث طلقات نارية قاتلة أفرغها من كفى الذى فردت إحدي أصابعه (السبّابة حتما) وأكملت الفعل!!

فهرس المنتخبات: فلسطين والأردن

مرتبة حسب تاريخ ميلاد الكاتبة

فلسطين و الأردن

(أ)
الدراسة

(ب)
المنتخبات

(ج)
البيبليوغرافيا

آسيا شبلى (؟ -)

قاصة و روائية فلسطينية . ولدت فى قرية الشبلى الواقعة علي سفح جبل الطور فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨. تلقت دراستها الابتدائية والثانوية فى مدرسة راهبات مار يوسف فى الناصرة. تعمل فى مجال الصحافة المحلية.

الأعمال الإبداعية :

خيوط الفجر (قصص)، دار المشرق، شفا عمرو، ١٩٨٩
الجزّار (رواية)، إصدار خاص، ١٩٩٠
سفينة نوح (رواية)، إصدار خاص، ١٩٩٤
موسم الهجرة إلي الجنوب (رواية)، إصدار خاص، ١٩٩٥

أسماء طنّوس (١٩٤٦ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى بلدة المكر فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨. درست المرحلة الابتدائية فى مدرسة البلدة ثم تابعت الدراسة الثانوية فى مدرسة كفر ياسيف. تخرجت فى دار المعلمات العربية فى حيفا. تعمل فى حقل التعليم.

الأعمال الإبداعية :

كرم المسيح (شعر)، مطبعة أبو رحمون، عكا، ١٩٩٢
بستان الأغانى (شعر)، مطبعة أبو رحمون، عكا، ١٩٩٣
الشتاء حب وأمل (شعر)، مطبعة أبو رحمون، عكا، ١٩٩٥
الطبيعة لحن ونغم (شعر)، مطبعة أبو رحمون، عكا، ١٩٩٥
لسان القلب والروح (شعر)، مطبعة أبو رحمون، عكا، ١٩٩٥

أسمي طوبى (١٩٠٥ - ١٩٨٣)

كاتبة فلسطينية. ولدت فى مدينة الناصرة، وبقيت فيها إلي أن أتمّت دراستها الابتدائية. اشتغلت بقضايا المرأة فكانت عضوا عاملا فى اتحاد المرأة فى مدينة عكا فيما بين عام ١٩٢٩ - ١٩٤٨. فى أواخر عهد الانتداب البريطانى علي فلسطين كانت أسمي طوبي رئيسة للاتحاد النسائى العربى فى عكا، وعضوة مبرزة فى جمعية الشابات المسلمات ورئاسة جمعية الشابات الأرثوذكسيات. حين اضطرت لمغادرة فلسطين عام ١٩٤٨ خلّفت وراءها، من بين ما خلّفت، مخطوطة كتاب: المرأة العربية فى فلسطين وكان فى المطبعة. أذيع لها العديد من الأحاديث من محطات الإذاعة الفلسطينية: "هنا القدس" و"الشرق الأدني" من يافا، كما أذاعت لها الإذاعة اللبنانية من بيروت بعد عام ١٩٤٨. تولّت تحرير الصفحة النسائية فى جريدة «فلسطين» عام ١٩٤٨. كما حررت الصفحة

النسائية فى جريدة «فلسطين» «كل شىء» ومجلة «الأحد» فى بيروت. كتبت المسرح والشعر والقصة وصدر لها بعض الأعمال باللغة الإنجليزية. مُنحت وسام قسطنطين الأكبر اللبنانى سنة ١٩٧٣، ومُنح اسمها وسام القدس للثقافة والفنون فى ديسمبر ١٩٩٠.

الأعمال الإبداعية :

مصرع قيصر روسيا وعائلته (مسرحية)، د.ن.، عكا، ١٩٢٥
الفتاة وكيف أريدها (مقالات)، د.ن.، عكا، ١٩٤٣
صبر وفرج (مسرحية)، د.ن.، عكا، ١٩٤٣
علي مذبح التضحية(؟)، جزءان، د.ن.، عكا، ١٩٤٦
أحاديث من القلب (قصص)، مطبعة قلفاط، بيروت، ١٩٥٥
عبير ومجد (مقالات)، مطبعة قلفاط، بيروت، ١٩٦٦
جبال المرجان (؟)، د.ن، ١٩٧٢
حبى الكبير (شعر)، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢
نفحات عطر (مقالات)، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٧٥
أعمال منشورة لم تتوفر بيانات نشرها :
شهيدة الإخلاص (مسرحية)
نساء وأسرار (مسرحية)
واحدة بواحدة والقمار (مسرحيات من فصل واحد)

إلهام أبو غزالة (١٩٤٤؟ –)

باحثة وقاصة فلسطينية تخصصت فى الدراسات اللغوية. حصلت علي الدكتوراه فى اللغويات وتحليل الخطاب. تدرّس فى جامعة بير زيت. لها نشاط فى إطار الجمعيات الأهلية العاملة من أجل حقوق المرأة. لها عدد من الدراسات النقدية و بعض الترجمات منها **أنا** وأنت والثورة: شعر المرأة فى العالم الثالث (الكويت، ١٩٨٧)

الأعمال الإبداعية :

نساء من الصمت (قصص)، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ١٩٩٧
لوزة تغنّى للشجر (قصة للأطفال)، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعى، ١٩٩٨

امتثال جويدى (١٩٤٤؟ –)

روائية فلسطينية. ولدت فى يافا. هاجرت إلي لبنان بعد النكبة.

الأعمال الإبداعية :

شجرة الصبير (رواية)، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٢

أميمة رشراش الناصر (١٩٦٦؟ –)

قاصة أردنية. ولدت فى عمّان. حصلت علي بكالوريوس فى الأدب العربى من الجامعة الأردنية عام ١٩٨٦ و دبلوم فلسفة من الجامعة نفسها عام ١٩٩٢. لها

مخطوطة بعنوان "«الغناء بعيدا"».
الأعمال الإبداعية :
أرجو ألا يتأخر الرد (قصص)، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٦

أميمة رفيق جبارين (١٩٦٧ –)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى مدينة أم الفحم فى فلسطين المحتلة فى ١٩٤٨. حصلت علي بكالوريوس فى اللغة العربية والتربية.
الأعمال الإبداعية :
امرأة الريح (شعر)، مكتب الطلائع للصحافة والنشر، الناصرة، ١٩٩٤

أمينة العدوان (١٩٥٠؟ –)

شاعرة أردنية. ولدت فى عمان وتقيم فيها. التحقت بجامعة عين شمس فى القاهرة (١٩٦٧-١٩٧١). شغلت وظيفة رئيسة تحرير مجلة "«الفنون"» ومجلة "«صوت الجيل"»، وسكرتيرة تحرير مجلة " «أفكار"». لها كتابات نقدية فى الأدب العربى المعاصر منها كتاب بعنوان: مقالات فى الرواية العربية المعاصرة (عمان، ١٩٨٢).
الأعمال الإبداعية :
وطن بلا أسوار (شعر)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢
أمام الحاجز (شعر) ، دار الأفق الجديد، عمان، ١٩٨٣
غرف التعميد المعدنية (شعر)، دار الأفق الجديد، عمان، ١٩٨٥
الأعمال الشعرية: ١٩٨٢- ١٩٨٨، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩
قصائد عن الانتفاضة (شعر)، دار الكرمل، عمان، ١٩٩١
أحكام الإعدام (شعر)، دار الينابيع، عمان، ١٩٩٢
أخى مصطفي(شعر)، دار الكرمل، عمان، ١٩٩٣
الأعمال الشعرية: ١٩٨٨-١٩٩٣ (تضم قصائد عن الانتفاضة، أحكام الإعدام، أخى مصطفي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤

انتصار عباس محمود عباس (١٩٦٧ –)

قاصة أردنية. ولدت فى إربد. حصلت علي بكالوريوس اللغة الإنجليزية. تعمل فى حقل التعليم.
الأعمال الإبداعية :
للشمس جنون آخر (قصص)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧

إنصاف قلعجى (١٩٤٦ –)

قاصة أردنية من أصول سورية. ولدت فى مدينة حيفا فى فلسطين. درست فى قسم اللغة العربية فى الجامعة الأردنية حيث تخرجت عام ١٩٦٩. حصلت علي الماجستير من كلية الدراسات الشرقية فى جامعة لندن.

الأعمال الإبداعية :
للحزن بقايا فرح (قصص)، دار سابا وعكشة، عمان، ١٩٨٧
رعش المدينة (قصص)، دار الكرمل، عمان، ١٩٩٠
النسر فى الليلة الأخيرة (قصص)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩

أنيسة درويش (١٩٤١ –)
شاعرة فلسطينية. ولدت فى قرية المالحة/القدس. حصلت علي شهادة الثانوية العامة.
الأعمال الإبداعية :
صفعات وقبل (شعر)، منشورات دار الكاتب، القدس، ١٩٩١
وأهون عليك (شعر)، منشورات دار الكاتب، القدس،١٩٩٢
ستر ليل (شعر)، منشورات دار الكاتب، القدس، ١٩٩٤
أنيسيات (شعر محكى)، منشورات دار الكاتب، القدس، ١٩٩٥
الندي الجبلى يعرق (شعر)، منشورات دار الكاتب، القدس، ١٩٩٥
نومة علي خد الشعر (شعر محكى)، منشورات دار الكاتب، القدس، ١٩٩٦
من منكم حبيبى (شعر)، منشورات دار الكاتب، القدس، ١٩٩٦
من ملف رسائلى (رسائل نثرية)، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ١٩٩٦
تسابيح (الجزء الثانى من ملف رسائلى)، دار الفاروق، ١٩٩٨
رقصة الخلّية (شعر)، دار الفاروق، ١٩٩٨
شمس علي البنى (سيرة ذاتية)، د.ن.، ١٩٩٩

إيمان أبو الشعر (؟ –)
شاعرة فلسطينية.
الأعمال الإبداعية :
الصدي (شعر)، مكتبة ومطبعة أبو رحمون، عكا، ١٩٧٨

إيمان بصير (؟ –)
قاصة فلسطينية. ولدت فى قرية الطيبة، رام الله. تحمل شهادة بكالوريوس فى التمريض. تعمل فى مستشفي الأوغستا فيكتوريا فى القدس.
الأعمال الإبداعية :
مرفأ فرح (قصص)، مركز المشرق للإعلام و الأبحاث، ١٩٩٤
جسد من بخور (قصص)، منشورات اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، القدس، ١٩٩٧

باسمة حلاوة (١٩٤٩ - ١٩٧٩)

قاصة فلسطينية. ولدت فى نابلس ودرست فى مدارسها. تخرجت فى قسم الاجتماع بالجامعة الأردنية عام ١٩٧٢. أصيبت بمرض القلب منذ طفولتها ولازمها المرض طوال حياتها. بعد رحيلها جُمعت كتاباتها، ومنها المنشور فى الصحف والمجلات، فى كتابين. حصلت علي وسام القدس فى الثقافة والفنون فى ديسمبر ١٩٩٠.

الأعمال الإبداعية :

لوز أخضر (قصص)، اللجنة الشعبية الأردنية لدعم الانتفاضة ، عمان، ١٩٩٣

أعمال منشورة لم تتوفر بيانات نشرها :

تراتيل شعرية

بسمة النسور (١٩٦٠ -)

قاصة أردنية. ولدت فى الزرقاء وتقيم فى الأردن. أتمت دراستها الابتدائية والثانوية فى عمان وحصلت علي بكالوريوس فى الحقوق من جامعة بيروت العربية عام ١٩٨٦. تعمل فى حقل المحاماة وتمارس الكتابة الصحفية. نالت جائزة مهرجان القدس للإبداع الأدبى الشبابى مناصفة مع حزامة حبايب عام ١٩٩٣.

الأعمال الإبداعية :

نحو الوراء (قصص)، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ١٩٩٠.

اعتياد الأشياء (قصص)، دار الشروق، عمان، ١٩٩٣

قبل الأوان بكثير (قصص)، دار الشروق، عمّان، ١٩٩٩

تريز فريد حداد (١٩٤٨ -)

قاصة فلسطينية. ولدت فى عمان وتقيم فيها. تعلمت بمدارس دمشق حيث تخرجت فى قسم العلوم السياسية عام ١٩٧٢. نشرت العديد من المقالات الصحفية فى الجرائد والمجلات العربية فى الأردن وخارجها. صدر لها عدد من الكتب الاجتماعية والسياسية من أهمها القرارات والمبادرات الخاصة بالقضية الفلسطينية بين عام ١٩٤٧-١٩٨٨. عضوة فى عدد من الروابط والاتحادات. ترأست لجنة المرأة فى نقابة الصحفيين بالأردن.

الأعمال الإبداعية :

حتي نلتقى (قصص)، المؤسسة الصحفية الأردنية، عمان، ١٩٧٣

التحديق فى ملامح الغربة (قصص)، مطبعة التوفيق، عمان، ١٩٧٥

الحياة والناس (قصص)، دار الشعب، عمان، ١٩٩٤

تغريد قنديل (١٩٦٧ -)

قاصة أردنية. ولدت فى إربد . حصلت علي بكالوريوس فى الأدب الإنجليزى. فازت بجائزة رابطة الكتاب الأردنيين للأدباء الشباب عن عامى ١٩٨٥-١٩٨٦، وبجائزة ملحق «الدستور» الثقافى عام ١٩٨٧ .

الأعمال الإبداعية :

أرملة الفرح (قصص)، د.ن، عمان، ١٩٩٥

غادة البحر (قصص)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧

ثريا ملحس (١٩٢٥ -   )

كاتبة وباحثة فلسطينية ولدت فى نابلس . تعلمت بمدارس عمان والقدس وجامعات بيروت. حصلت علي درجة الماجستير فى الأدب العربي عام ١٩٦٤ عن أطروحة بعنوان "القيم الروحية فى الشعر العربى قديمه وحديثه". عملت أستاذة مشاركة ورئيسة دائرة الأدب العربى فى كلية بيروت للبنات. صدر لها عدد من دواوين الشعر المنثور والمنظوم ومجموعة قصصية. نشر لها عدد ضخم من المقالات والدراسات بالعربية والإنجليزية ومجموعة شعرية بالإنجليزية بعنوان مساجين الزمن (بيروت، ١٩٥٦).

الأعمال الإبداعية :

النشيد التائه (شعر)، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٤٩

قربان (شعر)، دار الريحانى، بيروت، ١٩٥٢

ملحمة الإنسان (شعر) ، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٦١

العقدة السابعة (قصص)، مطبعة كرم، بيروت، ١٩٦٢

الخليل بن أحمد الفراهيدى: العالم الذى حصر لغة العرب وشعرهم (مسرحية)، د. ن.، ١٩٦٣

خبأنا الصواريخ فى الهياكل (شعر)، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٦٨

قضايا ومجامر (شعر)، د. ن.، بيروت، ١٩٧٠

محاجر فى الكهوف (شعر)، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٧٠

هواجس يومية (قصص)، د. ن.، عكا، ١٩٨٩

ذكريات شاب لم يغترب (؟) ، د. ن.، عكا، ١٩٨٩

أراقيم معلّقة علي مقبرة الكون (سيرة)، دار أزمنة، عمّان، ١٩٩٨

الثلوج الحمراء تراكمت علي الرؤوس (شعر)، دار البشير، عمّان، ١٩٩٩

ثريا نجاح بشير (١٩٦٤ -   )

شاعرة وروائية فلسطينية. ولدت فى قرية الفراديس القريبة من حيفا فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨. حصلت علي تعليمها الابتدائى فى قريتها وتعليمها الثانوى فى حيفا. تعمل فى مجال التمريض.

الأعمال الإبداعية :

ندم دمعة (رواية)، مطبعة الجليل، عكا، ١٩٨٢

غروب الآمال (شعر)، مكتبة الجليل، عكا، ١٩٨٧

طقوس فى زفاف الموت (شعر)، مطبعة الكرمة، حيفا، ١٩٩٦

جاكلين حدّاد (١٩٦٥؟ -)

قاصة فلسطينية ولدت فى قرية الجشّ فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨. حصلت علي تعليمها الابتدائى والثانوى فى قريتها. درست علم النفس فى جامعة حيفا. تقيم فى قريتها وتعمل فى حقل التعليم.

الأعمال الإبداعية :

خطوط الصوف (قصص)، دائرة الثقافة العربية، الناصرة، ١٩٩٧

جميلة العجورى (١٩٦٩ -)

شاعرة أردنية. ولدت فى عمّان. حصلت علي بكالوريوس فى اللغة العربية من الجامعة الأردنية عام ١٩٩١.

الأعمال الإبداعية :

أنا هكذا (شعر)، دار أزمنة، عمّان، ١٩٩٥

جميلة عمايرة (١٩٦٣ -)

قاصة أردنية. ولدت فى قرية زَىّ فى السلط. حصلت علي تعليمها فى مدارس عمان.

الأعمال الإبداعية :

صرخة البياض (قصص)، دار أزمنة، عمان، ١٩٩٣

سيدة الخريف (قصص)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩

جواهر الرفايعة (١٩٦٩ -)

قاصة أردنية. ولدت فى بئر حدّاد، الشوبك بالأردن. تقيم فى عمان. حصلت علي تعليمها فى مدارس محافظة معان وفى الجامعة الأردنية حيث تخرجت فى كلية الآداب قسم اللغة العربية. تعمل حاليا فى المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية. تُرجمت بعض قصصها إلي الإنجليزية والكردية والكورية.

الأعمال الإبداعية :

الغجر والصبية (قصص)، دار أزمنة للنشر، عمان،١٩٩٣ (حصلت علي جائزة سعاد الصباح للقصة عام ١٩٩٦)

أكثر مما أحتمل (قصص)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦

جوليا صوالحة (١٩٠٥؟ -)

روائية أردنية. ولدت فى مأدبا . حصلت علي تعليمها فى مدارس عمان والقدس . أدارت أول مخيطة فى مأدبا عام ١٩٢٥.

الأعمال الإبداعية :

سلوي (رواية) ، مطبعة التوفيق، عمان، ١٩٧٦

النشمي (رواية)، جمعية أعمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٧٨

هل ترجعين (رواية) ، مطبعة الصفدى، عمان، ١٩٧٩
الحق الضائع (رواية)، مطبعة شاهين، عمان، ١٩٨٤
نار ورماد (رواية) ، مطبعة شاهين، عمان، ١٩٨٤
اليتيمة (رواية) ، مطبعة شاهين، عمان، ١٩٨٥

حزامة حبايب (١٩٦٥ -)

قاصة فلسطينية. ولدت فى الكويت. تعلمت فى مدارسها وجامعتها حيث حصلت علي ليسانس الأدب واللغة الإنجليزية. انتقلت للإقامة فى عمان، وعملت فى مجالات الترجمة والتدريس والكتابة الصحفية. نالت جائزة مهرجان القدس للإبداع الأدبى الشبابى مناصفة مع بسمة النسور عام ١٩٩٣، وجائزة سيف الدين الإيرانى للقصة القصيرة التى تمنحها رابطة الكتاب الأردنيين عام ١٩٩٤. اشتركت فى ترجمة كتاب أسرار الموساد وهو قيد الطبع.

الأعمال الإبداعية :

الرجل الذى يتكرر (قصص)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٢
التفاحات البعيدة (قصص)،دار الكرمل، عمان، ١٩٩٤
شكل للغياب (قصص)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧

حنان بيروتى (١٩٦٨ -)

قاصة أردنية. ولدت فى مدينة الزرقاء. حصلت علي بكالوريوس فى الأدب العربى من الجامعة الأردنية عام ١٩٩٠. نشرت مقالات متنوعة وتحقيقات صحفية. تعمل فى حقل التدريس.

الأعمال الإبداعية :

الإشارة ليست حمراء دائما (قصص)، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٩٣
لعينيك تأوى عصافير روحى (نصوص نثرية)، دار أزمنة، عمّان، ١٩٩٥
فتات (قصص)، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩

حنان عوّاد (١٩٥١ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى القدس وتقيم فيها. حصلت علي دبلوم المعلمات فى رام الله عام ١٩٧١ وبكالوريوس الأدب العربى من جامعة بيروت العربية عام ١٩٧٤. تعمل رئيسة لفرع فلسطين فى منظمة المرأة العالمية للسلام والحرية ومحاضرة فى جامعة بيرزيت . لها عدد من الدراسات النقدية منها دراسة عن غسان كنفانى ودراسة عن أثر النكبة فى أدب سميرة عزام وثالثة عن المرأة فى الشعر الفلسطينى. صدر لها: من دمى أكتب: مواقف سياسية، القدس ١٩٨٣ و الفارس يزف إلي الوطن: مواقف سياسية، عكا ١٩٨٨.

الأعمال الإبداعية :

اخترت الخطر (شعر)، اتحاد كتاب فلسطين، القدس، ١٩٨٩
صدي الحنين (شعر)، دار المشرق، شفا عمرو، ١٩٩٢

خديجة أحمد رشيد (؟ -)

شاعرة أردنية. تعمل فى القوات المسلحة الأردنية قسم الثقافة العسكرية، وتحاضر فى الكلية الحربية.

الأعمال الإبداعية :

الخلود (شعر)، د. ن. ، عمان، ١٩٧٤
نبضات الخلود (شعر)، مطبعة القوات المسلحة الأردنية، عمّان، د.ت
ثلاثى الخلود (شعر)، مطبعة القوات المسلحة، عمان، ١٩٧٩
جمال الخلود (شعر)، مديرية المطابع العسكرية، عمّان، ١٩٨١
درب الخلود (شعر)، د. ن. ، عمّان، ١٩٨٦
وجدت فيك الخلود (شعر)، مديرية المطابع العسكرية، عمّان، ١٩٩٢
مواكب الخلود (شعر)، د. ن. ، عمّان، ١٩٩٤

خلود محمد نزّال (١٩٦٩ -)

شاعرة فلسطينية.

الأعمال الإبداعية :

تفاصيل الحلم القديم (شعر)، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ١٩٩٨

دعــد الكيّالى (١٩٣٥ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى مدينة الرملة، وتعلمت فى مدارسها. بعد سقوط المدينة عام ١٩٤٨ نزحت مع أهلها إلي غزة. حصلت علي ليسانس الأدب الإنجليزى من جامعة القاهرة عام ١٩٦٣. أقامت فى الكويت حيث عملت بالتدريس. نشرت قصائدها تحت عنوان "أغاريد الحنين إلي الوطن" كما صدر لها عدة أعمال نثرية .

الأعمال الإبداعية :

ولم تمطرى يا غيوم (شعر)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠

دنيا الأمل إسماعيل (١٩٧؟ -)

شاعرة فلسطينية من غزة. درست فى القاهرة.تعمل فى مجال الصحافة.صدر لها كتاب: رأيت فى غزة (مشاهدات الكاتبة لدي عودتها إلي غزة)، ، القاهرة ١٩٩٥ .

الأعمال الإبداعية :

كل علي حدة (شعر)، دار الفرسان، القاهرة، د. ت.
رنين العزلة (شعر)، مطبوعات وزارة الثقافة، السلطة الوطنية الفلسطينية، رام الله، ١٩٩٩

ديمة السمّان (١٩٦؟ -)

روائية فلسطينية. ولدت في القدس. تخرجت في جامعة بير زيت عام ١٩٨٧. عضوة في الهيئة الإدارية لاتحاد الأدباء والكتاب الفلسطينيين.

الأعمال الإبداعية :

الضلع المفقود (رواية)، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ودار العودة، بيروت، ١٩٩٢
الأصابع الخفية (رواية)، دار الكاتب، القدس، ١٩٩٢
القافلة (رواية)، دار الهدي، كفر قرع (فلسطين)، ١٩٩٣
جناح ضاقت به السماء (رواية)، مؤسسة إبداع، أم الفحم، ١٩٩٥

رانة نزّال (١٩٦٩ -)

حصلت علي بكالوريوس وماجستير فى الأدب العربى، لها دراسة غير منشورة بعنوان: "قصيدة النثر وأنسى الحاج".

الأعمال الإبداعية :

فيما كان (شعر)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨

رجاء أبو غزالة (١٩٤٢ - ١٩٩٥)

قاصة وفنانة تشكيلية فلسطينية. ولدت في بيروت وأقامت في عمان . تعلمت في مدارس بيروت وفى الجامعة الأردنية حيث حصلت علي ليسانس اللغة الإنجليزية وآدابها. عملت فضلا عن الكتابة الإبداعية، بالتصوير والرسم والكتابة الصحفية والترجمة، حيث قامت بترجمة مختارات من الأدب النسائى الغربى. أقامت معارض فردية وجماعية فى كل من جدة وعُمان والأردن والعقبة وباريس. كانت عضوا فى رابطة الكتاب الأردنيين ومقررة لجنة المرأة فى الرابطة. حصلت علي ثلاث شهادات تقدير من دائرة الثقافة والفنون .

الأعمال الإبداعية :

معك أستطيع اغتيال الزمن (شعر منثور)، مطابع دار الشعب، عمان، ١٩٧٧
الأبواب المغلقة (قصص)، دار الباحث، عمان، ١٩٨١
المطاردة (قصص)، دار الشروق، عمان، ١٩٨٨
كرم بلا سياج (قصص)،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ١٩٩٢
القضية (قصص) ، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٤
زهرة الكريز (قصص)، دار الكرمل، عمان، ١٩٩٤
امرأة خارج الحصار (رواية)، رابطة الكتاب، عمان، ١٩٩٥
الهروب الدائرى (شعر منثور)، مطابع دار الشعب، عمان، د. ت.

رجاء بكرية (١٩٧٠ -)

روائية فلسطينية. ولدت فى الجليل فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨. درست الفن التشكيلى والأدب العربى فى جامعة حيفا. تعد للدكتوراه فى جامعة تل أبيب. تقيم فى مدينة حيفا منذ عام ١٩٨٩. شاركت فى عدد من المعارض الفنية. حصلت علي جائزة القصة القصيرة لنساء حوض البحر الأبيض المتوسط عام ١٩٩٧.

الأعمال الإبداعية :

مزامير أيلول (مجموعة نثرية)، دار المشرق، شفا عمرو، ١٩٩١

عواء الذاكرة (رواية)، دائرة الثقافة العربية، الناصرة، ١٩٩٥

رجوة عساف (١٩٤٨ –)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى مدينة جنين وتعلمت فى مدارسها. التحقت بالجامعة الأردنية فى عمان عام ١٩٧٠. تعمل بالتدريس ولها نشاطها الاجتماعى فى الجمعيات الخيرية والثقافية .

الأعمال الإبداعية :

الخبز فى بلدى (شعر)، مكتبة عمان، عمان، ١٩٦٩

رفقة دودين (؟ –)

روائية وقاصة أردنية.

الأعمال الإبداعية :

قلق مشروع (قصص)، مطبعة كتابكم، عمّان، ١٩٩١

مجدور العربان (رواية)،مؤسسة رام للتكنولوجيا و الكمبيوتر،عمان، ١٩٩٣

رقية زيدان (١٩٥٨؟ –)

شاعرة فلسطينية. ولدت بقرية يمّة فى المثلث فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨. أتمت دراستها الابتدائية والثانوية ثم التحقت بدار المعلمين حيث تخصصت فى اللغة العربية. تعمل بتدريس اللغة العربية فى قريتها.

الأعمال الإبداعية :

دخلت حدائق أمّتى (شعر)، دار المشرق، شفا عمرو، ١٩٨٦

عندما ترخي السدول (شعر)، مطبعة الدعاية والنشر، باقة الغربية، ١٩٨٦

قراءة فى سفر العدالة (شعر)، دار المشرق، يمَّة (المثلث فى فلسطين)،١٩٩١

حفيف فوق الأديم (شعر)، دائرة الثقافة العربية، القدس، ١٩٩٥

روضة الفرخ هدهد (١٩٤٦ –)

قاصة فلسطينية متخصصة فى أدب الأطفال. ولدت فى مدينة يافا وتقيم فى عمان. حصلت علي تعليمها فى مدارس رام الله. التحقت بجامعة القاهرة غير ان ظروف الحرب حالت بينها وبين إتمام دراستها الجامعية فى كلية الصيدلة فعادت والتحقت بجامعة بيروت العربية حيث تخرجت فى كلية الحقوق عام ١٩٧٢.

عملت بعد تخرجها بالتدريس لمدة عام، كما عملت أيضا مقررة للجنة أدب الأطفال فى رابطة الكتاب الأردنيين ومحررة ملحق الطفل فى جريدة « الدستور » الأردنية. نشرت العديد من القصص فى مجلات الأطفال، أسست « دار كندة » للنشر.

الأعمال الإبداعية :

فى أحراج يعبد (قصة للأطفال)، دار كنده، عمان، ١٩٧٦

قافلة الفداء (قصة للأطفال)، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٨٠.

منقذ القرية ابراهيم أبو دية (قصة للأطفال)، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٨٠.

صائم فى سجن عكا (قصة للأطفال)، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٨٢

رحلة النضال – الشيخ حسن سلامة (قصة للأطفال)، دار كنده، عمان، ١٩٨٢

سر القنابل الموقوتة (قصة للأطفال)، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٨٣

كفر قاسم والمحاكمة العادلة (قصة للأطفال)، دار كنده، عمان، ١٩٨٤

أسد فوق حيفا (قصة للأطفال)، دار كنده ، عمان، ١٩٨٥

لغز الأطفال فى مخيم الدهيشة (قصة للأطفال)، دار كنده، عمان، ١٩٨٧

سر الشياطين الحمر فى البيرة (قصة للأطفال)، دار كنده، عمان، ١٩٨٧

الزمن الحزين فى دير ياسين (قصة للأطفال)، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ب.ت.

صراع فى الغابة (قصة للأطفال)، دار كندة، عمان، د. ت.

ليلي والكنز (قصة للأطفال)، دار كندة، عمان، د. ت.

هل يكفى الحظ (قصة للأطفال)، دار كندة، عمان، د. ت.

ريم حرب (١٩٥٩ –)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى غزة. لاجئة من بلدة عراق سويدان فى فلسطين المحتلة فى ٤٨. حصلت علي تعليمها فى كلية العلوم بجامعة القاهرة. تعمل فى مجال الصحافة.

الأعمال الإبداعية :

من تجليات حورية البحور السبعة (شعر)، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ١٩٩٨

ثمرات للعشق (شعر)، مركز أوغاريت الثقافى الفلسطينى، ١٩٩٩

زليخة أبو ريشة (١٩٤٢ –)

شاعرة وقاصة أردنية من أصل سورى. ولدت فى فلسطين. حصلت علي تعليمها فى مدارس دمشق وعمان. التحقت بالجامعة الأردنية حيث تخرجت فى قسم اللغة العربية وآدابها عام ١٩٦٤. حصلت علي دبلوم فى الدراسات الإسلامية من القاهرة. أعدت ماجستير عن أدب الأطفال. لها كتاب نقدى بعنوان اللغة الغائبة: نحو لغة غير جنسوية ، عمان، ١٩٩٦.

الأعمال الإبداعية :
الماستان (قصة للأطفال)، سلسلة حى بن يقظان، دار الحمائم للأطفال، عمان، ١٩٨٥
فى الزنزانة (قصص)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧
تراشق الخفاء (شعر)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨
غجر الماء (نصوص)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩

زهرة عمر (١٩٣٨ - ٢٠٠٠)

روائية أردنية. ولدت فى عمان لأبوين شركسيين هاجرا إلي الأردن من بلاد الشركس فى بداية القرن. لم تكمل تعليمها بسبب زواجها المبكر. فقدت زوجها وهى السابعة والعشرين من عمرها فتحملت مسئولية تنشئة أطفالها الأربعة. عملت فى مجال السكرتارية. نشرت عددا من القصص القصيرة وإن لم تجمعها فى كتاب. تعمل منذ سنوات فى كتابة نص روائى ملحمى متعدد الأجزاء يحيط بتاريخ هجرة الشركس إلي الأردن واستقرارهم فيه.

الأعمال الإبداعية :
الخروج من سوسروقة: رواية الشتات الشركسى (رواية)، أزمنة للنشر، عمان، ١٩٩٣

زهي بهلول (١٩٤٦ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى حيفا. حصلت علي تعليمها فى مدارس حيفا وفى جامعة حيفا حيث تخرجت فى قسم السياسة والاقتصاد . عملت فى مجال الاستحقاقات والرفاه الاجتماعى.

الأعمال الإبداعية :
ماما لألف طفل (شعر) ،دار المشرق، شفاعمرو ، ١٩٨٥

زهيرة زقطان (١٩٥؟ -)

روائية وباحثة فلسطينية. ولدت فى مخيم عقبة جبر . بعد أن أتمت دراستها المتوسطة درست علم النفس ثم اتجهت إلي دراسة التراث الفلسطينى. تعمل باحثة فى هذا المجال. أقامت عشرات المعارض للتطريز الفلسطينى. وهي مقررة لجنة التراث الشعبى فى رابطة الكتاب الأردنيين.

الأعمال الإبداعية :
المواعيد (رواية)، د. ن.، عمان، د. ت.
أوراق غزالة (قصص)، دار الكرمل، عمان، ١٩٨٧

زيدة عطشة (١٩٦٤ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى دالية الكرمل بالقرب من حيفا. حصلت علي تعليمها

المدرسى فى البلدة. درست فى دار المعلمين فى حيفا. تعمل فى مجال التدريس.
الأعمال الإبداعية :
الدموع الباكية (شعر)، دار العماد، دالية الكرمل، ١٩٩٥

زينات أبو شميس (١٩٤٨ -)

قاصة فلسطينية. ولدت فى يافا وتقيم فى عمان. حصلت علي تعليمها فى مدارس الناصرة وعمان حيث تخرجت فى الجامعة الأردنية عام ١٩٧٠. لها بعض المقالات فى الملاحق الثقافية للجرائد الأردنية.
الأعمال الإبداعية :
أبجدية علي جدار القلب (قصص)، دار الكرمل، عمان، ١٩٨٩

زينب حبش (١٩٤١ -)

قاصة وشاعرة فلسطينية. وادت فى بيت دجن، يافا. درست فى مدارس نابلس ثم التحقت بجامعة دمشق وتخرجت فيها عام ١٩٦٥. تقيم فى رام الله. تعمل فى حقل التعليم ولها دراسة عن ترشيد المناهج المدرسية فى الضفة وقطاع غزة.
الأعمال الإبداعية :
لماذا يعشق الأولاد البرقوق (قصص)، مطبعة دار الكاتب، رام الله، ١٩٩٢
قالت لى الزنبقة (قصص)، د. ن.، رام الله، ١٩٩٣
قولى للرمل (شعر)، مطبعة دار الكاتب، رام الله، ١٩٩٣
الجرح الفلسطينى وبراعم الدم (شعر)، مكتبة الكرمل للدعاية والتصميم، رام الله، ١٩٩٤
أغنية حب للوطن (خواطر)، د.ن، القدس، ١٩٩٥
رسائل حب منقوشة علي جبين القمر (خواطر)، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ١٩٩٦
لا تقولى مات يا أمى (شعر)، مكتب الكرمل، رام الله، ١٩٩٦
حفروا مذكراتى علي جسدى (شعر) ، مؤسسة العنقاء، رام الله، ١٩٩٧
لأنه وطنى (شعر)، مؤسسة العنقاء، رام الله، ١٩٩٩

سامية عطعوط (١٩٥٨ -)

قاصة فلسطينية. ولدت فى نابلس وتقيم فى عمان. تعلمت فى مدارس نابلس ثم التحقت بالجامعة المستنصرية فى بغداد حيث تخرجت عام ١٩٧٩ فى قسم الرياضيات الحديثة . تعمل مبرمجة للحاسب الإلكترونى ومحللة لأنظمته وباحثة فى البنك العربى فى عمان . تكتب، فضلا عن القصة، المقال والدراسات النقدية ولها أعمال منشورة فى صحف ومجلات مثل «المنابر» و«الناقد » فى لندن و «نجمة المغرب» و «أفكار» فى الأردن . عضوة فى رابطة الكتاب الأردنيين وحاصلة علي الجائزة الأولي مناصفة لمسابقة سعاد الصباح للإبداع

الفكرى بين الشباب العربى لسنة ١٩٨٩. حصلت علي جائزة رابطة الكتاب الأردنيين فى القصة عام ١٩٨٦.

الأعمال الإبداعية :

جدران تمتص الصوت (قصص)، شركة الشرق الأوسط، عمان، ١٩٨٦

طقوس أنثي (قصص)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ومنتدي الفكر العربى، القاهــرة وعمان، ١٩٩٠.

طربوش موزارت (قصص)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨

سامية قزموز بكرى (١٩٥٢ -)

ممثلة وكاتبة مسرحية فلسطينية. ولدت فى مدينة عكا فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨. حصلت علي الشهادة التوجيهية من التراسنطة فى البلدة القديمة. درست فى جامعة حيفا اللغة العربية وآدابها والتوجيه التربوى. عملت فى سلك التعليم ثلاثة عشر عاما ثم فصلت من قبل السلطات الإسرائيلية. حاضرت فى دار الطفل لمربيات الأطفال لثمانية أعوام. لها قصص قصيرة وخواطر أدبية منشورة، ولها تسجيلات صوتية لقصص قصيرة وأشعار. متفرغة حاليا للمسرح.

الأعمال الإبداعية :

الفار والفارة (قصة من التراث من إعداد الكاتبة)، سلسلة حكايات ستى، مؤسسة تل الفخار، شفا عمرو، ١٩٩٥

الزاروب (مسرحية مُنو دراما)، دار عكا للنشر والتوزيع، عكّا، ١٩٩٨

سحر خليفة (١٩٤١ -)

روائية فلسطينية. ولدت فى نابلس وتقيم فيها. تعلمت فى مدارس نابلس وعمان ثم التحقت بجامعة بير زيت حيث تخرجت فى قسم اللغة الإنجليزية فى عام ١٩٧٦. واصلت بعدها دراستها فى التخصص نفسه فى الولايات المتحدة الأمريكية. عملت فى مجالات الترجمة والإدارة والسكرتارية. تدير مركزا لدراسات المرأة. تُرجمت بعض رواياتها إلي لغات عدة منها الفرنسية والألمانية والهولندية والإيطالية والعبرية. ولها نص روائى مكتوب بالإنجليزية بعنوان نساء فى الظل أو نساء الأرض الحرام (١٩٨٨).

الأعمال الإبداعية :

لم نعد جوارى لكم (رواية) ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤ (ط ٢ دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨)

الصبّار (رواية)، مطبعة الشرق التعاونية،، القدس، ١٩٧٦ (ترجمت إلي الفرنسية والألمانية والهولندية والعبرية)

عبّاد الشمس (رواية)، دار الكاتب، القدس، ١٩٨٠. (ط٢ م.ت.ف.، بيروت، ١٩٨٥)

مذكرات امرأة غير واقعية (رواية) ، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٦ (ترجمت إلي الألمانية والإيطالية)

باب الساحة (رواية)، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٠.

الميراث (رواية)، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٧

سحر ملص (١٩٥٨ -)

قاصة أردنية من أصل سوري. ولدت في دمشق وتقيم في عمان. حصلت علي تعليمها في مدارس عمان ثم التحقت بجامعة دمشق حيث تخرجت في كلية الصيدلة عام ١٩٧٩. تعمل في مجال الصيدلة في عيادات الحسين العمالية - الهاشمي، كما تعمل رئيسة قسم في كلية المجتمع حيث تدرِّس الصيدلة. عضوة سابقة في اللجنة العلمية لنقابة الصيادلة ولجنة إصدار مجلة «الصيدلي» الصادرة عن النقابة نفسها. لها، فضلا عن كتاباتها الإبداعية، كتاب في مجال العقاقير وعدد من المقالات الصحفية. حصلت علي جائزة رابطة الكتاب الأردنيين في مجال القصة القصيرة للأدباء الشبان، وعلي جائزة الملكة نور لأدب الطفل في مجال الأدب التعليمي.

الأعمال الإبداعية :

شقائق النعمان (قصص)، دار الكرمل، عمان، ١٩٨٩

إكليل الجبل (قصة طويلة)، دار البشير، عمان،١٩٩٠

ضجعة النورس (قصص)، دار البشير، عمان، ١٩٩١

مسكن الصلصال (قصص)، دار البشير، عمان، ١٩٩٥

الوجه المكتمل (قصص)، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٧

سيسيل كاحلي (١٩٥٨ -)

شاعرة ومصممة ديكور فلسطينية. ولدت في قرية ترشيحا في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨. تعلمت في مدارس قريتها ثم التحقت بجامعة حيفا حيث تخصصت في فن التخطيط التطبيقي. قامت بتصميم ديكورات العديد من المسرحيات والأعمال الفنية كما قامت بتصميم العديد من أغلفة الكتب الأدبية. لها مجموعة مقالات بعنوان العنقاء (١٩٨٥).

الأعمال الإبداعية :

الظل (شعر)، مطبعة إبراهيم سلامة، حيفا، ١٩٨٣

تكوين (شعر)،مطبعة الوادي، حيفا، ١٩٩٢

شظايا النور (شعر)،دار الثقافة العربية ، الناصرة، ١٩٩٤

سعاد قرمان (؟ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت في قرية إبطن، حيفا.

الأعمال الإبداعية :

حنين الهزار (شعر)، دائرة الثقافة العربية، ١٩٩٥

سلافة الحجاوى (١٩٣٤ –)

شاعرة وباحثة فلسطينية. ولدت فى نابلس وتعلمت فى مدارسها. عاشت فى العراق وتزوجت من الشاعر العراقى كاظم جواد. لها دراسات وترجمات من أهمها (1982) ***Poetry of Resistance in Occupied Palestine*** وترجمة كتاب موريس باورا: التجربة الإبداعية وترجمة لأشعار لوركا.

الأعمال الإبداعية :

أغنيات فلسطينية (شعر)، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٧

سلمي الخضرا الجيّوسى (١٩٢٦ –)

شاعرة وباحثه ومترجمة وأستاذة جامعية فلسطينية. ولدت فى السلط بشرق الأردن وتقيم فى الولايات المتحدة . تعلمت فى مدارس القدس وعكا ثم التحقت بالجامعة الأمريكية ببيروت حيث تخرجت فى قسم اللغة العربية عام ١٩٤٦. حصلت علي الدكتوراه فى الأدب العربى من مدرسة العلوم الشرقية والإفريقية بجامعة لندن عام ١٩٧٠. درّست فى عدد من الجامعات الأمريكية حتي عام ١٩٨٠، وتفرغت بعدها لعملها فى مشروع PROTA (مشروع ترجمةالأدب العربى). صدر لها: موسوعة الأدب الفلسطينى المعاصر (جزءان: الأول مخصص للشعر والثانى للنثر)، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ١٩٩٧ . قامت بترجمة العديد من الأعمال الأدبية، ومنها الجزءان الأول والثانى من رباعية الإسكندرية لداريل (جوستين وبالثزار). ولها دراسات وبحوث كثيرة ومتنوعه من بينها ***Trends and Movements in Modern Arabic Poetry,*** *Leiden, 1977* . جمعت وحررت عددا من الكتب القيمة من أبرزها:

Legacy of Muslim spain (Leiden,1992)
Modern Arabic Poetry: An Anthology
modern Arabic Drama: An Anthology
The Literature of Modern Arabia

الأعمال الإبداعية :

العودة من النبع الحالم (شعر) ، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٠.

سلمي لحّام (١٩٤٢ –)

قاصة فلسطينية. ولدت فى حيفا. انتقلت مع أهلها فى أعقاب النكبة إلي دمشق حيث تلقت تعليمها. لها مقالات سياسية.

الأعمال الإبداعية :

أعواد الثقاب (قصص)، مطبعة بركات، دمشق، ١٩٧١

أعمال منشورة لم تتوفر بيانات نشرها :

الانتظار (قصص)

سلوي البنّا (١٩٤٨ -)

روائية وقاصة فلسطينية. ولدت فى يافا. تعلمت فى مدارس نابلس ثم فى جامعة بيروت العربية. أقامت فى عمان وبيروت ونيقوسيا . وعملت فى الصحافة والنشر. عضوة فى اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين واتحاد الأدباء العرب.

الأعمال الإبداعية :

عروس خلف النهر (رواية)، دار الاتحاد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠
الوجه الآخر (قصص)، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤
الآتى من المسافات (رواية)، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت، ١٩٧٧
مطر فى صباح دافيء (رواية)، دار الحقائق، بيروت، ١٩٧٩
كوابيس الفرح (قصص)، دار الجيل، دمشق، ١٩٨٤
العامورة عروس الليل (رواية)، منار بريس للصحافة والطباعة والنشر، نيقوسيا، ١٩٨٦

سلوي سعيد (١٩٤٥ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى جنين فى الضفة الغربية. حصلت علي بكالوريوس فى علم النفس من جامعة كاليفورنيا. عملت فى حقلى التعليم والصحافة.

الأعمال الإبداعية :

أغاريد للحب والمنفي (شعر)،دار الشرق، عمان، ١٩٨٥
صرخات علي جدار الصمت (شعر)، شقير وعكشة للطباعة والنشر، عمان، ١٩٨٧
اشتعالات امرأة كنعانية (شعر)، دار الكرمل، عمان، ١٩٨٨
نوارس بلا أجنحة (شعر)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٢
أدعوك لهذا الاحتراق (شعر)، دار الكرمل، عمّان، ١٩٩٥
للحبيب الذى فى ردائى (شعر)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩

سميحة خريس (١٩٥٦ -)

روائية أردنية. ولدت فى عمان. درست فى أكثر من قطر عربى نظرا لعمل والدها فى وزارة الخارجية. حصلت علي ليسانس آداب علوم اجتماعية من جامعة القاهرة فرع الخرطوم عام ١٩٧٨ . عاشت خمس سنوات فى السودان وسبع سنوات فى قطر ثم سبعة عشر عاما فى الإمارات، حيث عملت لسنوات طويلة فى جريدة "«الاتحاد"». انتقلت للإقامة فى الأردن، وتعمل الآن فى جريدة "«الرأى"» الأردنية. نالت جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩٧ عن روايتها شجرة الفهود: تقاسيم الحياة . لها رواية مخطوطة بعنوان الخشخاش. ساهمت فى الكتابة للطفل فى عدة مجلات كما أشرفت علي إصدار

مجلة "«العنود"» وهي خاصة بالأطفال وبأقلامهم أيضا.

الأعمال الإبداعية :

مع الأرض (قصص)، دار الأيام، الخرطوم ، ١٩٧٨

رحلتى (رواية)، دار الهيثم، بيروت، ١٩٨٠.

المـــد (رواية)، دار الشروق، عمان، ١٩٨٦

شجرة الفهود: تقاسيم الحياة (رواية)، دار الكرمل، عمان، ١٩٩٥

أوركسترا (قصص)، دار الكندى، عمّان، ١٩٩٦

شجرة الفهود: تقاسيم العشق (رواية) ، شرقيات، القاهرة، ١٩٩٨

القُرمية: الليل والبيداء (رواية)، منشورات أمانة عمّان الكبري، عمّان، ١٩٩٩

سميرة أبوغزالة (١٩٢٨ –)

كاتبة فلسطينية. ولدت فى نابلس وتعلمت فى مدارس الرملة والقدس وجامعات بيروت والقاهرة. حصلت علي ماجستير فى الأدب العربى ١٩٥٦. تقيم فى القاهرة. درّست فى الجامعة وعملت فى المجلس الأعلي لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة . قدمت برامج وأحاديث إذاعية من إذاعة صوت العرب بالقاهرة وإذاعة رام الله. عضوة فى المجلس الوطنى الفلسطينى وعضوة مؤسسة لاتحاد المرأة الفلسطينية ورئيسة فرع الاتحاد فى القاهرة.

الأعمال الإبداعية :

مذكرات فتاة عربية (سيرة) ، دار النشر للجامعيين، بيروت ، ١٩٦٠.

نداء الأرض (شعر)، الدار المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩

سميرة الخطيب (١٩٤٨ –)

شاعرة وصحفية فلسطينية. ولدت فى القدس. درست فى الكلية المأمونية فى القدس ثم واصلت دراستها فى الولايات المتحدة الأمريكية. شاركت فى تأسيس جريدة «الفجر» عام ١٩٧٢. بعض كتاباتها منشور تحت اسم "ليلي المقدسية". تعيش فى الولايات المتحدة.

الأعمال الإبداعية :

القرية الزانية (شعر)، الفكر الجديد، القدس، ١٩٧١

سميرة الشرباتى (١٩٤٣ –)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى الخليل، وتعلمت فى مدارسها. التحقت بجامعة بيروت العربية. عملت بعد تخرجها فى حقل التعليم. لديها مخطوطات فى مجال الرواية والشعر لم تصدر بعد.

الأعمال الإبداعية :

قصائد بحث عن رفيق مسافر (مسرحية)، وكالة أبوعرفة، القدس، ١٩٧٦

قصائد تبحث عن رفيق مسافر (مسرحية شعرية)، وكالة أبو عرفة ، القدس،

١٩٧٦
كلمات للزمن الآتى (شعر)، وكالة أبو عرفة، القدس، ١٩٧٧
أدونيس الرافض للغربة (مسرحية)، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، بيروت، د. ت.

سميرة عزام (١٩٢٧ – ١٩٦٧)

قاصة ومترجمة فلسطينية. ولدت فى عكا ونزحت إلي لبنان فى ١٩٤٨ ومنها إلي العراق ثم قبرص . تعلمت فى مدارس عكا واعتمدت بعدها علي جهودها الذاتية فى بناء نفسها ثقافيا ومعرفيا. عملت بالتدريس ومازالت فى السادسة عشرة من عمرها وتدرجت فى سلم التدريس إلي أن شغلت وظيفة ناظرة مدرسة، كما عملت مذيعة لبرنامج ركن المرأة فى إذاعة الشرق الأدني فى كل من قبرص وبيروت. كتبت القصة القصيرة ونشرت فى الصحف تحت اسم (فتاة الساحل) ولها إصدارات عديدة فى هذا المجال. كتبت أيضا المقال وترجمت الكثير من الأعمال الأدبية منها: القصة القصيرة فى أمريكا لراى ويست (١٩٦١) وحين فقدنا الرضا لجون شتاينبك (١٩٦٢) وريح الشرق وريح الغرب لبيرل باك (١٩٥٨) وكانديدا لجورج بارنارد شو (١٩٥٥). منح اسمها وسام القدس للثقافة والفنون فى يناير ١٩٩٠.

الأعمال الإبداعية :

أشياء صغيرة (قصص) ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٤ (ط ٢، دار العودة والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت، ١٩٨٢)
الظل الكبير (قصص) ، الشرق الجديد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٦ (ط ٢، دار العودة والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت، ١٩٨٢)
قصص أخري (قصص)، دار الطليعة ، بيروت، ١٩٦٠ (ط ٢، دار العودة والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت، ١٩٨٢)
الساعة والإنسان (قصص)، المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٣ (ط٢، دار الأسوار، عكّا، ١٩٨٨)
العيد لا يأتى من النافذة الغربية (قصص)، دار العودة، بيروت، ١٩٧١(ط ٢، دار العودة والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت، ١٩٨٢)
أصداء (قصص)، اتحاد كتاب وصحفيى فلسطين فى لبنان، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٧

سناء السعيد (؟ –)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى مدينة الناصرة فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨.

الأعمال الإبداعية :

لن أقول وداعا (شعر)، د.ن.، الناصرة، ١٩٨٦
لنا نقوش علي جناحى فراشة (شعر)،مركز الجماهير الإعلامى، الناصرة، ١٩٨٨

سهام داود (١٩٥٢ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى الرملة . تعلمت فى مدارس الرملة ويافا. عملت فى "دار النشرالعربى" وفى صحيفة "«الاتحاد"» فى حيفا التى تولت سكرتارية تحريرها فى ١٩٧٨، ثم عملت مديرة لتحرير مجلة "«مشارف"» الفلسطينية . قامت بترجمة الكثير من القصائد العربية إلي العبرية ولها مجموعة شعرية باللغة العبرية بعنوان أعشق بالحبر الأبيض (تل أبيب، ١٩٨٤).

الأعمال الإبداعية :

هكذا أغنى (شعر)، منشورات صلاح الدين ، القدس، ١٩٧٩

سهام عريضة (١٩٤٧ -)

قاصة وكاتبة مسرحية فلسطينية. ولدت فى حيفا. تقيم فى جنين بالضفة الغربية. حصلت علي ليسانس فى اللغة العربية من جامعة القاهرة. تعمل فى حقل التدريس.

الأعمال الإبداعية :

دروب الشتات وقصص أخري (قصص)، المركز الفلسطينى للثقافة والإعلام، ١٩٩٥

أعمال منشورة لم تتوفر بيانات نشرها :

الرؤيا (مسرحية)

مسرح المدرسة (مسرحيات؟)

جمل المحامل (قصص)

سهام عيطور شاهين (؟ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى حيفا .درست فى لبنان، وتعيش فى سورية.

الأعمال الإبداعية :

الإبحار فى المواسم الصعبة (شعر)، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت، د.ت

سهير التل (١٩٥٢ -)

قاصة وصحفيه أردنية. ولدت فى إربد . درست المرحلة الابتدائية فى دمشق والمرحلتين الإعدادية والثانوية فى إربد. التحقت بالجامعة فى بيروت حيث حصلت علي دبلوم الدراسات العليا فى الفلسفة. تعمل صحفية متفرغة منذ عام ١٩٧٥. نشرت لها مجموعة كبيرة من التحقيقات الصحفية والمقالات النقدية فى القصة والفن التشكيلى. عضوة فى نقابة الصحفيين وفى عدد من المجموعات النسائية واللجان النقابية والوطنية فى الأردن. لها عدد من الدراسات منها: مقدمات حول قضية المرأة والحركة النسوية فى الأردن (بيروت، ١٩٨٥) ومدينة الورد والحجر (عمان، ١٩٩٧).

الأعمال الإبداعية :

العيد يأتى سرا (قصص)، دار الأفق الجديد، عمان، ١٩٨٢

المشنقة (قصص)، نشر شخصى، عمان، ١٩٨٧

شهلا الكيالى (١٩٤١ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى اللد وأخرجت قسرا منها عام ١٩٤٨. تقيم فى عمان. تعلمت فى مدارس الزرقاء ثم التحقت بجامعة بيروت العربية حيث حصلت علي ليسانس لغة عربية فى عام ١٩٧٧. تدرِّس فى مدارس وكالة الغوث الدولية. لها فضلا عن الشعر خواطر وقصص منشورة فى الصحف والمجلات. قامت بترجمة كتاب شعر أصوات ثائرة بالاشتراك مع أمينة العدوان.

الأعمال الإبداعية :

كلمات فى الجرح (شعر)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥
وانقطعت أوتار الصمت (شعر)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٨
خطوات فوق الموج (شعر)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ١٩٩٢
وجهى الذى هناك (شعر)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د. ت.

شوقية عروق (١٩٥٧ -)

شاعرة وقاصة فلسطينية. ولدت فى الناصرة فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، وتعلمت فى مدارسها. درست عاما واحدا فى جامعة حيفا. تقيم فى الطيرة وتعمل أمينة مكتبة مدرستها الثانوية.

الأعمال الإبداعية :

امرأة بلا أيام (قصص)، مكتب المجتمع للصحافة والنشر، الناصرة، ١٩٧٩
خطوات فوق الأرض العارية (قصص)، دار المشرق، شفا عمرو،.١٩٨٠
النبض فى جوف محارة (خواطر نثرية)، د. ن.، ١٩٨٠
ذاكرة المطر (شعر)، دار الأسوار، عكا، ١٩٨٦
شمس حضورك أسطورة (شعر)، دائرة الثقافة العربية، الناصرة، ١٩٩٣
اسمك تهليلة زمرد (غزليات)، دائرة الثقافة العربية، الناصرة، ١٩٩٥

عائشة الرازم (١٩٥٢ -)

كاتبة فلسطينية. ولدت فى مخيم النويعمة فى أريحا. تقيم فى عمان. تعلمت فى مدارس أريحا وعمان. حصلت علي ليسانس فى الأدب العربى من جامعة بيروت العربية عام ١٩٨٧. حصلت بعدها علي دبلوم فى التمريض. وعملت بالتمريض وتعليم الاطفال. لها مقالات منشورة فى الصحف و المجلات.صدر لها مجموعة مقالات نقدية بعنوان:حوارية سميح القاسم، ١٩٩٠

الأعمال الإبداعية :

الأسير (قصص)، دار الكرمل، عمان، ١٩٨٥
مرثاة النسور (شعر ونثر)، شركة غرابلى، عمان ١٩٨٥
جند الأقصي (شعر)، غرابلى للطباعة، عمان، ١٩٨٦

القلب الخدّاع (شعر)، دار القدس للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٧
عرس الشهيد (شعر)، دار الكرمل، ،عمان، ١٩٨٧
حسن الفلسطيني وثورة الحجارة (شعر)، دار ابن رشيد ، عمان، ١٩٨٨
إلي فلسطين (قصص)، دار الخواجا للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩١
أعمال منشورة لم تتوفر بيانات نشرها :
عمان زهرة ونغم (شعر)
بيسان يا كنعان (مسرحية للأطفال)
مدرسة عصافير الوطن (مسرحية للأطفال)

عايدة خطيب (؟ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى مدينة شفا عمرو فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨. تلقت دراستها الابتدائية والثانوية فى مدينتها.

الأعمال الإبداعية :

الجورى عمره قصير (شعر)، دار المشرق للترجمة والنشر، شفا عمرو، ١٩٩١
حمامة منتصف الليل (شعر)، دائرة الثقافة العربية، الناصرة، ١٩٩٤

عطاف سعيد جانم (١٩٥٣ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى باقة الشرقية، طولكرم، وتقيم فى إربد بالأردن. تعلمت فى مدارس وكالة الغوث فى إربد وفى طبريا ثم التحقت بجامعة اليرموك حيث تخرجت فى قسم اللغة العربية عام ١٩٨٣. تعمل بالتدريس. لها مجموعة قصص تحت عنوان شارة الخلاص حالت الظروف دون نشرها.

الأعمال الإبداعية :

لزمان سيجىء (شعر)، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٨٣
بيادر للحلم يا سنابل (شعر)، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٣

غادة الشافعى (١٩٧٧ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى عكا فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨. تدرس فى الجامعة العبرية.

الأعمال الإبداعية :

المشهد يخبيء صهيلا (شعر)، بيت الشعر - المركز الثقافى الفلسطينى، رام الله، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩

غادة دحلة (١٩٦٤ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى قرية قرعان فى فلسطين المحتلة فى ١٩٤٨. تعلمت فى مدارس قريتها ثم التحقت بدار المعلمين والمعلمات. تعمل بالتدريس فى

القطاع البدوى من مدينة بئر سبع.
الأعمال الإبداعية :
البحث فى العيون الساهرة (شعر)، د. ن.، الناصرة، ١٩٨٣

غصون رحّال (؟ -)

روائية فلسطينية .
الأعمال الإبداعية :
موزاييك (رواية)، دار الشروق، عمّان، ١٩٩٩

فاطمة ذياب (١٩٥١ -)

كاتبه فلسطينية. ولدت فى قرية الطمرة، وتعلمت فى مدارس قريتها وفى مدارس الناصرة. تعمل فى اللجنة الثقافية التابعة للمركز الثقافى الجماهيرى فى قريتها. لها إصدارت متعددة فى مجال الرواية والمسرح وقصص الأطفال والخواطر. حازت علي جائزة بيت الكرمة عن مسرحيتها: غلطة عمر.
الأعمال الإبداعية :
رحلة فى قطار الماضى (رواية وقصص)، القبس العربى، عكا، ١٩٧٢
على الصياد (قصص أطفال)، نشر شخصى، طمرة، ١٩٨٢
توبة نعامة (قصص أطفال)، نشر شخصى، طمرة، ١٩٨٢
جرح فى القلب: (خواطر وصور قلمية)، طبعه الشاعر جورج نجيب خليل، عبلين، ١٩٨٣
الخيال المجنون (قصص)، طبعه الشاعر جورج نجيب خليل، عبلين، ١٩٨٣
قضية نسائية (رواية)، دار المشرق، شفا عمرو، ١٩٨٧
سرّك فى بير (مسرحية)، دار المشرق، شفا عمرو، ١٩٨٧
جليد الأيام (قصص)، دائرة الثقافة العربية، الناصرة، ١٩٩٥
الخيط والطزّيز (مسرحية)، إصدار خاص، ١٩٩٦

فتحية القلاّ (١٩٤٢ -)

قاصة وروائية فلسطينية. ولدت فى صفد. هاجر أهلها إلي دمشق عام ١٩٤٨. درست المرحلتين الابتدائية والإعدادية فى دمشق. تزوجت وأقامت مع زوجها فى الدوحة، قطر. أكملت تعليمها الثانوى وانتسبت إلي جامعة بيروت العربية حيث حصلت علي ليسانس فى الأدب العربى. تقيم فى الدوحة.
الأعمال الإبداعية :
كان يشبهنى (رواية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧
الانتظار (قصص)، نشر شخصى، مطابع الدوحة، الدوحة، ١٩٩٨
للحب وجه آخر (قصص)، نشر شخصى، مطابع الدوحة، الدوحة، ١٩٩٩

فتحية سعودى (١٩٤٩ -)

طبيبة وكاتبة أردنية. ولدت فى عمان. درست الطب فى فرنسا وتخرجت فى كلية الطب جامعة باريس عام ١٩٧٧. انتقلت للإقامة فى لبنان حيث سجلت تجربة حصار بيروت فى أثناء الغزو الإسرائيلى عام ١٩٨٢. تقيم فى عمان وتمارس الكتابة والترجمة والنشر فضلا عن عملها طبيبة للأطفال. لها كتاب بعنوان: صحة الأطفال: دليل الأمهات (دار المدي، عمّان، ١٩٧٧) وكتابان مترجمان عن صحة الطفل.

الأعمال الإبداعية :

أيام الجمر: حصار بيروت ١٩٨٢، (؟)، دار المدي، عمان، ١٩٩٠ (صدر هذا الكتاب لأول مرة باللغة الفرنسية بعنوان النسيان المتمرد **L'Oubli Rebelle** عن دار نشر هارماتان فى باريس عام ١٩٨٥)

فدوي طوقان (١٩١٧ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى نابلس وتعلمت فى مدارسها الابتدائية. أرغمت علي ترك المدرسة فتعهّدها أخوها إبراهيم طوقان- وكان من خيرة شعراء فلسطين- بالرعاية والتدريس. أصبحت فدوي طوقان من أبرز شواعر العرب فى القرن العشرين. تُرجمت مختارات من أشعارها إلي الإنجليزية والفارسية. نالت العديد من الجوائز من أهمها جائزة البابطين للإبداع الشعرى، الكويت ١٩٩٤، وجائزة المهرجان العالمى للكاتبات فى باليرمو بإيطاليا ١٩٩٢، ووسام القدس من منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٩٠ ، وجائزة عرار للشعر من رابطة الكتاب الأردنيين فى عمان ١٩٨٣.

الأعمال الإبداعية :

أخى إبراهيم، المكتبة العصرية، يافا، ١٩٤٦

وحدى مع الأيام (شعر)، لجنة النشر للجامعيين، القاهرة، ١٩٥٢ (طبعات أخري: دار الآداب، بيروت، ١٩٥٧، مكتبة المحتسب، القدس، ١٩٧٤)

وجدتها (شعر)،دار الآداب، بيروت، ١٩٥٧(مكتبة المحتسب، القدس، ١٩٧٤)

أعطنا حبا (شعر)، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٠ (مكتبة المحتسب، القدس، ١٩٦٩)

أمام الباب المغلق (شعر)، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٧(دار الجليل، عكا ١٩٦٤، دار العودة، بيروت، ١٩٧٤)

الليل والفرسان (شعر)، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٩

علي قمة الدنيا وحيدا (شعر)، دار الآداب، بيروت، ١٩٧٣

قصائد سياسية (شعر)، دار الأسوار، عكا، ١٩٨٠ (ط ٢، دار الشروق، عمان، ١٩٨٥)

رحلة صعبة رحلة جبلية (سيرة ذاتية)، دار الأسوار، عكا ١٩٨٥ (صدرت الطبعة الثانية بعنوان رحلة جبلية رحلة صعبة، دار الشروق، عمّان، ١٩٨٥ ثم طبعة ثالثة بنفس العنوان عن دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٨٩)

ديوان فدوي طوقان، دار العودة ، بيروت، ١٩٨٨(يضم وحدى مع الأيام، وجدتها، أعطنا حبا، أمام الباب المغلق)

تموز والشيء الآخر (شعر)، دار الشروق ، عمان، ١٩٨٩
الرحلة الأصعب (سيرة ذاتية)، دار الشروق، عمان، ١٩٩٣
الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ١٩٩٣(يضم: وحدى مع الأيام، وجدتها، قصائد من رواسب وحدى مع الأيام، أعطنا حبا، أمام الباب المغلق، قصائد إلي ج.ه.، الليل والفرسان، علي قمة الدنيا وحيدا، تموز والشيء الآخر).
أعمال مترجمة للكاتبة :

Selected Poems of Fadwa Tuqan, trans. by Ibrahim Dawood.
Yarmouk University, Irbid, 1994.

مختارات من شعرها مترجمة إلي الفارسية فى الكتب الآتية :
رضا نورى : حماسة فلسطينية ، طهران، ١٣٤٩
غلام حسين يوسفى ويوسف بكار: كزيدة آى أثر شعرى عربى معاصر. مختارات من الشعر العربى الحديث، منشورات سبرك، طهران، ١٩٩١

فيحاء عبد الهادى (١٩٥١ –)

كاتبة وباحثة فلسطينية. ولدت فى نابلس. حصلت علي الماجستير والدكتوراه من قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة. لها دراسة عن غسان كنفانى بعنوان وعد الغد (دار الكرمل، عمان، ١٩٨٧) ودراسة عن الرواية الفلسطينية بعنوان نماذج المرأة/البطل فى الرواية الفلسطينية (الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٧). انتقلت مؤخرا للإقامة فى فلسطين بعد سنوات طويلة من الإقامة فى القاهرة. عضوة فى اتحاد المرأة الفلسطينية حيث تولت مسئولية اللجنة الثقافية فى فرع القاهرة والإشراف علي كورال "عبّاد الشمس" للأطفال.

الأعمال الإبداعية :

هل يلتئم الشطران؟ (نصوص)، دار الناشر،رام الله، ١٩٩٧

كلثوم مالك عرابى (١٩٣٦ –)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى الجليل. تعلمت فى مدارس حيفا. انتقلت بعد النكبة إلي لبنان حيث درست فى إحدي جامعاتها.

الأعمال الإبداعية :

مشردة (شعر)، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦٣
أجراس الصمت (شعر)، دار النشر للجامعيين، بيروت، د.ت. (١٩٦٥)
النابالم جعل قمح القدس مرا (شعر)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٨
نهر الصمت الهادئ يخضر (شعر)، بيروت،١٩٦٨
الضوء والتراب (شعر)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧
عيون (شعر)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٠
أعمال منشورة لم تتوفر بيانات نشرها:
ماء لظمأ الشمس (شعر)

كوثر عيّاد (؟ –)

الأعمال الإبداعية :

رجل فى متاهة (قصص)، دار الكرمل، عمّان، ١٩٩٣

للى كامل كرنيك (١٩٣٩ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى طولكرم، ودرست بها. انتقلت مع أهلها إلي رام الله حيث أتمّت دراستها الثانوية. عملت مدرّسة فى مدارس وكالة غوث اللاجئين فى دير عمّار وقلنديا والجلزون ثم انتقلت للإقامة فى لبنان.

الأعمال الإبداعية :

أجنحة القمر (شعر)، مطبعة المعارف، القدس، ١٩٧٣

قطرات شوق فوق رصيف العبور (شعر)، منشورات صلاح الدين، القدس، ١٩٧٨

ليس العتوم (١٩٥١ -)

شاعرة و روائية أردنية. ولدت فى مدينة الزرقاء. تعمل فى مجال الصحافة.

الأعمال الإبداعية :

أدبيات امرأة رافضة (شعر)، دار طوباس، عمّان، ١٩٩٤

ليس كناعنة (١٩٦١ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى مدينة الناصرة، وتلقت تعليمها المدرسى فيها. درست الصحافة والإعلام.

الأعمال الإبداعية :

قصائد صادقة (شعر)، مطبعة النهضة، الناصرة، ١٩٩٢

ليالى بدر (١٩٥؟ -)

كاتبة فلسطينية للأطفال. ولدت فى الضفة الغربية. عملت فى الكويت فى مجال الصحافة والإعلام.

الأعمال الإبداعية :

لبانة والقمر (قصص للأطفال)، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، عمّان، ١٩٨٤

ليانة بدر (١٩٥١ -)

روائية وقاصة فلسطينية. ولدت فى القدس، وتعلمت فى مدارسها ثم فى مدارس أريحا. درست فى الجامعة الأردنية ثم فى جامعة بيروت العربية حيث حصلت علي ليسانس الفلسفة وعلم النفس من جامعة بيروت العربية عام ١٩٧٣، وعلي ماجستير فى علم النفس من الجامعة اللبنانية عام ١٩٧٥. عملت كمتطوعة اجتماعية مع التنظيمات النسائية فى المقاومة عام ٦٩-٧٠ فى مخيم البقعة فى

الأردن ثم من ٧٣ إلي ٧٦ فى صبرا وشاتيلا ببيروت. عملت صحفية متفرغة منذ عام ١٩٧٧ فى مجلة "«الحرية» "فى بيروت ودمشق وتونس. تعمل حاليا فى مجلة «دفاتر فلسطينية» فى رام الله. ترجمت بعض أعمالها الروائية إلي الإنجليزية والعديد من قصصها القصيرة إلي الفرنسية والهولندية والألمانية والبولندية والإنجليزية.

الأعمال الإبداعية :

بوصلة من أجل عبّاد الشمس (رواية)، دار ابن رشد، بيروت، ١٩٧٩(ط ٢، مكتبة الوحدة، نابلس، ١٩٨٠. ترجمت إلي الإنجليزية)

فراس يصنع بحرا (قصة للأطفال)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١

رحلة فى الألوان (قصة للأطفال)، دار الروّاد، بيروت، ١٩٨١

القطة الصغيرة (قصة للأطفال)، د. ن.، بيروت، ١٩٨٣

قصص الحب والملاحقة (قصص)، دار الهمذانى، عدن، ١٩٨٣

شرفة علي الفاكهانى (قصص)، دائرة الإعلام والثقافة، دمشق ، ١٩٨٣ (ط ٢، منشورات الوحدة، القدس، ١٩٨٥. ترجمت إلي الإنجليزية)

فى المدرسة (قصة للأطفال)، دار الفتي العربى، بيروت، ١٩٨٣

أنا أريد النهار (قصص)، دار الحوار، اللاذقية، ١٩٨٥(ط ٢، دار الأسوار، عكا، ١٩٨٦)

حكاية البنفسج (مسرحية للأطفال)، د. ن.، ١٩٨٦

طيارة يونس (قصة للأطفال)، د.ن، القاهرة، ١٩٩٠

عين المرآة (رواية)، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٩١

جحيم ذهبى (قصص)، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٢

نجوم أريحا (رواية)، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٣

فدوي طوقان: ظلال الكلمات المحكية (حوار أجرته الكاتبة مع فدوي طوقان)، دار الفتي العربى، القاهرة، ١٩٩٦

زنابق الضوء (شعر)، دار شرقيات، القاهرة، ١٩٩٨

الأصدقاء يعبرون النهر (قصة للأطفال)، مؤسسة تامر، رام الله، ١٩٩٨

ليلي الأطرش (١٩٥١ -)

روائية وقاصة فلسطينية. ولدت فى بيت ساحور، وتلقت دروسها فيها حتي غادرتها إثر نكسة حزيران ١٩٦٧ حيث أكملت دروسها فى عمان. حصلت علي بكالوريوس الأدب العربى من جامعة بيروت العربية عام ١٩٧٢، حصلت بعدها علي بكالوريوس الحقوق. تعمل مذيعة فى تليفزيون قطر كما تنتج برامج ثقافية . حصلت علي ثلاث جوائز تليفزيونية ثقافية من القاهرة وقرطاج ومؤسسة البرامج المشتركة لدول الخليج. لها العديد من الكتابات الصحفية والثقافية.

الأعمال الإبداعية :

وتشرق غربا (رواية) ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ١٩٨٧

امرأة للفصول الخمسة (رواية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،

١٩٩٠
يوم عادى وقصص أخري (قصص)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، د.ت
ليلتان وظل امرأة (رواية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨
صهيل المسافات (رواية)، دار شرقيات، القاهرة، ١٩٩٩

ليلي السايح (١٩٣٦ –)

كاتبة فلسطينية. ولدت فى مدينة حيفا. أنهت دراستها الابتدائية فى مدارسها ثم هُجّرت مع أهلها عام ١٩٤٨. أنهت دراستها الجامعية فى بيروت عام ١٩٧٢. عاشت فى الكويت ومارست العمل الصحفى.

الأعمال الإبداعية :

قصصى أنا (قصص)،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢
دفاتر المطر (شعر)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩
الجذور التى لا ترحل، دار الجليل، دمشق، ١٩٨٤
طقوس البراءة (شعر)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩
عودة البنفسجة (قصص)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠.

ليلي علوش (١٩٤٨ –)

شاعرة ورسامة فلسطينية. ولدت فى عمان، وتقيم فى القدس. حصلت علي تعليمها فى مدارس عمان والقدس ثم التحقت بجامعة بيروت العربية. تعمل بالتدريس. أقامت معارض رسم فى رام الله وأريحا وحيفا و غزة وبيروت.

الأعمال الإبداعية :

بهار علي الجرح المفتوح (شعر)، المطبعة الوطنية، القدس، ١٩٧١
سنى القحط ياقلبى (شعر)، مطبعة دار الأيتام، القدس، ١٩٧٢
قصائد منقوشة علي مسلة الأشرفية (شعر بالاشتراك مع آخرين)، منشورات فتح، عمان، ١٩٧٢
أول الموّال آه (شعر)، منشورات صلاح الدين ، القدس، ١٩٧٤
الموت والعشق (شعر)، مطبعة الشرق التعاونية، ١٩٧٧
القدس فى القلب (شعر)، مكتبة عمّان، عمّان، ١٩٨٠.
المسافة بين فوهة البندقية وعيون حبيبى (شعر)، دائرة الثقافة والفنون، عمّان، ١٩٨٣

مجدولين أبو الرب (١٩٦٢ –)

قاصة فلسطينية. ولدت فى نابلس. حصلت علي بكالوريوس فى الكيمياء من الجامعة الأردنية عام ١٩٨٥. تعمل فى مجال التدريس. لهامقالات ودراسات متفرقة فى مجالات التربية والتنمية والبيئة.

الأعمال الإبداعية :
تشرين لم يزل (قصص)، وزارة الثقافة، عمّان، ١٩٩٤

مريم جبر (١٩٦٢ -)
قاصة أردنية. ولدت فى كفرنجة، عجلون. درست فى مدارس القرية ثم فى عجلون. حصلت علي بكالوريوس فى اللغة العربية وآدابها من جامعة اليرموك. حازت علي جائزة القصة للأدباء الشباب من رابطة الكتاب الأردنيين عام ١٩٨٥. وجائزة قاصة الجامعة من جامعة اليرموك عام ١٩٨٨. لها دراسة عن «شخصية المرأة فى القصة القصيرة فى الأردن» (دار الكندى، إربد، ١٩٩٥)
الأعمال الإبداعية :
آخر أحاديث العرافة (قصص)، دار الكندى، إربد، ١٩٩٦

مريم مشعل (؟ -)
الأعمال الإبداعية :
فتاة النكبة (رواية)، مطبعة الشعب، عمان، ١٩٥٧

منال النجوم (١٩٧٢ -)
شاعرة فلسطينية. ولدت فى القدس. حصلت علي بكالوريوس اللغة العربية والشريعة الإسلامية من الجامعة الأردنية.
الأعمال الإبداعية :
وجوه ومرايا (شعر)، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ١٩٩٨

مني السعودى (١٩٤٩ -)
فنانة تشكيلية و شاعرة أردنية. ولدت فى عمّان. تخرجت فى كلية الفنون فى باريس عام ١٩٦٧. عملت فى مجال التصوير والرسم والنحت. رسمت وصممت العديد من أغلفة الكتب.
الأعمال الإبداعية :
شهادة الأطفال فى زمن الحرب (رسوم لأطفال المخيمات)، منشورات مواقف، بيروت، ١٩٧٠.
رؤيا أولي (شعر ورسوم)، منشورات مواقف، بيروت، ١٩٧٢
محيط الحلم (شعر ورسوم)، دار المدي للنشر، عمان، ١٩٩٢

منية سمارة (١٩٥؟ -)
شاعرة فلسطينية. عملت فى مجال الصحافة والترجمة.
الأعمال الإبداعية :

كتاب النهر والبحر وما بينهما (شعر)، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩٢

منيرة شريح (١٩٥٥ –)

كاتبة مسرح فلسطينية. تقيم فى عمان. تعلمت فى مدارس حلب. عملت فى مجال تعليم الأطفال. فازت مسرحيتها يزن بجائزة جمعية المكتبات الأردنية فى عام ١٩٨٥.

الأعمال الإبداعية :

عروبة (مسرحية للأطفال) ، مطبعة الحرمين الحديثة، الزرقاء، ١٩٨٥
يزن (مسرحية للأطفال)، دار الكرمل، عمان، ١٩٨٧
لحظة انتباه (مسرحية)، دار الكرمل ، عمان، ١٩٨٩

منيرة قهوجى (١٩٤٧ –)

قاصة فلسطينية. ولدت فى طبريا، وتقيم فى إربد بالأردن، حيث تعلمت فى مدارسها وفى مدارس الزرقاء ثم التحقت بجامعة بيروت العربية. تعمل بالتدريس فى وكالة الغوث للاجئين وتمتلك دار طبريا للنشر.

الأعمال الإبداعية :

أطفال القدس (قصص للأطفال)، دار الجاحظ، عمان، ١٩٨٤
لن أرحل (قصة للأطفال)، مطبعة إربد الحديثة ، إربد، ١٩٨٤
الشيخ النعمان يأكل الصبار فى باب العمود (قصص)، دار الكرمل، عمان، ١٩٨٦
الرجل الذى باع رأسه (قصص للأطفال)، دار الكرمل، عمان، ١٩٨٧
نافذتان علي الوطن (رواية)، دار طبريّا، إربد، ١٩٨٩
رحلة الحب والموت (رواية)، مطبعة كنعان، إربد، ١٩٩٧
أعمال منشورة لم تتوفر بيانات نشرها:
سنابل لحقول فلسطين

منيرة مصباح (؟ –)

شاعرة وصحفية فلسطينية. ولدت فى بيروت. عملت فى مجالى التعليم والصحافة. تقيم حاليا فى الولايات المتحدة.

الأعمال الإبداعية :

سيدة البراعم (شعر)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٨
خطاب الندي (شعر)، دار أزمنة، عمّان، ١٩٩٥
الشجرة (قصة للأطفال)، دار أناهيد، نيقوسيا، د. ت.

مى صايغ (١٩٤٠ –)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى مدينة غزة، وتقيم فى الأردن . تعلمت فى مدارس غزة ثم التحقت بجامعة القاهرة حيث حصلت علي ليسانس الآداب فى الفلسفة. تعمل فى حركة فتح منذ عام ١٩٦٨ وعضوة فى المجلس المركزى للحركة والمجلس الوطنى لمنظمة التحرير منذ عام ١٩٧٣. عضوة فى المكتب الدائم للاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى منذ عام ١٩٧٥. شغلت منصب الأمين العام للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية فى الفترة ما بين ١٩٧١-١٩٨٦، ومثلت المرأة الفلسطينية فى العديد من المؤتمرات والندوات العربية والدولية.

الأعمال الإبداعية :

إكليل الشوك (شعر) ،دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٩

قصائد منقوشة علي مسلّة الأشرفية (شعر)، منشورات فتح، عمان، ١٩٧١ (بالاشتراك مع آخرين)

قصائد حب لاسم مطارد (شعر)، دار العودة ، بيروت، ١٩٧٤

عن الدموع والفرح الآتى (شعر)، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٥

الحصار (كتاب سيرة يسجل الاجتياح الإسرائيلى للبنان وحصار بيروت)، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ١٩٨٨

مى اليتيم (١٩٦٣ -)

قاصة أردنية من أصل سورى. ولدت فى الكويت. تخرجت فى كلية الطب فى جامعة دمشق. لها قصص وقصائد منشورة فى مختلف الدوريات. تتنقل بين دمشق وعمّان.

الأعمال الإبداعية :

ملصقات علي أبواب دمشق (قصص)، منشورات وزارة الثقافة، عمّان، ١٩٩٠

ميسون حنّا (؟ -)

كاتبة مسرح فلسطينية. ولدت فى القدس. تعمل طبيبة فى محافظة الزرقاء فى الأردن.

الأعمال الإبداعية :

شبّاك الحلوة (مسرحية)، منشورات دار جاد، عمّان، ١٩٨٧

كاهن المعبد (مسرحية)، منشورات دار جاد، عمّان، ١٩٨٩

مقتل شهرزاد (مسرحية)، دار الكرمل، عمّان،١٩٩١

الشحاذ حاكما، عازف الناى (مسرحيتان)، نشر شخصى، عمّان، ١٩٩٣

نادرة بركات الحفّار (١٩٥١ -)

روائية وقاصة. ولدت فى مدينة القدس. تعلمت فى مدرسة راهبات الناصرة فى عمّان. تخرجت فى كلية الحقوق، جامعة دمشق.

الأعمال الإبداعية :

الغروب الأخير (رواية)، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ١٩٨٥
امرأة فى عيون الناس (رواية)، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٨
الهاوية (رواية)، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ١٩٩٠.

نادرة سرورى (١٩٤٠ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى مدينة نابلس. درست علم الاجتماع فى الجامعة الأمريكية فى بيروت حيث تخرجت عام ١٩٦١. حصلت علي الماجستير فى العلوم الاجتماعية عام ١٩٧٢ ثم الدكتوراه عام ١٩٧٤.

الأعمال الإبداعية :

مخاض امرأة (شعر)، منشورات الجمعية الملكية، عمّان، ١٩٧٦

نادرة عبد الحى (١٩٧٣ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى قرية الطيرة، المثلّث فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨. أنهت تعليمها الابتدائى والإعدادى فى قريتها. لم تتابع دراستها النظامية بسبب حالتها الصحية.

الأعمال الإبداعية :

ظميء الشوق (شعر)، دائرة الثقافة العربية، حيفا، ١٩٩٥

نازك سابا يارد (١٩٢٨ -)

روائية وباحثة فلسطينية. ولدت فى القدس. حصلت علي ليسانس فى الفلسفة من جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن)، وعلي الدكتوراه فى الأدب العربى من الجامعة الأمريكية فى بيروت. لها دراسات نقدية فى الشعر العربى القديم والحديث . درّست فى الكلية الإنجيلية فى بيروت، وتقوم بتدريس الأدب العربى فى الجامعة اللبنانية الأمريكية منذ عام ١٩٧٨. حاصلة علي وسام: Chevalier dans l'ordre des Palmes Academiques" من الدولة الفرنسية عام ١٩٨٠. عضوة فى لجنة مهرجانات بعلبك الدولية وفى «تجمع الباحثات»، وفى «تجمع الدفاع عن المرأة ضد العنف». صدر لها بيبليوغرافيا الكاتبات اللبنانيات بين عامى ١٨٥٠ - ١٩٥٠. بالاشتراك مع نهي بيومى. نالت جائزة جمعية الكتاب اللبنانيين عام ١٩٩٩ لأفضل كتاب إبداعى للناشئين.

الأعمال الإبداعية :

نقطة الدائرة (رواية)، دار الفكر اللبنانى، بيروت، ١٩٨٣
الصدي المخنوق (رواية)، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٦
كان الأمس غدا (رواية)، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٨
تقاسيم علي وتر ضائع (رواية)، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٩٢
بيروت هل نعرفها (قصة للأطفال)، د. ن.، بيروت، ١٩٩٤
فى ظل القلعة (قصة للأحداث)، دار الكتاب العالمى، بيروت، ١٩٩٦

البيبليوغرافيا

الذاكرة الملغاة (رواية)، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٩٨

نايفة عوض (١٩٥٩ –)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى كفر ياسيف. تعلمت فى مدارس بيت لحم. مارست التمثيل فى مسرح الكرمة وتعمل الآن فى مسرح حكايات حمامة وزغلول للأطفال .

الأعمال الإبداعية :

البحث عن سفر الرجال (شعر) ، دار المشرق، شفا عمرو، ١٩٨٦
رجال حول شمس النهار (شعر)، دار المشرق، شفا عمرو، ١٩٨٧

نجلاء محمد شهوان (١٩٦٠ –)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى القدس ودرست فيها. التحقت بجامعة القدس المفتوحة حيث درست اللغة الإنجليزية والتربية بين عامى ١٩٩٢ و١٩٩٤. تدرس الأدب الإنجليزى فى لندن فى الوقت الحاضر. لها دراستان عن أدب الأطفال وترجمات لبعض قصص الأطفال.

الأعمال الإبداعية :

فى همسات ربيع العشرين (شعر)، مطابع الدفاع، القدس، ١٩٨٥
وطنى نذرت لعينيك عمرى (شعر)، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ١٩٨٩
فلسطين يا توأم الروح (شعر)، مطبعة مسودى، القدس، ١٩٩٠.
حوار البنفسج (شعر)، دار الكاتب، القدس، ١٩٩٢
عبق الياسمين (شعر)، د. ن.، القدس، ١٩٩٥

نجمية حكمت (١٩٢٠ –)

كاتبة أردنية من أصل سورى. ولدت فى دمشق. انتقلت مع أسرتها للإقامة فى عمّان وهى فى الثانية من عمرها. درست حتي الصف السادس الابتدائى ثم أجبرت علي ترك الدراسة. علمت نفسها بنفسها. كتبت كتابا واحدا هو سيرتها الذاتية.

الأعمال الإبداعية :

٦٥ عاما من حياة امرأة أردنية: رحلتى مع الزمن (سيرة ذاتية)، نشر خاص، عمّان، ١٩٨٦

نجوي قعوار فرح (١٩٢٣؟ –)

كاتبة فلسطينية. ولدت فى الناصرة . تعلمت فى مدارس الناصرة ، ثم درست فى دار المعلمات بالقدس . عملت مدرسة فى الناصرة عام ١٩٤٣ . أصدرت مع زوجها القس رفيق فرح مجلة «الرائد» سنة ١٩٥٧ كما نشرت فى عام ١٩٦٥

مقالات فى السياسة والاجتماع والأدب فى الصحف. عاشت فى حيفا حتي أواسط الستينيات ثم انتقلت إلي المهجر.

الأعمال الإبداعية :

عابرو السبيل (قصص) ، دار الريحانى، بيروت، ١٩٥٤
دروب مصابيح (قصص)، مطبعة الحكيم، الناصرة، ١٩٥٦
مذكرات رحلة (سيرة)، مطبعة الحكيم، الناصرة، ١٩٥٧
سر شهر زاد (مسرحية)، مطبعة الحكيم، الناصرة، ١٩٥٨
عبير وأصداء (صور قلمية)، مطبعة الحكيم، الناصرة، ١٩٥٩
ملك المجد (مسرحية عن السيد المسيح)، مطبعة الحكيم، الناصرة، ١٩٦١
لمن الربيع؟ (قصص)، مطبعة الحكيم، الناصرة، ١٩٦٣
سلسلة قصص للأشبال (ثلاثة أجزاء)، الناصرة، ١٩٦٣-١٩٦٥
اللقاء (قصص)، دار النهار، بيروت، ١٩٧٢
أمة الرب (مسرحية)، دار النفير، بيروت، ١٩٧٢
عهد من القدس (؟) ، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينين، بيروت، ١٩٧٨
رحلة الحزن والعطاء (؟)، دار الكلمة، بيروت، ١٩٨١
انتفاضة العصافير (قصص) ، دار الجليل ودائرة الثقافة (م.ت.ف) ، عمان، ١٩٩١
سكان الطابق العلوى (رواية) ، اللجنة الفنية الأردنية لدعم الانتفاضة، عمان، ١٩٩٦

نداء خورى (١٩٥٩ -)

شاعرة فلسطينية. ولدت فى قرية فسّوطة فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨. حصلت علي شهادة إتمام المرحلة الثانوية من مدرسة ترشيحا الثانوية. تكتب قصيدة النثر.

الأعمال الإبداعية :

أعلن لك صمتى (شعر)، مطبعة أبو رحمون، عكا، ١٩٨٧
جديلة الرعد (شعر)، دار المشرق للطباعة والترجمة والنشر، شفاعمرو، ١٩٨٩
النهر الحافى (شعر)، د. ن.، القدس، ١٩٩٠
زنّار الريح (شعر)، مطبعة أبو رحمون، عكا، ١٩٩٢ (ط٢، د. ن.، بيروت، ١٩٩٣)
ثقافة النبيذ (شعر)، دائرة الثقافة العربية، القدس، ١٩٩٣
خواتم الملح (شعر)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨

نعمة خالد (١٩٥٨ -)

قاصة و روائية فلسطينية. ولدت فى عين زيوان، القنيطرة، سورية. درست فى معهد إعداد المدرسات ثم التحقت بكلية الحقوق جامعة دمشق وتخرجت فيها فى ١٩٩١. لها دراسات نقدية منها دراسة عن «التخييل الروائى للجسد».

الأعمال الإبداعية :

الفصل السابع

المغرب العربى الكبير

(أ)
الدراسة

(ب)
المنتخبات

(ج)
البيبليوغرافيا

عن كتابة المرأة فى المغرب العربى: الجزائر، المغرب، تونس، ليبيا، موريتانيا

محمد برّادة

I مدخل

ليس ضروريا أن نُعيد، هنا، ما هو معروف عن الأوضاع التاريخية لبلدان المغرب العربى منذ بداية هذا القرن، وخضوعها للاستعمار وتخطيطاته الرامية إلي استبدال ثقافته ولغته بالثقافة الوطنية لهذه الأقطار، لأننا نحرص علي أن نظل قريبين من موضوع مساهمة المرأة المغاربية فى الإنتاج الأدبى المكتوب بالعربية علي اختلاف أجناسه وأشكاله، وإبراز ملامحه المميّزة لإبداعاتها ضمن الدائرة الواسعة للأدب العربى المعاصر.

مع ذلك، نشير إلي عوامل أو ظاهرات كان لها تأثير، بكيفية خاصة، علي إبداع المرأة المغاربية. وفى طليعة تلك العوامل: تفاوت العمر الأدبى بين الأقطار العربية من منظور الانفتاح علي الآداب والثقافات الأجنبية وتوظيف الأجناس التعبيرية الحديثة فى التعبير عن التحولات الكثيرة التى عرفتها المجتمعات العربية خلال فترات الاستعمار ثم بعد الاستقلال. والتذكير بهذا العامل، يتضمن الإشارة إلي دور التراكم الإبداعى فى تقليب التربة والتمهيد لبلورة أدب متخلص من التقليد والاجترار وإحياء نماذج مستوحاة من «روائع» الماضى. وهذه مسألة تاريخية واضحة تؤكدها وقائع «العمر الأدبى» فى كل من مصر وسورية ولبنان والعراق، قياسا إلي الأعمار الأدبية المتفاوتة، مثلا، فى السودان وليبيا والجزائر والمغرب وموريتانيا.

ويهمنا نحن، هنا، أن نربط هذه المسألة بتأخر ظهور إنتاجات أدبية حديثة فى أقطار المغرب العربى إلي الخمسينات، وهو ما انعكس أيضا علي ظهور كتابات المرأة المغاربية. لذلك فإن قلة التراكم الأدبى، ومشاكل التعليم والتعريب بعد الاستقلالات، ساهمت فى بطء ظهور أقلام نسائية تتخذ من الإبداع الأدبى وسيلة لتشخيص أوضاعها، واستنطاق ذواتها المُبعدة، قسرا، عن مجال المشاركة والتعبير بجميع أشكاله. ينضاف إلي ما تقدم، أن أسبابا خاصة، اجتماعية بالدرجة الأولي، تُضاعف من صعوبة ارتباط المرأة العربية بالكتابة الأدبية وتجعل وتيرة ظهور أقلام نسائية جديدة، بطيئة متباعدة.

ذلك أنه، إلي فترة قريبة، لم تكن المجتمعات المغاربية تنظر بعين الرضي إلي اللائى يتخذن من الإبداع وسيلة لإسماع صوتهن المتميز والجهر بالمخبوء فى الذات المقموعة. وبرغم ذلك، فإن بذور الإبداع الأدبى النسائى بأقطار المغرب العربى انغرست مع انفتاح أبواب التعليم أمام الفتيات، سواء فى فترة النضال الوطنى ضد الاستعمار، أو بعد الاستقلال ودخولهن إلي المعاهد والجامعات... وكانت أصداء حركات تحرير المرأة فى أقطار المشرق العربى حاضرة باستمرار فى الساحة المغاربية من خلال أسماء مثل قاسم أمين، وهدي شعراوى، وعائشة التيمورية، ودرية شفيق، ومىّ زيادة...

نتيجةً لذلك، كان الحضور الأدبى الأوَّلى للمرأة المغاربية حضورا ممتزجا بالحركة الوطنية وامتداداتها الاجتماعية حيث كانت المتعلمات والمثقفات يحضُرن فى التجمعات والاحتفالات لإلقاء «كلمة المرأة» أو إنشاد مقطوعات شعرية تُمجّد الوطن وكفاحاته فى قصائد عمودية ذات مضمون كلاسيكى... وخلال هذه المرحلة الأولي التى امتدت إلي أواخر الخمسينات، لم تكن النصوص النسائية القليلة تخرج عن نطاق الوطنية والقضايا الاجتماعية المتصلة بها، وهو ما أضفي عليها طابع الواقعية الوعظية التى تستنهض الهمم وتنتقد الآفات المجتمعية، علي نحو ما نجد فى نصوص مليكة الفاسى من المغرب، وخديجة عبد الحى من موريتانيا، وزهور ونيسى من الجزائر فى إنتاجاتها الأولي... بعبارة أخري، فإن إنتاجات المغاربيين الذكور كانت قد بدأت تمتحُ من تجارب الذات ومن الطرائق والثيمات الرومانسية مثلما هو الشأن عند شعراء مثل: الشابى، إدريس الجاى، محمد الحلوى، رمضان محمود... الذين لم يقتصروا علي استيحاء القضية الوطنية، بينما لم تكن الشروط قد توافرت، بالنسبة للأديبات النساء، للتعبير عن الذات والعواطف الخاصة.

بعد استقلال أقطار المغرب الخمسة: تونس والمغرب سنة ١٩٥٦، موريتانيا سنة ١٩٦٠، الجزائر سنة ١٩٦٢، وليبيا سنة ١٩٦٣، انفتحت الأبواب علي مصراعيها أمام تعليم البنات، واحتلت المرأة، تدريجيا، بعض الوظائف والمسئوليات. إلا أن تبلور الصراع حول أسئلة المستقبل، ومناهج تشييد المجتمعات المغاربية، أظهر بوضوح مدي احتكار الرجال للسلطة ومؤسساتها. وكان غياب الديمقراطية عاملا كبيرا فى إذكاء الوعى لدي المهمَّشين والمهمَّشات وإبراز الفروق القائمة بين الفئات والطبقات، بين الذين واللائى ضحوا من أجل الاستقلال وبين من استفادوا منه علي حساب الأكثرية. بعبارة ثانية، فإن الانتقال من «الوئام» الوطنى حين مواجهة الاستعمار، إلي مرحلة الصراع من أجل العدالة الاجتماعية والديمقراطية بعد الاستقلالات، أتاح للمرأة المغاربية الاقتناع بضرورة بلورة صوتها الخاص الذى يكشف أوضاعها المتدنية وقيود الوصاية الذكورية، وإجحاف القوانين بحقوقها. وكانت موجة الوعى النسائى، هذه المرة، ذات أبعاد شاملة، لا تقف عند الحدود التى رسمتها لها أحزاب الحركة الوطنية أو منظمات الثورة مثلما هو

الشأن فى الجزائر. لم تعُد المرأة المغاربية تجد نفسها ومطالبها الحقيقية فى سياسات حكومات الاستقلال، وارتفعت أصواتٌ هنا وهناك، خاصة من المتعلمات فى أوربا وفى المشرق العربى، لتكسر وصاية الخطاب الخاضع للمواضعات الموروثة أو الذى يُغرق خصوصية قضية المرأة فى مطالب تجريدية تنادى بتغيير المجتمع و «تثويره». وهكذا، ومنذ أواخر الستينات، ظهرت أقلام نسائية فى المغرب العربى لا تريد أن تجعل من إبداعاتها مجرد صدىً لما تردده الأيديولوجيات والخطابات السائدة. ظهرت قصص خناثة بنّونة ورفيقة الطبيعة فى المغرب تحمل نغمة مختلفة، وظهرت قصائد مبروكة بو ساحة وأحلام مستغانمى وزينب الأعوج فى الجزائر، وشعر وروايات فوزية شلابى فى ليبيا، وقصص عروسية النالوتى ونعيمة الصيد فى تونس، فبدأت ملامح المرأة المغاربية المغيَّبة من قبل فى ثنايا الخطابات السياسية، تنفصل وتتبلور من خلال النصوص التى تقترب من الأعماق والمشاعر والنزوات والأحلام والتمردات المكبوتة. بتعبير ثانٍ، فإن الخطاب الأدبى الإبداعى للمرأة المغاربية أسهم، وما يزال، إلي جانبٍ الدراسات السوسيولوجية والاقتصادية والسياسية، فى إضاءة المرأة بوصفها إنسانة واقعية، لا مجرد رمز مؤَمْثَل ومُمتهَن فى الآن نفسه.

والواقع، أن الأدبَ العربى الحديث، بصفة عامة، وفى نماذجه الجيدة المتطورة، أخذ منذ ١٩٦٧ ينحو إلي التباعد عن السياسى والأيديولوجى بمعناهما التعبوى، التحريضى، ويتجه أكثر فأكثر إلي الكشف عن المخبوء والمسكوت عنه فى الخطابات المتداولة. ومن ثم تضاعف الاهتمام بالتركيب الفنى والتصور الجمالى لإعطاء العمل الأدبى إمكانية التعالى علي الظرفية العابرة.

وفى هذا السياق، نلاحظ أن عددا من الكاتبات المغاربيات، منذ السبعينات، قد تجاوبن مع هذا المنحي فى الكتابة الأدبية التى تُفسح المجال للذات، ولخصوصية الرؤية،وحرية التجريب. وفى هذا الإطار، تتفاوت درجات النضج علي صعيد التحقق النصى وعلي صعيد انتظام الكتابة وما تنجزه من تراكمات.

من هذا المنظور الذى ركَّزنا فيه الحديث علي عوامل خصوصية تجربة كتابة المرأة المغاربية، سنحاول، فيما يلى، استعراض وتحليل بعض النصوص الشعرية والقصصية والروائية لاستجلاء مكوّناتها العامة، وتجلياتها الفنية.ونحن فى هذا التحليل لن نستبعد النصوص التقليدية وذات التركيب الفنى المحدود، لأن الوقوف علي التحولات فى الكتابة النسائية المغاربية يقتضى إبراز الفروق بين الأشكال والمضامين الموجودة فى هذا الإنتاج. وسنعتمد، أساسا، علي النصوص المختارة لهذه الموسوعة مع استحضار نصوص الكاتبات المغربيات، المؤشِّرة علي اتجاهاتهن الأدبية.

II قراءة فى النصوص

1. الشعر

من خلال القراءة الأولي للقصائد المختارة، يتضح أن هناك نمطين من الشعر: شعر كلاسيكي تقليدي في مبناه العمودي، وشعر حديث يعتمد التفعيلة بدل البيت، أو يستظل بقصيدة النثر للاقتراب من دفق المشاعر وانطلاقاتها؛ مع ملاحظة التفاوت في الإنجاز بين شاعرة وأخري من الاتجاه نفسه.

ضمن النمط الأول، تندرج قصائد: حبيبة الصوفي، خديجة عبد الحي، السيدة بنت أحمد، أمينة المريني، فوزية حرم ضيف الله، وإمباركة بنت البراء التي رغم أنها تعتمد علي التفعيلة فإن بناء قصيدتها «رمل ونهر» ومعانيها تجعلها أقرب إلي القصيدة الكلاسيكية.

في قصيدة حبيبة الصوفي «بعد التعافي» تعمد الشاعرة إلي معاتبة صديقتها التي نكأت جراحها بعد أن ظنت أنها تعافت من آلام تجربة حبها الخائبة، وفي هذا العتاب، يطالعنا تأكيد أن تعلقها بمحبوبها ما يزال قائما لا تقدر علي نسيانه» ولو بعد التعافي». ولعل هذه القصيدة، برغم معانيها الكلاسيكية، تتدثر بظلال رومانسية تنقل إلينا صورة المرأة الوفية وفاء مطلقا رغم إرادتها وترديدها بأنها قد تعافت من حبها.

ويطالعنا في قصيدة «نجوي الأصيل» لخديجة عبد الحي، صوت يتذكر حلما أشرق ومضه في حياتها، ولكنه سرعان ما اندثر ليخلّف مرارة وغضبا انعكسا علي لغة القصيدة الكلاسيكية التي تروح بين التأملات والحِكَم والغضب:

جُرع مهدئة تزيد عناءَنا
مهما بقينا وحدنا حول الطلل

وفي قصيدة «تأملات فتاة حالمة» للسيدة بنت أحمد، يبرز الطابع الكلاسيكي المعتمد علي صوغ الحِكَم والتأملات مُبعدا تفاصيل التجربة أو خصوصية المشاعر:

هكذا سُنة الحياة سفين
ليس للراكبين فيه زمام
وطريق بين الأسي والأغاني
فيه للشوك والورود خصام

وامتدادا للتأملات نفسها، نجد قصيدة «تأوهات ومواجد» لفوزية حرم ضيف الله التي تبدأ بمناجاة القلب والشكوي من آلام الحب وأسقامه ثم تنتهي بالتحسر علي ما آلت إليه الحضارة العربية التي تلاشي مجدها... هي بالفعل تأوهات مصوغة في لغة متدفقة، سلسة، تتروح نغماتها بين الأسي والغضب:

لملم جراحك واكتب قصة بدمٍ
واجمع شتاتك أحزاني ستنسحب

(...)

يـاقــلب هــذى لــظي الأشــواق
أضـــــــرمــــــــهـــــا

دعـنـى فـمـلء الحـنـايـا زمـجـر
الـــــــغـــــــضـــب

وإذا كانت الشاعرات السابقات يمزجن الألم بالغضب ويعبّرن عن خيبتهن فى الحب والناس، فإن الشاعرة أمينة المرينى تلجأ إلي رحاب التصوف لتمزج عواطف حبها بنزوعات الروح إلي الخلود والتماهى مع المطلق، العُلوى الذى لا يفني. إنها فى قصيدتها «عاشقة» تعارض نونية ابن زيدون الشهيرة (أضحي التنائى بديلا عن تدانينا) مع الانتقال إلي عوالم التصوف والتعبد:

فى حضرة العشق يسمو الروح
مـــنـــجـــذبـــا

بفيض نور تحدي القيد والطينا

يعلو ويفني بذات الخير متحدا

كالعطر لابس ريحانا ونسرينا

وقد تمكنت الشاعرة من «تحويل» لغة وصور ابن زيدون إلي معجم صوفى يتعالي عن البشرى وعن آلام الحب المألوفة. وهى قصيدة استوعبت طرائق الصنع الشعرى الكلاسيكى ونفحاته الرومانسية الأندلسية.

ونميل إلي أن نضع قصيدة «رمل ونهر» للشاعرة إمباركة بنت البرَّاء ضمن هذا النمط الشعرى الكلاسيكى، برغم اعتمادها علي التفعيلة وعلي الحكى، لأن مضمونها يفضى إلي نغمة مباشرة تحض علي مواجهة الدخيل وكل ما يشوّه الأرض ويصادر خيراتها.

فى النمط الشعرى الثانى، المعتمد علي التفعيلة أو المتوسل بقصيدة النثر، تطالعنا ملامح تجارب ذاتية تحاول كل شاعرة أن تعبر عنها من خلال بعض التفاصيل، ومن خلال لغة متحررة من التراكيب المألوفة ومن التعبيرات الجاهزة... ويمثل هذا الاتجاه كل من: مليكة العاصمى، نجاح حدّة، فاطمة محمود، زينب الأعوج، ربيعة جلطى، وفاء العمرانى، ثريا ماجدولين، فضيلة الشابى، غنية سيد عثمان، الزهرة المنصورى.

وضمن هذه القصائد، تلفت نظرنا قصيدتان للشاعرة مليكة العاصمى: «القصيدة المسعورة» و «زيارة الفارس القديم»، لأنهما تؤشران علي أفق آخر لشعر المرأة الحديثة التى تريد أن تُسمع صوتها وتستوحى مشاعرها الحميمية بعيدا عن الخجل المصطنع أو الرومانسية الحاجبة لاشتهاءات الجسد. ولعل مليكة العاصمى هى من بين الشاعرات العربيات الأوليات اللائى نقلن القصيدة «النسائية» إلي منطقة الحميمية والاستبطان الجرىء. فهى بدأت تنشر فى أواخر الستينات متناغمة مع القصيدة الحداثية التى فرضت وجودها فى المشرق العربى وعند بعض الرواد المغاربة (أحمد

المجاطى، محمد السرغينى، عبد الكريم الطبال). و «القصيدة المسعورة» إعلان عن لحظة حنين واشتهاء للمحبوب، عبر صور يحضر فيها جسد المرأة بقوة وإصرار لأن الشعور لا يمكن أن يُعزل عن الوعاء الذى يحتويه، ومن ثم قوة التلفظ الواردة علي لسان امرأة شاعرة:

و دَعْنى أشدُّكْ
ودعنى أشم صدي الزفرات الحياري
أعبُّ
وأفنَي
وأقلب جسمى كالأفعوان
أعانق نهدى
وأشتاق لك
وتبزغ بي حديقةُ نار
وبى لهبُ وأوار
دمائى
سعار...

والقصيدة الثانية «زيارة الفارس القديم» كأنها امتداد للأولي، لأن الشاعرة تستعيد رائحة تبغ المحبوب التى أشارت إليها فى «القصيدة المسعورة»، لتجعل منها الجسر الواصل بينها وبين صديقها الراحل الذى ظل مقيما فى المخيّلة والقلب، كأنها تستعيض عن غيابه بحضور رائحة تبغه المثيرة للأشجان:

عندما فارقتْ أنفاسُكَ الفضاء
أحسستُ بالبكاء
يعصف بى
يهزنى النشيج
فداعبتنى نسمة من تبغك الثقيل
تمسح عن قلبى العويل
ونحوها مضيت لاهثة...

وإلي الآن، ما تزال مليكة العاصمى تتابع فى قصائدها تلك العلائق المثيرة، الملتبسة، المستحيلة فى غالب الأحيان، بين المرأة والرجل، بين النزوة المشتعلة، الجسدانية، والحزن المترصد بالعواطف الملتهبة.

ومن النبع نفسه، تستقى فاطمة محمود قصيدتها «ذبذبة مقدارها أنتَ». إنها قصيدة صادرة من امرأة «كُليّة» تلاحق مشاعرها وتمردها علي جميع المستويات: انطلاقا من الجسدَ والحب ووصولا إلي الحواجز التى تقتل الأحاسيس الجميلة وتفرض الوحشة المشتاقة إلي حبيب يعيد تشكيلها:

أطرافِي تفرغِ منك
شىء يستَلّكَ من
نخاعى ويحشونى

بالوحشة.
تأتى الريح
تدحرج فراغها
وتأخذنى حقلا من رماد...

وقد تكون قصيدة «شيزوفرينيا» لربيعة جلطى تشخيصا لحالات المرأة العربية الحديثة التى رفضت الحجْر والوصاية والصمت، لتواجه العالم الصاخب، المرعب، وتغطس ذاتها فىَ واقع مجتمعاتها الخاضع لسلطة الذكور وسلطة التقاليد العتيقةَ الخانقة... ويأتى صوت القصيدة ليعلن بأن المتحدثة وجدت نفسها قد انقسمت إلي شطرين، إلي اثنتين لتتمكن من الاستمرار وسط التناقضات والإرغامات، وبين الصورة ـ الأصل، والصورة التى تشبه الأصل المفقود، تعيش الشاعرة متنقلة بين عالمين:

صرتُ شارعين
يطل الأول علي المشمش والنرجس
وصباح القصائد
يدخل بحيرات اللغة
وآخر
مَنْ علق اسمه بالأفق ولون الخبز
مَنْ سيّج بوجهه جميع الجهات
مَنْ أحكم بأنفاسه غلق جميع الدوائر
كاد يخنقنى

ويأتى صوت غنية سيد عثمان صريحا، متمردا علي المواضعات فى قصيدتها «أتمادي فى البلاغة والصمت»، لأنها تريد أن تذهب بعيدا فى تجلية ذاتها ومحاورة ما تختزنه الذاكرة والجسد. ومنذ البدء، تتساءل: «هل لى الحق أن أعشق نفسى قليلا وأغزل بعض الكلمات».

وفى استعادتها لأحلامها ولعشقها، ترسم صورة للعلاقة التى تتمني أن تكون واصلة بينها وبين من تُحب، فتتدفق الكلمات متقطعة صارخة:

«تنتابنى رعشة غربية/مزيج من الفرح والخوف/الإقدام/التردد/يختفى وجهك فى المجهول. ها صوتك يأتينى/يخترق الأزمنة وحكايات شهرزاد/ أحبك تعالى يا ربيعى الأزرق/ حدائقك أينعتْ تفاحا وزمردا وروايات سأكتبها عشقا لطفلة فى الثامنة والعشرين/عمرها نسمة/ظلالها متعبة وقيدها ذهول..».

مع قصيدة «حالة حمل» لزينب الأعوج، نخرج من استبطانات الذات وآلامها العشقية، إلي محاورة أشمل لواقع يُمعن فى التردى وتزييف القيم ووأد الأحلام:

دمٌ هى المواكب
فى كل الساحات
حزن هى المساحات

تحمِّل الأطفال أثقل الشعارات
نعش هناك يستثمر الجنازات
أَلْبسوه الأزرق والكاكى
وألوان الظلمة
فأية ديمقراطية
هى ديمقراطية الجنرالات؟

وخيبة الأمل فى ثورة المليون شهيد، تجد أيضا صداها عند نجاح حدّة فى قصيدتها «فى موسم الحزن المكثف» التى تستعرض صورا قاتمة يخيّم عليها الحزن، لأن الأشياء لم تتغير إلي الأفضل، ولأن القيم أمعنت فى التدهور:

فى موسم الحزن المكثف
ما سوّينا اختلافات القبائل
فى موسم الحزن المكثف
ما قطفنا غير ظل الشمس يجرى فى اتجاهه غير عادل
فى موسم الحزن المكثف
ما حوَّلنا اتجاهات الجداول...

وتعمد جميلة الماجرى فى قصيدتها «محاريب القمر» إلي استيحاء إبداعات النساء القيروانيات اللائى ينسجن الزرابى الجميلة من خلال زواج خلاب للألوان يجسّد رهافة أرواحهن، كأن الزرابى تنطق بلغة العشق الكامنة فى قلوب الناسجات وهنَّ يرتلن صلواتهن فى محاريب القمر:

للقيروانيات إن أَلْغزْن أسرار الهوي
هذى التعاريج التعاويذ العجيبة قد أتت
وكأنهاعقدُ نفثن وما أَثمْنَ.. فللهوي
أحكامه... وطقوسه مرسَومة
فى النمنمات وفى تواشيح الرُّقي
قمر ومحراب ووشىٌ بربرى
ومتاهة تلوَ المتاهة...

مع الشاعراَت الثلاث: وفاء العمرانى، ثريا ماجدولين، الزهرة المنصورى، نعود إلي الذات بمعناها الواسع والعميق حيث تتخذ كل شاعرة من استكشاف ذاتها سبيلا لاستكناه خبايا الأعماق وشجونها المستعصية علي اللغة... ففى «فتنة الأقاصى» لوفاء العمرانى، تغدو القصيدة مواجهة بين الشاعرة وذاتها وطموحاتها المتفجرة والتى تريد الاقتراب منها بقدر ما تقترب من الصور والكلمات المانحة للنص وجوده... تبدأ متمردة، ممتلئة بالرؤي و «مترعة بالصعود» ثم تتوقف قليلا لتقول لنا:

قسوة أن تُقيم علي ذُري القصيدة
وتغادرك شهوة الكتابة!

ثم سرعان ما يجتذبها صوت الأعالى يستحثها لتواصل السير والرقص، فتعاود القصيدة إيقاعها المتسارع، النابض، المتلهف:

أخفُّ أخفّ/يتزيَّا بى الهواءُ
يطاولنى العلوّ
يهدينى رحيلى إليك...

فى المقابل، يأتى صوت ماجدولين متدثرا بالشجن والكآبة والحنين، لأنها تحاول فى قصيدتها «جذوة الحلم» أن تستعيد اللحظات الباقيات من مكان كان مزهرا، ممتلئا بأحلامها وأحلام أَحبَّتها... تعاين الشاعرة موت العواطف والأشياء، لكنها تتذكر استمرارية الحياة عندما يكون هناك تشبث بالحب وبالشعر وبالحلم:

ويسكت الكلام عن الكلام
وترحل عن وجهى دهشة السؤال
ويبقي المكان هادئا
كنورس فى الفضاء...
فجأة ترحل
فجأة تعود
كالشمس
كالريح
كالبكاء

ومن النسغ نفسه، تستمد الزهرة المنصورى فى قصيدتها «غفوة الماء» صورا متقاطعة للحزن والوحدة والتطلع إلي الحب. والقصيدة علي لسان رجل يخاطب معشوقته التى تحوّلت إلى رمزٍ يمازج الطبيعة والوجود ولحظات الانتظار، ولحظات التحوّل:

كما مَوْتَي يُزرعون فى مزهريات الأرض دون أن يفشوا
نزيف الندى... أرحل فيك
علّنى أغدو شيئا آخر غيرىَ
علّنى أفسح التاريخ ثانية، وآوى إلي نسغه المسيَّج
بالأسماء
(...)
وحين أغادر جسدكِ الفاحم بالعزلة
والمنفَي
ينضب الحلم من أسوارى...

لاشك فى أن هذه القراءة المختصرة للقصائد المختارة، قد أوضحت بعض الفروق بين الشاعرات المستندات إلي الاتجاه الكلاسيكى، وبين الشاعرات المنضويات تحت لواء الشعر الحديث وقصيدة النثر: فى النمط الأول، سادت الموضوعات المألوفة من عتاب وتحسّر علي الماضى واستنهاضٍ للهمم... بينما فى النمط الثانى، نحس بزوغ صوت المرأة المتجه إلي نَسج التفاصيل وتشخيص التجربة الذاتية والبحث عن لغة متميزة. وهى قصائد تفسح المجال أمام اشتهاءات الجسد وعذابات الروح، وأحزان الحب. وبذلك فإن هذه

القصائد التى لا تلغى الذات، هى أيضا إعلان عن وجود المرأة المغاربية وحضورها، من خلال التعبير الشعرى الجرىء الحامل لتوقيعها الذى لا يريد الاكتفاء بما يكتبه الرجل نيابة عنها .

2. القصة

من بين أربع وعشرين قصة المدرجة فى المختارات، نجد أكثر من عشر قصص تتميز بطابعها الشخصى وسردها المتنوع وجرأة موضوعاتها. وإلي جانب ذلك، هناك نصوص تندرج ضمن القصة التقليدية شكلا ومضمونا، مثل: «الضحية» لمليكة الفاسى، و «أنا والفقر» لناجية تامر، و «جنت مرجانة» لحياة بنت الشيخ، و «امرأة وصور» لفاطمة سليم، و «الصعب» لشريفة العرباوى.

لأجل ذلك، سنقصر تحليلنا علي القصص التى تتصف بكتابة تجريبية وبتعبير عن لقطات ومشاهد ولحظات لها أبعاد وجودية، ترمى إلي استكناه النفس وخباياها فى خضم التحولات وأجوائها القلقة.

لعل «رصاصة الرحمة» لفاطمة محمود، هى القصة الأكثر تجريبية، لأن بنيتها متشظية، متداخلة، متنقلة بين فضاءات متباعدة، وكأنها تعتمد طريقة اللقطات السينمائية. وتأتى الكتابة الشذرية، المتراوحة بين السرد المقتصد واللغة الشعرية المجنحة لتضفى علي القصة طابع النص المفتوح علي مقامات وأجواء شتي. وعناصر القص محدودة، لأنها توظف امرأة هى معشوقة السلطان التى تطل من النافذة علي البحر، وطفل يطرح أسئلة غريبة ومحرجة، والسيد الرقيب الذى يمارس سلطته بتتبعه للكلمات والعبارات المنافية للأخلاق وحساسية السلطان. ولاشك فى أن إدماج الرقيب فى القصة وجعله مواكبا لكتابتها، قد حقق طابعا باروديا ساخرا يتلاءم مع مضمون النص الرافض لتشيىء المرأة واختزالها إلي مصدر للذة.

وتنحو قصة «المساء الأخير» لخناثة بنونة، أيضا، إلي تكسير السرد المألوف، لأن الكاتبة تكتفى بتلميحات وإشارات لتصور امرأة فى لحظة ألم وشعور بالخيبة تجاه زوجها الهارب إلي العربدة والمغامرات وسياقة السيارات. ويزيد من ألمها، أن ابنتها تريد الرحيل والابتعاد عن مناخ التوتر الدائم بين الأم والأب. ويبقي صوت الزوجة/الأم هو الذى يتذكر ويحكى من خلال نُتَف غير متعاقبة:

« ...كل شىء يجب أن يتبدل. ألم يتدخل الموت؟ فشىء ما من هاته الاعتقادات اعتقاداتى، يجب ألا تُجرَّم من جديد. وقررت: الخير الحقيقى أن أكون حازمة، وأن أخفى الوجه الفاتك لعواطفى. العواطف، الفتك، الحزم، الاختفاء والعواطف المتزنة... كل ذلك ماذا أَنتَج؟...».

إلا أن هذا الأسلوب المتكسر، يؤول أحيانا إلي نوع من الخطاب المباشر الحاجب للإيحاءات الملتبسة التى تضيف إلي دلالات القصة وتأويلاتها.

وتطالعنا ثلاث قصص تستوحى موضوع الغُربة من منظور المرأة وتعبّر

عن تجلياتها في لحظات مختلفة: نجد رفيقة الطبيعة في «الغرباء» تحكى عن رجل وامرأة ممددين علي السرير داخل غرفة مغلقة. وبرغم أن السرد هو بضمير الغائب، فإن المرأة تتدخل من حين لآخر، لتلقى الضوء علي غُربة موجعة وجميلة تتألق بأعماقها، في ما الجسدان ملتحمان. وهى إلي جانبه لكن وعيها ينقلها إلي «الهناك» لأن المضاجعة تذكرها بعملية مضنية وهى تطمح إلي المستحيل المتمنع، إلي ما يتجاوز هذه اللقاءات العابرة مع عشيقها الغريب الذى يؤول إليه تحديد طبيعة العلاقة: أن يكونا أصدقاء! وعند الوداع يقول لها: «سنشتاق بعضنا عندما نلتقى». ومن خلال جملته، تحس أن كل شىء مات واندثر. لا يمكن لشىء أن يتكرر، والغُربة قدرها. وأعتقد أن هذه القصة ناجحة ومتناغمة شكلا ومضمونا وما تزال تحتفظ بطراوتها ونفاذ رؤيتها برغم مرور ثلاثين سنة علي كتابتها.

وفى الاتجاه نفسه، تأتى قصة «الزحف» لنعيمة الصيد، تصويرا لمشاعر الغُربة والتغرُّب التى تفرضها علاقة الحب المستحيل. فالقصة تحكى عن امرأة مختلية بعشيقها المتزوج داخل غرفة، يتساقيان كؤوس الحب وطقوسه الشبقية... ومن حين لآخر، تتذكر المرأة الأخري، الزوجة، فتسأله:

«أينا ألذّ، أنا أم هى؟».

وهى تعرف أن جوابه لن يغير جوهر علاقتهما، فتصمم علي أن تستمر فى غربتها عبر هذا الحب المستحيل:

»ضغطت علي شفتيها. نهضت وأسرعت إلي الباب لا تلوى عليه. لن تقبله فى هذه المرة. ودعته بنظرة طويلة، طويلة، دونما إشارة أخري. حملته بين أجفانها كاللقطة من خلال عدسة المصورة... ثم فتحت الباب وانصرفت».

وتيمة الغربة تطالعنا أيضا فى قصة «تهاويم ليلة باردة» لزهرة زيراوى. إنها تحكى عن رجل وامرأة متعارضين فى طبعهما وحساسيتهما: هو شهوانى ميَّال إلي الشرب والاستمتاع، وهى متصوّفة شاعرية المزاج. ولأن العمر تقدم بها قليلا، فإنها تلجأ إلي قراءة النفرى وإلي مناجاة زهور الخابور... والحوار بينهما دائما متعثر. عندئذ قررت أن ترحل متدثرة بغربتها.

وتعتمد قصة «أحزان قديمة» لخيرة الشيبانى، علي بناء القصة داخل قصة أخري، لأن الساردة التى تربطها علاقة بماجد المتزوج، تتعرف من خلاله علي أبى نافع الذى يخبرها بأن له بنتا تشبهها. وكان أبو نافع يحكى للساردة عن حياته ورحلاته إلي أقطار العالم، فكانت تجد فيه ملامح أسطورية تفتقدها فى حياتها الواقعية الغارقة فى حصص التعليم وفى انتظار مواعيد مع رجل متزوج. وكل ما كانت تعيشه لا يستطيع أن يدفع عنها وحدتها فى آخر الليل:

» استقبلتنى وحدة منزلى، وضمنى فراش بارد. كنت أسمع زخات المطر رتيبة علي بلَّور النافذة. حاولت أن أخدع حواسى فلا أسمع توقيعات المطر وصوت المنبِّه (...) وشددت رأسى بين يدى، ثم غيرت وضعى من السرير.

هالتنى المساحات الفارغة وتحسست مكان... وكبتُّ رغبة، وانتفضت فى سريرى، وضجَّت أعصابى... بدأت أختنق...».

وتلجأ عروسية النالوتى، فى قصتها «ينفجر القطار ذات مساء» إلي مزج السرد بالمسرحة وإلي التعبير بالفصحي وبالعامية فى تجاور يُبرز دلالة السياق. تشخِّص القصة حالة انتظار داخل مناخ كابوسى يتجلي فى لقطات مختلفة ويُضفى الخوف علي المنتظرين الذين اكتفوا بالتفرّج علي أبطال مزيفين... وشيئا فشيئا يعمُّ الشعور بالعجز عن الفعل والانتظار لانفجار القطار.

ويطالعنا المناخ الكابوسى أيضا فى قصة «الحلم والكابوس» لزهور ونيسى. إلا أن أسلوبها يختلف عن أسلوب النالوتى، لأنها تظل قريبة من الواقع وما يُفرزه من مفارقات. إنها تحكى عن موظف مثالى حريص علي أداء عمله بنزاهة وإخلاص وروح ثورية... لكن الموظف يُفاجأ بالمدير وهو يعلن له استغناء الإدارة عنه. وبين ثنايا السرد نجد تأملات ترميزية تقارن بين أوانى النحاس الأصيل والنحاس المزيف والإحساس بأن هذا الأخير أشبه ما يكون بأثاث قديم.

ونلمس عند حفيظة قارة بيبان، فى قصتها «الدائرة»، نزوعا إلي التجريب الشكلى. فقد جاءت القصة مُقسَّمة إلي أربع فقرات تحمل عناوين فرعية: أيام ماضية، كابوس، مولد نسيان، الدائرة. ونفهم من النص، أن الساردة، إلي جانب كونها كاتبة، فهى تناضل فى العمل النقابى وتتحدي المسئولين، وتحلم بالتحرر... تناضل وتهمل جسدها وصحتها، وتُفاجأ بأن الطبيب ينبهها إلي ضرورة إجراء عملية وأشعَّة ليزر. ويجثم عليها الكابوس، إلا أنها تواصل التعلق بالحياة وهى مأخوذة فى «الدائرة» بين عتمة وضياء. ومن خلال الأسلوب الشعرى المُجنَّح وصور الطبيعة الممتزجة بالسرد، أضفت الكاتبة علي قصتها التباسا يعوّض الحبكة ويفتح النص علي تأويلات متعددة.

وتحمل إلينا قصة شفيقة الساحلى «امرأة تعترف» صوت امرأة عاشت تجربة حب وفشلت فيه لأن حبيبها خدعها... لكنها أمام هذا الفشل لم تستسلم وقبلت الدخول فى تجربة ثانية، متحدية المجتمع والنساء المحافظات. وتتوفّر الكاتبة علي قدرة فى السرد وصوغ الحوار.

تتميز قصة «علاقة» لنافلة ذهب، ببناء محكم ولغة دقيقة مقتصدة، واحتمالات دلالية متعددة.

قصة «علاقة» واحدة من قصص مجموعة الصمت (١٩٩٣) التى تتوخى الكاتبة فيها أن تنسج تنويعات حكائية حول تيمة الصمت وتجلياته المتباينة. ونجدها، هنا، تحكى لنا عن رجل يعمل محاسبا بسيطا ويعانى من الوحدة والملل، فيلجأ إلي إدمان قراءة الروايات البوليسية... وذات مساء، وهو مستغرق فى القراءة، طرقت بابه فتاة جميلة تستنجد لأن أحدا يطاردها. سمح لها بالدخول، وخلال لحظات اللقاء القصير، غَيَّر كل من الرجل

والمرأة شخصيتيهما، فزعمت بأنها طالبة بكلية الفلسفة، وأدعي أنه مدير مكتب للنشر. وبدأ بينهما حديث ودى أنعش روح الرجل المتوحد. لكن سرعان ما داهم البوليس المنزل لأنه كان يتعقب المرأة السكرانة! سحبتها الشرطة فعاد الرجل إلي وحدته وإلي رواياته البوليسية.

هل يتعلق الأمر بالقلوب التى تضل الطريق إلي الروح التوءم؟ أم بتلك القوانين المسلطة علي الناس بدون رحمة لتحرمهم حتي من العلائق العابرة التى تبدد وحدتهم وتدفع عنهم السأم؟

وتنقلنا قصة ليلي أبو زيد «رحلة» إلي أجواء الطفولة والشيطنة والمرح. فهى تحكى عن زيارة قامت بها ابنة عم إلى منزل رقية، وكانت علاقتهما لا تخلو من اعتداد الطفلتين بشخصيتهما. وطلبت أم رقية من ابنتها أن تأخذ ابنة عمها معها إلي الحقول لجمع الزعتر. وخلال الجولة التى قادتهما إلي قبو المؤونة، أخذت الزائرة الحمص من أحد الأكياس، إلا أن حمصةً تسللت إلي خيشومها وكادت تخنقها، لولا أن إحدي النساء اقترحت عليها أن تتناول حشيشة العطَّاس لإخراج الحمصة. ويتميز السرد فى القصة بالسلاسة وروح الفكاهة.

ويجرى مشهد قصة «جناح للريح» لربيعة ريحان، داخل الطائرة حيث تحكى الساردة عن لحظات الخوف التى عاشتها خلال الرحلة. وفيما هى مستسلمة لهواجسها، اقتربت منها امرأة لتكاشفها بخوفها من ركوب الطائرة ولتقول لها إنها تستعين بترتيل آيات قرآنية لا تحفظها جيدا... وكان الرجل الجالس إلي جانب الساردة يتسمَّع إلي حديثهما ويهز رأسه مستنكرا! استطاعت قصة «جناح للريح» من خلال الحوار واللغة الدقيقة، أن تُشخِّص لحظة إنسانية قد يصرّ الكثيرون علي تجاهلها والتعالى عليها.

وتغمرنا «مذكرات القاعة رقم ٣» بمشاهد حزينة، أسيانة، تنحدر من تجربة الساردة فى أثناء إقامتها فى المستشفي، فقد ربطتها علاقة صداقة بطفلة مريضة اسمها غزلان لم تصمد أمام مشرط الأطباء، فرحلت وتركت الساردة تسترجع تلك التجربة. وتبدأ القصة وكأن الساردة تطلّ علي العالم من داخل القبر فتبصر الأحياء فى حركاتهم وتنقلاتهم، ثم تعود إلي المستشفي لتستعيد كلمات وحركات غزلان قبل رحيلها.

ونجد عائشة موقيظ فى «بِرْد دسمبر» تسلك طريق القصة التجريبية المعتمدة علي الفقرات، والكتابة الشذرية، والتنقل بين ضمير الغائب وضمير المتكلم. تقوم هذه القصة علي خمس فقرات معنونة: الغريمان، الموظف، المساء الأخير، قارع الطبل، الأسماك التى لم تكبر. وكل فقرة تحكى باقتضاب وتلميح عن أشياء وأجواء متباعدة. لكن هناك فقرتين وردتا بضمير المتكلم، وفيهما إشارة إلي أن الساردة تبينت أن قصة حبها جاءت كاذبة، إذ لم تعُد تقوي علي النظر فى عينىْ منْ كان إلي جانبها. هل برد دسمبر هو المسئول عن ذبول العواطف؟ تقول الساردة:

«الريح الخفيفة لا تكفّ عن تمويج صفحة الماء. وأنا، أنا التى تطلّ الآن علي

حوض الأسماك الصغيرة من كل هذا العلو، أشعر بقشعريرة لذيذة تحتك بالعظام، فأضم إلي حواشي المعطف الوردي وأفكر: يلزمها قليل من الدفء فقط، كي تكبر، هذه السميكات القديمة».

يتكوّن لدينا انطباع، بعد القراءة، بأن القاصة تقدم عناصر ضمن بنية مفتوحة ليؤلف القارئ من خلالها، قصةً أو قصصا.

وفي تركيب تجريبيّ أيضا، تقتحم لطيفة باقة، في قصتها «زَازيا»، أغوار النفس وأحلامها وهواجسها السوداوية... زازيا هي صديقة سرية للساردة ابتدعتها واحتفظت بها من حكايات كانت ترويها لها أمها. وكل من الساردة وزازيا تتخوفان من الذين يرمون بأنفسهم من نوافذ الآخرين. والساردة، بدورها، كانت تنتابها لحظات مظلمة فتريد أن تقذف بنفسها من النافذة لولا الحلم. اكتشفت الساردة أن الحلم ضروري لأنه هو الذي يُسعف زازيا، قرينتها، علي الاستمرار في الوجود؛ لذلك تضع يدها في يدها وتستسلم للحلم الذي يخفف يأسها... هكذا تصبح القصة فضاء لأحلام متوازية ومشاهد شعرية تفتح كوىً من ضوء حيث العتمة سائدة.

لقد اقتصرنا، في تحليلنا، علي القصص التي تحمل سمات مميَّزة شكلا وموضوعا، ومعظمها تستوحي الحالة الصعبة، الملتبسة، لعلاقة امرأة برجل متزوج، أو تصور مشاعر المرأة وهي تكتشف أن مغامرة الحب التي عاشتها كانت قائمة علي الخداع والكذب من الجانب الآخر... لكن هناك أيضا قصصا استوحت حالات إنسانية واجتماعية، مثل قصص ليلي الشافعي، وعروسية النالوتي، وحفيظة قارة بيبان، وزهور ونيسي. والقصص التي كانت موضوع تحليلنا هي المندرجة ضمن كتابة قصصية تنحو صوب التجريبي وتكسير السرد التقليدي، علي نحو ما هو متبلور في القصة العربية منذ السبعينات. وإذا لم تكن هذه القصص المحللة قد حملت جديدا علي مستوي التركيب الفني، فإنها نجحت في الملاءمة بين الشكل الجديد وبين المشاعر الخاصة للكاتبات، وهو ما أتاح لذات المرأة المغاربية، في هذه النصوص، أن تسمعنا صوتها وردود فعلها وهي ترتاد مناطق استبطان النفس ومناطق المواجهة مع تقاليد المجتمع الموروثة .

3. الرواية

لا يكاد عدد الروايات التي نشرتها كاتبات مغاربيات يتجاوز خمسا وعشرين رواية. وقد تعود قلة الإنتاج، في هذا المجال، فضلا عما ذكرناه، إلي كون الرواية تقتضي نَفسا طويلا وتجارب حياتية غير خاضعة للرقابة المفروضة علي المرأة. ومهما يكن، فإن الكاتبات قد اتخذن من الرواية وسيلة لتشخيص رؤيتهن وسرد قصصهن ومغامراتهن. وقد كانت الروايات الأولي التي صدرت في المغرب علي التوالي: الملكة خناثة، النار والاختيار (١٩٦٦)، غدا تتبدل الأرض (١٩٦٧)، تستوحي التاريخ أو الموضوعات

الاجتماعية، ولم تكن تتميز بالتجديد لا فى الشكل ولا فى المضمون. وهذا الاتجاه التقليدى فى كتابة الرواية، استقطب، إلي حدود الثمانينات، معظم النصوص التى صدرت، بعد ذلك، فى ليبيا (مرضية النعاس)، وفى الجزائر (زهور ونيسى)، وفى تونس (زكية عبد القادر). ومنذ الثمانينات، بدأت تظهر روايات متميزة فى شكلها ومضمونها وتستوحى ملامح ذات خصوصية من تجارب وحياة المرأة المغاربية. وأهم هذه النصوص هى مراتيج (١٩٨٥) لعروسية النالوتى، رجل لرواية واحدة (١٩٨٥) لفوزية شلابى، زهرة الصبَّار (١٩٩٠) لعلياء التابعى، نخب الحياة (١٩٩٣) لآمال مختار، ذاكرة الجسد (١٩٩٣) لأحلام مستغانمى، تماسّ (١٩٩٦) لعروسية النالوتى، الرجوع إلي الطفولة (١٩٩٧) لليلي أبو زيد.

والتحول الملحوظ فى الرواية المغاربية النسائية، هو ارتياد مجال العواطف والمواقف الملتصقة بتجارب ذاتية، وذلك من خلال استعمال تركيبات فنية متطورة مثل تلك التى نجدها فى الروايات العربية الحديثة (تقنيات تداخُل الأزمنة، وتعدد الأصوات والضمائر، واستنطاق اللاوعى، وتوظيف الذاكرة الفردية...).

من هذا المنظور، نجد أن روايات المرحلة الأولي، عند كل من خناثة بنونة، وزهور ونيسى، ومرضية النعاس، وليلي أبو زيد، تظل مشدودة إلي المناخ الاجتماعى التقليدى وإلي أجواء الكفاح الوطنى والمثُل العليا التى شكَّلت مرجعية المرأة المغاربية إلي حدود السبعينات. ومن ثم، فإن معظم الشخوص النسائية لتلك النصوص الروائية ارتبطت بالمرأة التقليدية وبمشاركتها فى الكفاح وتدبير شؤون البيت والحفاظ علي القيم العائلية المكرَّسة... بينما نجد النصوص الجديدة تتجاوب مع التحولات المجتمعية المتسارعة بعد الاستقلالات، وتُظهر تأثيراتها علي وضعية المرأة وعلي الوعى النسائى الذى بدأ يعبِّر عن نفسه من خلال خطاب يناهض الوصاية الذكورية.

ولعل هذه التحولات المجتمعية وما حملته من إذكاء للوعى النسوى، هو ما أفسح المجال أمام ظهور «بطلات إشكاليات» فى الرواية المغاربية الجديدة التى كتبتها نساء. وقد نعتبر هدي، بطلة الغد والغضب نموذجا للبطلة الإشكالية التى تريد تحقيق ذاتها وفق قيم تفتقدها فى المجتمع وفى سلوكاته الموروثة، ومن ثم شعورها بالغُربة والحرمان لأن العلائق القائمة لا تسمح لها بممارسة حريتها وحضورها الفعلى داخل مجتمع يدير ظهره لأسئلة المرأة وتطلعاتها...

فى روايات هذا الاتجاه، تتسع الفضاءات لتشمل المقهي والشارع والحانة والسجن وعواصم غربية ترحل إليها بعض البطلات. وعلي مستوي الشخصيات، نجد أن تصويرها يعتمد علي استبطان النفس واستحضار الغرائز والأحلام والرغائب، أى مجموعِ العناصر التى تساعد علي تخصيص ملامح الشخصية والتقاط سماتها المميِّزة. وفى هذا الصدد تطالعنا صفحات عديدة تعبر عن الرغبة والشهوة بمعناهما العميق لدي المرأة المغاربية،

المراجع

I الشعر
(١) أمينة المرنى، قصيدة «عاشقة»، ألقيت فى «ملتقي العيون»، ٣ - ٤ ابريل ١٩٩٧.
(٢) إمباركة بنت البراء، ترانيم لوطن واحد، المطبعة الوطنية، نواكشوط، ١٩٩١.
(٣) مليكة العاصمى، كتابات خارج أسوار العالم، دار الشوؤن الثقافية العاصمة، بغداد، ١٩٨٧.
(٤) زينب الأعوج، مجلة «التبيين الجاحظية»، الجزائر، ١٩٩٠، ص١٠٧ - ١٠٩.
(٥) ربيعة جلطى، شجر الكلام، منشورات السفير، مكناس، ١٩٩١.
(٦) وفاء العمرانى، فتنة الأقاصى، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، ١٩٩٧.
(٧) ثريا ماجدولين، أوراق الرماد، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ١٩٩٣.
(٨) فضيلة الشابى، مجلة «المسار»، اتحاد الكتاب التونسيين، العدد ٩، ١٩٩١.
(٩) الزهرة المنصورى، مجلة «آفاق» العدد ٥٧، اتحاد كتّاب المغرب، الرباط، ١٩٩٥.
(١٠) جميلة الماجرى، ديوان النساء، الشركة التونسية للنشر، تونس، ١٩٩٧.
II القصة:
(١١) فاطمة محمود، مجلة «الفصول الأربعة»، العدد ٢٥، طرابلس، ١٩٨٤.
(١٢) خناثة نبونة، النار والاختيار، مطبعة الرسالة، الرباط، د.ت.
(١٣) زينب فهمى [رفيقة الطبيعة]، رجل وامرأة، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٩.
(١٤) نعيمة الصيد، الزحف، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٠.
(١٥) زهرة زيراوى، نصف يوم يكفى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٦.
(١٦) خيرة الشيبانى، مجلة «قصص» العدد ٢٩، تونس، ١٩٧٣.
(١٧) عروسية النالوتى، البعد الخامس، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٧٥.
(١٨) زهور ونيسى، مجلة «المساءلة»، اتحاد الكتّاب الجزائريين، ١٩٩٢.
(١٩) حفيظة قارة بيبان، فى ظلمة النور، منشورات «قصص»، تونس، ١٩٩٩.
(٢٠) شفيقة الساحلى، امرأة تعترف، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٤.
(٢١) نافلة ذهب، الصمت، تبر الزمان، تونس، ١٩٩٣.
(٢٢) ربيعة ريحان، مطر السماء، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٩.
(٢٣) عائشة موقيظ، مجلة «آفاق»، العدد ٥٨، الرباط، ١٩٩٦.
(٢٤) لطيفة باقا، من اختيار المؤلفة.
(٢٥) ليلي الشافعى، الوهم والرماد، منشورات الموجة، الرباط، ١٩٩٤.
III الرواية:
(٢٦) عروسية النالوتى، مراتيج، دار سيراس للنشر، تونس، ١٩٨٥.
(٢٧) ....، تماس، عيون المعاصرة، دار الجنوب للنشر، تونس ١٩٩٥.
(٢٨) فوزية شلابى، رجل لرواية واحدة، المنشأة العامة للنشر، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٥.
(٢٩) علياء التابعى، زهرة الصبّار، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩١.
(٣٠) آمال مختار، نخب الحياة، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.
(٣١) أحلام مستغمانمى، ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، ط١٢، ١٩٩٤.
(٣٢) ....، فوضي الحواس، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٨.
IVالسيرة الذاتية
(٣٣) ليلي أبوزيد، الرجوع إلي الطفولة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٣.

المغرب العربى الكبيـر

(أ)
الدراسة

(ب)
المنتخبات

(ج)
البيبليوغرافيا

اختيـار:

ناجية ثامر (تونس)

أنا.. والفقر..

كل شيء أعد علي أحسن ما يرام.. بعد أيام معدودة، سأصبح غنيا.. تذاكر السفر جاهزة لى ولزوجتى وابنتى الصغيرة وشريكى فى المشروع العظيم الذى بدأنا نخططه منذ عدة شهور... ستكون سرقة من صنف ممتاز، تفسح لها الصحف أولي صفحاتها، وستبقي حديث الناس مدة طويلة، وتحتار لها ألباب الشرطة وفرق مقاومة الإجرام.. كل ركن فى البنك درستة بدقة وإحكام مع صديقى البهلوانى، ولست أدرى كيف أتتنى الفكرة فى الإقدام علي إعداد خطة هذه السرقة الكبري.. لعل ذلك كان بعد مشاهدة الشريط الذى أعجبنى، فكان أن ذهبت إليه مرات أخري لأحفظ كل ما جاء فيه من حركات وسكنات وتصرفات...

فى الحقيقة كنت كثير التذمر من وضعيتى العائلية وضآلة راتبى، وأود لو أن الظروف تساعدنى علي تحسين حالى، ولو عن طريق السرقة، فلما أتيحت لى مشاهدة ذلك الشريط رفقة صديقى نبتت فى رأسى فكرة إمكانية تحقيق الأمل الذى كان يراودنى ويعذبنى...

هل حتّم علىّ أن أقاسى آلام الفقر، وأوصابه طول العمر؟.. أعرف أن السرقة حرام ولكن ليست السرقة وحدها محرمة، وكم من محرمات، يرتكبها الناس، وهم آمنون مطمئنون بالرغم من كونها أفظع من السرقة، ولا يلاقون بعدها أى عقاب...

هذا البنك المحصن، استطاع بطل الفلم أن يصل لفك أسراره، وتحطيم حصاره والتوغل فيه، والتحايل علي حراسه، حتي استولي علي مال الخزينة كلها، وكانت النتيجة إلقاء القبض عليه وإلقائه فى السجن، كما يحدث فى نهاية كل شريط للعبرة والموعظة ليقال بأن كل جريمة لابد أن يعاقب مرتكبها، ولو بسبب غلطة واحدة...

بطل الشريط لم يكن رفيقه بهلوانا كشريكى، لقد اختبأ فى ركن خفى، وأتمَّ الشريكان خطتهما كما ينبغى، بعد تخدير الحراس، وتحطيم الخزانة الحديدية والاستيلاء علي الأموال المكدسة فيها، ولكن لم يحسبا حساباً للخروج، ولم يجدا أى منفذ للهروب، إذ إن قضبانا من الحديد المشبك، هبطت علي الأبواب بطريقة أوتوماتيكية، ولم يكن الاثنان قد انتهيا إليها من قبل، ولم يكن فى وسعهما الهرب والهبوط من الجدران المرتفعة ومعهما حملهما الثقيل...

غلطة صغيرة أودت بكل الخطة التى وضعها الشريكان الذكيان، وكانت المهارة التى بذلاها فى الإعداد ومغافلة الحراس والاستيلاء علي الأموال، تجعل المشاهدين يمسكون أنفاسهم إعجابا ومهابة بدقة الدراسة وعبقرية الخطة، وقد انتبها للأبواب التى توصد للتغلغل منها، ولم يعرفا بأن هناك قضبانا مشبكة تنزل علي الأبواب بعد منتصف الليل، ففقدا الأمل فى النجاة، وقبض عليهما...

أنا سأراقب البنك ليلا ونهارا مدة عدة أيام، حتي أطلع علي كل صغيرة وكبيرة فيه، وعلي جميع التراتيب والإجراءات لأتحاشي مثل هذه الغلطة... سأقوم بما قام به بطل الشريط علي أتم وجه وسينزل البهلوان والكيس علي ظهره عن طريق الجدار المرتفع وأبقي أنا مختفيا فى ركن مظلم، لأخرج منه فى اليوم الموالى بكل هدوء واطمئنان...

بعد أيام قليلة سأصبح من الأغنياء المرموقين فى أحد الأماكن القصية، وسأقول للفقر الذى أضنانى وأسقمنى، وقصم ظهرى: «الوداع، الوداع» لا أرانى الله وجهك

بعد الآن »... لو كنت تمسك باليد، لأفرغت رصاصات مسدسى فى صدرك قبل أن أودعك...

جميع الأدوات والمعدات معى، والمسدس الصامت يلاحق جنبى فى انتظار إفراغ رصاصاته فى صدر كل من يعترضنى ومعى كذلك جهاز الغاز المخدر، الحيلة جاهزة لمغافلة الحرس...

هناك الحارس الذى يلازم الخزانة الحديدية، سيطلبه صديقى هاتفيا ليشاغله بمجرد أن يري نور المصباح الكهربائى من المكان الذى يخفيه... الإشارات ستتواصل بيننا علي عدة مراحل حتي يتم لنا النصر الأخير...

حين ينشغل الحارس بحديث الهاتف، سأتقدم إليه وأضربه علي نافوخه بقبضة آلتى الحديدية ولن أرتكب أى جريمة... لن أسفك قطرة دم، ولن أكون قاتلا... سأسرق لأعيش فى سعة ورفاهية، أما القتل فلا...

ها قد تمت الأمور كما خططناها.. إن مخرج الشريط قد درس كل شىء، ولا بد أن تلك الغلطة قد قصدها للفت النظر، وحسنا فعل، حتي ازداد انتباها وحذرا...

لم يبق إلا أن أشير بمصباحى الكهربائى لصديقى ليخاطب الحارس، وبعد دقائق سيكون ملقي علي الأرض بدون حراك، مقيد اليدين، كما فعلت بزميليه، وستفتح الخزانة بدون صعوبة كبري، وأضع المال فى كيسى هذا، وأسلمه من النافذة للبهلوان الذى سيتسلق الجدار بكل سهولة، ويكون فى انتظارى، وكان قد جرب هذه العملية عدة مرات...

علىّ الآن أن أشعل المصباح وأحركه ثلاث مرات.. ولكن ما بال جرس الهاتف يرن؟ من الذى يطلب الحارس فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل؟ أنا لم أعط إشارتى بعد... لأنصت إلي ما يقوله...

ألو.. ماذا؟ حالته تعكرت؟؟ أنت وحدك؟ سأري إذا كان من الممكن تكليف أحد من الزملاء لينوبنى.. لا تخش بأسا.. لا لن نفقده بعد أن بلغ السابعة من عمره.. سنحاول المستحيل لإنقاذه بإذن الله... سأحاول جلب الطبيب معى. الله معنا ومعه. أنا أستمع للحديث، وأراقب صديقى الذى كاد صبره يفرغ بدون شك...

ها أنا أحرك المصباح لإعطاء الإشارات المتفق عليها. لم يكن فى حساباتى أن ابن الحارس مريض وأن مرضه سيحدث خاصة هذه الليلة؟

الحارس ينظر نحوى دون أن يرانى، وقد ارتسمت علي وجهه سمات الفزع والألم. هاهو يجمع بعض الأشياء المبعثرة هنا وهناك استعدادا لمقابلة أحد الزملاء والتفاهم معه. إنه لا يدرى بأن هناك من يتربص به ويريد له الأذي. السارق وعزرائيل معا، إنه فى الخطر هو وابنه الصغير. ها هو الجرس يرن. علىّ الآن أن أتقدم وأضربه بقبضة الآلة الحديدية بمجرد أن ينشغل بالحديث. الآلة الحديدية الضخمة بيدى وها أنذا أتقدم بكل هدوء إنه ملتف بظهره إلىّ، ورأسه المنحنى تحت متناول يدى. من يدرى؟ أفلن تكون الضربة من الشدة بحيث تقضى عليه وتحرمه الحياة؟. ولكن ما لها يدى ترتجف؟ أين شجاعتى وإقدامى؟. لماذا أتخيل صورة ابنه المسجي علي الفراش، وبجانبه أمه المتلهفة الجزعة؟؟ لماذا تتراءي أمام عينى صورة زوجتى وابنتى التى يبلغ عمرها هى أيضا سبع سنوات فى مثل هذا الوضع تماما؟.

لو كان هناك أحد يتربص بى أنا أيضا، أفلن تترمل الزوجة وتتيتم الابنة؟..

الزوجة تنتظر الطبيب الذى لن يأتى، لأن الزوج سيصرع وسيبقي فاقد الحركة مدة ساعات، ولو لم يقتل لأنى لا أريد أن أقتل، ولكن قد ~~يلقي حتفه علي يدى بدون~~ عمد؟. والابن يعالج سكرات الموت فى انتظار دواء قد يشفيه، ولكن هذا الدواء لن

يأتيه. يا للعنة مالى ولهذه التصورات الجوفاء؟. صديقى ذكر أنه يطيل المحادثة معه ليعطينى فرصة طويلة. إنه سيشغله بأحاديث حتي يسمع صوت الضربة وأقول له أنا أستعد. إنه فى غاية من الذكاء والحكمة.

ولكن.. إن يدى ترتعش، وفرائصى ترتعد. أأكون من الثراء علي خطوة وتتمهد أمامى جميع السبل، ولا يؤخرنى عن ذلك إلا مرض صبى؟؟

هل أرضي لنفسى الفقر أبد الدهر، من أجل صبى لم أره فى عمرى؟ أين الشجاعة والإقدام إذن؟ مالى ولهذا الجبن والانهزام؟.. تقدم يا رجل، وإلا فستفقد كل شىء، ولكنى لا أتقدم.. إن قدمىّ قد سمرتا.

أنهى الحارس المكالمة الطويلة بعصبية وها هو ذا يخرج من الباب بدون أن تبدر منى بادرة لصرعه؟..

السرقة لم تتم.. كل شىء فى مكانه، والحرس الذين صرعهم الغاز الخانق، سيستيقظون بعد فترة ويستغربون مما حدث لهم. علىّ أن أبقي مختفيا فى مكانى إلي يوم غد، وسأخرج فارا بجلدى.

أما أنت يا صديقى البهلوان، فستتابع ألعابك علي الحبل، لكسب عيشك بكل مشقة وعناء.

الإشارات الضوئية الأخري لن تراها، وكيس المال لن تتسلمه من النافذة.. بعد قليل سيحضر نائب الحارس الذى خرج بدون شك، ولكنى لن أصرعه.. لقد فقدت كل ما لدى من شجاعة وحل بى الوهن...

غدا سنلتقى لنتحدث عن الفقر المزمن الذى عشش فى جلودنا ولم يشأ أن يبارحنا... هل الفقر هو الذى اختارنا، أم نحن الذين اخترناه؟. إن مرض الصبى هو الذى اعترض سبيلنا، حتي لا نتمتع بالثراء ونعيش فى رفاهية وهناء...

بؤسا لك يا فقر لقد لازمتنا أبد الدهر، والملايين المكدسة فى الخزانة لن تلمسها أيادينا...

أجل، الفقر، ولا موت الصبى، ذلك الصبى الذى هو فى مقتبل العمر.. من يقول لى بأن الحارس الجديد ليس هو أيضا أبا لعدة أولاد؟...

هكذا حكم علينا الزمن.. آه لنا من هذا الفقر، من هذا البلاء المزمن المتمكن فى كل خلية من خلايا أجسامنا...

سنعيش كالعادة، فقراء شرفاء. أما الثراء فقلما يكتب إلا لمن لا يحس ولا يشعر، ولا يؤخره مرض صبى مشرف علي الموت كما أخرنى أنا، ولا موت حتي ألف صبى...

فمرحبا بك إذن يا فقر.. إننا لن نفترق أبدا...

ناجية ثامر، مجموعة: تجاعيد، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٨، ص١٨ – ٢٤.

زهور ونيسى (الجزائر)

الحلم والكابوس

كان يحدوه أمل كبير فى أن يكون يومه هذا أكثر خيرا وبركة من الأيام الأخري، كيف لا وهو لا يتذكر أنه توقف عن العمل يوما من الأيام، حتي بسبب المرض، لقد كان يتغلب علي المرض بالعمل، ولم يحصل أنه استعذب كغيره من الموظفين – تلك العطل المرضية القصيرة، التى كان يتنفس من خلالها بعض العمال، هربا ببعض الراحة، من حالات القلق والتوتر الكثيرة المتنوعة الأسباب، والتى تصيب الإنسان

عادة.

خمس وثلاثون سنة وهو يعمل، فى جميع المجالات، كان لا يقدر علي رؤية نفسه فى غير مواقع العمل، يعمل دائما، يعمل وهو فى المكتب، ويعمل فى البيت ويعمل فى الشارع يعمل وهو صامت، فتجده يقدح فكره وعقله فى كثير من قضايا مجتمعه متأملا وضعه، آملا فى التغيير إلي الأحسن لكل ما يحيط به... يعمل وهو يتكلم، فكان لا يصدر عنه إلا ما يهز المشاعر، ويثير الأحاسيس الخيرة، ويشحذ الهمم، مدافعا عن المثل والأخلاقيات والقيم النبيلة، واضعا نفسه مسئولا عن إصلاح الأمة، حالماً دوماً بهذه المدينة الفضلي، التى استحقت فعلا تضحيات أبنائها عبر الأجيال، لم يكن يهمه ما كان يهم الآخرين غيره من جنوح للهو والمزاح، أو الترفيه عن النفس مرة بعد مرة، أو الهروب من التفكير فى العمل، وما يحيط به من جديات ومسئوليات، كان يعصر فكره وقلبه كل مرة عساه يصل إلي ما يساعد علي إخراج محيطه ومجتمعه مما هو فيه، من تخلف وانحراف ولا مبالاة، كان لاتقنعه التحاليل التى توجد الأسباب والمسببات، والتبريرات والتفاسير للسلوكات الإنسانية فى أى مجتمع، رغم ما كان يتمتع به من قدرات علي التفكير المنهجى والمنطقى... كان وكأنه لا يريد الخضوع للمنطق... إن المنطق فى حالة مجتمعه يعتبر استكانة وهروبا إلي الأمام، وقبولا للوضع كما هو عليه، لقد كان ثوريا ومايزال، ويريد أن يستعمل الثورة دائما فى كل تغيير، فمنهج الثورة عنده هو الذى أثبت جدارته، وصدقه، عندما أراد شعبه أن ينتصر ويتخلص من الاستعمار، فلماذا لا نبقي علي نفس المنهج فى البناء والإصلاح، إنه المنهج الصالح لكل زمان وفى كل الأمور، وإلا تجمدت الحياة، واضمحلت قواها الحية، لأن بذور التعفن تكون قد بدأت تنهشها، من الداخل لتقضى عليها فى النهاية.

كان الجميع يتهمه بأنه رجل حالم، وكان يرد عليهم: بأن كل النهضات التى عرفتها البلاد المتقدمة آنفا كانت أحلاما... جاءت من الأحلام، أحلام الأسوياء من أبناء الأمة، أحلام جميلة بناءة غير فاسدة أو هدامة، أحلام غير كوابيس، لأن الكوابيس غير الأحلام، إن الأحلام حالة صفاء روحى وسمو ذاتى مستشرف، أما الكوابيس فهى حالة تخمر جسدى، وتعفن مادى، يؤثر سلفا علي الروح والفكر فلا تخرج إلا كوابيس...



عندما خرج من عتبة باب العمارة التى يسكنها، كان التفاؤل يشد من خطواته، ويزيد من عزمه، تلقفته فجأة فضلات غبار وقاذورات جادت بها سجادة تنفضها إحدي نوافذ الجيران. رفع رأسه مندهشا، ليري وجهاً لا يتجاوز العاشرة، ينظر إليه، بابتسامة بلهاء، وانتظر أن يتفوه اللسان بكلمة اعتذار.. لابد أن البنية لم تكن تقصد الأذي، لكنها لم تفه بكلمة... بل إن ابتسامة الوجه الصغير زادت اتساعا، وكأنها تنتظر رد فعل غاضبا لتضحك أكثر..

لعبة لذيذة، مثيرة من الصبح...

يا فتاح يا عليم... يا رزاق يا كريم..

ردُّ فعله أن تقلصت قسمات وجهه... وكاد وجهه يتفجر دماً، ونفض عن رأسه ماعلق به، وكأنه النبى الذى لابد أن يؤذي لتنتشر دعوته...

حى قذر هذا الذى يسكن فيه، ولماذا هو حى قذر فقط، إنه حى مريض، وهل يصح ذلك؟ هل يصح أن يمرض حى بكامله؟ ولم لا؟ والمجتمعات أيضا، والدول كذلك... ليست هناك أمراض معدية تنشر وتتفاقم بسرعة... وتهلك فى النهاية الجميع...

ومع الخطوات بدأت أنفاسه تهدأ وتنتظم، وبدأ وهو يصل إلي مقر عمله وكأنه قد أصدر عفوا عاما عن الجميع، بدءا من نفسه ومن حوله، وما حوله...

– إن الذنب ليس ذنب البنت... ولا ذنبى أنا... ولا ذنب أبويها، ولا ذنب سكان الحى، ولا ذنب مَنْ هندس الحى، فجعله وكأنه مراقد للمساجين...

ذنب من إذن؟ ها هو قد رجع لمنهج المنطق الذى يكرهه ولا يقتنع به قط... إنه الوحيد بين زملائه وإخوانه فى الكفاح الذى بقيت نفسه ثائرة، لا تلد سوي الأفكار الثورية...

– مالك أيها الرجل... أتريد أن تحمل هموم الدنيا علي عاتقك؟ مالك وللتقادم والتخلف... لعلك تريد تغيير سلوكيات غيرك وحدك؟ ومن أنت حتي أراك كل مرة تغلى كالقدر التى لا تطبخ إلا الحجارة... صاحب كل حمام يحميه، ويكفيك ما قدمت فى حياتك من جهد وتضحية، انتبه لنفسك، وحياتك، وأصلح وضعيتك الاجتماعية، واستكن للحياة الهادئة الهنيئة المريحة... كما يفعل الجميع

– إنك فى الآخر لن تربح غير ذلك... وكونك عملت أو فكرت أكثر منا، فذلك ليس مقياسا أو معيارا بأنك خير منا، أو لعلك تريد وساما؟

قالها له صديقه العزيز مرة واستوعبها جيدا واقتنع بها نظريا، ولكنه لم يقدر علي العمل بها أبدا...

– لعل كل ذلك ذنب التخلف...؟

– وما هو التخلف فى نظرك أيها الفيلسوف...؟ إن التخلف مجموعة من القيم المريضة حلت محل قيم أخري سليمة ونبيلة وجميلة، غابت بفعل فاعل، أو غيبت بفعل فاعل أيضا...

بسيطة جدا هذه التحاليل... ولم لا تكون بسيطة وفى الوقت نفسه صادقة وحقيقية... ألم تقل جدتى يوما:

«إن الإنسان بدأ متوحشا وينتهى كذلك.. وإن أحسن الأزمنة القرون الوسطي، القرون التى كثيرا ماضحكنا منها عندما اخترعت الكهرباء والهاتف... والسيارة بمحركها السريع...



دخل مكتبه. وصل قبل جميع زملائه، لقد كان دائما حريصا علي أن يكون مثالا حيا للنظام والانضباط، ولم تثنه يوما تصرفات زملائه الفوضوية واللامبالية بقانون أو تنظيم...

لقد كانت تصرفاته هذه المثالية لا تعجبهم، تزعجهم، تضايقهم لأنها تذكرهم بتقصيرهم وتكشف انحرافاتهم وكأنه ضميرهم الحى يمشى ويتحرك، وقد قرروا أن لا يكون لهم ضمير قط، أو علي الأقل لا يستيقظ ما دام يحرمهم من الكثير من الامتيازات والاعتبارات...

رتب أوراقه علي مكتبه... أخرج ملفاً بدأ يشتغل فيه، فكان لذلك فعل السحر فى نفسيته التعبة... والتى أثارت حيرتها وتعبها حادثة الصباح وابتسامة الوجه الذى لا يتجاوز العاشرة، والذى كان ينتظر رد فعل عنيفاً شتماً أو لطماً أو صراخاً ليضحك أكثر...

مرت ساعة، صفت فيها نفسه، وتسامت معنوياته، وبدا وكأنه أصدر عفوا عاما عن الناس جميعا حتي عن أفكاره...

وجاءه حاجب:

– المدير يريدك...

وقف متأهبا يعدل هندامه إن الظهور بالمظهر اللائق النظيف من شروط الانضباط والسلوك الحضارى...

– إن المدير مسئول عن نجاح العمل وتطويره، وإنه حتما سيطلب منه عملا آخر... يضيف لدواليب الإدارة تصورا جديدا يزيدها فعالية وكفاءة...

إنه رغم تواضعه يعرف قدر نفسه، ويقيم إمكاناته تقييما صحيحا...

ودق باب مكتب السيد المدير، ليسمح له هذا الأخير بالدخول، دخل وهو يقول مستعد وكأنه أمام ضابطه أيام الكفاح المسلح.

– أمرك سيدى المدير...

– اجلس يا...

لعله نسى – إن الموظفين كثيرون – أو لعله تعمد ذلك...

وجلس منفذاً أمر مديره، وقد تصور أن الأمر يحتاج لشىء من الشرح والتفاصيل، وفتح دفتره متأهباً لتسجيل ملاحظات مديره...

لكن المدير بادره قائلا:

«لقد عينت الإدارة إطاراً آخر فى منصبك ويؤسفنى أن أعلمك أن مهمتك بيننا قد انتهت»...

وكاد يرفع رأسه فى وجه مديره متسائلا، ولكنه لم يقدر علي ذلك... شىء فى داخله منعه من ذلك... ولم ينطق أيضا بأى حرف، لا بالعتب ولا بالدهشة ولا بالسؤال، نفس الشىء فى داخله منعه من ذلك، ولم يتساءل، ولو أن ذلك من حقه، بينه وبين نفسه: هل قَصَّر فى مهمة أوكلت إليه، أو عمل كلِّف به؟

نفس الشىء فى داخله منعه أن يفعل...

– هل الذى سيحتل مكانه أفضل منه، إن كان كذلك فلا بأس، فالمهم المصلحة العامة، ولم يخرج السؤال من قلبه... نفسه الشئ فى داخله منعه من ذلك.

– هل أن الذين قيموه، وقيموا أعماله وسلوكاته لم يخطئوا... إنه يعرف جيدا قيمة نفسه، ولم ينطلق السؤال من عقله، الشىء نفسه فى داخله منعه من ذلك، ما هو هذا الشىء؟

وقف متواضعا كعادته دون أن يرفع عينيه إلي مديره، شعر فجأة أنه أكبر من مديره... أكبر بكثير... رغم أن هذا الأخير كان يبحلق فى وجهه، وكأنه يتلذذ بردود فعله وهو يصدر حكمه عليه لكن الرجل بكبريائه يبدو أنه لم يحقق له رغبته.

خرج من المكتب... كبيراً متواضعاً، خطواته بدت ثابته، خطوات خمس وثلاثين سنة حبلي برصيد الخير والصدق والأمانة، وكأنها لم تتلق مالا يمكن أن يخطر علي باله، وهو الرجل الذى آمن بالمثل والمبادئ وراهن دائما علي انتصارها رغم كل شئ...

وعندما وصل إلي الشارع وجد نفسه هادئة، وكأن حملا ثقيلا قد انزاح عن كاهله، كان يدقق النظر فى كل المرئيات حوله، وكأنه يشاهدها لأول مرة... كانت الطريق متعرجة مليئة بالسيارات الرائحة والآتية، والمحلات علي الجانبين مفتوحة، محلات معظمها تبيع أثاثا قديما يحلو للبعض أن يطلق عليه عتيقا وكأن الكلمة الثانية تضفى قيمة أكبر، وصفة أدق وأنبل علي الشئ – ربما كان ذلك – فما كل قديم جميل ونبيل... كل أثاث يعبر عن عصر من العصور، وهناك من العصور ما بلغت فيه الحضارة الإنسانية أوج قوتها...

انتبه فجأة إلي أن معظم المحلات كانت تعرض أوانى نحاسية منقوشة. نقشت من جميع جهات الوطن وتأمل جيدا، لكل نقش جمال وتعبير ومعني، وهل هذه الأوانى العتيقة كلها عتيقة فعلا؟ أو كلها أصيلة فعلا؟ أم فيها الدخيل المحدث الذى

يقدم علي أنه تحف أثرية ذات قيمة وهو غير ذلك... ربما يكون ذلك، رغم أنه غش، ولكن الذين يسقطون فيه هم أولئك الذين لا يميزون بين الأصيل والمحدث، أو الجيد والرديء، لماذا إذن يغامرون؟ إنهم يفعلون ذلك ليضفوا علي أنفسهم ميزة العارف المتحضر... إن وصوليتهم توصلهم لكل شيء، تجعلهم قادرين علي شراء كل شيء بالمال، حتي الاسم والنسب والشهادة... ولكن أن يميزوا بين الغش والصدق فهذا مالا يقدرون عليه، فيقعون دائما تحت رحمة التاجر فإما أن يكون صادقا فيصدقهم أو يكون غشاشا وصوليا مثلهم فيغشهم... والتجارة صدق مرة وغش مرات...

هاهى الأوانى النحاسية تلمع بيضاء وصفراء وحمراء، تحكى حكايات الأحياء والمدن القديمة، فأين النحاس الحقيقى من بين كل ذلك، وأين العتيق النبيل من الحديث المصطنع، وبدا له جيدا أن قيمة الأشياء فى مدة قدمها، فى السنوات الطويلة التى عاشتها، فى التجارب الكثيرة التى حوتها علي مر الأيام، فى الأيدى التاريخية التى ملكتها واستعملتها... كذلك الإنسان تماما، ما قيمته إذا لم يكن شاملا لكل ذلك، وإذا لم تكن سنوات عمره مليئة بالأحداث والمعاناة والمكابدة، حتي ولو لم يعرف الآخرون قيمة ذلك...

نظر حواليه، هذه الدروب الصغيرة، والمنعرجات المخفية والسلالم الطويلة المتفرعة عن الشارع الطويل إنه يكتشف كل ذلك لأول مرة، وكأنها لم تكن موجودة قبل الساعة... ما الذى تغير فى الدنيا؟ بل ما الذى تغير فيه؟ هل هو الذى يولد من جديد؟ أم أنه لم يولد قبل اليوم أبدا؟

وتملكته رغبة جامحة فى أن يخترق هذه الدروب، وينزلق من هذه السلالم، وكأنه بذلك يريد أن يفتح عوالم جديدة يضيفها إلي عوالم أخري فى نفسه وعقله...

وتاهت نفسه مع الفكرة والرغبة ومسيل من الشفق يشهد علي غروب جديد، ودون أن يشعر تبعثرت جميع المرئيات بين عبراته... لقد تصور اللحظة أنه أثاث قديم لم تقدر قيمته، وأنه كصالح فى ثمود.

مارس ١٩٩٠

زهور ونيسى، «الحلم والكابوس»، مجلة «المساءلة»، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ١٩٩٢، ص ١٨٧-١٩٣.

زهرة زيراوى (المغرب)

تهاويم ليلة باردة

(١)

هكذا بدت المدينة، رابضة فى العياء والاجترار، فى فضاءاتها يحوم طائر خارج السرب. مطر أيلول يحيل الذاكرة علي أشياء مضت.

كغرف الأطباء المغموسة فى لجة من أضواء النايلون، كانت غرفة نومنا، وأنت ترقد إلي جانبى، تخرج من غطائك وتقف قبالتى تسألنى:

– من كان ينام جنبك؟...

كنت أنت تنام إلي جانبى. وكنت أنت قبالتى. كنتهما أنت وحدك معا.

الأغطية فوقى كلها كانت غارقة فى البياض. هناك فقط بعض ثنياتها ظلت مائلة إلي زرقة بفعل ظلال التكون، اعتقدتك فى الأول مازحا، ابتسمت، دفعتك من جانبى نحوك... نحوك أنت دفعتك، سألتك:

– ما تقول؟...

يسلمنى شرك إلي شرك، الآخر وأنا المقصودان، أعرف، هكذا ترتب اللعبة. الآخر ليديننى، وأنا ليجتث المبهم كل حصون قلعتى، رميت بالأغطية تحت. قلت: «تعال أيها الحجر نتعري معًا فى غرفة أكثر ضياء».[١]

(٢)

ينهمر الشلال علي جدار الفندق. الجدار تعرش عليه شجرة لبلاب. عازف القيثارة يعزف معزوفته، تغنى مرافقته، هو إلي جانبى يرتدى قميص «الكشاريل» يفتح النادل زجاجة خمرته. يسألنى رفيقى:

– تشربين...

قلت:

– لا

لماذا؟

– هكذا

عندما كان يتحدث عن أشيائه. عن خمرة (اتشيفازا) المعتقة وعن اقتنائها من المزاد العلنى بإحدي أسواق «جان زاك» بمليونى فرنك، كنت أنا أسند رأسى إلي كتفه، وانغمر فى رسم لوحة تسكننى، هكذا بدت اللوحة فى النهاية، امرأة تتمدد علي أريكة بنية قاتمة، تجعل رأسها بين ذراعيها وتشكل يداها انسيابا هادئا علي المخدة يشكل الانسياب رأس حصان يهادن المرأة، فى النهاية التحم جسدها بجسده لتبدو فعلا كأنها المرأة الحصان.

هكذا أنا/ هكذا هو.

شئ داخلى يقارن بينى وبينه، عندما كان يتحدث لم يكن يتحدث لى قطعا.

«هو قميص «الكشاريل» وزجاجة «اتشيفازا»

«وأنا الضاربة فى جسد النفرى».

ترددت فى أن أبقي إلي جانبه. كسرت هذا التردد عندما اعتبرته خارجاً عنى. سرت فى الطريق الممتد، وضعت يدى فى جيب معطفى، وأحكمت الياقة حول عنقى. الخريف يعلم أشياء كثيرة.

تساءلت:

– ثمة امرأة راحلة داخلى باستمرار، من يقنعها بجدوائية السؤال: – لماذا أنا هنا؟–

وأنا أسير فى الشارع الممتد قبالتى، أسعفتنى ذاكرتى، هكذا رأيت.. تقلنى طائرة زرقاء بخطوط صفراء. أقلعت من نافذة حجرة ضيقة، لامس ذيلها إطار النافذة، ولكنها أقلعت نحو الفضاء الواسع. قلت:

– إن من يملك قوة الضغط فى الداخل لا يبحث عنها فى أى نبيذ كان... لكن ما حدث الليلة، كيف يمكن تفسيره لى أنا علي الأقل؟...

قلتها وجاست يدى داخل صدرى تساءلت:

لماذا وضعت رأسى علي كتفه؟

تلاحقت الأشياء لا اتشيفازا، ولا الكشاريل ولا... ولا... القيثارة، الماء، شجرة اللبلاب، تأثيث المكان. كانت السطوة قادمة من شىء آخر. سلطة المكان هو كل ما أسندت إليه لحظة الضعف. عندما كنت أخرج وحيدة. كان الليل يعدو. وكانت الأشياء تتتابع. وكان كلب يخالف أرجله الأربع. يقبع فى وسط الطريق، يغرب عينيه لا مباليا.

بدا وحده خارج هذه اللعبة يضحك.

عندما كانت هى تطارد المدينة. كان هو يرتب زهوراً برية فى آنية الفخار، يبتعد قليلا وينظر إليها. ما يزال بعض النشاز.

زهرة الخابور كانت تحبها كثيرا. لا يعرف لماذا يأتى بها إلي البيت كل أسبوع. هل ذلك آيل إلي العادة؟... أم لأنه يثير داخله شيئا «ما»..؟..

يسل قسمات وجهها المشدودة من ذاكرته. يراها تفك أزرار «روب دى شامبر» وتلقى بها علي السرير. كأن خطوها مبرمجاً علي ضابط روبو. تتجه صوب الحمام تفتح الصنبور، تجمع أصابعها المرتعشة لتحتفن بها ماء. تبلع به حبات مهدئة.

– لِمَ جف جسدها من كل أنوثته؟... لم يبق به غير حزمة أعصاب متوترة؟

هكَذا كان يتساءل. يحدث نفسه، يحاول تذكر تفاصيل طقوس ذلك الليل، قال لها:

– ها أنذا كذى النون البصرى أردد إلىّ بزانية؟...

عقبت:

– مماثل أنت لذاتك. وفقط.

قالتها وهمهمت: The woman is not completed untill she is married then she is finished ما تكاد المرأة تكتمل، حتي تتزوج، وما تكاد تتزوج، حتي تنتهى!...

هكذا تردد كلما شعرت بأنه قد باتت لكل منهما حياة تخصه وحده.

– رحلت، قالت ستبقي... ولكنها رحلت.

ذلك ما قاله. امتدت يده إلي المزهرية، ودون أن يدرى قطفت أصابعه زهرة خابور، مم كان يهرب؟...

هذا الفعل كان يوقف زحف لحظاتها المرصوصة كحجر الصوان داخله.

(١) من نقش علي حجر دمشقى

زهرة زيراوى، مجموعة: نصف يوم يكفى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٦، ص٨ – ١١.

خناثة بنونة (المغرب)

المساء الأخير

– يا لعواطفى!...

وتخلي صوتها عن طابع الإدانة، وهمس باستدراك: لقد حاولت أن أضبطها.. لكن يبقي، هل أحسنت الاختيار؟

وطنَّتْ علي أرنبة أنفها وأفكارها ذبذبة حشرة مجنحة، فحركت يدها تطردها بارتخاء ثم حملقت فى السلك الرقيق الممزق الذى كان يمنع من قبل، أية ذبابة من التطفل، وركزت عليه انتباهها: لم تبق الآن إلا هاته القضبان الغليظة العارية.. كعظامى.. كهيكل لم يعد يستطيع أن يصون شيئا أو أحدا.. حتي ابنتى.. آه ابنتى: كومة الانفعالات الساحقة المبذورة فى قعر هذا الكيان الجاف.

وأتاها نباح خافت قريب.. إنه الكلب وراء النافذة.. جارها الوحيد، وابنتها؟ أوف، لم التذكر؟ ورد الصدي الحقيقى فى أعماقها: وهل فكرت بعد أبيها فى

سواها! لكن من يفهم؟

وأحست جهدا جديدا ينزرع فى ألياف عضلاتها. فودت أن تتحامل بواسطته، لأن تلمس الحياة أية لمسة، فهى دائما، وبطريقتها الخاصة، علي وفاق معها، تحقق صلة ما بالناس والأشياء. وفكرت:

– لو حدث أننى كنت قد وعيت جزم عواطفى، لكنت قد اتخذت نهجا يختلف.. ولكنه الماضى.. انسحاقه تحت أظلاف بيئة خانقة، فتح فى الانتقال إلي غيره، مسام النشوة.. فزرعت أيامى تحت موطئ أقدامه.. أمهد له ما اعتقدت أنه يستحقه: حياة رخية منداة ببذل متطرف لامرأة. فأصبح يتطاوس بفتنة.. زوجى.. ليشحن أيامه بعبق احتراقى، أنا المرأة التى لم تعرف قط كيف تحس ذاتها، فتكف حينا عن جعل عواطفها وحقوقها وعمرها يتآكل علي عتبة رجولة فظة:

– سوف أغيب بعض الأيام.. إن لدىّ عملا.

وكنت أعرف عمله الأوحد.. وهو ألا عمل له.

– لقد كانت ليلتنا حمراء.

لكن هذا العالم ماذا يقبل؟!

– إن أيامى لى، وأنا سيدها.

وهل سألتك مرة يا سيدى، لحظة من تلك الأيام. فأنا بلا عمر.. بلا فهم.. بلا أى إدراك حقيقى. فما اللين وما التماسك.. ما الحب وما الرجاء.. ما الحزم وما العطاء، إن حياتى بلا طابع.. لأنكم أنتم والمرض سرقتم سمتى.. فماذا بقى إذن؟

ولاحت لها تجاويف خديها، وذلك الامتقاع المصفر المعربد فوق ثنايا كانت قبل عشرين سنة تملك رواءها.. ولم تتنهد، بل لامست مسند أريكة واعتمدت عليه، وحملت نفسها خارج الباب. فهى كعهدها تتقن ذلك التماس بينها وبين ما هو خارجى، لكنها الآن لا تعرف كيف؟

وضغطت شحنات هوائية علي تنفسها، فتأثرت.. فهى لم تعد تتحمل هذا التواصل الصميمى كيانا أو داخليا.. فالطب يقول خلال أعوام المرض الطويلة بيأس: إنك تعيشين!.. فتعلم أن هذا هو آخر ما يمكن أن ينتج عن الطب هنا، حيث انتهي إلي عجزه أمام اتساع جعبة قلبها. هكذا كان الطب، أما أعماقها، ففيها بذرة حيرة رعناء: الخير والشر.. الصفاء والدهاء.. الحزم والاستسلام.. الأيام والليالى.. زوجها وابنتها.. طفولتها وشبابها.. وهل هناك ما هو واضح من الأول؟. الكلب ينبح ولا أحد فى الخارج، والعالم حتي هو بلا أحد، والزمن إلي أين تراه الآن يسير؟..

وملكها سعال خفيف، ولكنه مجهد أنتج توترا هاما بين الجدع وقضبان صدر أجوف. فاقتعدت العتبة وأسندت رأسها إلي سارية الممر، وأسلمت وجهها لكفها المحموم.. وظلت تستريح حتي لامسها زغب متحرك للكلب الصغير.. فأرخت قبضتها عن وجهها فى لمسة اعتراف لحيوان أمين. ولكنها تراجعت:

– وما جدوي هذا.. ألست محتارة؟ العطف أم الحزم.. زوجى أم ابنتى؟. واستعادت ذلك الجهد الفجائى المندلع كالبصيص الأخير، وتذكرت فجأة، وبلا أى حنق، اهتمامها، الأسبق: كتاب.. أى حضور محشو بين تلافيف كلمات محمومة.

ومن أجله.. من أجل ذلك القطاع من الحياة الذى لا يكذب.. أو هكذا ظنت قبل الآن.. قبل أن يجعل من حياتها كذبة كبيرة.. ضغطت كفها بالأرض وأتمت وقفتها، لأن القراءة وسط هذا الظل المخملى لأصيل مسحور فاجأها كهوس ملحاح لم تعرف كيف تقاومه، مع أنها من مدة، انقطعت سوي عن بعض المجلات الخفيفة التى تتلف بين سطورها انهيار بدن، وشيئا من الزمن، وكثيراً من الضيق..

فتحت درجاً يحتفظ بصفين من كتب يظهر أن لها عمرا محترما، وتمتمت: هكذا كنت أريد منه أن يفعل.. أن يطهر عمره بين النصاعة من خلال سطورها.. ولكنه، وأيضا ابنته، لم يفهما.

وهل فهمت أنا؟

وسلت كتابا من بين الصفين المنتظمين واستمرت كما لو أنها تهذى: لم أجعله رجلا، لأن ذهنيات غير أرضية انفلتت من بين سطور الكتب وزكت بمبالغة بذور الخير فى أعماقى، فعلمت نفسى ألا أقف أبدا بين أحد وبين ما يختاره.. ولقد اختار زوجى – من أحببته بعواطف أنثي كانت ضحية – وضع مغلق.. اختار حينما لم يبق أمامه من يدوسه أن يدوس نفسه...

وفعل، ثم تنبهت إلي أصابعها التى تلاعبت بأوراق عدة، فجمعتها بما يشبه الضجر اليائس، ورمت بالكتاب علي الوجه المتآكل للبساط، وتداعت علي جانب السرير وابتلعت قطرة ماء، وتطلعت للبعيد.. كانت كمن يثبت حدقتيه علي شريط يتقنه، بينما تسجيل كل ما جري يتحدث من الداخل: الأنانى، سحق نفسه فسحق عواطفى.. أتخم دعارته حتي الثمالة.. حتي لم يبق فى الاحتمال أى مزيد غير الانحدار.. فانحدر، وكان آنذاك يصيح:

– قولى أى شىء، أو افعلى أمرا.

ولكن الخير.. أصوات المثل من صفوف الكتب كانت تتدخل، فأردد علي مسمعه قاموسى، فيهتاج:

– إن عالم الأوهام والتجريد لن أدخله.

– ولكنه يتصل بدنيا الناس.

ولم يقتنع:

– ناس القبور والتاريخ.

وهل أنا منهم؟ إننى أحيا وعندى ذخيرة من الصفاء وكيف عالمك لا يقبلنى؟ أيها الرجل.. لماذا تبتعد.. تهرب، لتسحق حياتك و شبابك بين العربدة والسيارة والشجر..

.. وأفقت أنا..

.. كل شىء يجب أن يتبدل. ألم يتدخل الموت؟ فشىء ما من هاته الاعتقادات.. اعتقاداتى.. يجب ألا تجرم من جديد. وقررت: الخير الحقيقى أن أكون حازمة. وأن أخفى الوجه الفاتك لعواطفى. العواطف.. الفتك.. الحزم.. الاختفاء والعواطف المتزنة.. كل ذلك ماذا أنتج؟.

قالت ابنتى باحتجاج:

– إنك تعاملييننى بقسوة.. أنت لا تحبيننى.. فلو كان أبى حياً..

فتصادت أعماقى بصوت: إننى أعبدك.. ولكنى لا أريد أن أقتلك بعبادتى.

ولم أتوان.. واصلت بلا إنهاك وبقدر لا بأس به من الشدة، محاولة غرس ما اعتقدت أنه الوسيلة الصالحة لتحقيق الصلات، ولكنها بجفاء لا يذعن، تقابلنى:

– إننى أعيش فى صحراء.. فكيف يتحمل المرء هذا اليتم المزدوج؟!.

تقول هذا، بينما أكون أنا، أقبر العواطف الهادرة للمرأة الأم.. وما يمكن أن يظهر منى كتصرفات طائعة للبنت الفريدة، وبجهد ساحق أغلف كل غليان حبى الأرعن، فى المعاملة الباردة والشدة المتعمدة.. لتكون ابنتى غير أبيها.. صالحة بالعواطف المتزنة للأم الحازمة.

ولكنى أخيرا.. وغامت عيناها.. وغشيهما دمع حقيقى، أخيرا: ضعفى وتمردها. صاحت بى:

- لن أتحمل.
ومع الأيام:
- هذا الجو الموبوء... المرض والجذب العاطفى!...
وبسبب الأيام واحتجاجى علي تغيباتها:
- لن أعود.
ولم تعد أبدا.. لا استجابة لبحثى أو احتراق عواطفى. فهى كأبيها.. وأمها كزوجة.. لا تستطيع إلا أن تضيعهما بهذا المفهوم غير الواقعى الذى خذلها به كتاب من الكتب.. فاحتارت بين السبل ولم تنجح فى أن تتعامل مع الواقع أو أن تأخذ بأى اختيار.
وصاح الكلب صيحات متعددة، فحاولت أن تتطلع من النافذة، غير أن الجهد الطارئ الذى انزرع فى ضعفها قبل حين قد انطفأ. فهناك الذكري وشظايا امرأة لا تهرب من فشلها.
وأسقطت رأسها بتخاذل علي المخدة وتمنت أن تكون الخادمة قد أعادها حنان ما، فلم تتم عطلتها الأسبوعية... أو ابن العم البعيد الذى يزورها الحين إثر الحين لتسيير دخلها الذى تتعيش فيه... ولكن النباح همد.. ولم تعقبه أية حركة حقيقية سوي خشخشة بعيدة للكلب الذى كان فى جذل.
وخشيت أن يكون هناك لص، فسرت فى جسدها رعدة خفيفة ولكنها لم تدم: ليسرق ما يشاء.. فلم يفضل بعد شىء سوي هذا الطراز المتداعى لحياة كانت ولم تعد تكون. وحركت جهدها الأخير. وصبت من القنينة دفقة تفوق تحديد الطبيب: عشرون نقطة فى جرعة ماء، وحملت بارتعاش الكأس إلي شفتيها المبيضتين.. وعاد الكلب ينبح.. وسال المشروب فى حلقها وعلي شفتيها.. وفكرت: لعلها اللحظة الأخيرة، لم يقل الطبيب لابن عمي: ستنطفئ بلا ترقب.. بسرعة. ولكنها استبعدتها مع أنها تحلم بها كنهاية مرتقبة لمرض ملحاح. ونبح الكلب أيضا.. وأحست بتخدير قاس فى بدنها وبذلك الضغط الفظيع يركب عضلات قلبها.. فدمدمت: قلبى. وحاولت أن تزيد قطرات فى الجرعة ولكن حركة يدها تخاذلت بينما إدراكها لم يتخاذل.. ظل متيقظا ومرتبطا بهياكل الماضى وأشياء الحاضر: نباح الكلب المتقطع.. وظل الشجرة الوحيدة.. وهاته العتمة.. وليس معها غير اليأس والذكري وما يمكن أن يحدث لها مما تنتظره: الموت.. لكن - كيف أموت بلا أى شىء!.
وأحست بغيمة كبيرة تحاول أن تلفها.. غيمة ليست من جنس الغيوم.. ولكن شيئا فيها يقاوم.. والكلب قد عاد للنباح.. وخطوات غير ثقيلة تسمع.. والخوف لم يعد يهمها.. والكلب يجرى وصياحه يزداد.. وحالات المفاجأة قد تبخرت.. وعضلات القلب تتقلص بعنف.. والدفء فى بعض أطرافها قد همد.. وهول ما يكشر فى الخفاء.. والنهاية قد جاءت ساعتها.. وصيحة عذبة مرتعشة مباغتة تعلو:
- ماما؟..
.. ماما!.. وشلالات حنان تطفر من ذلك القلب المتداعى.. ويدها تحتضن ببقايا قوتها.. الرأس العائد.. والعينان تسكبان ماء الحياة دفعة.. وهمس فاتر متقطع محموم يعم المكان والزمن:
حبيـ.. بتى، ولو.. مت.. فإن.. الخير.. بخير.. حتي ولو أنه سرق.. أيامى.. وكل أمسى، فها أنت.. الآن.. معى.. فالعالم.. بخير والشىء.. الحقيقى لا.. يمكن.. أن يموت.. أبدا....
وفى تلك اللحظة، وفى نهاية الأفق، احتجز الليل وليس إلي الأبد، آخر دقة

زمنية فى ذلك المساء، فدوت صرخة احتياج محروقة بالألم:
- لا.. لا، لا تموتى: أمى؟...

خناثة بنونة، مجموعة: النار والاختيار، مطبعة الرسالة، الرباط، د.ت، ص٩٦- ١٠٤.

زينب فهمى [رفيقة الطبيعة] (المغرب)

الغرباء

.. معاطف واسعة للغرباء.. تحيكها نفايات الخريف، كلما تطاير الغبار.. كانت لها أزرار من الأتربة.. وتلك الطحالب الزاحفة عبر المنحنيات الرطبة.. ياقاتها..

وهذه بطانات المعاطف الغريبة الوسخة، إنها غربة.. وريح متربة فى كل مكان.. وعمليات حب آلية فوق أسرة منزوية فى الأركان.. باردة.. باردة..

وفى البيت الصغير ذى الغرفة الواحدة المنعزلة خلف باب مستعص - عن باقى العالم - كان الخريف قد نسج معطفين.. وأسدل «خامية» من الوحدة. علق فوقها علامات استفهام كثيرة.. وبحثا عن شيء مفقود..

كانا معا بلا غطاء يذكر.. يلوذان بالفراش السوقى البارد الصغير.. ولم تكن من حولهما ومضة دفء.. عدا ملمس جسديهما الأسمرين كلما التصقا..

أربع وعشرون سنة من الغربة.. والضياع.. كانت تتداخل فى سنين أخري تفوقها عددا.. وضياعا.. أربع وعشرون سنة تحيا بأمنيات فحسب.. وأية أمنيات يستطيع سرير متواضع أن يسعها ياتري؟؟

سألته فجأة وهى تحس بردا مدقعا فى قدميها.. ومن تحتهما قدماه.

- أين أنت بعد كل هذا التفكير؟

- لم أبدأ بعد.. ثم أردف وهو يحلم مستيقظا:

- رحلة طويلة حول العالم الذى بلا حدود.

خلالها أعيش غربة الآخرين.. وغربتك.

ومر بيده النحيلة حول حلقة أو حلقتين من عمودها الظهرى فى حركة عفوية متكررة فقالت:

- أبحث أنا عن شيء لى.. ما زال عندك..

كانت تلك كلماتها منذ التقيا.. ويموت كل شيء.. يموت الصمت.. ويدخلانه فى كفن سميك من الظلام، سرعان ما تبتلع خيالاتهما الموت الذى مات، والظلام والكفن الذى لا يري.. ولكنها تعجز عن ابتلاع أمنياتهما المتطايرة نحو سقف الغرفة مثل أصابع قوية من ذرات الشمس..

إلا أن ستارا من الغربة غير متساو كان ما يزال - فى ذلك اللقاء الثانى والثالث - يقيد ذرات الهواء الموجودة بين شفاههما كلما لثمت بعضها.. وافترقت..

لن يفهم نوع غربتها،، رغم انتمائهما المشترك إلي عالم واحد،، كان مشردا منذ طفولته،، كان مشردا بإرادته،، وكانت هى منذ طفولتها محاطة بألف ذراع باردة

ترعاها.
كان حرا حين يقرر، وكانت مستعبدة تفكر بعقل ثابت، وتقرر بعقل ثان، عابث وتطبق قراراتها فى الأخير بعاطفة، لكنها عاطفة أخري لا تشبه العواطف، لا تستقر أبدا، لا تذوب فى الاستعباد اللذيذ كباقى العواطف، بدا لها وهو يتمدد إلي جوارها مثل دوح صغير ساقته العاصفة بعيدا عن أمه الشجرة، بعيدا عن حقله الآمن.. وحين اتكأ علي مرفقيه وحدق فى الظلام تغير شكله تماما، استحال فى عينيها إلي طائر بجناحين كبيرين. لم يدخل شكله التاريخ.. يطير وهو مستقر فى مكانه، يحمل تحت جناحيه غربته صامتا.. وبحثه عن شيء مفقود.. مفقود.. ربما كان الشيء نفسه الذى كانت هى تبحث عنه.. ويبحث كل الغرباء، لكنها لم تكن تملك جناحين مثله،، كل شيء تحمله ينجذب نحو الأرض العارية. نحو الأسفل وبحثها لا يتجاوز محيطها الصغير، ذلك لأن فى عنقها عبئا ثقيلا، فيه أجراس العادات، وأفواه تأكل اللحم نيئا وتلتذ بدمه، أفواه تأكل وتأكل، تجتر لها عمرها الشقى فى كل لحظة وحين، وعيون تنحط انحطاطا علي وجهها، علي جسدها، عيون كثيرة تغطى أثوابها من قديم.. وحنين فظيع.. يشبه وخزات إبرة حادة فى جلدها - كان ما يزال يشدها إلي مهدها..
- أنكون أصدقاء؟
تسأله، وتساله، وهو يبتسم، إن مولد العالم - لا شك - كان ابتسامة لا تختلف فى شيء - عن ابتسامته تلك، كانت متربعة فى كل وجهه. ذلك الوجه الطفولى الذى نسيت الغربة أن تلونه بانفعالات متلهفة مثل الآخرين.
- أنكون أصدقاء؟
أيضا تسأله، وفوق شعورها بالحاجة إلي صداقته كانت تطفو موجة مغرقة من الوحدة، تغريها بالجنون، لعلها تبحث عن مستحيل غير قابل للتشخيص أمام عينين بشريتين..
بالأمس فقط. زحفت زحفا حتي وصلت إليه، لتصطك أسنانها وتلتقى بصف صدفى جميل من أسنانه.. لتموت فرحتها به فى عينيه الغارقتين فى الإثم والحزن والدعة، زحفت كثيرا إلي أن ارتاحت من خلال ابتسامته الحنون بلا أدني أثر للحنان المألوف، تلك ابتسامته السموح من شدة ضياعها فى الأرض، كانت معلقة باستمرار بين عينيه وفى تجاعيد رقيقة حول وجهه الأملس، المتردد دائما.
هل الغربة نسيت بدورها أن تصبغ هذا الوجه الضائع فى الحياة بقناع متلهف رخيص؟ مثل أقنعة الآخرين، الموجودين تحت نافذة غرفتهما الباردة.
لكن الموت يأتى سريعا، بعد أربع وعشرين ساعة فحسب.. ها هى حزينة مرة أخري فقد مات فرحها كما ولد، وهى حزينة لموت ما كان منتشيا جميلا، عمره الطويل أربع وعشرون ساعة فقط، إنه شعورها بالحاجة إلي ذراعيه النحيلتين، لكن، كيف مات؟ كيف قضي الشعور غريرا، كيف انتهي وكفنّاه فى ثوب الظلام البارد معا وهو فج، لم يينع رغم اكتماله.
- أنكون أصدقاء؟
فكرر قولها بلا همزة.
- نكون أصدقاء.
وعيناه المغسولتان ببقايا حزن قنوع.. لا يري كثيرا، لا يشبه الحزن فى شيء تقولان لها:
- أتظنين أننا فى حاجة لأن نصبح أصدقاء؟ لن نتفاهم؟ أنت معقدة.. منجذبة نحو الأرض، أنا ضائع، المشكل قائم معنا لا يضيع..

ومع حفنة جديدة من ظلال المساء تسللت إلي الغرفة تقول له عيناها فى غير مواربة:

– كنت لى.. خلال قرن. خلال قرون. كيف تفهم ذلك؟ لكنك فى هذه اللحظة لن تكون غير غريب ككل الغرباء ذوى المعاطف الواسعة الفضفاضة. تسد منافذ السماء فى وجهى بجسمك هذا، أيها النبى المهووس الذى قد ينجح فى سياق النبوءة إلي نفسه.. إنى أتخطاك من جديد، بعد سنة بعد قرن، أو سلسلة من الدهور، فأنت أنت حيث لا يمكن إلا أن تكون، ككل الغرباء لكنى أبحث عن تكملة حقيقية لذاتى أنا.

– أنت أيتها الطفلة الكبيرة، بسيطة، كما لم أكن أتصورك.

واستمر يعبث بشعرها القصير، يصنع منه ستارة لوجهها، يردد فى فرحة طفولية.

– يا إلهى، يا إلهى.

وتركته يحلم بوجه امرأة كان يعرفه غالبا بستارة من شعر منسدل، تركته يجردها من ذاتها، ويفرغها – بخيالاته الصامتة – فى وجود آدمى آخر، لتحيا له من جديد امرأة كان يحلم فى الماضى علي صدرها هى، وتمتمت لخيالاتها المدفونة خلف عينيها المفتوحتين:

– لو أغمضوا عينيك.. وأفرغوا فى جوفك كل الذوات، وسكبوا المحيطات والبحار بين ذراعيك، وجعلوا منها سياجا قويا، عندها لن تفلت منك سمكتك الكبيرة.

كم تبحث الأسماك ياحلمى القصير عن مياه لا تنضب، والمياه هنا، وهى هناك، تفرقت مجاريها فكان الشعور بالضياع، أنا فى انجذابى نحوها أضيع نفسى، معك، ولا يستغرق العمر كل هذه الرغبة الصارخة فى الانجذاب نحو المياه ولا يستغرق عمرك كل أيام رحلتك المنتظرة حول عالم بلا حدود، كما لا يستغرق عمرى كل بحثى المضنى عن «مفقود» لا يتجسد أمام عينين بشريتين.

فلماذا تعجز الآن، كيف لا تقتل هذا الجشع الجائع البئيس – وأنا ما أزال بين ذراعيك هادئة – اقتله إذن. فهو يكتسح كل شىء ولد معى.

كانت تحدث نفسها وهو مغمض العينين بجانبها، لعله كان يحلم بامرأة أفلتها من بين ذراعيه يوما قبل أن تكتفى أحلامه منها، ألا ما أشد الهوة بين غربة وأخري.

لكنها فى تلك اللحظات كانت تدرك أقسي أنواع الغربة إطلاقا، أن تلتصق بجسد، وتعانقه.. تحاول سحقه واستنزاف عرقه. وإدمان رائحته الفطرية، ويتم لها امتصاص أنفاسه، وسخونته، فلا يزيدها ذلك كله إلا إمعانا كئيبا فى الشعور بافتقاد ما كانت منذ زمن بصدد البحث عنه.

ما كان أشبهها بجروة من تلك الجراء التى تولد لفلاح جائع ميت السنابل، فتتعذب الجروة فى اليوم أضعاف اليوم ولا تموت.

– أنكون أصدقاء حقا؟

تطرح عليه السؤال نفسه، كأنهما لن يكونا صديقين أبدا.

لو كان فى الحياة درب واحد، واحد لا ينتهى.

– يا للتعاسة المذهلة آنذاك – وكل هذا الضياع يستمر مربوطا إلينا، ولا يسقط عنا بموت، وكل تلك السخرية السائرة فى مواكب الأمم، والأعصر، وكل هذه الغربة المتسربلة فى أثواب البحث الطويل عن شىء مفقود، فى أرض صماء لا تمتص الغربة، ولا تشرب الأحزان.. لشدة امتلائها من قبل بكل ذلك.

درب واحد – لو كان – تسير فيه كل الضحايا. والجرائم والعبادات، والتحامات البشر، وتسير العواطف وعمليات الحب الرخيصة. والنسل، ونوبات النبل لدي الناس، والحقد والمقاصل، والجمال، كلها تتزاحم فى الدرب الوحيد.

تقول لنفسها:

– عند ذلك تصبح فعلا كل الشعائر والطقوس والمراسيم خدعة كبري.

– هل تشعرين بالبرد؟

سألها، لعلها كانت ترتعش بين يديه، «عند ذلك ستقوي الحاجة إلي إيمان مباشر، بلا وساطات. وينعدم التصدق علي المتسولين فى الدرب الوحيد..»

وانتبهت فجأة إلي خده، كان راقدا علي وجنتها، والضوء فى علبة الجدار غير ملق بالاً إليهما، كيف لم تنتبه. أنه أشعل المصباح، وقرب منه «حاكى – الأغنيات».؟

وتخيلت أن الدرب موجود بالفعل، ها هما يسيران فى تقارب. ومع ذلك لا يحس أحدهما باحتكاك الآخر، لكنها منهمكة فى احتمال ذلك الغريب احتمالا مروعاً.. تسير به.. تتعثر.. فتعثر فى كل خطوة تخطوها علي أثر أقدام الرجل الأول.. أقدام آدم، وتسير مقتفية آثار أقدامه، فالدرب واحد لا ينتهى.. لو كان ينتهى لسارت حتي ألقت بحملها الغريب أمام ذلك الرجل الأول.. فترتاح.. وكيف ترتاح والدرب لا ينتهى بموت مهما دكته الأقدام.. وحفرته ونظفته؟ لن تفعل شيئاً عندها إلا أن تحفر آثاراً بدورها عميقة لأقدامها.. تحفرها جيداً للاحقين بها..»

كان الجسد الآخر إلي جوارها يسمع أنغاماً خافتة.. ويحلم بدوره.. صامتا يحلم..

إن أحد الدكاكين في الحى البارد يقفل بابه فى شبه صراخ.. وبعض خطوات العالم الخارجى تمر ببابهما.. وتحت الشرفة الصغيرة.. تتلاشي.

لم يكن فى الغرفة كلها مع يغرى فأراً بالظهور.. مع ذلك مرت ست ساعات معهما ملأي بالبحث عن شيء يعوض الأعمال الروتينية لدي كل إنسان.. من أكل.. ومضغ وابتلاع.. وإفراغ بعد ذلك..

– وأنت ما الذى تودينه؟

يسألها كأنه يواصل حديثا تقطع منذ لحظات فتجيبه:

– لا شيء..

فى داخلها أردفت «مالا أصل إليه أوده»، «المستحيل» يا إلهى أتسألنى؟ لقد كنت أنت نفسك ضمن ما وددته بالأمس.

سألها – وفى طفولتك؟

– صدراً مليئًا بالشعر الغزير، صدر والدى.

– أما أنا فلا يكفى صدر امرأة لانتزاعى من غربتى.

– وذلك الحب؟

– إنها عملية معادة علي الفراش.

– وذلك الحب أيضاً؟

– عملية أخري مضنية، من طرف واحد إنه تعلق لا مبرر له سوي وجوده فى القصص، وضمن الكتب.

ونبح كلب فى الخارج، وعاد هو يحلم علي أنغام خافتة.

ما أشبه عملية حب بشرية بعملية طالما شاهدتها فى طفولتها بين كلاب الحى الضالة، مضنية فعلا كل عملية فيها طرفان مشتركان، لا يلتصقان داخليا، ومهما التصقا يفترقان: (الموت والاغتراب والكراهية، والملل، والأنانية) كلها مشاعر كافية لأن يعيش هذا العالم بلا ألفة، غارقا فى غربة لا تنتهى بموت، ولا تبدأ بحياة.

تري ما الفرق بين شعور مخلوقين يفكران، وغيرهما لا يفكران بالنسبة لتلك اللحظات المشتركة سواء كانت علي فراش وثير أو علي رصيف مقفر مترب؟

- أريد الدفء،،

- أغير كاف اشتباك ذراعى حولك يا عزيزتى؟

كيف يفهم ذلك؟ إن الدفء يستعمر الدواخل، هناك يولد وينعكس بعد ذلك علي الأغطية، وما كل الصوف الذى فى الدنيا غير خدعة تجوز علينا. مساكين، نحن الذين نتعب فى النسج، والغزل والحياكة، فلا يغطينا فى النهاية غير دفء أعماقنا.

وزاد التفاف ساعديه حول رقبتها العارية، بكل تأكيد كانت أمى تشتاق التفاف ذراعىّ والدى حولها وكانت تسعد بذلك سعادة استغرقتها أعواما طويلة، بل عمرا كاملا، فكيف لا تسعدها هى التفافة ذراعيه من حولها؟

أتراها تتشابه التفافة كل الأذرع، وطعمها؟، ولا يختلف فى الأمر كله سوي شعور الأجساد الملتفة حولها الأذرع، ومدي تقبلها للحماية الحقيقية بينها؟

وتتبدل أسماء الأيام - خلال لقاءاتهما - لكن طعم الأمسيات كان لا يقبل التبديل، نفس الشعور بالبرد، والدفء بين الأذرع، وأقدامهما المغموسة فى طست الماء الساخن، والخبز الجاف، وأقداح القهوة السوداء، والحب العابر، ست ساعات أو عشر ساعات كانت تموت فى كل مرة تحت أقدامهما أو تنتحر عن طواعية وفى كل يوم جديد يولد سؤال جديد بينهما، فى اللقاء الثانى تسأله:

- أنكون أصدقاء؟

فى لقاء ثالث يسألها:

- أيكون أحدنا غبيا أو مجنونا؟

فى لقاء رابع تسأله أتحب أن أراك فى الأربعين من عمرك؟

فى لقاء خامس تسأله بعد فترة صمت طويلة:

- لماذا أنت سلبى فى علاقتنا..؟

- لأنها علاقة محدودة..

وبمجرد ما صمت خيل إليها أن صدي كسر بعيد يتردد فى سمعها، كان كأس شرابها المفضل انكسر فى تلك اللحظات، انكسر علي دفعات، إنه الكأس الوحيد بيدها.. وتذكرت كؤوس الآخرين التى كانت تنكسر عمداً أو دون قصد تحت أقدامها - وما تزال تنكسر - تلك هى العواطف البلورية العابرة من حولها باستمرار، العواطف التى كانت تعرض كسلع فى سوقها، فتدوسها وتتابع سيرها فى دروب الغربة بحثا عن وهم لا يكون، عن بيت لا يُبني بالحجارة والطوب، عن قلب لا تقيده بسنة الحياة غير نبضاته فى الشرايين، لا تحكمه «علاقات محدودة» ولا تستبد به روابط شكلية تفصمها الأيام.. أو تخضعها للأوضاع المشاعة والمواقف الطارئة.

ونهضت متثاقلة، تضيق من حولها الغرفة الباردة. وينزل سقفها رويدا رويدا. فى شفتيها كان قناع باسم، قناع ولد معها، وفى داخلها فراغ يزداد، ويفرز فى ازدياده صقيعا.

لكن، من يحدد العلاقات البشرية. أهو الدفء الذى يذبل فى الشتاء؟ أم العواطف التى تموت مثلنا؟ أو هى روابط اجتماعية تفكها الليالى، ويقتلها الروتين؟ إن الشعور يحيا معنا لا تمنعه من الحياة صلات تبعية محكمة الفروض والسنن، طالما الشعور الحقيقى يعيش معنا فالعلاقات البشرية اللامحدودة تحيا.. وعندما نموت فحسب وتنغلق أكفاننا خلفنا.. عند ذلك يجيء دور العلاقات المحدودة

دور المراسم والطقوس واصطلاحات الإنسان الذى لا يستعيد غير نفسه.

كانت تحدث نفسها وتقف أمام مرآة دولابه لآخر مرة ومن خلفها يظهر وجهه، كل المقاييس الآن مقلوبة، فى عينيه كمامة، وفى رجليه لجام لا ينقطع، يا للسخرية، «لجام فى القدمين» هذا مضحك لكنه واقع، لقد أقر الغريب فى لحظة قصيرة بما ظلت هى تهزمه فى أعماقها منذ وعت وجودها فى مجتمع تقيده نوعية العلاقات، وتربطه حبال الشكليات إلي بعضه فى إحكام، وابتسم لها فى المرآة، ها هو الغريب، ما غربته سوي عودة العاجز إلي ملجئه الذى ظل يهرب منه طول عمره، حتي إذا وافاه أجله مات مخنوقا بين جدرانه، علي كرسيه الهزاز نفسه.

– كيف يمكن أن تتغير الأوضاع والمقاييس، ما دام الأشخاص فى النهاية هم الأشخاص؟

كانا قد غادرا البيت، وسارا، وركبا حافلة، ثم انتبهت، فإذا يده تمتد لمصافحتها. قال لها:

– سنشتاق بعضنا عند ما نلتقى.

قالها، وسار أمامها مبتعدا، فى أعقابه الدور تتهدم، والواجهات الزجاجية تغوص فى زفت الشارع، والأضواء علي الأعمدة تسيل إعياء.

سار علي كتفيه غربته «المحدودة» وتتردد فى سمعها كلماته الأخيرة ككل الكلمات التى مرت من قبل، وسافرت فى ركاب الرياح المتفرقة.

– «سنشتاق بعضنا عند ما نلتقى» وهل يمكن أن يلتقى وجه السماء الفسيحة اللامنتهية بصفحة الأرض المحدودة المزدحمة الشعاب المعقدة إلا أن يكون لقاؤهما علي حد البصر المخدوع؟

شتاء ١٩٦٩

زينب فهمى، مجموعة: رجل وامرأة، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٩، ص٤٦ – ٦١.

فاطمة سليم (تونس)

امرأة وصور

كانت أياما حلوة مملوءة بالعمق فى الأحاسيس، بالرغبة الكبيرة فى الحياة. وكان الأمل عريضا واسعا. وكنا فى بداية التطلع إلي العالم الأرحب. عالم الكفاح وكنت، يا حبيبى، جميلا أسمر قويا. أحببتنى بعد ساعة واحدة من تعارفنا. أحببتنى بكل القوة المغروسة فى طباعك الصلبة. بكل الرجولة التى حبتك بها الطبيعة لتفتننى. وكنت مسيطرا، عسكريا. وكنت تأمرنى، وتقسو علىّ. وكنت أطيعك. وأنفذ أوامرك. أمرتنى أن أفكر فيك. وأن أحبك، وأن أرعاك. وأنشغل بكل ما يهمك، فسبحت فى موجك العاتى. وصرت لا أنام، ولا أصحو. فقط أحبك. وأرتعش فى حضرتك. وأرتعش فى غيابك. أبكى عندما أشعر بأننى أليفة السعادة. وأبكى عندما أخاف عليك.

◆ ◆ ◆

وبالرغم من طراوة عودى وقلة تجاربى خضت معك حربا تحريرية، كنت مزهوة بانتسابى لبطل هو أنت. كنت رائعا فى بدلتك العسكرية. ونجوم الشرف والرتب تتلألأ علي صدرك، والمسدس العامر يرتاح علي يمينك، وكنت دائما معفّرا وعيناك تضيئان.

ولما اشتدت الحرب، وكبرت مسئولياتك، قلّت ابتساماتك، وأصبحت في وقت ما تتكلم بالرموز وباختصار كبير ولم تعد تناديني باسمى. ولكننى كنت أشعر بأن حاجتك إلىّ قد ازدادت وأنك تأتى من بعيد ولفترة قصيرة فقط لكى تتزود بقبلة منى تلفح جبينك، وتحقنك عزما، تهوّن عليك الموت، إن كان لابدّ منه فى سبيل بنزرت.

وكانت تعجبك دموعى. وهى تتلألأ فى عينىّ، إذ إنى أري لمحة من الرضا تطفو علي وجهك. ففى قلبك لا شك اطمئنان حلو إلي أنه موجود فى الدنيا امرأة تحبك بصدق. وكنت تضمنى بقسوة وتنصرف، وأظل بعدك أبكى، وأكتب وأتكلم، وأتخيل، وأرتب، وأغنى، وأرتمى، وأغيب عن الدنيا. كان المذياع دوما فى جيبى، أسمع منه أخبار الحرب وأناشيد الحماسة. لم يكن سوي جسمى حاضرا، ولكن فكرى وروحى وقلبى كلها كانت معك كنت أتخيل نفسى دوما تونس الجريحة ترفع العلم حتى النصر.



ومرّة، يا حبيبى، دخلت علىّ مجروحاً، أصابك الرصاص فى جبينك، وسال دمك الزكى علي أرضنا الطاهرة ليسقى نبتة اسمها الحرية والجلاء.

دخلت علىّ معصوب الرأس بلفافات بيضاء عليها آثار دم. وكان التعب والإرهاق والحمّي جيوشا تبغى كلها أن تسيطر عليك، وتطرحك للفراش وللضعف وللأنين. ولكنك يا بطلى، رفضت أن تضعف، وأن تنام فى مستشفي. وجئت تمشى علي رجليك، ورصاصاتك ما زالت فى جيبك، وبدلتك معفّرة كالعادة وقلبك يرتج بالشوق إلي لقياى.

حتي الموت، حتي الموت، يا حبيبى، لا أستطيع أن أنسي تلك الساعة التى قضيتها أنتحب فى صمت بجوارك، وأنت ملقي علي الفراش تحاول أن تكون صاحياً. ولكن الحمّي تغلبك علي أمرك، وكنت تهذى:

«الجلاء قريب... الجلاء قريب... أحبك، يا ليلي... وأحب بنزرت». علي جسمك أرقت كل عطورى، غسلت رجليك بماء دافئ، دثرتك بملاءة من حرير. أسدلت الستائر حتي لا يرهقك الضوء الساطع. أبعدت عنك الساعة حتي أفقدك الاهتمام بشئ اسمه الزمن. وقبعت قربك أقرأ وأبكى. وأسرق من حين لآخر لمسة دفء من جبينك الملتهب.

وما هى إلا بعض الساعة حتي استيقظت مرتعشاً سائلاً لائماً نفسك. وحين انشغلت أعدّ لك القهوة. ارتديت ثيابك وهربت منى. لم تودّعنى. لم تقبّلنى. لم تتح لى الفرصة لكى أمنعك من الخروج، أحسست وقتها بغمّ كبير...



وجاءوا فى آخر الليل ليعلمونى أن حبيبى رحل، ولن يعود... ولكنه وعد بأن يرسل بدلا منه الجلاء. الحرية لبنزرت.

وعندما كنت أبكى فى صمت. كان ابننا «انتصار» يتحرك بين جنبىَّ كأنه

يقول: لا تبكى، يا أمى، فأنا والجلاء قادمان.

الزهراء .. أفريل ١٩٧٨

فاطمة سليم، مجموعة: تجديف فى النيل، دار بوسلامة للنشر، تونس ١٩٨٦، ص١٧٣- ١٧٦.

ليلي مامى (تونس)

أريده حراً

غريب أمرى الليلة.. غريب.. غريب.. كنت أعيش فى دوامة من الأفكار.. والآراء.. والمبادئ أخرجتنى من واقع الحياة.. من مجراها الأصلى لتنعرج بى فجأة إلي ما هو خارج الإطار.. ما هو بعيد عنها.. عن واقعها.!

كانت يدى قطعة منى.. نسيتها إلي حين.. ذلك الحين.. عندما شعرت بوجودها من جديد.. تعددت وظائفها.. فاقتصرت أنا علي بعضها.. ولم أحررها.. لم أستجب لثورتها.. أنا التى أريد أن يستجيب كل شيء لثورتى - هى قطعة منى .. تطالب مع قطعى الأخري بالثورة الكبري التى أنشدها أنا - لكنها.. هى وحدها تريد أيضا لنفسها ثورة.. تطلبها منى - أنا - بقطعى الأخري.. بدونها..!

لماذا..؟ لا أعرف!.. لم أعطها حريتها.. وقد آمنت بحرية الفرد.. بحرية الجزء. نسيتها.. غفلتها.. وعيبى فى غفلتها...

أنا غفلت يدى، قطعة منى، جزءا لا يتجزأ. وأنا أغفلونى أيضا. وجب أن يوجد حذوى إنسان من أجله أشعر بضرورة الثورة، الثورة الباطنية. الثورة الخارجية. لكن يدى.. أيضا وجب.. أن تكون حذوها يد أخري. لتستفزها علي الثورة.. وتثور علىّ. ألم أومن أنا بالحرية.. أنا.. قطع.. أجزاء.. كانت متفرقة قبل يوم ما.. صرت فيه بها.. أنا.. فهى تعرف كيف شاركت مع أخواتها القطع الصغيرة فى إشعال ثورة.. فى نفسى.. وهى اليوم.. وحدها بدون أن تطلب من أخواتها إعانة تريد وحدها أن تثور.. لكى تكون ثورتها علىّ أنا. وعلي ما هو خارجى عنى وعنها - هى تثور لنفسها.. لوحدها. علىّ أنا - لأنى علمتها الثورة. بل تعلمت عن طريقها الثورة..

ماذا تريد؟.. أجابت.. شيئا بسيطا.. مَثَلى جزء من مَثَلِك! أردت حريتك لتقهرى إنسانا آخر. أريد حريتى لأقهر يداً أخري.

وتساءلت عن مدي ما خولته لى حريتى فى قهر الإنسان الآخر.. وجدته.. عرفت الآن.. قهرت الإنسان الآخر.. بإعلاء كلمتى مع كلمته.. بإدلاء رأيى مع رأيه.. باختيار الأشياء مع اختياره.. بجعلى ضرورية كما هو ضرورى.. وقهرته.. وعشنا كما أريد.. فأراد.. لكن يدى تستفزنى اليوم.. تريد أن تثور علىّ.. أن تقهر اليد الأخري.. وكنت لم.. أتبين بعد ملامح ثورتها عندما انطلقت.، كسرت قيود سجنها وتحررت.. تبحث عن اليد الأخري لتقهرها.. وسبحت أناملها فى أنامل اليد الأخري.. تستجيب.. لا أدرى كيف.. لآلاف من النداءات.. هى نداءات مجهولة لدى.

كانت يدى تتحرر.. تعيش.. وكنت أنا فقط أتساءل عن مدي جدوي تحررها..

تعيش.. وكنت أنا فقط أتساءل عن مدى جدوى ثورتها. لم تكن ثورتى هدامة. مكنتنى من أن أقهر الإنسان الآخر.

ثورتها..؟ لست أدرى.. ما الذى كانت تبتغيه..؟ وأين ستصل..؟ واحترت فى أن أنتظر.. أو أستسلم لنسيانها. الانتظار شىء لم أتعوده. أنا أعيش.. الدقائق تمر وحدها. مكرهة. وأنا لا أنتظرها. لا أنتظر أشياءها.. أتركها تمر مكرهة.. هى تمر.. لأنها مكرهة.. وأنا لا أريد أن أنتظر لأنى لست.. مكرهة.. وأن أستسلم لنسيانها.. لا أستطيع.. فأنا.. رغم أنى لا أشعر بها.. أراها.. ألحظها.. فقد تجردت عن حسّى، لكنها لم تتجرد عن عقلى.. فأهملتها.. حواسى.. أضاعتها.. وبقيت أشلاء ملامحها فى ذاكرتى، فى عقلى.. أبصر حركاتها. وأنتظر. لا.. لا أنتظر. أعى.. حتي الدقيقة التى تصل فيها هى إلي نتيجة.. تكون.. لا أدرى.. هى ما أرادته. أم لا تكون.. يكفى أنها ثارت شعرت بوجودها.. فأرادته.. لا يهم ما ستصل إليه.. فهى حتما واصلة.. قالت إنها أخذت مثلى.. هى الجزء من الكل أخذت مثلا مصغرا من المثل.. الكبير.. الذى رسمته أنا مستعينة به.. هى الجزء من أجزائى.. وهى جزئى من الأجزاء استطاعت وحدها أن ترسم مثلا.. لم ترسمه إلا.. وحدها.. لأنها تعلمت القوة.. عرفت كيف تستفيد مما حولها.. تجاربها.. هى أجزاء من تجاربى.. مشاركتها فى تجاربى. مشاركتها الجزئية علمتها التجربة الكاملة.. فتحررت.. لتجرب.

واندهشت.. هل اليد الأخري؟.. وانتبهت.. اليد الأخري هل تحررت من صاحبها أم أنها.. استسلمت فقط.. يجب أن يدرى أن ما تفعله يدى ليس استسلاما لإرادة منى إرادتى أنا.. لا أريد!

كنت أنا قد أردت أن أتحرر. فجمعت أشيائى الصغيرة.. أجزائى.. أعضائى.. وجعلت منها قوة عظيمة طلبت بها حريتى.. سرت بها لأنال حريتى.. فنلتها وقهرتك أنت الإنسان الآخر..

وها هى يدى تتطبع بطبعى.. فتثور بدورها.. تريد حريتها. هى الجزء الصغير.. الجزء من أجزائى تريد حريتها فطلبتها وأخذتها دون أن أستطيع منعها..

وهى الآن تمارس حريتها مع يدك.. التى لا أخالها إلا مستسلمة لإرادتك الجبارة.. إرادتك الفتاكة.

أنت إنسان: لم تحصل علي حريتك وحدك.. لم تدافع عن نفسك من أجلها.. لم تثر علي وضع منعك إياها. أنت إنسان ولدت حرا.. نعم وهبوك الحرية.. أهدوها لك. لأنك عاجز عن أن تطلبها.. عرفوك. من قبل خبروا مقدرتك فجاءت يدك متطبعة بطبعك.. تريد أن توهب كل شىء.. تنتظر أن يُعطي لها شئ. فهى تستسلم لك.. لإرادتك.. التى هى إرادة موهوبة مجانية.

أما يدى فهى مثلى.. لا تريد طعاما باردا.. مجانيا يقدم إليها تريد أن تكافح من أجل النوال.. لتشعر بلذة النوال..!

فثار.. وثار فيه كبرياء فاشل.. أفقده أعز شىء.. جذب يده من يدى.. حررها بثورة.. سلبية.. أفقدته اليد التى يحب..!

ورجع عائدا إلي حيث لا أدرى.. تقوده ثورة سلبية. دفعه إليها كبرياء أبله.. أراد أن يتحرر من حب الحرية ذهب لأنه لم يفهم.. لماذا! أردت أن أستفزه علي الثورة هو الذى عاش دائماً تحت كابوس الاستسلام خالنى.. مجنونة. أجرد يدى منى.. أعطيها حريتها.. أنزه نفسى عن الأنانية العمياء.. فأطلق سراح أجزائى.. تحررت يدى.. لتمارس حياتها بانطلاق.. لتقهر اليد الأخري..

وتحررت يده.. لتمارس حياتها تحت كابوس الاستسلام ليقهرها.. هو إنسان قهره المجتمع.. قهرته الحياة.. فقهرته يده.. وأنا إنسان قهرت المجتمع.. قهرت

الحياة.. فقهرتني يدي..

رفض الحياة.. رفض الحرية.. فقبلتهما.. عوضه. وتركته إلي الأبد. يعيش في كابوس الاستسلام... غير مترفقة بكبريائه الأبله.. كبريائه الفاشل.

ليلي مامي، مجموعة: صومعة تحترق، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٦٨، ص١٧ – ٢٢.

نعيمة الصيد (تونس)

الزحف

الليل في هذه المدينة كئيب.. يهبط في غير موعده.. يطرد الناس من الشارع.. والأطفال من الأزقة.. يعودون إلي بيوتهم.. يتحلقون حول صينيات العشاء.. ويبقي الشارع مقفرا إلا من بعض السيارات التي تخترق سكونه..

كانا ممددين علي السرير النحاسي الذي يتوسط الغرفة.. نصف عاريين.. جالت عيناهما في الأرجاء.. الغرفة صغيرة يطليها طلاء يقترب من الأصفر الباهت.. علي الجدران علقت بعض اللوحات. نافذة وحيدة قرب الباب.. اخترقها الضوء حتي انتهي وغاب في ظلام البهو خارج الغرفة...

طنين هائل بدأ يجتاحها والرجل بجانبها.. قوي.. طويل.. جميل كإله ميثيولوجي. مشغول بتصفح كتاب..

تنظر في الفراغ.. فجأة يهاجمها وجه الأخري في النافذة.. تصوت بالتباع ثم تمضي.. الوجه يصدم عينيها.. يصفعها.. والصوت الشرس يصل إلي أذنيها من اتجاهات متفرقة.. لا تستطيع أن تتبين بوضوح كلماتها الغاضبة إلا أنها عرفت أنها تواجه تحديا صارخا هي طرف فيه..

شئ كالدهشة أو الخوف دفعها إلي صدره.. تشبثت به..

– صدرك قارة ضياعي.. أتحدي به العالم

وفي هذه اللحظة.. لحظة الرعب والذهول يوجد في ذاتها شيء أشبه بالرغبة في أن تظل عالقة بصدره.. رافعة ذراعيها العاريتين.. صارخة في أي شيء..

الأخري التي تطل بعينيها الشرستين من النافذة لتسرق فردوسهما..

الآخر الذي يتبلد وسط الطريق معرضاً نفسه دوما للاستشهاد تصرخ في أي شيء يشعرها بالتحدي..

الأرض خلفها رغم انبساطها الشاسع خائنة غير مأمونة...

أما هنا.. في أدغال صدره.. فثمة شيء لا تستطيع أن تتعرف عليه بسهولة.. شيء أكبر من البحث عن الممكن إلا من.. يتواري بعيدا.. بعيدا جدا.. في أعماق هواجسها.. تشعر بلدغه اللذيذ يتداخل ما بين أنفاسها. يدفعها حيث يشاء... يملك لها الزر السري.. قادر وحده علي تفجير النشوة في كيانها. يمتلك إغراءها الجنوني.. رغبتها العاتية...

شعور تعجز عن تبريره لنفسها.. أحيانا تقرر مع ذاتها أنه وجه خفي للتحدي... جانبه الخلفي..

دنت منه أكثر شعر بها قريبة منه.. أنفاسها تلفح أذنه.. توقفت عيناه فوق

الكلمات.. التفت إليها.. نادي شعرها الناعم حد اللعنة أصابعه فاندمجت معا.. أخذ يتأمل الكلمات وقد انتابته برودة أرعدت جسده تحت الغطاء.. الكلمات ترقص مسعورة فى الصفحة أمام عينيه.. عجز عن قراءة كلمة واحدة.. أغلق الكتاب.. رماه بعيدا.. نظر إليها بعينين وديعتين.. قبّل جبينها. تمتم:

– لا أخالك إلا طفلة حتي الموت... ما أروع الطفلة فيك يا عروستي..

ابتسمت ابتسامة مشرقة أضاءت كل فراغ نفسه.. انحني فوقها.. عض رقبتها أغمضت عينيها.. قضمت شفتها السفلي.. توقفت أنفاسها فى انتظار أن يشبع الجوع فى الأحشاء.. ثم التلاحم الصرخة التى تعقبه.. تصرخ فرحا بالتحامه معها وبمذاق أسنانه علي رقبتها.

– أريد أن تتذكرنى حتي ينتهى العالم..

كلام.. عبارات.. سخف أبدى فى العواطف الإنسانية.. وما أحلاه من سخف..

انتقل بصره إلي ثدييها.. بريق الشهوة المجنون يلتمع فى عينيه.. داعبت بشفتيها وجهه الملتهب.. همهمت.. أنا سعيدة..

مد يده نحو باطن الفخذ.. بدأ فى رسم حدائق عشقهما.. تلك اللحظة حولتها إلي كتلة لهب استعرت في داخلها.. ألقي بنفسه فى نارها.. شعلتان أخذت كل منهما تقترب من الأخري إلي أن صارتا لهيبا موحدا...

مد يده الأخري من فتحة قميص نومها.. غاصت أصابعه فى اللحم المكوم وراء القميص.. أطلق ثديها الأيسر إلي الخارج.. تسمرت عيناه فوق الثدى.. أحاطه بكعبه كطير حمام صغير يرتعش.. الحلمة ممتلئة.. والهالة الدائرية التى تحيط بها ذات لون بني خفيف يلتمع فوق زغب أصفر...

أعتقت جسدها من رق القميص... ألقت به بعيدا... اقترب منها أكثر.. غمس أنفه بين الثديين يشم رائحة الجسد وعطرها الذى يتلكأ فى هواء الغرفة.. شعر بيديها تضغطان علي جسده.. أمسك بالحلمة بين إصبعيه.. فركها.. ضغط عليها برفق.. الحلمة منتصبة.. أحس بلذة وحشية تدفعه إلي أن يضعها بين شفتيه.. شعر بفكه يتدلي.. يسقط التقط الحلمة بشفتيه.. مصها مصا خفيفا.. قطعة من الإسفنج. طرية.. لدنة.. دافئة بين شفتيه.. تحرك شدقاه مع حنجرته التى ارتفعت ثم انخفضت وهو يبتلع لعابه.. وتحوّل مصه إلي رضع.. رضع ملء فمه.. شعر بتوتر الثدى وانتفاخه.. اهتزت الحلمة مع الثدى بين شفتيه وهبت رائحتها من صدرها واختلطت بأنفاسه أحست بأنفاسه حبيبة إليها.. أراد أن يعتدل ولكنه شعر بيدها اليمني تضغط عليه من خلف.. مد ذراعيه بوله عاشق.. طوقها.. أفلتت الحلمة من بين شفتيه وقد أصبح الثدى أكثر انتفاخا..

تزحف شفتاه النهمتان.. تجوسان كامل جسدها.. تمتصانه قطرة.. قطرة.. تدحرجت يده أسفل بطنها تدغدغ أناملها موطن الرغبة الناعمة.. أثار الرعشة فى أوصالها.. امتلأت مسام جسدها حياة ودفئا.. زادت التصاقا.. ضمها إلي صدره بعنف.. صدرها تحته أكثر التحاما بصدره.. جسداهما صارا عذوبة.. عيناها فى عينه.. يلهث.. تلهث.. ريقهما ناشف.. لسانها يتعلق فى سقف فمها مشلولا.. السرير تحتهما يئن أنينا مسعورا...

ما أروع أن يتفق جسدان علي صنع فردوس لهما دون أن يدرك سرهما أحد...

فجأة يمتد صراخ الأخري إلي أذنيها.. يسقط كالجليد فى نفسها.. فلتحتج.. فلتصرخ.. فلترجمها.. فلتتدمَّر وليتحطم هذا العالم.. إنها لا تبالى ما دامت بين أحضانه.. وما دام هو معها رجلا.. وما دام هو قادرا علي تبخيرها سحابة ~~فى أفقه.. لا أحد يهمها.~~

أنهد علي صدرها.. أرخي رأسه المتعب.. ضمته.. أخرجت منديلا من تحت الوسادة..

مسحت قطرات العرق عن جبينه.. حنانها مزق أقنعة تعبه.. غفا كصغير هرع إلي أحضان أمه. وشوشت...

– أينا ألذّ. أنا أم هى...؟

تحرك جانبا.. سحب رأسه من تحت يدها الضاغطة حملق فيها بينما ظلت عيناها معلقتين بشفتيه.. قبلها بهدوء..

– أنت أعمق وألذ نساء العالم جميعا.. مررت علي أجساد نساء كثيرات ولكن ذلك المرور لمَ يكن إلا عبورا.. سحابات تنقشع...

كانت لذيذة حقا.. لها دفء الربيع ولون الأرض.. رائحة الزهر.. وطعم الوطن.. كانت فتية.. سمراء.. مذهلة النضج والا كتمال. وكان طيرا مهاجرا وجد عشه بعد سنين النفى والغربة. ولكنها ستسافر غدا. وسيحل الفراغ بيته من جديد. يملأ دقائق حياته.. والوحدة ترجع لتنام فى ملابسه.. فى جلده.. وتطوقه الغربة.. إن الصباح التالى سيكون خاويا كمدينة مهجورة ووجودها الحى الماثل أمامه سينتهى فجأة..

وكانت أدركت من صمته هذه الحلقة من الخواطر المتلاحقة التى كانت تضيق فى فكره. فحاولت أن تبعدها.. همست:

– احك لى...

– قال وهو يضحك ضحكة كسولة: – عن أى شىء يا عروستى...؟

عادت تزحف إليه بعينيها كأنها تشرب من وجهه.. ثم تعلقت عينها بهلالى شفتيه لكأنهما قوس مشدود ليطلق ابتسامة.. وإحساس بالغربة السحيقة يسمر هذه الابتسامة.

ضغطت علي شفتيها.. نهضت.. وأسرعت إلي الباب لا تلوى عليه.. لن تقبّله فى هذه المرة.. ودّعته بنظرة طويلة.. طويلة.. دونما إشارة أخري.

حملته بين أجفانها كاللقطة من خلال عدسة المصورة.. ثم فتحت الباب وانصرفت...

(تونس ١٩٨٠/١٢/٧)

نعيمة الصيد، مجموعة: الزحف، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٩٠، ص٦٣– ٧٢.

مليكة العاصمى (المغرب)

القصيدة المسعورة

صَدِيقِى...!

مَازَالَ عِطْرُكَ فى خُصُلاَتِى الْقِصَارْ

يُغَرِّدُ..

يَفْعَمُ قَلْبِىَ جُوْعاً..

نِدَاء...

نُبَاحْ.

ويَقْدَحُ جِسْمِىَ بُرْكَانَ نَارٍ

ونَهْدِى زَمْجَرَةً مِنْ لَهِيبْ!

أَدُورُ...
وَلَكِنَّهُ لَيْسَ غَيْرِى هُنَاْك.
وأَصْخَبُ،
أَضْرِبُ،
أَصْدَعُ رَأْسِى بِصَخْرِ الْجِدَارْ،
وَيَصْرُخُ فِى دَاخِلِىَّ النِدَاءْ..
أُكَوِمُ نَفْسِى عَلَيَ الأَرْضِ،
أَفْرُكُ رِجْلَيِ،
أُكَسِّرُ قَبْضَتِى بِالأَرض،
أَحْفِرُ،
أَنبَشُ قَلْبَ الْبِسَاْط
وَأَنْشِبُ ظُفْرِي فِى كُلِ شَىْء
وأَعْجِنُ كُلَّ الَدُّنَا فِى يَدَىّ،
أَشُدُّ عَلَيْهَا...
وَأَنْهَدّ.
...
لاَ يا صَدِيقِي.
دِمَائِى صُرَاخْ،
عُرُوقِى. فَرَاشَاتُ حَرٍّ تَطِيْر
يضِج بِرأسى أزيز النداءَ،
وَتبْغُكَ...
تبْغُكَ...
كُلِىّ نُوَاحْ
أَيُوطِنُ فِى خُصُلاَتِي...
مُنْذُ زَمَانٍ بَعِيدْ...؟
أَيُورِثُ فِي الدّمْ..؟!
يُصْبِحُ نَكْهَةَ جِسْمِي..؟!
وَتَشْرِبُهُ كُلُّ ذَرَّةْ..؟!
وَتَكْرَعُهُ كُلُ شَعْرَةْ
وَتَخْلطُهُ فِي دمَاهَا..؟!
وَتمضِي تُوَزّعُهُ كَالشَّذَي فِى الْمُرُوجْ
وأَسْبَحُ فِيه كَشَلاَّلِ نُورٍ
كَهَالَةِ رُوحْ
كَجِسْمٍ فَنَاءْ

◆ ◆ ◆

تَهَدَّلْ ...
تَنَاثَرْ...
وَغَطِّ عُيُونِي...
وَأَنْعِشْ...
وَدَعْنِي أَشُدُّكْ
وَدَعْنِي أَشُمُّ صَدَي الزَّفَرَاتِ الْحَيَارَي
أَعُبُّ...

وَأَفْنَي...
وَأَقْلِبُ جِسْمِيَ كَالأَفْعُوَانْ،
أُعَانِقُ نَهْدِي...
وَأَضْغَطُ زَنْدِي...
وَأَشْتَاقُ لَكْ...
وَتَبْزُغُ بِي حَدِيقَةُ نَارْ،
وبِي لَهَبٌ وَأُوَار،
دمَائِي...
سُعَارْ...

مليكة العاصمي، ديوان: كتابات خارج أسوار العالم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧، ص ٦٣ – ٦٨.

فضيلة الشابي (تونس)

قمم وتضاريس

تَنَاءَتْ حَتَّي رَاوَدهَا عَدَمُ
عَلَيَ نُتُوءٍ لِلضّحَي اتّكَأَتْ يحْمِلُهَا
العبْءُ كَأَنّهَا القممُ
تَبَاطَأَ الكَشْفُ خَارِجَ مخَابِئِهِ
تَأَنّقَ التّعَبُ
رَفَّ فتْقٌ فِي جوَارِحهَا هَزَّهُ الْعَجَبُ
حنَتْ عَلَي التّضَارِيسِ تَقْطِفُ الْخَطْوَ
لَعَلَّهُ العِنَبُ

فَوْهَةُ الرَّهْطِ

كَذبَ اللّوْنُ فِي النَّهَارِ الْبَشرِي
الْغُصْنُ نَأي بِخُضْرتِهِ
هَوِيَ فجٌ بِسَهْلِ الْحُضُورِ
حدٌّ تَرَاكَمَ بِالتَّلَامُسِ
فَوْهَةُ الرَّهْط
تَضِيعُ أَنْفَاسٌ فِي الْمُوغِلَاتِ
حرٌّ تُعَمَّقَ فِي الأُصُولِ

فضيلة الشابي، «قمم وتضاريس»، مجلة «المسار»، اتحاد الكتاب التونسيين، ع٩، تونس، ١٩٩١، ص– ٢٩ و٣٣.

نافلة ذهب (تونس)

الصمت

كان النهار باليا وقد لطخته ريح رملية قوية أتلفت ضياءه. إنه علي وشك الانتهاء من مطالعة رواية بوليسية وكان يلهث وراء البوليس الخاص لعله يقبض علي مهرب المخدرات. الروايات البوليسية ملاذه الوحيد بعد خروجه من العمل الإدارى كل يوم وهو المحتسب المتوسط.

كان ينوى الذهاب إلي الحانة ليسكب كوبا من الجعة فى جوفه ثم يذهب لأكل أكلة ما فى مطعم نهج القاهرة الشعبى ثم يعود لمطالعة رواية أخري. لقد اتفق مع بائع الكتب القديمة فى نهج أنقلترا علي تعويض الروايات التى طالعها بأخري ودفع ثمن بخس جداً. ليس له عدد كبير من الكتب فى المنزل.

عيناه تنطان بين الجمل والأسطر ورأسه تغلي بالصور المتتابعة، وفجأة سمع طرقا قويا علي باب الشقة، قرر أن لا يفتح الباب قبل الانتهاء من المطالعة، ولكن الطرق كان أعنف من المرة الأولي. انتفض غاضبا وقصد الباب. عندما فتحه ارتد إلي الوراء. امرأة فى الثلاثين من العمر تقريبا ترتدى بنطلونا أسود يشد علي ساقيها كالجوارب ويكشف الكعبتين، بينما التف أعلي جسدها فى كاب يشبه البرنس، أحمر اللون، دخلت الشقة ورفعت نحوه رأسها وكانت تقصره بكثير.

كان بوجهها خوف وفزع، وكانت تلهث من أثر الركض، همست وهى تعالج زر الكاب: من فضلك أغلق الباب، هناك شخص يطاردنى ويريد إزعاجى. أغلق الباب وراءها ودعاها إلي الدخول، كانت تنطق الراء غينا فأعجبه صوتها، منحها كرسيا فجلست وأخرجت مشطا جعلت ترتب خصلات تشوشت وتخللها كثير من الغبار، ابتسمت ولكن أرنبة أنفها بقيت تختلج.

أحسّ بأن النهار أخذ يتوهج فأشعل النور وقال بلطف:

– تحب قهوة؟

زمت شفتيها موافقة، تركها، كان يشعر بالارتباك، هكذا كان يشعر كلما مرت به امرأة فى حياته، لذلك كان يحب الروايات البوليسية. وجد فنجانين من نفسه الفصيلة لأن عدد الفناجين المكسرة يفوق عدد الفناجين الصالحة. أتاه صوت الموسيقي من الغرفة، وجدها تستمع إلي الراديو وعيناها غائمتان. شكرته، وحوت الفنجان بين أصابع يدها اليمني كما تقطف زهرة، ظهر له وجهها تحت النور وقد رتبت خصلات شعرها إلي الوراء جميلا وشاحبا. ذكرته بوجه مارغريت غادة الكاميليا، لا شك أنها مازالت خائفة؟

ثم أردف:

– لم أفهم لماذا يطاردون الفتيات، كيف يسمح الإنسان لنفسه بهذا الفعل؟

رفعت ساقا ووضعتها علي الأخري فى رفق وتشبثت بالبرنس وفنجان القهوة وقالت:

– ثقيل الدم، رآنى خارجة من الكلية فاقتفي أثرى وكلما حاولت الهروب أسرع ورائى، كان يتكلم كلاما بذيئا مخجلا، كنت أترصد الفرص لأهرب منه حتي وجدت شقتك، ففكرت ربما أجد فيها من ينجدنى.

ابتسم فظهرت بعض التجاعيد حول شفتيه وقال:

– فى أية كلية أنت؟

– أدرس الفلسفة بكلية العلوم الإنسانية.

آه قالها، وانفلتت الروايات البوليسية من الميزان تحت وطأة كتب (هيدغر) و (كانط) و(فرويد) و (سارتر) علي ما يذكر..

– وأنت؟ قالتها ووجهها فى النور، نظراتها تضرب وجهه ثم تعود إلي بعض الكتب المرصوفة علي اليسار لتلتصق بزر الكاب الأحمر.

– أنا؟ أعمل فى نهج أنقلترا.

– نهج أنقلترا؟

– نعم لى مكتب هناك.

لماذا يكذب؟ بدأ يكذب، أحس بأن الفلسفة لا تضاهى عمل المحتسب الروتينى، يريد أن يتظاهر بالقوة أمام المرأة: ولكن، هذه امرأة مثقفة، عادة ما تكون النساء المثقفات مغرورات أما هذه فلا، تظهر متواضعة.

أتاه السؤال المحرج:– فيما تشتغل؟

تفاقم شعوره بالحرج، ولكنه تابع الكذبة:

– أشتغل بالنشر، ولى كتب هامة فى مكتبى: لذلك لا تجدين هنا – ومد ذراعه نحو بعض الروايات المرصوفة فى جهة اليمين – سوي بعض الكتب غير الهامة، نادرا ما أهتم بالفلسفة.

عندما كان بقسم الباكالوريا، كان لا يتذكر سوي سارتر.. أما الفلاسفة الآخرون فهم أسماء لا ترمز فى ذهنه إلي شىء الآن، بعد مرور السنين وانغماسه فى الحسابات.

أحس بأهمية هذا اللقاء، وقرب كرسيه من كرسيها وقال بلطف:

– ألا تريدين إخبار والديك؟

انتفضت فوق الكرسى فتضرج الضوء بلون «الكاب» الأحمر وخيل إليه أنه فى حفل تنكرى، ثم قالت وهى تنظر إلي الأرض:

– والدى مسافر، ذهب فى مهمة إلي الخارج، أمى متوفية.

– إذن أنت وحيدة، ليس لك إخوة؟

– لا ليس لى إخوة، ثم همست: أحس بالبرد أليس لديك آلة تسخين؟

أراد أن يعقب عن كلامها بجملة تظهر رواسب فلسفية مازالت عالقة بالذهن ولكنه لم يجد ما يقول وذهب إلي المطبخ يخرج آلة التسخين الصغيرة، مسح الغبار الذى تراكم عليها لعدم استعمالها، وأتي بها إلي الغرفة وشغلها.

توهجت مقدمتها المشبكة بينهما وطلب منها أن تنزع برنسها الأحمر، فرفضت وتكورت علي الكرسى، أحس بأنها تفكر فى أشياء غامضة، أكيد أنها تعانى من أزمة نفسية.

– أحس بأنى أستطيع أن أمكث هنا، لستَ متزوجا؟

– لا، لست متزوجا، أنا أرفض الزواج، تصورى لو كنت متزوجا، هل كنت أستطيع المكوث معك أو التحدث إليك بطلاقة، لو كنت متزوجا لكنت سريع الغضب، وذابل الوجه ومتجهم النظرات. وضحك.

عيناها كانتا غائمتين، خيل إليه أنها تحمل سرّا، سألها بحذر:

– وأنت هل لك خطيب، أعنى رجلا فى حياتك؟

قال ذلكَ وندمَ. أحس بأن حذاءه زاد اتساخا تحت الطاولة، وفى تلك اللحظة، ندم علي مطالعاته السابقة لأنها لا تعلمه محادثة النساء بل تلهيه عن مشاكله القائمة بحلول مشكلات أخري فى لحظات. إنه يريد دخول حياة امرأة من هذا النوع من

الباب فى وضح النهار، رغم الريح الرملية التى تنقر شباك هذه الغرفة وتعبث بهوائى التلفاز فوق السطح. تخللت أصابعه شعرها فلم تمانع ووضعت رأسها علي راحته فأتته رائحة سكرية، وأحس بدموع تبلل أصابعه. أخرج منديله يشرب دموعها ويضمها إليه، إنها مارغريت غادة الكاميليا، ابتسمت ابتسامة مبللة ثم تثاءبت ووقفت تتمطي أمامه ببنطلونها الأسود الذى يكشف عن الكعبتين، سألته:

– هل تقوم بحركات رياضية قبل الذهاب إلي مكتبك أو تمارس رياضة ما؟

باغته السؤال:

– عندما تكثر أشغالى لا أستطيع أن أفعل شيئا.

كانت منشغلة بحركاتها الرياضية فلم تنتبه إليه وكان هو ينظر إليها تتأرجح علي ساق ثم علي أخري، تنحنى فيظهر ردفاها متماسكين ثم تقف مطلقة ذراعيها إلي فوق كأنها تحمل أثقالا، وسمع الباب يطرق بعنف، ارتدت هى إلي الوراء، حواها بين ذراعيه وقال:

– لا تخافى، لن أفتح. ربما كان بعض الأصدقاء أو سكير يعربد بين الأروقة.

ولكنهما سمعا صياحاً..

– افتح، شرطة.

عيناها أصبحتا كجّتين من البلور بدون لون، بينما اصطكت قدماها علي الأرض فسمع تكتكة ذكرته براقصة الدبكة اللبنانية، أمسكها من يدها ثم ضمها إليه بعنف فأتته الرائحة السكرية.

قصد الباب وفتحه، اندفع شرطى إلي الداخل ثم دخل وراءه رجل يرتدى قلنسوة بيضاء وقميصا فى نفسه اللون، أخذت تنتحب والممرض يطوقها بذراعيه، نظرت إليه من خلال دموعها وشعرها الذى تشوش فلم يصدق. هذه المرأة، لا يمكن أن تكون كذلك، أحس بالزيف يدوس كتفيه ويطوح بشعوره الناشئ.

وانصفق الباب وراءهم.

تمدد على الفراش يريد النوم وقد ملأ النور نصف الغرفة حيث كانت الطاولة وفنجانا القهوة، وكرسيان قريبان من بعضهما.

أطفأ النور وأغمض عينيه. استيقظ وسط الليل علي آلام فى بطنه، لم يذق شيئا منذ الصباح. أشعل النور فانتصب علي الكرسيين وعلي فنجانى القهوة يعيد إليه شعوره بالوحدة.

كانت الريح تصفر فى الخارج فتتصدع نوافذ العمارة وأمعاؤه داخل بطنه. قام يسوى من وضعه ثم جذب رواية وجلس علي كرسيها يقرأ.

نافلة ذهب، مجموعة: الصمت، تبر الزمان، تونس ١٩٩٣، ص٧٢ – ٧٨.

زينب الأعوج (الجزائر)

حالة حصار

(١)

فى الشارع الخلفى..

صراخ

فى الشارع الخلفى..

نواح

وفى ساحة الشهداء
نباح
وفى المدينة يسقط آخر الأنبياء

(٢)
يحاورنى الله...
يسكن كاللعنة قلبى...
وأنا أسكن بياض الورقة..
يسألنى عمن سرق الشهادة...
من آخر الأنبياء

(٣)
هنا الإذاعة التى لا تروى
إلا النشيد الوطنى
والقرآن وأخبار الموت
هنا البيانات غير المتباينة
ويستنفر العسكر
وبقايا الزمر المكروهة
الجريمة آآآآآآآآه ...
من قال الجريمة!!!
طفولة تبحث عن لون آخر للماء
والخبز
تحاول أن تسترجع لون البحر...
ممن سرقوا الصفاء...
وعمموا العتمة ..

(٤)
دم هى المواكب
فى كل الساحات
حزنٍ هى المساحات
تحمل الأطفال أثقل الشعارات
ونعش هناك، يستثمر الجنازات
ألبسوه الأزرق والكاكى
وألوان الظلمة
فأية
ديمقراطية
هى ديمقراطية
الجنرالات؟؟؟

(٥)
الندي الفجرى
دمعات تستحم الدفء

في جسدي
والورد يحلم سرا
بلون دمي
والحزن... إمرأة
تخيط النجمة بالنجمة
والحزن بالحزن
تبحث عن دقيق وملح
وبعض حبات السكر
تشتهي فنجان القهوة
مكسورا بالشيح والزعتر
وقليلا
قليلا من رائحة الوطن

(٦)
تأتينا الفصول موزعة باستقامة
بين أصحاب النياشين
والنياشين
تبحث عن مواسم لزرع الأقحوان
وتعميد الطفولة
بالدم
وبعض الصراخات
وملوحة البحر

(٧)
إنه سياف الكلمة
عاد مختزَلا في الشعارات الجديدة
يجس نبض الأزمنة الهاربة من الأعلي
ومن الأعلي
عاد في لونه الكاكي
يحمل الديمقراطية
علي فوّهات المدافع
وداخل ذعر... جنود
«الخدمة الوطنية»
يلوح بها عاليا
عاليا
عاليا
أمن أجل السلم؟؟؟
أم من أجل أدراج السُلّم؟؟؟
أم من أجل حمّامات دم؟؟

(٨)
الرعب يسكن ذاكرتي
الدمع تجمد حتي صار خرابا

وجوه مفككة كاللعب والدمي المحروقة
تبحث عن سكن فى جسدى
ينطق طفل
توزع فى دفء دمى
إنها الريح
تمزق أشرعتى
تنادينى خفية
لمواسم الهجرة
إنه السياف
عاد فى ألف لباس
يحاول أن يسكن عيون طفولة
ترفض... أن تستبدل الحلم
بلون بذلة
أو وسام
ونجمة...!!؟؟

(٩)
لا تندهشوا
ما زالوا باسمنا يتكلمون
وعلي جباهنا يكتبون
بأجمل الخطوط
والكلمات
«السكوت من ذهب»
والصمت حكمة
(١٠)
لا تندهشوا
ما زال حتي اللحظة
يراودنى سرّ امرأة
أنجبت خفّية
خريطة حزينة للوطن المسروق
ووجه طفلة وقلم

(١١)
احتفظوا بالسر
الكل يسكنكم وجه امرأة
وخريطة وطن لا يتعب
من ذاكرة الحلم
احتفظوا بالسر
احتفظوا بالسر
احتفظوا بالسر!!؟؟

الجزائر أكتوبر ١٩٨٨

زينب الأعوج، مجلة «التبيين»، الجاحظية، الجزائر، ١٩٩٠، ص١٠٧ - ١٠٩.

فوزية شلابى (ليبيا)

من رواية: رجل لرواية واحدة

بضعة أغصان راكدة تمارس موتها اليومى علي حافة المنضدة الكستنائية التى تستلقى باتساع متعجرف فى ثلثى الغرفة، وبالقرب من الحافة الأخري.. ثلاثة كتب فى التحليل النفسى، ومنديل ورقى ناصع يكابد بقع الكحل المتناثرة فى أرجائه!

وعند الجدار الياجورىّ البرّاق، كائن آخر يمارس موته اليومى: نبات ظلى يبهت/ يشيخ/ يغرق فى طراوة التربة، ولون مرعب يجذب يده المودعة باستحياء. إلي القعر،

القع....ر!

أنهض بِحماس غير مستقر يتذبذب بين الفتور وبين الحرارة، إلي هذا الهم الجديد الذى يحملنى إلي الجهة الأخري للبيت، حيث أداعب سقسقة الماء وألقى نظرتى السريعة القلقة علي أكوام الكتب المكدسة فى الزوايا والمصفوفة علي الجدران بإهمال يشير إلي الفوضي واللامبالاة والعبث، وهى متربة وباردة وشاكية.

أدير رأسى إلي مدخل الغرفة، وكأنى أختصر نظرتى السريعة، إلي أكوام الكتب حتي لا أتورط فى أى شكل من أشكال الإحساس بالذنب، وحتي لا تعاودنى بعض الأفكار الكلاسيكية عن أهمية النظام والترتيب فى حياة الإنسان - والمرأة بشكل خاص - مما يضطرنى إلي الضحك، وأنا لم أكن أرغب ذلك فى تلك اللحظة التى كنت فيها أستمد من شفافية الماء بعض المعانى الجديدة للحياة!

أصطحب نفس الكرسى المعتاد، وإبريق الماء.

يميل الكرسى قليلا نحو اليمين ويكاد يسقط، فأتمهل قليلا.

أضع الإبريق علي المنضدة بدقة وحرص مخافة أن تهتز الشمعة البيضاء الوحيدة التى تنتصب بصعوبة فى فم الشمعدان الزجاجى.

تنزلق ذراعى علي إحدي أرجل الكرسى، أضغط عليها بقوة، ثم أميل بدقة وحرص إلي المنضدة. آخذ الإبريق وأمسكه بثبات.

أرفع رجلى اليسري إلي الكرسى دون أن أميل ثم أُلحق رجلى اليمني، وأباشر سقى النبات الظلى:

-لا!

لن أدعك تموت.

لم يحن الوقت بعد.

لا!

أعود إلي غرفة المعيشة – هكذا أحب أن أسميها دائما إذا ما أبدي أحد الضيوف رغبته فى التفرج علي البيت – المقسومة إلي قسمين: مشروع مكتبة وجثة مطبخ! أضع الإبريق فوق حوض المطبخ، ثم أخرج مسرعة إلي الشرفة الأمامية لأطمئن علي المشهد اليومى:

صفّ من السيارات يعطى ظهره للطريق،

شرفات مقفلة،

عدد من النساء والرجال الأوروبيين يتوزعون فى حلقات صغيرة أمام مدخل الفندق المجاور: يقهقهون، يلعقون الجيلاطى، يجرون بمرح خلف كرة فرت من بعض صغار الزقاق الأيسر، ويهملون سيارة المرسيدس التى يترصدهم سائقها الشاب – كل مساء – بفضول وحشى!

أهمُّ بالدخول، فيباغتنى صوت منبهٍ مُلحّ إلي درجة الاستفزاز.

– ربما كان أحدهم يأتى إلينا الآن!

أعود إلي الشرفة، تتواري العربة مسرعة فأتظاهر بتفحص النبات الشوكى الذى يقوم فى زاوية الشرفة، حتي لا يلاحظ أحد الخيبة التى منيت بها، حيث تبين أن العربة كانت قادمة إلي أحد الجيران، وعندما لم تجدهم مضت من حيث جاءت!

– لماذا يراودنى هذا الخاطر دائما؟

من قال إن هناك من يجىء بالصدفة؟

إنها أوهام الحالمين الصغار، ولكن مهلا! ألم يأت صبحى مصادفة أمس، وحيث كنت علي وشك أن أغلق باب البيت الذى كان رضا الصغير يعبث به!

أرخى جسدى الصغير، وأسقط فوق الكنبة الصوفية الخشنة.

ألتقط الكتب الثلاثة بيد واهنة مستسلمة، وأحملق فى أغلفتها جيدا:

– برتقالى،

«لون كالزئبق»

سماوى،

«أكره الضعف والرومانسية»

قهوى داكن،

«يا للرجل/ الدغل الاستوائى»!

أقلب الكتاب الأول لأتفرج علي غلافه الخلفى.

أعبر من دهشة الألوان إلي فضول المعلومات المختصرة المدونة فى إحدي زوايا ذلك الغلاف الخلفى:

(ساشا ناخت. مؤسس معهد التحليل النفسى فى باريس، ونائب رئيس الجمعية الدولية للتحليل النفسى. إلخ).

تكتسب هيئتى المسترخية بعض الصحو المتحفز، وأعاود القراءة من جديد:

(ساشا ناخت. مؤسس...، ونائب... إلخ) أمرر إصبعى علي كلمتىّ (مؤسس)، و (نائب) أعدّ حروف الكلمتين:

– إنها أربعة حروف لكل منهما.

– لا يوجد حرف خامس إذن!

وقبل أن يدهشنى هذا الاكتشاف المفاجئ، كنت أكبت ضحكة منداةً بعرق خجلان:

– لابد أن سالما كان يضحك فى أعماقه هزءاً، عندما كنت أخبره بأنى قد تحصلت علي كتاب مهم يخدم مسألة اهتمامى بإعادة قراءة رؤيته النقدية فى موضوع (الحب/ الموت)، وأن الكتاب لمؤلفه: ساشا ناخت!

– ولكن...!

أحس أن ذاكرتى حصان نافر يعلو ويعلو، ويعلو، يتصبب عرقا ولا يهدأ، يشق الريح والسكينة ويعبث بقلبى ثم يصر الأرض فى ركبتيه، فأنقاد لها:

- ولكن.. ألم أخطئ أمامه أيضا فى نطق مصطلح (العصابية)، عندما كنت أعترض علي رأيه حول إمكان التنبؤ بسلوك مواطن العالم الثالث، إذ كنت أؤكد بأن مواطن هذا العالم - أعنى العالم الثالث - ذو نفسية عصابية غير سوية ولهذا فإن عدم سواء نفسيته يجعل إمكانية التنبؤ بسلوكه مستحيلة. فالتنبؤ يتوقف - وكما هو معروف - علي قوانين السببية والعلية، والسواء هو السلوك المقنن المنضبط وبالتالى الواعى وهو وحده موضوع التنبؤ دون غيره من أنماط السلوك غير السوية. حيث قال بهدوء أستاذى:

«العُصابية - وكأنه بذلك يقول لى: هكذا يكون نطقها الصحيح: بالضم، لا بالفتح كما تفعلين أنت خطأ - نفسها من الممكن التنبؤ بها!»

ولم يُتح لهذه الفكرة الأخيرة أن تعمر طويلا، إذ سرعان ما تبادر إلي ذهنى تساؤل استنكارى حاد:

- من قال إن نطقى للعصابية بالفتح هو نطق غير صحيح؟!

ها. من قال؟

ولماذا لا يكون نطقه هو لها بالضم هو الخطأ بعينه!

ارتسمت علي وجهى ابتسامة النجاة وأحسست بالرضا يغمرنى حتي أنى قررت أن أحول النجاة إلي بطولة يشيد بها جمهور غفير من المهللين وتصفيق حماسى حار:

- فى هذه الحالة يا سيد سالم، أيها الأستاذ الكبير: نكون متعادلين تماما!

- كيف؟!

أقوم من علي الكنبة، أتنحنح قليلا، أنظر إلي السقف، أتفرج علي كفى، أضم رجلىّ إلي بعضهما، أوجه كلامى مباشرة إلي المقعد الأيسر الخالى:

- قلت لى كيف؟

حسناً، حسناً،

نكون متعادلين إذ أخطأت أنا حيث صورت له ساشا ناخت امرأة وهو فى الحقيقية رجل، مع ملاحظة أنى لم أكن أقصد ذلك، وكل ما هنالك هو أننى فعلا كنت أعتقد أنه امرأة لأن الاسم أوحي لى بذلك. وأخطأ هو إذ نطق العصابية بالضم، والصحيح أنها بالفتح كما اعتدت أنا قراءتها ونطقها!

فوزية شلابى، رجل لرواية واحدة (رواية)، المنشأة العامة للنشر، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٥، ص٦ - ١٣.

خيرة الشيبانى (تونس)

أحزان قديمة
علي شواطيء العرب

دخلنا مكانا مزدحما يتكثف فيه الدخان، وترتعش فيه الأنوار وتملؤه موسيقي

ضاجة. أحببت أن أراه يتقدمنى يبحث لنا عن مكان بين الساهرين. فى مثل هذه الأماكن تعودت أن ألتقى به. وعندما قلت له: إن هذا العالم جديد علىّ وإنى لم أتعود ارتياد مثل هذه الزوايا واجتياز العتبات المحرمة.

قال لى: إنه عالم عنيف وملىء بالمفاجآت مثلك تماما. ستجدين لذة فى اكتشافه. لم أخش سقوط الملائكة ولكنى لم أندفع للمغامرة بحماس كالعادة، فلقد اكتشفت بعد سنوات من الغفلة أن العالم يكرر لعبته. وكان علىّ فقط أن أسترخى فى جلسة هادئة وأنتظر تكرار المواقف.. فأضحك وأضحك.. زعيق المغنى الزنجى ينطلق نفاذا مجنونا... الأجساد تهتز.. والأنوار ترتعش وأنا أتعثر وراء ماجد.

النادل ينتقل بخفة: نعتذر أغلب الطاولات محجوزة والباقية مشغولة كما تلحظان.

– ما قولك: هل نذهب إلي مكان هادئ. أنت لم تتعشَ بعد. لم يتعفن السمك خارج أقاليمه. ولكن قلبى امتلأ بفرح نادر. وأومأت برأسى أن نعم...

وانتبهت إلي أنى لا ألبس ثيابا تليق بمكان هادئ: «جين» أزرق. تنورة حمراء. ومجموعة كتب بيدى. وهو يلبس ثيابه الترابية اللون. ابتسمت: هكذا رأيته أول مرة فأحببت شبابا فى ثيابه وفى حركاته ووجهاً طفولياً لا يعرف الحقد. كنا بمطعم مع مجموعة من الأصدقاء نحتفى بصديق

– ما رأيك فى هذا المطعم؟ تطلعت من خلال بلور السيارة.. أقرأ العنوان.

– كما تشاء.

وكانوا فريقا وحدهم وعى معذب وإحساس بما يجرى – ضحكت للكلمة: لا شىء يجرى داخل الهياكل المتحجرة.. كل محاولة تصطدم بنوافذ محكمة الإغلاق فترتد وتتفرقع بالونات الأطفال ليلة العيد...

أخذت مكانى إلي جانب ماجد.. حول الطاولة المقابلة جلس شيخ وعجوز يتعشيان علي مهل. رفعا رأسيهما حين دخلنا المطعم. نظرا إلينا ملياً ثم انطلقا فى وشوشة لا تنتهى...

كان يجلس أمامى. لم أنتبه ولم أتملّ وجهه. انشغلت إلي حديث صديق علي يسارى. يبدو أن فصل الخريف هو أفضل الفصول لبعض أنواع السمك. أردتنى أكمل نقصاً. استرعي انتباهى حديث ماجد. زوجته استقالت من شركة التأمين وهو أكثر شقاءً بوجودها بالمنزل. كان يتحدث فى ثورة ~~وغضب. عرفت عنه فيما~~ بعد أنه يغضب كثيرا حينما يتحدث إلي من يحب من أصدقائه. كم تمنيت أن يغضب حين ينقطع الحوار بيننا

– ما قولك فى هذا المكان؟

– المكان هادئ ولكن...

– أعرف ماذا ستقولين. فأذكرك أنك تبالغين فى مثل هذه النرجسية المغلقة.

هى تسخر منه ومن أحلامه. يعرض عليها أن تحضر اجتماعاته فترفض. يدعوها إلي الذهاب إلي المسرح فتفضل السهر مع جارتها...

ما أتعسنا نحن المثقفين مع زوجاتنا.

– بل قل أشباه المثقفين وأشباه الثوار. تتحدثون عن التوعية الجماهيرية وتنسون العفن الذى تغلقون عليه أبواب منازلكم. تتحدثون عن الفكر الواعى الخلاق ولا تصنعونه.

وصرخت. صرخت.. وتخيلت زوجة الجالس قبالتى وعيا متفجرا يرفض القطيعة...

انقطع صديقى عن حديث الأسماك ولم أسمع ردّه.

حدقت في الجالس قبالتي لأول مرة. وخشيت أن أكون آلمت هذا الوجه الطفولي
– ماذا تطلبين سيدتي؟
– ماذا أطلب يا ماجد؟ أطلب سمكا ونبيذا أيهما أشد؟ أيهما أعنف.. أعطني نبيذا أبيض إلي طبق الأسماك أمامي.
وأفرغت كأس الكوكا في جوفي. وعندما افترق الجميع ذهبنا إلي مكان هادئ نجدّد عشاءنا. وطلب ماجد سمكا ونبيذا أبيض.
– كأنك مرهقة الليلة.
– إنها كثرة الأعمال يا ماجد.
– إنك تلزمين نفسك الكثير من الأعمال لا أوافقك في رغبتك في الوصول إلي نتائج بسرعة.
نحن نعيش عالما متحجرا.. وكل عمل لابد أن يبدأ بالاصطدام. بل حتي بالفضيحة.
النادل يعود:
– سيدي تريده مقليا أو مشويا؟
– أريده.. أريده مشويا.
– أصبت! السمك المشوي ألذ طعما وأسهل هضما. وأكثر طبيعية.. طبيعية. وطبيعي. وطبع. وتطبّع وكلنا يبحث عن مكانه الطبيعي. ماجد يضع ذراعه علي كتفي:
– اقتربي مني.. أنت تعرفين أني أكره المسافات تفصلنا.
كل جسم يأخذ مكانه الطبيعي في هذا العالم. هكذا كان يقول اليونانيون. فللأجسام الثقيلة وزنها الخاص. فتأخذ مكانها «الطبيعي» علي الأرض وتحتلها. والأجسام الخفيفة تحلم بالصعود وتشرئب إلي الأعلي. والهواء يسبح بين بين. كل شيء منظم في عالم اليونانيين. ولكل مكانه الطبيعي. الآلهة والسادة. السادة. والعبيد.. الحجارة والنار. الغربان والخرفان. كل شيء منسق حسب قوانين وطقوس معترف بها. وهل لم يكن ثمة نكوص وتمرد؟...
وأنا أين مكاني الطبيعي في هذا العالم؟ هنا قرب ماجد أقارعه في شئون السياسة والاقتصاد. يعلمني حب الحياة وينقذني من التدمير والنسف. ثم يتركني لزوجته وأعود إلي المنزل مدمرة من جديد.



– الطعام لم يحضر بعد. اقتربي مني أكثر. إنني لم أرك البارحة. قصي عليّ ما فعلت بالأمس. بأمسك واليوم؟..
رحت أنقب عن كل ما تخفيه الخلايا. هنا بدماغي يترسب ويتكدس الماضي. كل ما تناسيته ولم أنسه. كل ما سمعته ولم أسمعه. كل ما أحسسته ولم يحدث أن قلته فكبتّه أو أجبرت علي كبته...
– مالك صامتة؟ أتراك ناسية أو غائبة؟ لا.. لم يحدث أن انفصمت خلية عن أخري.
لا لم يحدث أن تصدعت الذاكرة.
– بالأمس مكثت طوال الصبح بمقهي. انشغلت في قراءة كتاب. ولما مللت القراءة رقبت نزول المطر في الخارج. بعد الظهر شاهدت فيلما.
– واليوم؟ ماذا فعلت بيومك؟..
واقع العيش تجارة وجدّ عند اليونان. وأي السلع تراني أبيع؟ وتطلعت إلي

عشرات العيون المتحفزة تتابع حركاتي. وتستلهمني. عشرات الأجسام مشدودة إلي مقاعدها تنتظر أوبتي كل صباح. وأنا تطول بي ليالي الوحدة والقلق...

وتذكرت في ابتسام عشرات الرسائل المزركشة التي تصلني. استيقظت كلماتها في دماغي. لقد عرفت عن القلوب الشابة أكثر مما تعرف عن نفسها...

شعرت بفرح حقيقي حينما تحلقت الأجسام الشابة حولي آخر يوم لها بالمعهد. استعادت ذكرياتها وقالت في شيء من الاعتداد:

– لقد اتضحت لنا معك معالم الطريق...

وأجبت مشجعة:

– تجب المبادرة إذن.

وأنا آتية في مسارب متعددة. كلما حاولت أن أمسك بخيط أصبت بالشلل. وانخلع قلبي. وطالت أيام الانتظار.

– إنك لا تستطعين أن تقنعيني بأنك في حالة طبيعية هذه الليلة. أخشي أن تعاودك. وأشفقت علي الوجه الطفولي...

– لا!.. لا! إني بخير. لقد تمتعت بيوم عطلتي فنمت طوال الصبح ولم أستيقظ إلا علي رنين الجرس. أتاني الساعي برسالة من أبي يافع.

– من هذا الرجل؟

– أنت لا تعرفه. تعرف فقط صديقه أبا حمد. أتذكر عشاءنا معه بقمرت. لقد قدمني قبل ذلك بيوم واحد إلي صديقه أبي يافع. لفت انتباهي احمرار عينيه. وتثاقل في حركته. خشيت أن يكون يشكو شيئا في غير موطنه. سألت أبا حمد إن كان صديقه يرغب في مساعدة. ربت علي كتفي وقال: لا! لا تنزعجي. إن أبا يافع يستطيع أن يرجع إلي صحرائه علي قدميه. لا! إنه فعل القائد فلا تنزعجي علي حياة أبي يافع.

وأحدثت الكلمة المحرمة رعشة في بدني. وشعرت بغبار البلد هناك يتسلل إلي حلقي. ورأيت هناك رجالا يتفيئون بظلال الغاب ويرددون في نعاس: مات الملك. عاش الملك. ولم أقل شيئا..

وبدأ أبو يافع لطيفا معي. مللت مرافقة أبي حمد ولكني أحببت دائما حكايات ابي يافع. أسرّ لي أبو حمد يوما: أبو يافع يحبك كثيرا فزيادة علي طيب أخلاقك تشبهين – خلقا – ابنته. حدق أبو حمد في وجهي طويلا وقال:

–صحيح أنك تشبهينها كثيرا. فما قولك لو حملناك معنا هناك. أنت تحبين السفر. أليس كذلك؟

شعرت بنظراته ترتكز علي فتحة قميصي.

قلت له: سأفكر في هذه الدعوة.

– لا! لا تفكري طويلا. فلنسافر معا.

تذكرت رحلات أبي حمد. أبو حمد قذفته أرصفة كل عواصم العالم. قال لي يوما: إنها محطات يثري فيها تجاربه. يحمل منها زاده ويعود إلي بلاده قنابل تتفجر.

يكفيني أنا أن أري وأسمع. وأن أعود إلي قريتي صيفا حتي تتجمع بدمي كل المتفجرات.

ولكنه أسرّ لي بعد ذلك في قلق:

– ما أكاد أستقر السنة أو نصف السنة بأحد أحياء لندن أو برشلونة. أو براغ أو.. أو.. حتي أشعر أن شوارع المدينة العريضة ثعابين غليظة تلتف حول عنقي وتخنق أنفاسي. فأمزق أوراقي وأحوّل منزلي إلي دار عشق. وقد يضمني الفراش مع أربع نساء.

دخنت سيجارة حتي لا أبصق ما فى معدتى. وهز ماجد رأسه وسرحت. يبدو أن مرافئ العالم عاجزة عن إيوائى. كنت أبحر ثم تقذفنى إلي هنا. وأجدنى فى مواجهة جديدة مع نفسى.

كانت أوروبا تلفظ مجانينها وعباقرتها فى شبه عوامات تبحر بدون وجهة. تبحر وتدور حول نفسها.

الجنون والعبقرية وباء. والوباء شر. وعملية التطهر فريضة. ومياه البحر كفيلة بذلك. والأبحار دوامة بدون قطب. وأنا فى دوامة أخري. أرحل وأرحل. يرهقنى الترحال ويجف حلقى فأطلب السقيا. وقد يجف حلقى فأرحل إلي محطة أخري.

فهل يكون ماجد آخر المحطات. محطة دون سواها تشدنى إلي جاذبية الأرض. وتعيدنى إلي نفسى.

ماجد يدخن سيجارته.

– لقد عادت يافعة.

– ومن يافعة؟

ماجد لا يعرف يافعة وأنا امرأة بجانبه تشبه يافعة.

– يافعة ابنة أبى يافع. تلك التى تشبهنى.

ضحك ماجد وقال:

– وهل له ابن يشبهنى..

– أواه! نسيت أن أذكر لك طرفة من طرائف أبى يافع. أبو يافع يا سيدتى يملك ثلاث نساء وأربعة عشر ولدا.

ضحك ماجد. ظن أنى أمزح أو أستطيب القصة.

– طبعا! هذا لا يعجبنى. ولكن أسماء صبيانه أعجبتنى لما عدّها لى ضحكت طويلا عندما نسى اسم ابنه التاسع. وضحكت أكثر عندما برر لى نسيانه لاسم ابنه. فاسمه علي اسم السلطان المتوفّي.

وهززت رأسى وأنا أجد وجها للمقارنة بين رقمين وعجبت للأرقام البشرية تعوض بعضها دون حرج.

– وأين كانت يافعة هذه التى تشبهك؟ فهل تحب الرحيل مثلك؟

– قال لى: يافعة بنت ذكية. تعلمت بمدارس لندن. بعدها عادت إلي المنزل الأبوى حيث بقيت سنة. ولم تستطب الحياة بعد هذا. قالت لى صباح يوم صارخة. إننى أرفض أن أكون رقما يضاف إلي عدد الزوجات الثلاث.

وفرت فى ذلك الصباح مع طبيب باكستانى لكنها سرعان ما ملت حياة الترف مع زوجها وهل هذا معقول يا ابنتى؟

وأضاف أبو يافع وهو شبه غائب عنى:

لقد عادت يافعة إلي البلد. امرأة أخري.



استقبلتنى وحدة منزلى. وضمنى فراش بارد. كنت أسمع زخات المطر رتيبة علي بلور النافذة. حاولت أن أخدع حواسى فلا أسمع توقيعات المطر. وصوت المنبه. حاولت أن أخدع حواسى فلا أري تباشير فجر المدينة تتسلل رفيقة إلي غرفتى. وشددت اللحاف أكثر إلي جسدى أطلب الدفء. وتقلبت علي اليمين فى مساحة الفراش الكبيرة وتقلبت علي اليسار فى مساحة الفراش الكبيرة وتقلبت. وتقلبت. وشددت رأسى بين يدى. ثم غيرت وضعى من السرير. هالتنى المساحات

الفارغة. وتحسست مكانًا. وكبتّ رغبة. وانتفضت فى سريرى. وضجت أعصابى. بدأت أختنق. فتحت النافذة. أنفاس الفجر تملأ رئتى. وتباشير الرابعة وما بعد الرابعة تكشف عن آفاق بعيدة. ماجد يقبّل زوجته كالمعتذر. تلتمع فى عينيها رغبة متيقظة. وماجد يعطى زوجته حقها فى الحياة. ويافعة امرأة تشبهنى. يضمها فراش بارد وتحلم: مات الملك.. مات الملك.

صفاقس: ١٩٧٣

خيرة الشيبانى، «أحزان قديمة»، مجلة «قصص»، العدد ٢٩، تونس، ١٩٧٣، ص٦١ – ٦٧.

ربيعة ريحان (المغرب)

جناح للريح

حلقت الطائرة. وبعيدا كانت تمضى.

رأيت جزءاً منها، عبر الكوة جنبى يتربع الفضاء. فيما الهدير يضغط بدويّه علي صدرى فيوقظ فيه الكدر والتوقع الغامض.

كان جناحها الرمادى القاتم إلي يمينى، ينبثق مفرودا ضخما، يرسل وهجا باهتا، يتلامع فى دورته، حين يحوم دون حراك، فى المتاهة حولى. تحت شمس الصباح، ونورها الخاطف.

وكنت من بين لغط الركاب، وحركتهم الحريصة، قد غصت فى المقعد الوثير، وفى فيض المشاعر، تأتينى مشمولة بالوحشة، فتحتوينى، وتزرع فى عصبى التوتر وعصف غوامضه المصرة.

كان المجاز قبل حين يعج بأجساد الركاب. الباحثين برفق، عن رموز مقاعدهم وأرقامهم المستدلة، والمحاطين بإرشاد متقن، من مضيفات، سبّب مرآهن لى الدهشة. لأنهن لم يكن تماما، ينطوين علي دسامة فى الحسن، كالذى صغته فى تصورى لهيآتهن.

رأيت إحداهن تقترب. مغلقة داخل بدلتها المنسجمة، تساعد راكبا، بحركتها المتمرنة، فى أن يتحرر من أثقاله، بوضع ما معه فى رف، يقفل علي مهل، وينتهى إلي أن يصير صندوقا مضغوطاً، فى تلافيف جدار الطائرة. تفعل ذلك، كأنما بآلية، وهى ترمى بنظرة رخية إلي الأمام، فى متابعة جدية، لزميلة لها متضرجة، تناقش زنجياً، يحتج بحرن، لموضع مقعده بعيداً عن مكان أغراضه.

كانت تسأله بلين أن يهدأ. فتتفتح شهيته للرغى، بفرنسية مكسورة.

رأيته يتنطع بثقة وحنق. لم تنفع معها لهجة الرقة، وهى تتلبس ألفاظ المضيفة، وتعابيرها المجاملة.

– سيدى. أغراضك فى مأمن!

فيرد الرجل بصوته الخشن المُصر:

– لا.. أغراضى يجب أن تكون هنا. جنبى.

كان كمن عصفت به ريح مهانة، أدرك بشكل بين، أنه وحده من تعنيه.

فيما ظلت ابتسامة المضيفة له صافية لبقة، وهى تنحنى قليلا، بصدرها البارز، وشعرها الوفير، من غير ضجر ولا تسليم، تحاوره وترد علي عنته ولجاجته.

قالت:

– هناك زبائن سبقوك يا سيدى.

فيضغط فى سذاجة وقد نال منه الارتعاش:

– هذا المكان مخصص لى. لزبون المقعد الذى أنا فيه.

شغل قليلا احتجاج الرجل، صف الركاب القابعين حوله. واستدرجهم مرغمين، إلي شرك زعيقه. قبل أن يطلق أساريره، فى تكشيرة ارتياح.. لحظة انزاح فى الزاوية، فراغ يكفى احتواء أشيائه.

كانت الطائرة، لا تزال بعد، لم تستقر طافية فى المدار، فى استنفاد كامل، لآخر ما تسمح به مقاييس العلو المفترضة. وكنت أنا لم أندمج بعد، أتأمل المدخل قبالتى، وهو ينفتح وينغلق من الحركة فى دأب، تطل منه الوجوه الرقيقة، تعبر الممشي علي مهل، بحس المراقبة الصارم، والاستعداد للاسترضاء وبذل الخدمات.

قبل أن أصعد إلي الطائرة... كنت قد قضيت ليلتى كما العادة. مثقلة برهبة الهواجس وأسدافها الكثيفة، تتجمع فى طوفان يحملنى إلي لُجِّه، فأغرق سارحة، قبل أن أتنبه، وأطرد عنى أضغاث موجها الكاسح.

أتشبث بحرف فكرة. من عمق الخوف، تلهينى، وتجعل من سفرى أمراً غير وارد، فى بحر ساعات قليلة، فيبارحنى قليلا ضغط ذلك التوتر، وأتيقظ فى رحلة فرار ومواجهة. إذ أردد لنفسى:

– وهل سأركب الطائرة وحدى؟

أنظر إلي الركاب حولى. فى لغطهم الواطيء النبرة، والتفاتاتهم الهادئة فى ألفة. ونقرات الناقوس البهيجة، يضغطونها علي الزر فوق رؤوسهم، فتأتى فى رشاقة طلباتهم الجاهزة، وفوقها ابتسامات دمثة فأسال فى داخلى:

– هؤلاء.. ألم يهجسوا مثلى، من قلق أو اهتمام؟

أغمض عينى فى استسلام للجسد المنهك. وألتف قليلا، فى ميل علي جنبى.. وأحلم أن يحدث ذلك الفصم والانقطاع، فتغيب قليلا عن ذهنى، تلك الإيحاءات، وهى تتفجر ملتبسة، باحتمالات مرهبة، لكننى بلا تردد.. أجدنى، سرحت أتأمل بعينين منفتحتين، اهتزازات الجناح، فوق السحاب البعيد المتضام. يحجب الأرض، وحدودها الغائمة.

تذكرت غارسيا ماركيز وفتاته الناعمة، فى قصة العبور، حين ذات رحلة، أثقلته بالشجي والشطط. وتذكرت دمها الهادئ حتي الركود، وهى تغفو علي مهاد المقعد الطرى، بعد أن تمطت براحة، منتظرة خدر النوم، الذى ابتلعت حبته بكأس مليئة. فخطر لى، أن حبة كتلك. كانت ستذهب باحتشاد المخاوف، فترمى بى فى سكون تام.

ألتفت متنبهة إلي الرجل الجالس بجوارى. تأملته خفية. كان ذا وجه مغاربى. بملامح مألوفة، وقد بدا مستغرقا.. متمالكا نفسه فى نطاق من الاستسلام.

فكرت قليلا. ربما هو فى فجوة الصمت هذه، كان مطرقا مثلى، تحكمه الاستجابة لتهويم منشعب لا ينقضى، من الهلاويس التى تدهور القلب. أو ربما شرع ينسج فى تضاعيف الهدير، أحلاماً للقلب، لم ينلها الخراب.

أما أنا، فكانت هوة الغمر، تشد خاطرى، فأنجرف خلف متاهات، تطوح بى، فى حال من لظي المؤاخذة وقلق الضمير.

صرت أذكر شبهة أوقات فى سذاجة. تدفع بى إلي حكم التأنيب، أصدره بشأن نفسى، أو التفكير فى زهد الغفران، أستسمح فيه فرط غضب أو مرارة عتاب. وأندم لأننى فى تفريط أضعت كل الخطو المتحمل، بما يكفى لصنع ثغرات تفجر

الطازج من الاختلاف وروعة التمرد.

كنت أفعل ذلك. فتقفز إلي ذهنى ملامح منفصلة. لقضايا وأمور تداعت. وتداخلت فى نسيج الذكري النشط، الجارف لتواترات وتضاريس متشابكة. قبل أن ينطبع فى سمعى صوت المكبر ملِّحا. واضحاً.. يطلب علي عجل للإسعاف، طبيبا ربما كان بين الركاب.

كان هناك مريض، داهمته فيما يبدو إحدي النوبات. فوجدتنى وقد أخذت، أنشدّ إلي الخلف، ملتفتة بلهفة فى حركتى السريعة. فرأيت البعض ينظر نحوى فى استطلاع، منتظرا أن أنصاع للإشارة، مادمت بتأثير تلك الالتفاتة، قد جعلته يعتقد أننى طبيبة.

كنت أراهم كأنما يحاولون فسح الطريق لى. فاعتذرت بهزة من رأسى، وتمتمت علي الرغم منى بخفوت:

– لا. لا أبداً لست كذلك.

وانتابنى الحرج قليلا. فأزغت ببصرى وانحرفت جهة الكوة. أتابع مرأي جناح الطائرة، وهو يغوص فى الفضاء الشاحب.

سمعت بعد فترة. أن الرجل مصاب بالسكرى. وأن الطاقم فى استنجاده، وجد أكثر من طبيب. فكان أن خصوه باللازم من العناية والإسعاف.

كنا لا نزال فى غضون الساعة الأولي. ولعبور هذا الفراغ الذى يغلّف الكون، والذى تتوهج فى قلبه شمس شديدة السطوع، يلزم أزيد من ساعتين أخريين، نمضيهما، منصاعين لطقوس الطاقم، وتنبيهاته الواثقة، التى تأتى مضبوطة عبر المكبرات.

كنت أنزعج بمجرد ما يصدح الصوت، كأنما هو نذير، إذ يأخذنى علي غفلة، ويقطع هاتف زحف الخواطر فى نفسى والأفكار، فيداهمنى الحس باللاأمان، وأنا أقبع فى جوف هذا الجسم المعدنى الضخم، أواجه فى سكون، رهبة ألف احتمال.

انعكس توترى فيما يبدو، وانشداد أعصابى، ألماً طفق وَجيبُهُ يطرق صدغى. أخرجت حبة مسكّن من حقيبتى، وطلبت ماء، فجاءنى علي الفَور. وفيما أنا أتهيأ لابتلاع الحبة، أطل وجه المرأة التى عبرت الممشي المستقيم مرات، باتجاه دورة المياه بالخلف.

نظرت نحوى، فطفحت تقاسيمها بالمرح والخفة وقالت:

– تعبت من القعود.

ابتسمت لها. فوقفت مزروعة، تضع مستندة، ساعدها البض، علي مخمل خلفية المقعد، وتنحنى نحوى تذكرنى بلقائنا العابر، فى المصعد عند الفجر فى فندق العاصمة الحارة، ونحن نتأهب للسفر الطويل. قالت:

شفتك الصبح Mais Vraiment J'étais Fatiguée

قلت مؤكدة:

– وأنا أيضا.

كنت قد قطعت بخطوات بطيئة أرضية ممر النُّزُل الطويل، المكسو بسجاد كثيف داكن. ووقفت ماثلة. أسمع فى الصمت طنين المصعد، وهو يغوص فى استخفاء، ثم يعود فى هدأة، لتنشق ضلفتاه عن حافته المعتمة قليلا، فينفتح علي منبسط مربع صغير.

حدقت فى المرآة وأنا أميد رويدا، بانحسارة رخية، فبدت صورتى قاتمة علي السطح المدخن، متعبة من النوم القصير. كنت والمرأة كلتانا فقط نتبادل غمغمات مبهمة، بحس التيقظ الباكر، من نصف النوم ونصف اليقظة، علي كره منا

ومضاضة.
سألتني:
أنت.. ALGERIENNE ؟
فرددت موضحة:
- لا. أنا مغربية.
لعلها حقا متعبة. هذه المرأة الودود، وراغبة فى أن ينبثق عن عمد، بهذه الدردشة العفوية المفتوحة، شكل ود، وغمر دفىء، تستعين به فى مغالبة، علي اجتياز هذه الاستدارة البعيدة، فى الأفق البعيد.
قالت بعد حين، من خلف الرجل الجالس إلي جنبى:
- إحنا الفرقة المسرحية التونسية المساهمة فى المهرجان.
فاستعدت توا، مرأي ثلة من الرجال، كانوا بالانتظار، فى المدخل المفضى إلي المتسع، الذى يقود إلي باب النزل العريض.
سألتها مطايبة، كتشارك تلقائى:
- أنت ممثلة؟
فردت جادة:
- لا. أنا الـ Maquilleuse متاعت الفرقة.
غيرت الموضوع. وأبدت رغبتها فى البقاء إلي جنبى. وألمحت إلي ذلك فى خفر مكتوم. من خلف صمت الرجل، المركز النظرة، الجامد فى قعدته، كأنما ختم علي سمعه.
انخفض صوتها قليلا وهى تعلق:
- الشباب يتجادلون هناك. بلا انقطاع.
وكان فى ذلك إشارة إلي الهرج الصراح، الذى تخلقه زحمة أحاديث زملائها الممثلين، المتجاورين فى مقاعدهم، بتجاهل لأى حرص، مما يقتضيه الترصن المعهود.
ثم تداركت:
- وأنا من عادتى أن يركبنى خوف كبير وأنا بالطائرة.
قلت بترقب:
- صحيح؟
فضحكت ضحكة وديعة، ثم قالت:
- بشكل لا يتصور.
قلت بخفة التصديق:
- وأنا أيضا. ينقبض قلبى من الروع وهاجس التوجس.
ضحكنا معاً، بيسر ولمعت فى خاطرى، صورة الزميلة المصرية، وهى تضحك وتحكى، فى الليل الأخير، من غير كلفة، ونحن نتهيأ للرحيل، حالة عبورها إلي أمريكا. إذ طال بها التحليق، فوق أغوار الأطلسى، الكثيف الساكن الطبقات، كما تبدي لها، وهى تطل بطوايا الانشغال وضيق الصدر. فتضطر للترديد لنفسها باختناق:
- أنا مالى ومال الندوة دى. ما كنت قاعدة فى بيتى مرتاحة ومبسوطة.
ذكرت ذلك بأصداء، زاد من وقدتها، حسى الخاص، وهلاويسى، وقد هبت علىّ، ساعة ولجت المقصورة، قاصدة الممر، بعد حاجز المراقبة البشرى، المطمئن، والساعى، فى ذات الآن، إلي تحكم أمنى منظم.
قالت المرأة مستدركة:

– أول ما تأخذ الطائرة فى الارتفاع. ينفتح ألف باب للروع فى قلبى. ثم متابعة:
– فآخذ فى تلاوة القرآن.
سألتها بصوت خرج خفيفا:
– تلاوة القرآن؟
ردت مستحيية:
– جُملٌ من هنا وهناك.
– قلت مستفهمة:
كيف؟!
قالت:
– أقرأ وأقول: يارب سامحنى.
سألتها مستغربة:
– لماذا؟!
ردت فى حرج:
– تختلط السور عليّ. لا أحفظ أيًّا منها بالتمام.
ظللت أنظر إليها، فقالت مندفعة بعفوية:
– شوية من الصراط، وشوية من الخناس الوسواس، وشوية من رب الفلق.
كان صوتها خفيضاً، عميقاً، مستنجداً، فيه نغمة عجز وتسليم.
فى تلك اللحظة، التفت الرجل ونظر إليّ ببطء، من غير أن يتكلم، نظرة غير مريحة، ثم تطلع إلي المرأة عابساً، بإلحاح سريع، متكرر، وبعدها استقام واستوي ناظراً إلي الأمام، بعد إيماءات خفيفة من الرأس، كأنما هى الوعيد،
نظرت المرأة بلهفة نحوى. ورفعت قليلاً كتفها فى حركة تساؤل واستطلاع، فرفعت حاجبى هادئة فى افتقاد واضح للتعليل.
اهتز ما بيننا، وغامت فى لحظة، إشراقة الحديث المنفلت.
وضعت المرأة يدها علي صدرها، وأومأت لى فى زهد، ومشت فى خفة، بانسياق نحو مقعدها الواقع علي اليمين.
نظرت نحو الرجل برهة، ثم استدرت أرقب سطح الجناح، وهو يومض بوهج عميق، فيما لا تزال الطائرة، توغل فى الأفق الساطع الفسيح.

فبراير ١٩٩٨

ربيعة ريحان، مجموعة: مطر السماء، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٩، ص٨١ – ٩١.

حفيظة قارة بيبان (تونس)

الدائرة

الشمس تطلع!

لا تصدق أنها تغسلها بنور الحياة من جديد!

لا تصدق أن ضياء السماء يخترق جسدها ويحقنها بنشوة الحياة!

هى ذى تجرى فى الشوارع، والنور يلفها، يسكنها، فتتحول إلي كائن نورانى. تجرى إلي البنك، تحسب جل أموالها، تجوب المغازات، تلبس أحلي ما فى المدينة. تزور الحلاق. تخرج جميلة جذابة مغرية. تذهب للعمل بعد ساعتين، تطير إلي النزل تستنشق كل عبير الأرض. ترقص حين تضاء الشموع علي الموائد. ترقص سكري وعيناها تسبحان فى بحر الأضواء القزحية النابضة، تضم فارسها المجهول، وتهيم فى دروب اللذة مسدلة الأجفان.

فتحت عينيها. صدمتها الظلمة. ما زالت فى فراشها لم تطلع الشمس! ولم ينبت الفجر فى سماء المدينة، والسكون ساج، وخيمة لم ترتفع!

أحست نشوة الحياة العنيفة مازالت ترف فى جسدها. كان حلما مجرد حلم. أيكون هذا حلمها؟ هى المسكونة عشقا للعمل ليل نهار، الساخرة دوما من هواة تفاهات الفراغ؟. رفعت عنها الغطاء وقد تيقظت كل حواسها علي شهوة عارمة ورعشة عشق عنيف شرس للدنيا. اندهشت لذلك. تساءلت لحظة عن السبب. ارتج جدار الذاكرة ينشر صور الأيام الماضية. اندفع ألم يحرق الأعماق. أوقفته بتصميم، خوف فقدان لحظات النسيان النادرة.

انسحبت بهدوء من الفراش، تسللت إلي الشرفة. لم تطلع الشمس بعد. تركت وجهها لأنامل النسيم البارد تداعبه تذكى فيه حس الحياة. استندت إلي حافة الشرفة وعيناها تبحثان عن قبس قد يطلع من البحر.

(١)

أيام ماضية:

كانوا يصعدون الدرج إلي مكاتبهم. وكان صوتها يرتفع، يشتعل حماسا وهى تحدث رفاقها:

– الآن! الآن علينا أن نكتب طلبا لإطلاق سراح رفيقنا! معا، سيكون لنا صوت يسمع!

تكلم أحدهم وهو يتثبت من موقع أقدامه:

– وما ينفع طلبنا؟ لن يؤدى إلا إلي مزيد من المساجين!

كان صوتها يعلو متفجرا:

– ألمجرد خوف – لا مبرر له – من السجن، تبخل بإمضاء قد يعجل بالعفو عن زميل لك؟ ألم يدافع عنكم ويطالب بحقوقكم؟ ألم يتكلم باسمكم؟ علي الأقل، كان له مبدأ!

سأكتب أنا الطلب! ولو أمضيته وحدى!.. ولو سجنت: فرصة للخروج من هذا القرف! من عنده ورق؟

ناولتها صديقتها ورقة. جلست تكتب فى الردهة أمام المكتب. لم يحن وقت العمل بعد. ومع ذلك، كان رئيس القسم يحدق بها من بعيد حانقا.

هوي نجم، بدأ فى سقوطه مشعا رائعا. ولكن ابتلعته تجاويف الليل. وبقيت النجوم ترقب فى صمت. ظلت فى الشرفة تترقب خيط الضوء.

(٢)

«خيط الضوء» كان آخر مقال وآخر ضوء فى النفس ألقت به إلي الصحيفة. تهلل وجه رئيس التحرير حين قرأ العنوان.

– أجل! هكذا كفانا تشاؤما وبؤسا! نحن نريد خيوط الضوء والأمل!

وحين قرأ المقال عدل عن ابتهاجه واعتبر الجرأة فيه كبيرة، وخيط الضوء الذى بدا للمسحوقين فى انتشار النقابات وتمسكها بمبادئها ودعوتها حتي إلي الإضراب، شعلة نار وبعد أن عدّل المقال علي هواه، نشر «خيط الضوء» مشوهاً.

(٣)

ذاك المساء بدا وجهها شاحبا متعبا، وقد نسيته المساحيق والعناية، فلا وقت لديها لرسم الأقنعة فالنهار عمل دؤوب والليل كتابة، ومع ذلك، أصرت علي حضور الاجتماع النقابى قبل ذهابها لموعد الطبيب.

– تأخرت عن الموعد بنصف ساعة!

– آسفة! لقد اضطررت لحضور اجتماع مهم! دعاها إلي بعض التحاليل والفحوص.

تأففت هامسة: «مزيدا من إضاعة الوقت»!

الوقت! هذا الغول الأبدى! أرعبها الغول والذكري الهادرة. لتقفل أبواب الماضى! لتسدل أجفانها علي تلك الأيام! هدرت لحظات الحياة وبهجة الصحة والمتعة! هدرت بلا مقابل! ما الذى حصدت من كل ما فعلت؟ القلم والكتابة ودعوي الإصلاح! هل أصلح العالم قلم؟ هل أعاد النازحين والهاربين واللاجئين إلي أوكارهم؟ هل كسر قضبان السجون؟

هل غير الزمن؟ ما الذى حصدت؟ غير الفقر والتعب ووجه يذبل يوما بعد يوم يسعي إلي تابوته.

–٤–

كانت تهيم فى الشوارع فى ذهول بعد أن لفظتها عيادة الطبيب المختص. وحين حل المساء دخلت البيت تحمل كتابا شدها فى إحدي الواجهات، علي غلافه صورة تابوت خشبى قاتم، دخلت تحمله كقدرها. قررت الصمت. ما ينفع الآن الكلام؟ هى ذى نبوءتها بين يديها تسخر من مثاليتها ومبادئها وطموحها وآمالها.

ران الصمت يطفئ كل الأضواء الممكنة. سألها:

– ما لك شاحبة هكذا؟

بهدوء همست:

– أحقا؟

وأحست الوجع فى جزء غير محدد من جسدها.

عاد يسأل:

– ماذا أصابك؟ لم لا تذهبين للطبيب؟

اتسع الوجع يمد أصابعه الشائكة حتي حنجرتها. يخنق ضحكة تحاولها. حاولت ترك ابتسامة علي الأقل علي شفتيها. لكن شفتيها ترفضانها. ترتعشان. وتنطبقان علي ألم قاهر. حين خرج حانقا من صمتها، كانت أصابعها المتوترة تضغط علي كأس الدواء. تضغط بكل أوجاعها. ينكسر الكأس بين الأصابع المتوترة. يندلق الدواء. تضم يدها الشظايا، تنغرس قطع الزجاج فى أصابعها. ويتناثر الدم والزجاج.

وبقى وجه التابوت يحدق بها ساخرا.

ارتعد جسدها، الغول الأبدى يلاحقها ولكنها تقدر علي الهروب! ما زالت قادرة: فالشوق الحارق لطلوع النهار يسكنها.

لو يطلع النهار! لن تذهب إليهم! لن تكتب ولن تحرق جسمها فى محرقة العمل! لقد أحبتهم، وأحبت العمل من أجلهم وآمنت به. ولكن الآن! لو ذهبت سينكمش جسدها المنهك فى كرسى، ستخبو الابتسامة وسيسقط الحديث عن المستقبل. سيتهامسون. وسيقهقه فى عينيها التابوت!. هزتها رعشة. هربت من برد الشرفة

إلي المكتب. أضاءت المصباح. أسلمت نفسها لأول كرسى. مازالت الدعوة التى وصلتها للاجتماع ملقاة علي المكتب. هو ذا ما كانت تدعو إليه! وافقوا أخيرا علي الاتحاد والوقوف معا لتحسين أوضاعهم.

ستعلو الأصوات ويتفجر الغضب وتضرب قبضات الأيدى الهواء والطاولات وظهور الكراسي ولن تكون هناك!

ستكون فى أحد النوادى الليلية. فى أحد النزل.

ستدعو كؤوسا لم تعرفها! ستشرب وتثمل وتعربد. ستهرب من كل الماضى الذى بدأت بناءه ولم تكمله، وإذا هو ينكسر تحت أقدامها هشا سهلا، لأن جسدها الذى أنكرته دوما، فرض الآن وجوده، وجودا مرعبا مروعا، وإذا كل ما غيره عبث، ما الفائدة إذن من الذهاب والحماس والغضب والإسراع بإحراق بقية الخلايا السليمة فى جسدها؟ لم يعد هناك غير الآن! والقادم فضاء يملؤه الهباب! لقد هجرتهم حين فترت حرارة الشمس وبدأ ينضب فى دمها ماء الحياة.

كانت تنتظر السنين ليكتمل البناء الشامخ الذى آمنت به ولكن السنين صارت عدما.

فلتبلع أقراص النسيان. ولتدع كل كؤوس الخدر!. أسدلت جفنيها وقد أخذها الدوار.

كابوس:

رأت نفسها تدخل مرة أخري من تلك البوابة العريضة السوداء. تسير فى ممر ضيق طويل. تدخل غرفة الفحص. تمتد علي طاولة الطبيب الحديدية. شاهدت عينا كبيرة من الضوء الأحمر تلتهب فوقها. تقترب منها. لمحت وجوها، وأيديا تمتد فى قفازات البلاستيك. عشرات الأصابع المغلفة تنزع ثيابها، تعريها تماما. تقترب العين الكبيرة الملتهبة تفجرحرارة النار.

تندفع النار إلي أحشائها. نار ليزر تشقها. تشطرها. تتناثر يدها فى ناحية ورأسها فى ناحية. تطير عيناها. يسبح حول أشلائها دود. وضحك معتوه ويعلو صوت:

آسف سيدتى! فات الأوان!

وانطفأت العين الملتهبة: وغابت الأضواء والأيدى والوجوه. وبقيت علي الطاولة الباردة عارية وحيدة، والصدي يعيد:

- فات الآوان! فات الآوان!

مولد نسيان:

قفزت فزعة تطرد مرارة الكابوس. أيمكن ذلك؟ عين الأشعة تذكرها! مازالت آثارها علي جسدها! لا! جسدها مازال متماسك الأوصال! لم يقطع! مازال يتحرق شوقا للضوء، للحركة والعمل، مازال يتلهف إلي مكتبه، إلي أحاديث وخصومات الرفاق. إلي العمل من أجلهم. مازال جسدها ينبض بالحياة رغم الداء القاتل الذى يحاصرها.

لا! لن تستسلم بهذه السهولة! لن تستسلم!

اتجهت إلي غرفة النوم. امتدت علي الفراش تدعو شيئا من الراحة سلاحا للقادم. فتح رفيقها عينيه. أحس جسدها قربه خافقا متوترا. دعاها إليه. أقراص المورفين تدعوها. بل أقراص الحياة. استجابت لتبلع كل الأقراص! مجرد لحظات أو أيام ويصير الفضاء هباء. اقتربت بكل الشهوة الحانقة لتفجير الحياة. لم لا؟ الليل أو الفجر أو الغروب، كلها نفس اللحظات، فقط حين نحياها! فلأحى الآن ولأنس كل زمن آخر.

هو ذا جسدى المهمل دوما، قربك يلقى كفنه، تسرى فيه ~~دماء الحياة! أول مرة أحسه~~ حقلا مثمرا يشتاق للنور والمحراث والهواء.

هو ذا جسدى يلتهب شوقا فتطلق له موسيقي الأرض النشوي، تحلق به وتطير. ترفعه إلي الجنة فينهل من نبع النار المطهرة..

هو ذا جسدى نوراني هائم كما كان فى حلمى يعود فتتوهج شمس النسيان وتولد الفرحة.

الدائرة:

فجأة، تصمت الموسيقي تسقط الشمس والفرحة. تنطفئ الأضواء وترمينى الجنة. وإذا أنا وحيدة.

هو ذا جسدى عار – كما كان علي تلك الطاولة الحديدية الباردة – حقل بلا ثمار. هو ذا جسدى حقل ملغم قريبا تنفجر ألغامه ويطير شظايا. وهى ذى العين الملتهبة تثقب السقف. تقترب. تمتد منها الوجوه. وجوه الرفاق. وجه رئيس التحرير. وجه الطبيب. تتدلي وجوههم من اللهيب ساخرة. تجحظ عيونهم. تكشف عريى. تمتد الأيدى فى قفازات البلاستيك، تمزق صورى القديمة، وأنا أركض فى المعابر وأنا أكتب وأخطب وأعمل. تحرق كل أوراقى وتساجيل صوتى وتنثرنى بالبقايا. تمتد أيديهم بالمشاطر والسكاكين، تستعد لتقاسم جثتى. وتقهقه أخشاب التابوت المرسوم علي كتابى. فكل ما كان هباء.

وأغمض عينى المرهقتين. وتعود الدائرة الأبدية تعصف بى. المورفين والخدر اللذيذ. والصحو والعذاب المروع. وهاتف الشوق الحارق للحياة.

تعود الدائرة تدور بى.. تدور.. تدور..

وأنتبه لدقات الساعة فى أذنى لا تتوقف، ولخيط نارى يشق الظلمة إليّ.

أهى الشموس والمرافئ تحترق أم هو الفجر يفتح أجفانى؟

٢٤ جانفى ١٩٨٣

حفيظة قارة، مجموعة: فى ظلمة النور، منشورات قصص ١٧، تونس ١٩٩٩، ص٢٥ – ٣٤.

فاطمة محمود (ليبيا)

قبل أن تطلق رصاصة الرحمة

لا تنفذ من ثقب فى الأفق الأسمنتى الذى يطوقها.

ثقب؟!!

لا ثقوب.. لا مسام.. لا منفذ لشعرة تسقط سهواً من جمجمة الصباح المعلقة علي أسوارها. و.. لم تخرج المدينة. المدينة تضيق. دخلت فى الضيق ولم تخرج...

◆◆◆

تتسع.

لنشيج المرأة تتسع النافذة.؟

«المرأة التى تؤمم حيزا من مستطيل الفضاء الذى شكلته النافذة لحساب قامتها

الفارعة».



المدينة تضيق. تنكمش داخل خوذة من الأسفلت، تنضغط صوب أزقتها... تنضغط. قد يحدث. أن تري، وتسمع صرير عظامها تنسحق بين فكى وحش الضيق الهائل. وقد تلاحظ بما لا يدع مجالا لعدم الملاحظة، ابتهاج السوس فى عرائش العنب العتيقة، وخفق أجنحة الخفافيش التى تجوس منتشية إبط المدينة، محتفية بالرطوبة، ومغانم الانزواء الأخري، مطلقة عواءها الضئيل المتقطع الذى يشى بالإعلان عن رائحة جنازة قريبة قادمة. وقد يحدث ألا تحس شيئا وألا تري، وتسمع شيئا!



ولكنها تري. امرأة النافذة. المرأة التى. إلخ. كيف شرّعت المخلب مديتها، وبقرت أحشاء الخضرة. نهشت الندي من وجه العشب، يبَّست الجداول الفتية. خنقت رقرقة الأحزان فيها والأغنيات الناعمة...

تحت النافذة. يقرقع جسد هرست عظامه.. الرأس مدقوقة فى مسمار التوتر، مصلوبة علي خشبة الأرق.

... من الحدقة ينضح الصديد، والرماد.

... من تجويف فى الصدر يتدلي شىء ممضوغ يشبه جثة ضفدعة متعفنة.

خارج حول النافذة

«رجل يهرول.. عرق أسود.. ظله طويل قاتم كمارد الخرافة. بيده آلة سوداء بحجم الكف. تنفث دخانا هزيلا. فتح بنطاله بيد واحدة فيما الأخري تتكيء علي الحائط ممسكة بتلك الآلة السوداء. «يبدو رغم لهاثه. لا مباليا. مع أن فوهة الآلة الصغيرة الشرهة لازالت ساخنة. نفس درجة حرارة الجثة التى بال عليها فى اللحظة. ها جدول صغير من دم المقتول وبول القاتل يأخذ مجراه علي أرصفة المدينة...

بغته.. أحنى جذعه.انتفض. ثقل لئيم يفجؤه. تفرَّس أسفل بطنه. السائل الأصفر الذى ينزّه يتخثّر... صرخ فيما توازنه يختل باتجاه الفرار. فيما يربض علي الظلال شريط إسمنتيا متخثرا يمتد وراء.. فدار الرجل كعلامة دالة...

.. أزيز مخاتل.

طعنة الصمت.. الدم وجدل التقنية الحديثة.. رصاص ما قبل رصاصة الرحمة.

شىء بارد داكن يدخل رحم مدينتها. وامرأة النافذة تري أن الجسد المهروس تحت النافذة، الذى ظنته مدينتها هو مدينتها بلا ريب. وخمنت. أنَّ المدينة تسمنتت.



المدينة تسمنتت.

المدينة تأتى النافذة تتعثر فى انكماشها «وتدخل» فى الضيق ذراع المرأة يتمطي فى الفراغ، وقلبها يسقط فى المناخ الشمعى.

الآخرون محشورون داخل علب من الحديد والبنزين، والعلب محشورة فى المدينة، والمدينة محشورة فى رصيف ضيق، والرصيف ينبعج فى كف الدركى، ويتثلم تحت أقدام العسس.

رجل يتثاءب داخل سطل البنزين الفاخر، والمدخنة المعلقة فى وجهه تنفث دخانا أسود لا مبالياً، والمرأة الموثوقة إلي المقعد بجواره تسقط فى الصمت والعرق،

وتخشي الحريق:

المدينة – جدران رصاصية تنضغط صوب صدر امرأة النافذة – صدرها صغير نافر. يسميه طفله المشاغب. شكل يده.. هكذا.. عدينى ألا يتجاوز راحة يدى.. أنا شخصيا. هكذا. وحذرها مشاكساً بأن لا تأكل البطاطا.. تتحسس المرأة فنجانى القهوة المقلوبين. فيما تمد يدها. تجذب ياقة الثوب الأسمنتى الذى يربض علي صدرها. وتنعت رجل الآلة السوداء الصغيرة بأنه: رجل المهمات القذرة.

داخل تجاويف صدرها يربض صندوق جدتها الفاتن المكتظ بالفجاءات ورائحة الزمن الدافيء.. جدتى.. يا جدتى، من قال إنك بلا فائدة. احتفظى بطقم.. أسنانك. سارق آخر.. أما أنا فدعينى أتكفل بمدائنك المرصعة بالحنان والغرابة. غرست يدها فى حديقته المنسية، قطفت مدينة عيشة معشوقة السلطان. نافذة. ونصبتها علي تخوم الحكاية.

النافذة تعويذتها..النافذة مدينتها، النافذة تفتح أكمام السر عن تويج البوح، النافذة خطيئتها، النافذة فضيحتها.



أووووم... هكذا إذن.

دلف الرجل غير المتوازن إلي القاعة – حاول أن يكون متوازنا. ضرب الغبار الرابض علي النص../ غطت المرأة وجهها، فضخت الغبار الذى تراصف أمام أنفها وعينيها...

ولول السيد رقيب النصوص فى المدينة التى تسمنتت ~~وبدأ يفض بكارة النص.~~

(فى السطور القادمة قد تطالعنا بعض تجليات السيد الرقيب).

يكتب فى الحاشية:

نص مشبوه

~~كاتب [illegible] لغة [illegible]ة. معانٍ مبهمة «وأنا شخصيا أرفض الإبهام وبإبهامه~~ بصم تحت اكتشافه».



بأى غبار يعدنا هذا الضيق؟ قالت المرأة المُقلّقة... التى كانت تلاحظ فى ذلك الوقت أن طقسا من الضيق يتكثف داخل قلبها، ويثير غبارا فى حلقها وأذنيها غير آبهة فيما يبدو للسيد الذى يراقب النص بعين ويثقب الورق بعينه الأخري مستطلعا القوس الخفيف الذى يرسمه ظهرها المنحنى علي النافذة، متابعا – فيما يتلمظ – استدارة أسفل الظهر وانسكاب بقية أجزاء جسدها فى إهمال ولا مبالاة لهوس نظراته.

فنجانا قهوة...

رمق النص بازدراء. ولكنه مدَّ يده داخل النص. قرص صدرها. صحح بأنهما قدحا حليب. وأفتي بأن تأكل البطاطا...

«انحناءة الجسد علي النافذة». شىء غامض يتسرب من حضورها لا يفهمه.

ال. آى. آى. آ...

بنطاله يضيق.. أسمنت، عرق. تقوس الجسد المرهف. يده تنزلق تحت الطاولة الرمادية...

يدها تدخل طقس الذاكرة.. تصطدم فى اللحظة. بيد شبقة تجوس جسدها. تضغط صوب شهوة الامتلاك، فحيحه يحاصرها. آخ.. وجهه الرصاصى، يده

الصفراء، جسده اللزج، ماؤه النتن. بصقت. علي الجدار المقابل، عليه.. ينسحب داخل خوذته كالحلزون. علي المدينة علي الرطوبة.. علي جسدها. بصقت. إتفوه. إتفوه.

يابنت الـ...

أخرج السيد الرقيب يده اليسري المبلولة من بنطاله ومسح البصقة التى اعتقد أنها تخصه...!



تسند رأسها علي النافذة المقتبسة – بل المسروقة من مدينة عيشة معشوقة السلطان. تلك المدينة التى حاكتها أنامل جدتها ذات ليلة من الليالى المسنودة علي الانتظار والترقب.

مدينة من زجاج. كل شئ صاف مخترق..

– عيشة. يا عيشة هل رأيت حبيبك الملقي فى زنزانة سلطانكم الفريد...

السلطان لا يسمع. ولكن البلور يسمع. مدينة صافية مفضوحة أحوالها عارية – أحوال السلاطين. تعرفين.. المساجين هم أحوال السلاطين.. قلقهم، فزعهم، أرقهم، وكوابيسهم...

لذا عندما ضاجع السلطان جواريه فى قصره البلورى. كان العامة والرعاع – وأنا منهم – ينظمون مظاهرة، ويرجمون المدينة بالاحتجاج. إلي أن جاء رعاع آخرون – وأنا لست منهم – واقترحوا علي جلالته أن يعتم المدينة بالطلاء، ونصبوا أنفسهم دركا. خسارة. لم يكن البلور دركا. كل شيء واضحاً جليّاً كان. لا درك إذن، لا لصوص، لا جريمة.

.. والحب.. أتري عيشة معشوقة السلطان كانت تشرف من بلورها علي زنابق العشق، وهى تتفتح فى عيون رعيتها؟ أتري كانت تلتقط البهجة المتقافزة علي بلور المدينة؟ أتري كانت تنشر ضحكتها لى قوس قزح النابت فى شرفات المحبين مدينتها...

أتـ ...

هامش للرقيب:

– فاسقة أخري اسمها عيشة تقترح مدينة مشبوهة.

فكرة للرقيب:

... نفخ من روحه فى القلم.. رسم فأساً علَّقها علي مدخل المدينة البلورية...

– «تهدم».. ينقل المحابيس، والجوارى – بعد إذن مولانا السلطان – إلي مدينتنا – علي مسؤوليتى.

جرس يتدلي فى الذاكرة. تقرعه المرأة علي عجل.

رن. رن. دم. غبار يجيء، وفى الغبار سنابك وسيقان وجلة. السنابك معلقة فى فضاء غير بعيد، تحتها تنحنى ظهور رجال، ونساء عراة. وفوق الظهور تثأثيء خيول ملجمة، السيقان تتقوس، وتنغرز فى الرمل. فيما تغرق الخيول فى الضحك، وتختلط دموع النساء بعرق الرجال، برغوة ضحك الخيول، ويبدو كل ذلك نتنا.

مناخ من الرطوبة يتلزج علي جِدِرانِ الجرس.

أسفلت يهرول صوب قلبها. يُشرِع بوابته الرمادية أشخاص يعتمرون فوق خوذاتهم رءوساً من رمل، وتقبض عليهم هراواتهم. فى الباحة صف من الإناث من مختلف الأحجام والأعمار،. واحد يبدو أنه كبير الأشخاص. يتورم فوق هرم من

الجثث، وآخر يبدو أنه مساعده يحملق فى الطابور البائس المسمَّر أمامه، فيما يدلك بعيون مدرّبة حوض سيده، ويقيس أى من عضوات الطابور ألهبت مفاصله.

التصاريح تنام فى الأكف، والأعين علي البوابة. علّها تسمع. من جانبها سترشو هؤلاء الأشخاص، وشخصهم، بنصف ضحكة. تعرف مكامن ضعفهم.

– عيشة.. كيف تسني أن سرقت حبيبك من الزنزانة.؟

تلكزها عيشة: التزمي الصمت، والحركة!

– أوه ياعيشة. سأحكى له عنهم كيف يتشرنقون داخل أسفلتهم. سأحكى عنك. كيف سرقت الولد منهم. وكيف سرقت أنا فذتك المخبأة فى صندوق جدتى. سأغافل هؤلاء المشبوقين المسفلتين. وأخرج النافذة من صدرى وأريها له. دافئة بهية، وفسيحة. وربما غافلهم، وتسلّق إفريز النافذة. ربما انفلتنا سويا صوب الفضاء الفسيح ثم.

تصرخ عيشة: حاذرى...

الأشخاص، يقبضون علي عيونها متلبسة بالحلم. يمزقون التصريح، يقبضون علي لسان جدتها. يمزقونه إرباً يمزقون براح الحكاية ورعونتها.

عجنوا حلمها بأسمنتهم.

« .. ظهور النساء، لهاث الرجال، ضحك الخيول الماجن، عويل البدو بين أفخاذها، لزوجة الرغبة فى السنابل، بولها فى طواقيهم الأسمنتية، رغوة الشبق فى ظهورهم... ذهبت فى التقزز. قوادة الرواق تدونها فى القائمة، تعصر من اسمها وعداً للسيد.

.. لا بلّور. البوابة لن تسمع. لازال السلطان يضاجع جواريه، لا نوافذ. غير مسموح بالزيارة.

فى الهامش كتب الرقيب:

« المرأة. مشبوهة »

« النافذة. تعتقل »

يده اليسري لازالت تحت الطاولة، أنفاسه تصعد، وتهبط!

فى النافذة كانت المرأة تشحب...

« .. مساء رصاصى ملبد بيرقات الغبار، تتشرنق حول زنابق الغيمات الصغيرة البعيدة. المدينة تزحف ببطء حول جدرانها. البحر الذى توليه ظهرها مدبرة صوب أسمنتها، يسمع لهاث أزقتها، وصدي الأقدام الوجلة، والبحر الذى توليه ظهرها لا يشاهد المدينة إلا بالقدر الذى تسمح به ساقا الدركى حين يباعدهما فوق الممر الأسمنتى.

برك البخار الرطبة تنعقد فوق سطوحها الصماء، سعال المارة بول، وبصاق الشرطة، وحمير، وكلاب المدينة، ضجه ميتة سرعان ما يبتلعها صمت ثقيل داكن. عندما يضم الشرطى ساقيه فإن ظله الممتد من السقوف الواطئة وحتي الأرصفة البعيدة، يبتلعها تماما، ولا يتواصل البحر مع أضواء الفوانيس فى بيوت عمال الميناء الضيقة التى تتماوج فجة حميمة فوق الجدران العارية الرطبة، والتى تعكس علي هيئة صور ورسوم غريبة ظلال الملابس، والحاجيات المعلقة فى مسامير كبيرة سوداء، وعندما يكون أطفال المدينة عادة ضمن العائدين مبكرا إلي بيوتهم بلا أغنيات طرية.. تكون شمس رثة سقطت آنئذٍ فى البحر المبعد الغارق فى خجله وموجه...!

فى الهامش. ..

أخذ الرقيب المسطرة. رسم مربعاً حول البحر.

وأبرق لجماعة خفر السواحل. شيئا ما. فى مكان ما. ينفث دخانا هزيلا، ويعوى. لازالت تنتفض شبقة.



قال الطفل: لماذا تسقط الشمس فى البحر؟.

قالت الطفلة: ألا تلاحظ أن حرارتها شديدة، ربما لتخفف من سخونتها.

– هكذا نضمن اللعب علي الساحل دون خوف من ضربة شمس.. هتف الطفل مبتهجاً.

ستكون شمساً مبلولة حينئذ..! زقزقت الطفلة.

– ولكن. ألا تخاف سمك القرش؟!

– قال الطفل كمن قرصته فكرة.

– : ضحكت الطفلة بغرور العارف: إنها تشويها. أمك لا تستطيع قليها فى للقلق. أليس كذلك؟!

ضرب الطفل أخماسه بأسداسه. سحب البنت من يدها تجاه الشاطئ. تعالى. قد نأكل سمكة قرش مشوية.

فى الهامش.. ولول السيد الرقيب:

ياللأطفال الفسَّاق. أطفال النص

يتعاطون السياسة. يافضيحتك

يا كاتب النص!

: تعالى. قال الطفل.

.. انفلتا صوب البحر



نسيت أن للمدينة بحراً. قالت امرأة النافذة.



قهقه البحر فى سدّه. نشج فى سرّه.

سمك القرش. منذ متي لم تصطد فى جوفى سمكة مليم واحدة؟ منذ متي غادرتنى قوافل السمك، وأسراب النوارس؟

أجس رحمى، علَّ موجة تحمل وعدا بعقيق، وعاصفة ضلت طريقها إلىّ، علَّ موجة تمتطيها الجنيات المالحة ترسو بين ذراعه. سمك القرش. فُضَّ الأمر وكشف الأطفال عورتى.

امرأة النافذة تهرع صوب البحر تفتح حدَّة أسرارها تحيك لمدينتها أغنية من رمادها.

: المدينة تدخل فى البكم..

لا تستنبط من طقس العصافير أجنحتها.

تدخل في الورع والتقوي.. تحرق أشجارها

تصبّ الشمع الأحمر فى قلوب فتيانها..

المدينة يا سيدى يا بحر.

لا تتزين بالافتضاح الجميل..

لا تدخل فى «الحرام»

فى جمرة الخطيئة لا تقع..

فى العقم تدخل. لا أجساد نزقة تفصّل لها من الأغنيات القديمة أثواب فرح موصول.. المدينة تدخل فى الدخان، فى الرمل، فى المازوت.

.. يا سيدى يا بحر.

أنا امرأة النافذة أهربنى إليك.

أحاول إشعال الريح فى النار المطفأة، أتكئ علي نافذة الأسطورة. أستعير أنفاسها لأمدها جسرا لهروبى

أيمكننى الانفلات إلي أبعد...

أتهبنى موجة أطرّز عليها نافذتى؟

أتهبنى من محارك مدينة لا تنشب مخلبها فى وجوه الأطفال؟!



فى الهامش نبح الرقيب:

(١) سرقة نوافذ.

(٢) وقاحة ضد الأشخاص وشخصهم

(٣) تعال علي المدينة والرواق وأهل الرواق.

(٤) إفساداً، وتحريض اللّلا عيشة معشوقة السلطان.

(٥) علاقة مفضوحة مع الزنزانة رقم (...).

(٦) علاقة مشبوهة مع البحر.

(٧) محاولة الإيحاء بالغمز واللمز أن السيد الرقيب - الذى هو أنا - يقوم بأفعال شاذة جنسيا، منها علي سبيل المثال - وياللوقاحة - ممارسة عادة الاستمناء.

(٨) استفزاز الأستاذ رقيب النصوص - الذى هو أنا - ومحاولة إفساد ذمته، وإغوائه، وجرّه لمتاهة الفسق والشهوة، والعياذ بالله.



يأتيها البحر منكسرا. عجوزا يتقوس ظهره. يلثم قدميها. يتسلق جسدها. رماها بغصن من كرمة جراحه. «لم أشأ - يا امرأة - أن أكسر الأطفال - لكن كسرتهم..! ذاك الطفل بعينه فرّ ذات دركى، إذ غشته الظهيرة المسفلته، إلي...، لعب بين ذارعى هاتين. لعق وجهى المالح. نفض عن قلبه قذي المدينة المرمية خلفه كجثة كلب دهسته شاحنة الفحم المسرعة. كنت أضع يدى علي قلب.. الطفل يحتفى بنكهتى، ولونى، علي ألاّ أكسره، جثا علي الشاطئ. صخبت.. استنجدت بإلهة الريح المسجاة علي الشاطئ. عبثاً...

كان خيال الطفل أوسع من حزنى، وحلمه أعمق من جرحى.

يجرى. يعاند الريح، خفر السواحل. آه. ها هو يمسك بسرِّى . بعلَّتى.. هتف الطفل ندماً.. محارة.. جري نحو صاحبته التى ترقب قرص الشمس يطفو تحت أفق بعيد يقاوم الغرق...

محارة. حضن اكتشافه. ياللحيوان البحرى الجميل.

فجأة. أضرمت المحارة فحيحها فى وجهيهما. فجأة. حاصرهما نعيق يتكوم داخلها فجأة. غرقا فى ذهولهما. فى دمهما. انتفضا عائدين للظهيرة المسفلتة.

البحر يفقس يوما.

البحر يلدغ الأطفال.

قاطعنى الأطفال. لم أعد أسمع ثرثرة أقدامهم البريئة علي مشارف قلبى..

قاطعتنى حكايا المدينة المجروحة.. من يومها أتلصص كالمأفون أخبارها من الفتحة التى تسمع بها ساقا الدركى الذى يطوقّها. لا أحد يعرف أن البوم لدغنى قبل أن يلدغهم. ولدغنى إذ لدغهم.

–وحدهم الصيادون يكابدون معى سرى..

سُرقت منهم. لم أعد ألوح علي زنودهم، وأهدر فى أوصالهم، زوارقهم القديمة أمست هراوات تنضح رائحة الملح والسمك المهاجر.. لم أعد أفاجئ أطفالهم بالرزق الطيب. بالمجهول الشهى.. لم أعد أفك شفرة السند، والهند، لم تعد تحمل أردافى حكاية البحّار التائه، والشاطئ المنتظر. لم أعد أجيء بالعالم، التاريخ رائحة المرافئ الأخري، لون الأفق الآخر.

.. صناديق مختومة بالشمع تثقب قلبى وتكسر ظهرى، وتحملنى إلي المرافئ جثة من رماد.

◆◆◆

فى هامش الرقيب:

٩– عمال الميناء.. الصياد الذى يعرف

١٠– البحر المتذمر

١١– البيوت الكادحة

١٢– الكاتب، ينظم صفوف جماعته الذين يفقسهم النص، يرشح قوي اجتماعية لحسم المسألة. إنها قوة مشبوهة أليست ثيابها معلقة علي المسامير المثبتة فى الحائط الكالح؟!

◆◆◆

قال البحر:

أنا المنبوذ يا سيدتى أنا الملدوغ يا امرأة تفترض مدينة من عافيتى.

◆◆◆

تحضن نافذتها. تكحت عن جلدها الأسمنت. عاريه شفافة وضيئة، مغسولة بالبوح، والتوق، تدخل المرأة فى البحر.

– فى الهامش..

يحاول الرقيب جرها من جديلتها تجاه أسفل الطاولة.

يتوكأ البحر علي صخوره، ويخرج من جلده..

فى النافذه. كانت المرأة تينع.

الثقل يصبح وخذا أزرق. أسفل بطنه.

جسدها ينسكب من النص دافئا ملونا برائحة البحر. نكهته تحرق عظامه..

حركة يده تشتد تحت الطاولة.

وجهه يزرقّ. يزرقّ.

شىء متخثر يتيبس فى يده. فجأة يتجمد هذا الشىء تحت الطاولة.. اَى.. إلىّ أيتها الخيل أنتم أيها الأشخاص يا سيدى... يا كبير الأشخاص. إليَّ. إليَّ. المرأة البحر. النافذة. الزنزانة. والطفل. والصيادون، وكاتب النص. متآمرون يخططون لانقلاب. ويبدأون بى.

حالة ليست أخيرة..

المدينة.. «فيما توازنه يختل يلهث الرجل صوب المخفر. المدينة.. «مخفر يلهث

خلف النافذة... جسم صغير بارد أسود يتجمع علي فوهته دخان ودم.
فى جوفه رصاصة وحيدة. تعوى قلقاً.
فى المخفر يبحلق الدرك في النص، فيما تزرقُّ وجوههم.
إذ يحسون بثقل أسفل السرَّة
إذ تتدلي أغراضهم أسمنتاً
إذ ترسف المدينة فى أسفلتها، والأزقة فى دركها.
إذ تحلِّق النافذة خارج بلّور مدينة عيشة معشوقة السلطان مكلّلة بالبحر، مجنحة بامرأة جسورة!، وولد طليق!

فاطمة محمود، «قبل أن تطلق رصاصة الرحمة»، مجلة «الفصول الأربعة»، ع ٢٥، طرابلس، ١٩٨٤، ص١٠٦-١١٤.

أحلام مستغانمى (الجزائر)

من رواية: ذاكرة الجسد

من أين سآتى بالصمت الذى سيقول لها دون أن أقول شيئا، إن حسان هناك فى مدينة أخري، ينتظرني فى ثلاجة، وإن أولاده الستة لم يعد لهم غيرى.

كيف أشرح لها سرّ قدميّ الباردتين، والصقيع الذى يزحف نحوى كلما تقدمت بى الساعات، وكلما راحت يداها تفتحان أزرار قميصى دون انتباه. بحكم العادة.

- كاترين. ليس لى شهية للحب، اعذرينى.
- وماذا تريد إذن؟
- أريد أن تضحكى كالعادة.
- لماذا أضحك؟
- لأنك عاجزة عن الحزن.
- وأنت؟
- وأنا سأنتظر أن تذهبى لأحزن. حزنى مؤجل فقط كالعادة.
- ولماذا تقول لى هذا اليوم.؟
- لأننى متعب. ولأننى سأرحل بعد ساعات.
- ولكن لا يمكنك أن تسافر. لقد ألغوا كل الرحلات إلي الجزائر.
- سأذهب. وأنتظر فى المطار أول طائرة تقلع. لابد أن أسافر اليوم أو غدا. هناك من ينتظرنى.

كان يمكن أن أقول لها: «لقد مات أخى. أخى الوحيد يا كاترين.» وأجهش بالبكاء. فقد كنت فى حاجة إلي أن أبكى أمام أحد يومها.

ولكن لم أكن قادرا علي ذلك معها. لعلها عقدة قديمة. فالحزن قضية شخصية، قضية تصبح أحيانا وطنية.

ولذا احتفظت بجرحى داخلى. وقررت أن أواصل حديثى كالعادة. لعلّنى فى يوم آخر سأخبرها بذلك. ولكن ليس اليوم. الصمت اليوم أكبر.

شعرت فجأة أننى أسأت للفراشات.

قلت:

– كاترين. لقد كانت قصتنا جميلة، أليس كذلك؟ كانت معقدة بعض الشىء. ولكنها جميلة برغم ذلك. لقد كنت المرأة التى كانت دائما علي وشك أن تكون حبيبتى. وربما سينجح الفراق فى تحقيق ما عجزت كل سنوات القرب هذه عن تحقيقه.

– هل ستحبنى عندما نفترق؟

– لا أدرى، من المؤكد أننى سأفتقدك كثيراً. إنه منطق الأشياء. لقد كان لى معك أكثر من عادة. ولا بد لى بعد اليوم أن أغيّر عاداتى.

– وهل ستعود.

– ليس قبل مدة طويلة. لابد أن أتعلم الآن الوجه الآخر للنسيان. الغربة أمٌّ أيضاً، ليس سهلا أن نجتاز الجسر الذى سيفصلنا عنها.

– خالد. لماذا تحيط نفسك بكل هذه الجسور؟

– أنا لا أحيط نفسى بها. أنا أحملها داخلى. هناك أناس ولدوا هكذا علي جسر معلَّق. جاءوا إلي العالم بين رصيفين وطريقين وقارتين. ولدوا وسط مجري الرياح المضادة، وكبروا وهم يحاولون أن يصالحوا بين الأضداد داخلهم. ربما كنت من هؤلاء. فى الحقيقة دعينى أبوح لك بسر. اكتشفت أننى لا أحب الجسور. وأكرهها كراهيتى لكل شىء له طرفان، ووجهتان، واحتمالان، وضدان. ولهذا تركت لك هذه اللوحات.

كنت أود إحراقها، روادتنى هذه الفكرة. ولكن لست فى شجاعة طارق بن زياد. ربما لأن إحراق بحّار لباخرته فى معركة حربية، يظل أسهل من إحراق رسام للوحاته فى لحظة جنون.

وبرغم ذلك، أريد أن أحرقها حتي أقطع علي قلبى طريق العودة إلي الخلف.

لا أريد أن أقضى حياتى وأنا أسلك هذا الجسر فى الاتجاهين.

أريد أن أختار لقلبى مسقطه الأخير.

– أريد أن أعود إلي تلك المدينة الجالسة فوق صخرة، وكأننى أفتحها من جديد. كما فتح طارق بن زياد ذلك الجبل، ومنحه اسمه.

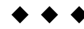
منذ غادرتها أضعت بوصلتى. قطعت علاقتى بالتاريخ وبالجغرافية. ووقفت سنوات علي نقطة استفهام، خارج خطوط الطول والعرض.

أين يقع البحر وأين يقف العدو؟ أيهما أمامى وأيهما ورائى؟ ولا شىء وراء البحر سوي الوطن. ولا شىء أمامى سوي زورق الغربة. ولا شىء بينهما سواى.

علي من أعلن الحرب ولا شىء حولى سوي الحدود الإقليمية للذاكرة؟

نظرت إلي كاترين، ولم تفهم شيئا.

لقد كانت علاقتنا دائما ضحيَّة سوء فهم وقصر نظر. فافترقنا كما التقينا منذ أكثر من قرن، دون أن نعرف بعضنا حقا. دون أن نحب بعضنا تماما. ولكن دائما بتلك الجاذبية الغامضة نفسها.



وقلت:

«الحبَ هو ما حدث بيننا. والأدب هو كل مالم يحدث».

نعم ولكن.

بين ما حدث وما لم يحدث، حدثت أشياء أخري، لا علاقة لها بالحب ولا بالأدب.

فنحن فى النتيجة، لا نصنع فى الحالتين سوي الكلمات. ووحده الوطن يصنع الأحداث، ويكتبنا كيفما شاء. مادمنا حبره.

غادرت الوطن فى زمن لحظر التنفس. وها أنا أعود إليه مذهولا فى زمن آخر لحظر التجوّل.

أتذكر وأنا أواجه وحدى هذه المرة مطار تلك المدينة الملتحفة بالحداد كلاما قاله حسّان منذ ست سنوات واستوقفتنى كلماته دون سبب واضح.

قال: «إن قسنطينة فرغت من أهلها الأصليين. لقد أصبحوا لا يأتونها سوي فى الأعراس أو فى المآتم».

يذهلنى اكتشافى. ها أنا أصبحت إذن الابن الشرعى لهذه المدينة التى جاءت بى مكرهاً مرتين.

مرة لأحضر عرسك. ومرة لأدفن أخى. فما الفرق بين الاثنين؟

لقد مات أخى فى الواقع مثلما مت أنا منذ ذلك العرس. قتلتنا أحلامنا.

هو لأنه أصيب بعدوي الأحلام الفارغة الكبيرة.

وأنا لأننى غادرت وهمى ولبست نهائياً حداد أحلامى.

يسألنى جمركى عصبى فى عمر الاستقلال لم يستوقفه حزنى ولا استوقفته ذراعى... فراح يصرخ فى وجهى، بلهجة من أقنعوه أننا نغترب فقط لنغني. وأننا نهرّب دائماً شيئاً ما فى حقائب غربتنا.

– بماذا تصرّح أنت؟

كان جسدى ينتصب ذاكرة أمامه. ولكنه لم يقرأنى.

يحدث للوطن أن يصبح أميّاً.

كان آخرون لحظتها يدخلون من الأبواب الشرفيّة بحقائب أنيقة دبلوماسية.

وكانت يداه تنبشان فى حقيبة زياد المتواضعة، وتقعان علي حزمة من الأوراق.

فتكاد دمعة مكابرة بعينى تجيبه لحظتها:

– أصرّح بالذاكرة. يا ابنى.

ولكننى أصمت. وأجمع مسودات هذا الكتاب المبعثرة فى حقيبة رؤوس أقلام ورؤوس أحلام.

باريس – تموز ١٩٨٨

أحلام مستغانمى، ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، ط١٢–١٩٩٩، ص ٤٠٠ – ٤٠٤.

ربيعة جلطى (الجزائر)

شيزوفرينا

فى غفلة الرقصة ومغالبة النعاس
هربتُ منى
ضعتُ بين المدي وسفح نخلة
صرتُ اثنتين
ما هذا الذى يشبهنى فى المرآة؟
يشبه ما كان يشبهنى
ما هذا الذى يغنى فى مهب دمى
ويخرب عطرالبنفسج فى صدرى
وأراه يلوّح بمنديل

.. وهديل.
صرتُ اثنتين
واحدة تطوّقها صفوفُ الورع
وعناقيد النجوم
إذ تخادع الخيول ترضع صغارَها
وأخري
يباغتها الحنين كل حين
يتحجر فيها النهرُ وأغنياتُ العيد
ما أحزننى إذ تمزقتُ
ما أروع أن تصبح اثنين
أن تتحرر
أن تصبح جماعة أو أكثر
أن لا تتكرر

صرتُ اثنتين يا منتهي وجعى
دُنيانين من أمهار
واحدة تَنتظِر أجراسا
تُردى القتيلَ حيّا
تراقب صباحاً ممعناً فى السهو
واقتراف الخيال
وأخري بماء الجنة تروى اللحن
ولمن غيّبتهم الفتنة وانتشار البحار
تغنى

صرت شارعين
يطلُّ الأول علي المشمش والنرجس
وصباح القصائد
يدخل بحيراتِ اللغة
وآخر
مَنْ علّق اسمه بالأفُق ولون الخبز
مَنْ سيّج بوجهه جميعَ الجهَات
من أحكم بأنفاسه غلق جميع الدوائر
كاد يخنقنى
بصوت يعلق الدُّجي فوق المدن
ويتسلق قلبى بشراسةِ الجنون
من أنت
ما هذا الَذى يشبهنى فى المرآة؟
يحاول اغتيالى
ما هذا الذى يشبه ما كان يشبهنى؟
لست أقدر أن أدرى
لست أدرى.

شتاء وهران ١٩٨٧

ربيعة جلطي، ديوان: شجر الكلام، منشورات السفير، مكناس، ١٩٩١، ص١٩ - ٢٣.

إمباركة بنت البرّاء (موريتانيا)

رمل ونهر

رملى ونهرى توأمان،
غذاهما درّ حنان،
وفى الصباح يحملان القوس والصنارة.
وأملأ الجرة أروى النخلات
وحين نجمة الرعاة،
تبرز من إطلالة المساء.
يعود ولداى
فيتحفان الحىّ بالأسماك والغزلان
بالسعد والليف وزهر الأقحوان
وكل عام فى الشتاء تكبر الأسماك
وتدفئ البنات بالطين شقوق القدمين
وتزهر الوديان بالحليب والبنين
وحين تمسح الصبا كل الحقول
منذرة بالعارض الهطول،
وتمرغ النوق التراب،
أهتف بالأبناء قد حان الرحيل
فيوضع الزاد علي الأقتاب
وتحمل الخيام
باركت كل عرق الجبين
وقلت لا لمن يريد أن يعوق ولدى
فلتدأبا كل شتاء!
ولترحلا كل مصيف!
وحاذرا أن يسرق النهر وتخنق الأسماك
وراعى الغزلان لا تضعْ لها الشراك!
فأرضكم لا تعرف الجوع ولا الدخيل،
ورملها ونهرها مجد أثيل...
وكلما اليسر نما وزادت السيول
ولألأت شمس الأصيل
ذوائب الرمال والأمواج
أو أذّن الديك صياحًا وابتهاج

سيركن الحجيج للأرض التى
لا تعرف الجوع
ولا الدخيل...

١٩٨٧/١٢/١١

إمباركة بنت البراء، ديوان: ترانيم لوطن واحد، المطبعة الوطنية، نواكشوط، ١٩٩١، ص٤٨ – ٤٩.

شفيقة الساحلى (تونس)

امرأة تعترف

انتحيت زاوية خالية من زوايا قاعة الشاى بنزل «خليج القردة» بضاحية قمرت، ووضعت رأسى بين يدىَّ واعترفت لنفسى بالخطأ. نعم لقد أخطأت وإنى لمقرة بذلك. كيف صدقته؟ كيف صدقت كلامه فى الظلام الدامس دون أن أغوص فى أغواره؟ كيف نسيت «كلام الليل المطلى بالزبدة». كما تقول أمى؟ كيف خدعتنى نظرة الضعف والغباء وغاب عنى أن الضعيف يخفى عقداً عديدة الأنواع. ولكن ماذا أفعل الآن؟ هل أتحمل خطئى وأواصل طريقى معه؟ أم آخذ منعرجاً آخر لحياتى؟ فأنا لست الوحيدة التى تخطئ، كل الناس يخطئون، الدنيا كلها تشتمل علي الخطأ والصواب. بل لا يتبين الصواب إلا من خلال الخطأ.

وعلي أثر انفصالنا. أخذ الناس يرشقوننى بنظرات حادة ويمدوّن فى وجهى ألسنتهم النارية الوقادة وينظرون إلىّ فى استغراب. ماذا يريد منى هؤلاء الناس؟ ألم يكفهم ما ضاع منى؟ أيريدون أن أندب حظى وأبكى ليل نهار وأنتظر بين أربعة حيطان أى رجل يأتينى، ليستريحوا وربما يدعوننى وشأنى؟ أم يريدون منى أن أقع فى الخطأ مرة أخري. لماذا يهاجمنى أهلى وأقاربى؟ ألأنني فشلت أم لأننى رفضت الفشل مرة أخري؟ لماذا لا ينظر الناس إليه هو؟ بالذات؟ لماذا لا يرمقونه ويشيرون إليه ويهتكون ستره ؟ لماذا؟ ألأنه رجل؟ يا له من مجتمع.

أحسست برجفة عنيفة تهز كيانى، وشعرت بقشعريرة تسرى فى كامل جسمى من أصابع رجلى إلي شعر رأسى. وتذكرت يوم عرفته لما أفقت علي صوت دافئ سمعته يقول:

– أتسمحين لى بكلمة؟

رفعت بصرى إليه. فرأيت علي وجهه ابتسامة هادئة تحمل فى طياتها العطف والحنان فقلت له:

– تفضل.

قال:

– ما بالك علي غير عادتك؟ أين وجهك البشوش؟

– أتعرفنى؟

– إنك تترددين باستمرار علي هذا النزل، أليس كذلك؟
– نعم إنه مكانى المفضل.
– وأنا أيضا.
ظل مطرقاً وقتاً طويلاً فأمسكت كوب الشاي الساخن ألتمس من دفئه بعض الراحة وأخذت منه رشفة ونظر فى عينى وهمّ بأن يقول شيئا ولكنه لم يقل، تأملت عينيه. فى عينيه نظرة غريبة.
أسندت رأسى إلي الكرسى وسمعته يقول:
– مازلت أنتظر الجواب.
– من تكون حتي تسألنى وتنتظر الرد؟
– أنا معجب بك كثيراً ومنذ مدة طويلة.
فسألته بلهجة ساخرة:
– منذ متي بالضبط؟
أحس بوقع إجابتى، لكنه أضفي علي رده مزيداً من الجدية:
– منذ ستة أشهر.
ولم أرد. فقال متلعثماً متفادياً النظر إلىّ:
– سألت عنك كل من يعرفك.
فازددت إحساساً بازدرائه وسألته:
– وهل هذا يكفى؟ أتصدق ما يقوله الناس؟
كان مصراّ علي المواصلة فى الخط الذى انطلق منه وكأنه لم يسمع سؤالى.
– وتابعت كل حركاتك. إنى أهتم بك كثيرا وأحترمك.
وبدأ ينتابنى شعور بالضجر، كنت أود لو ينتهى هذا الحوار فقلت:
– وماذا أيضاً؟
– وأرغب فى العيش معك إن كنت لا ترين مانعاً فى ذلك.
واتخذ الموضع منعرجاً حاسماً ونظرت إليه. وددتُ لو أنفذ إلي أعماقه لأعرف مصدر هذه الكلمات. هل هى من داخله أم مجرد كلام سطحى؟ ولكنى لم أستطع، ربما لم أر له أعماقاً، فنظرت فى عينيه مرة أخري، فتراءت لى نظرة طفل برئ أثارت أمومتى وشفقتى وأخمدت أنوثتى. ولكنه بالرغم من ذلك كله فإنه يعتبر نفسه رجلا بصوته الخشن وشاربه الكثيف وربما بفحولته. بيد أن الرجل الضعيف الشخصية الكاذب الماكر مهما بلغت فحولته فإنه يفقد معني الرجولة الحق.
أحسست أن حاجته الملحّة إلىّ تربطنى به. فاتفقنا علي العيش معاً إلي الأبد.

وما هى إلا أيام قلائل حتي ظهرت بوادر التمرد عليه وانقلب ضعفه المصطنع إلي غطرسة وقوة. تلك القوة الواهية التى يستعملها المعقدون أمثاله لإخفاء عاهاتهم العديدة المتنوعة. وسقط القناع وظهر بوجهه الحقيقى. لست أدرى لماذا طعننى فى الخلف، لماذا لم يجابهنى بحقيقته؟ إن هذا النوع من البشر الحيوانى المنطوى علي الكذب والمكر والخداع، المتردد بين ألف لفظة ولفظة فى اليوم الواحد، لا يستطيع أن يتعايش مع أناس من غير طينته. فاندهشت من هذه الصورة التى كشف عنها واحترت وتساءلت: هل ولدت معه تلك الغرائز؟ أم أن المجتمع هو الذى زرعها فيه؟ لمَ لم يقل لى ها أنا ذا؟ هل يخشي البشر بشراً مثله؟ هل الخوف فضيلة أم رذيلَة؟ هل يولد الخوف أم يتولد؟ هل هو قوة أم ضعف؟ لماذا التجأ إلي التغطية والتضليل والإخفاء والكذب والزور؟ ألأن هذه الوسائل تنطلى علي بعض الناس وتلائم مزاجه الشخصى أم أن الكذب ضعف ومذلة وخوف وعجز؟!
أحسست بدموع ساخنة علي وجهى، فأسرعت إلي إزالتها، لن أبكى أبدا، لكنها

ليست دموع الضعف والهزيمة بل إنها دموع الانتصار والنشوة باسترجاعى ذاتى واستقلالى بكيانى رغم فشل التجربة لأن الذى خسر معركة لا يعنى أنه خسر الحرب.

نظرت إلي الساعة. فتذكرت دعوتى إلي مأدبة عشاء بنزل السندباد بالحمامات. فركبت عربتى وانطلقت كالسهم.

جابت نظراتى فى القاعة الفسحة الأرجاء وتطلعت إلي وجوه الحاضرين، فلمحت من بعيد رجلاً يرمقنى منذ دخولى القاعة، وجهه ليس غريباً عنى ولكن الذاكرة خانتنى، ثم ابتسمت عيناه ابتسامه لطيفة، فتقهقرت أفكارى إلي الوراء قليلا ولكنى تغلبت عليها هذه المرة، فالمكان غير مناسب للذكريات الرديئة.

وقفت فى ركن هادئ أنظر إلي الرجال والنساء وأستمع إلي ضحكاتهم المتتالية العالية وإلي صخبهم المستمر وإلي أساليب الدلال والإغراء والسذاجة والغباء التى تستعملها النساء الجاهلات وكنت أتساءل: لماذا ينهار بعض الرجال هكذا أمام رغبتهم؟ والتفت ذلك الرجل ناحيتى والتقطت عيناه عينى فأشار إلي مائدة فى مكان منفرد قائلا:

– لنجلس هنا.

وبدون شعور منى قبلت دعوته بلا تردد، تاهت نظراته بعيداً عنى ثم قال لى:

– هل عرفتنى؟

أجبت بشرود:

– ماذا؟

قال بهدوء تام وبغاية الثقة وبلهجة المعاتب:

– أنسيتنى؟

لم أقدر عَلي التفوه بأى حرف. فاستمر يقول بصوت منخفض دافئ حنون: سمعت أنك...

ونظر إلي أصابع يدى اليسري.

فقلت:

– نعم.

– ولماذا؟

– غلطة. ولكن من تكون أنت؟

– أنا رسام. هل نسيت زيارتك لدار الثقافة ابن خلدون منذ ثمانية أشهر؟ هل نسيت تلك الكلمات اللطيفة التى رسمتها علي سجلى؟ ألم تشترى يومها الصورة رقم ١٤؟

– آه صحيح. أهنئك بذاكرتك المعجزة.

– إن ذاكرتى تحتفظ بكل ما هو جميل.

ساد صمت رهيب فأطرقت إلي الأرض فتابع يقول:

– إنى لا أجامل. إنها الحقيقة.

لم ألتجئ إلي وسائل الدلال ولم أفتعل السذاجة مثل أغلب النساء بل نظرت فى عينيه.

فى عينيه قوة عنيفة شدتنى إليه، وسمعته يقول:

– لماذا تنظرين إلىَّ هكذا؟

وأحسست بيديه تلمسان يدى بحنان لم أحس به من قبل، ثم ضغط عليهما بقوة أثارت انوثتى المكبوتة وشعرت بحاجتى إليه.

فجأة التفتُّ حولى فلمحت عيوناً ترمقنى، تلك العيون الجريئة التى تحاصرنى

أينما حللت. عيون النساء الجاهلات اللواتى لا يعرفن من الحياة سوي الأكل والشرب وشغل البيت بالنهار وشغل الفراش بالليل. وسمعتهن يهمسن خلسة:

– ريت مقواها يا الا، ما زالت كيف عرفتو قعدت تتعشي معاه.

– آه هذيكة. نعرفها مطلّقة.

– علي اشكون؟ آه حتي أنا نعرفها، عندها وليد وتسكن وحدها، حقة حقة راجلها ما عندوش شخصية تفلسيف بنات اليوم.

أخذت دقات قلبى تدب فى صدرى دبيب جيش المغول وأنفاسي تضيق تحت ضلوعى وعيناى المفتوحتان لا تريان إلا ظلاما، وكأن فى أذنى وقْراً، فأمسكت نفسى عن الانفجار وأخفيت رأسى بين يدى فسمعته يقول:

– أتشعرين بتعب؟

– لا أبداً. كم الساعة الآن؟

– منتصف الليل.

– طيب أتركك الآن، لقد تأخرت.

حاولت أن أتفادي عينيه، حاولت أن أبعد عينى عن لهيب عينيه، ولكنه لم يدعنى أهرب منهما ورأيت نظراته تحوطنى فى قوة وثقة ثم قال لى:

– هل يمكننى أن أراك مرة أخري؟

– نعم.

شفيقة الساحلى، مجموعة: امرأة تعترف، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٤، ص٢٤ – ٣١.

أمينة المرينى (المغرب)

عاشقة

باحَتْ بَوَادِى الهوي فاشتاقَ وَادِينَا
من بَعْدَ ما كاد رَيْبُ الدهرِ يُنْسِينَا

باحت فهاجَت جراحَ القلبِ خامَدةً
أَعْيَتْ علي العُمْر أصنافَ المُدَاوينا

وعَهْدُنَا بزِنَادِ الكَيّ آسيةً
وِهَالهيبُ الجَوَي والبَوْحِ يُضنِينَا

فلا تَشَوُّفُ نار الطُّورِ يصْرِفُنَا
ولا تَرَجِّي بُرَاقِ النُّور يُسْلِينَا

ولا النِّعَالُ التى بالأمس قد خُلعت
هجرْنَ مَن صَبْوَةِ الوادِى المَيَادِينَا



فى حَضْرةِ العشقِ يسمو الروحُ منجذباً
بفَيضِ نور تَحَدَّي القَيّدَ والطينا

يعلو وَيفنَي بذاتِ الخَيْر مُتَّحداً
كالعطر لابَس رَيْحاَناً ونَسْرِينَا
إنى أنا الشوقُ، أو صالى وإن فَنيَتْ
أبقي بَكاسَاتِهِ خمرَ المحبينا
قديمةً فى ضمير الكون خَالدةً
لم يُسْقَها غيُر أبرارٍ مُصَافينا
كأَنَّ جوهرَها النيرانُ ساطعةً
من جَمْرِ مُهْجَتِنَا تذكو فَتُذْكِينا
رَوَتْ أواخرَنا من كأس أوَّلِنَا
ولم تَزلْ بكؤوس الوَجْدِ تُظمينا
حتي تَشِفَّ لها الأرواحُ من وَلَه
فى شطْحَةِ الوَصِلِ لم تُكْشَفْ
لرائينا



يا طيرَ باديةٍ عذراءَ يا نغماً
أَشْجَي فأحيا رسيساً كان يُضْوِينَا
كشفْتَ حُجْبَ البهاءِ المَحْض مُؤتَلقاً
مَنَ رونَقِ اللفظِ فَتَّاناً ومفتوناً
من عنفوان اللَّظي من بردْ سطْوته
مَن فطرةَ البيد يُلْهِمْنَ المصابينا
من جرح (عُذْرَةَ) فى أبهي إمارته
كم تَوَّجَ الجرحُ عشاقاً سلاطينا!
الخالدونَ لَهُمْ بالتِّيه مملكةُ
من المواجع لم تَبْرَحْ عناوينا
ظلوا ملوكاً فلا البيداء تخلعهم
ولا يبايعهم غيرُ الوفيينا
ولم يعيشوا لغيرِ الطيف يُسْعدُهُم
وَلم يمَوتوا علي غيرِ الهوي دِيَنا
قد كان بوحُك لَمْحاً من صبابتنا
كأنما هو مرآةُ تُجَلِّينَا
فَالقُفْ بسحرك ما يُضْنِى جوانحَنا
لعل نَفْثَهُ باسمِ الله يَرْقِينا
من أمرِ ربك أن تَهْوي محاجِرُنا
نورَ الجلال وضيئا فى مغانينا
وأن يفيضَ سناءُ الله فى غَسَقٍ
وفى النجوم تُناغينا وتُغْرِينا
وفى القدود التى فى خِصْرها هَيَفُ
وفى العيون التى تُفْنى وتُحْيينا
فى البِيضِ تبسَمُ عن دُرٍّ يُشوِّقُنا
أحبةً لم تَزَلْ أسمي أمانينا
يا مشتهاىَ لها كم ذا تُعَلِّلُنى

ويا مُنَى النفسِ هل وعدٌ يوافينا؟
وهَلْ نُيَامُن داراً رفَّ سندسُها
نقضي بها من لُبَانِ الروح ماشِينَا؟
بأمر ربك أن يدعو جوارِحنا
حبٌّ الجمال فنأتيه ملبينا
نؤوبُ للحق فى أزهي مفاتنه
ونرشُفُ النشوةَ الكبري مُنِيبِينَا
فما أُحَيْلَي الذى كَنَّتْ سرائرُنا
وما أَجَلَّ الذى فيه تَفَانِينَا
نهواه كُنْهاً لطيفاً ماله كُفُؤٌ
ومالنا فى الهَوَي نِدٌّ يُوَازِينَا
وما استوي قلبُنَا والشوقُ عاصفةٌ
والدمعُ طوفانُ نُوحٍ فى مآقينا
وكيف لو أن هَذى العين تُبْصِرُهُ
لَقَطَّع الحُسنُ أوصالَ المُرِيدِينَا



فاقْنَعْ بما فى حِجَابِ النفس من أمل
وخَطْرَةٍ لوميض الحُلمِ تُدْنينا
وهاتِ كأسَ الهوي لا شُرْبُها نَزَقٌ
ولا تجور بنا إلا مُصَلِّينَا
لَعَلَّنَا والليالى الزُّهرُ ساجِيَةٌ
نَسْعَدُ بذكر حبيبٍ ظَلَّ يُصْبِينا
يكاد وجهُه فى الآفاق يَبْهَتُنَا
لولا سُدُولٌ من الأسرار تُقْصِينا
لَنَا الخلود فما يُشفى تَألُّمُنَا
لن تحرق النارُ أعمار المحبينا

المغرب: فاس

أمينة المرينى، «عاشقة»، ألقيت فى ملتقي العيون، ٣ - ٤ أبريل، ١٩٩٧.

آمال مختار (تونس)

من رواية : نخب الحياة

فاحت رائحة قديمة، بلا هُوية. اقترنت فى ذاكرتى بمطعم المبيت الجامعى. وكان مطعم الفندق مكفهرّا وأكثر كآبة. منذ نزلت هنا، لم أتردد عليه كثيرا، إذ كنت

أطلب الطعام فى غرفتى، فى مرات قليلة أذكر أنى أكلت.

لكنى فى هذا الصباح، أجلس باسترخاء علي أحد كراسيه الخشبية الطويلة وألتهم الفطور بشراهة، حليب دافئ فى أوان بلورية، بيض وخبز وقهوة تصاعد بخارها، فاختفت وراءه تلك الوجوه القليلة المتناثرة فى زوايا المطعم المعتمة. لعلنى رأيت بعضها يبتسم لى! استغربت ذلك من وجوه غريبة قادمة من بلاد عجيبة وزمن غابر. كانت عيونها جاحظة وشعرها مستنفرا وألسنتها متدلية، بينما كان الدم يسيل من أنيابها، كنت أري تلك الأنياب تطول حتي تلتقط الخبز بأطرافها المعقوفة.

رميت قطعة خبز كانت بين أصابعى عندما اقترب منى ذلك الأسود. أزعجتنى رائحته كريهة وقوية فنفرت من الطعام.

لامست شفتاه الغليظتان أذنى. همس وهو يضحك ويهتز بطنه الضخم:

– رائعة كانت تلك السهرة التونسية البارحة.

ابتسمت ببرود. ثم أضفت بعد صمت: شكراً.

– هل تسمحين بالجلوس وشرب القهوة؟

– آسفة، سأغادر اللحظة.

ضحك وانطلق وهو ما يزال يقهقه، وبدت لى مؤخرته قبيحة وهى تضحك أيضا.

دقائق بعد السابعة. أخذت مرآة من حقيبتى. لم يكن وجهى مرهقاً ولا مترهلاً، بل كان مشرقاً وجميلا. أعدت صباغ شفتى. تزحلقت إلي الطرف الآخر من الكرسى، كنت سأغادر. لما وقفت سطع ضوء فى عينى، فتهاويت.

أغمضت عيني.

بخخت عطراً علي جسدى. وقفت عارية أمام المرآة. فكرّت أن أعيد رسم شفتىّ ثم عدلت. بقلم الشفاه تتبعت خطوط جسدى علي المرآة ورسمته.

تطلعت إلي الرسم. أحسست بشئ يدب فى قلبى. كأنى رأيت إبراهيم يطل منه، كأنى رأيته يقف فيه، يتبختر، يتمدد ويضحك.

مسحته.

جلست علي حافة السرير، وكانت جميلة فوضي اللون الوردى يلطخ المرآة.

الليلة، سأعتقك منه. الليلة سأعيد لك الحرية. سأفتح لك القفص فأطلق جناحيك فى فضاء الحرية، واسبح فيه كما تشاء.

بعد الآن لن يجيئك إبراهيم، لن يقدم لك حَبّاً وماءً وخساً ولوزاً. لن يقف أمامك إبراهيم، لن يغنى معك ولن يصفّر فى تلك الأمسيات الحالمة التى كانت تنثر الحب علي ضاحية أريانة. بعد الآن لن يأخذك بين يديه السمراوين، ولن يداعبك بأصابعه الطويلة الرشيقة، ولن يقبّل ريشك الأبيض ولن يضغط...

أيها العصفور، الليلة، سأعيدك إلي البرّية، فابحث عن الحب والماء بنفسك. انطلق فى الخلاء. قف شامخا علي قمم الأشجار والجبال، اقترب من الآلهة وغنِّ لها، سترد بالغناء.. تنفس رائحة الغابة. تدثر بأوراق الأشجار، واسترح من المتعة قليلا لتعاود الطيران فى فجر جديد.

طرقة خفيفة علي الباب نبّهتنى.. وقفت.

أغلق الباب، استند إليه.. ربما كان يلتقط أنفاسه.. تعثّرت نظراتى المبعثرة بالشمعة. كأنها بدأت تبكى. ثم استقر بصرى عليه.

سمعت ارتطام نظراتنا فقدح الألق وأضاء الغرفة برق. ورأيته كاملاً لأول مرة. طويل، رشيق، شعر أسود، بشرة قمحية، أنف دقيق، جبهة عريضة وشاربان

أسودان – غضضت عنهما الطرف – يغطّيان شفتين مكتنزتين.
كان يرتدى سروالاً كحلياً وقميصاً أبيض مخططا بالأزرق الفاتح.
بدأ يقترب، كان يتقدم بخطوات ثابتة ومركّزة فى بطئها، خلالها كان يرفع ثيابه ويثبّت بصره علي جسدى، بينما أصبح ذلك الألق لهبا.
كان كأنه يتوحّد، كأنه يتجمع، كأنه يتوثب. كان يغطى جسده شعر أسود كثيف. وكان جسده قوياً ومستفزاً وغاضباً.
عندما بلغنى كان قرداً جميلاً.
تسللت أصابعى، لامست فخذى فعلمت أن الصراع سيكون حربا لن تنتهى.
كل جسد سيقاتل من أجل متعته حتي الدم. سأغتسل بدم المتعة وسأغسله كطفلى.
لم يعد البلاط يئز تحتنا بل كان يصرخ.
كنت أحلم بأن يتكسر ونسقط من قمة متعتنا فى الفضاء ونطير. نسقط من جديد، وإذا بنا فى البحر نتلاطم بين الأمواج بأجساد مشققة عطشاً. ولن نعرف كيف نرتوى. نظل نتقاذف ماء المتعة، نتراشق به، نرشفه، نبصقه، نمتصه، نتلمظه، نسبح فيه ونتخبط، ثم نهتدى ونشرب ولا نرتوى.
نسقط وإذا بنا فى الأدغال. ننطّ علي الأغصان الضخمة الغليظة، نقفز علي الجذور الضاربة في العمق، نجلس القرفصاء تحت الفيء نتمدد علي الأوراق العريضة. نقضم الثمر الغجرى. يغطس هو فى جوز الهند المشقق يمتص رحيقه ويأكل لحمه. وألتهم ثمر الموز بنهم خرافى. ولا نشبع.
نسقط، وقد أغرتنا لعبة السقوط. نكتشف أسرار المتعة الهاربة. نركض وراءها، نسعي للإمساك بها ولا ندركها.
تسلل ضوء الصباح. أزاح ستار الظلام، وإذا بنا فى بستان المتعة، ممددين تعبث أصابعنا بماء يسرى حولنا، وتلفّنا رائحة ستظل موشومة فى الذاكرة.
تباطأت نظراتى مخدّرة وكسولة. كانت السادسة. علي حافة الطاولة بكت الشمعة طول الليل حتي سال دمعها علي الأرض وانتحرت. ووشح دم الانتحار بياض فجر جديد.
تثبَّت بصرى علي سقف الغرفة رقم ١٥ . أحسست به بعيداً. كنت غارقة فى عمق الخدر. كيف أعود إلي هناك؟

آمال مختار، نخب الحياة، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣، ص٩ – ١٣.

عروسية النالوتى (تونس)

من رواية : تماس

عادت أشجار البرتقال تتوهج أمام ناظريْه. وألحّ عليه هاجس رؤيتها إلحاحاً شبيهاً بالحمَّي.
كان وهو يخترق طرق العاصمة الملتوية، موزّعا بين جموح الرغبة إلي رؤيتها

مرّة أخري وبين تصميمه القديم علي نسيانها وإفراغ أعصابه منها.

لم يحدث له أن لبسته أنثي بهذا الشكل «فيستلبس» ويفقد القدرة علي منع ركبتيه من الارتعاش ولونه من الانخطاف وشرايينه من الضغط علي قفص الصدر، وجلده من التقلّص إلي حد ينسي فيه أن لجسده حدوداً وكثافة وعظاماً يستند إليها اللحم.

لم يشعر كيف خرج من متاهة العاصمة وكأن إنساناً آخر كان يسوق السيارة عوضه. كان بودِّه ان يصل إلي بيته الصيفى هناك علي الربوة العتيدة، تخلّصاً من قبضتها العاتية التى فاجأته كنوبة الصرع. وكأنه وهو ينشد بيته ويسرع السير إليه سيلتقي بها هناك، فيرتمي بين ذراعيها ويملأ رئتيه بعبق رائحتها فتزول بقربها وحشة النأيِ عنها.

لم يكن مسطولاً بل كان يعلم بشكل موجع أنها ليست هناك، وأن البيت مقفل ومفاتيحه معه، لكنه كان يحسّ أن ذلك المكان هو الوحيد الذى يستطيع اللجوء إليه هرباً من نفسه أو التقاءً بها.

كانت الأزقة الملتوية المؤدية إلي البيت خالية من المارة علي عكس عادتها، فالناس منصرفون إلي متابعة وقائع الحرب العجيبة التى ألجمت الأدمغة وأفحمت الألسنة، وغدا الناس لا يعرفون إن كانوا يشهدون هولاً حقيقياً يلتهم المدن والقري ويطحنها طحناً أم فلماً جديداً من أفلام الرعب الخيالية التى تمطرهم بها شاشات «العالم المستنير».

دلف محمود إلي البهو الصغير فاستقبلته رائحه الرطوبة المقيمة، لم يدخل البيت منذ آخر لقاء له معها. كانت تملأ المكان بحركتها وتعمّره بوجودها وصوتها وضحكها وخصامها وتؤثثه فى الحين بأشيائها الصغري. وتعلن للحظتها، ملكيتها للمكان وصاحب المكان.

فبقدر ما كانت تحرص علي وسم المكان برائحتها وهى فيه، كانت تحرص علي جمع كل أشيائها وهى تغادره، كانت سخية بوجودها وضنينة بعلاماته.

تقدم محمود وهو يتفحص المكان نحو النوافذ يفتحها فانهمر ضياء كالشلال دافقا إلي الداخل، فاستفاقت ذرات الغبار وذهبت فى حركة مجنونة تتراكض حول خيوط الشمس المستلقية علي أرضية القاعة.

ألقي نظرة سريعة علي الأريكة - أريكتهما - وتوقف لحظة ثم جلس فى المكان الذى كان قد تعوّد أن يجلس فيه إلي جنبها، ولكنه سرعان ما هبَّ واقفا. كانت حشية الأريكة باردة وصلبة. قصد المطبخ، علّه يجد أثراً لمشروب كانا قد تناولاه. أو فوضي كؤوس وصحون وملاعق شهدت لقاءهما الأخير. لكنه لم يعثر علي شىء يذكّره بما مضي. كل شىء فى مكانه صامت. جامد. وكأن لا دخل له فيما يحدث. عنَّت له فكرة أن يجهّز لنفسه قهوة. لكنه عدل عن ذلك. قصد قاعة الجلوس فلم يَحْلُ له مكان يجلس فيه. ضغط علي زر جهاز التلفزة فإذا هو ملف حرب الخليج مرة أخري مع خبراء يتجادلون فى الأسباب والمسببات والدوافع والتبريرات ورهان الحرب وآفاق الغُنم واستبداد العرب وانفتاح الغرب ورهان النفط وحق البشر فى العيش الرغد.

عوالم تسقط، وبناء يخر، ومدن تقام، وأنوار تخبو وأخري تشع، وطير أبابيل، ومقامع من حديد، ونار ودخان. و«ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا» حديث وأحداث واللحم البشرى يصلي علي نار موقدة.

أغلق الجهاز، فغمر الصمت الغرفة وبقيت أصداء اللغط تطنّ فى أذنيه.

خرج إلي الشرفة يبحث عن أصوات الكائنات الصغيرة الطائرة وهسيس الموج

المتكسر علي أسنة الصخر، علَّه يلاقى فيها أنساً مفقوداً، لكنه لم يجد فى ما سمع من أليف الأصوات ما يطفئ جوعه بل كانت تنكأ جرحه بما علق بها من روائح الأماسى السعيدة التى عرف فيها ما معني أن يتسع الصدر ليحضن الدنيا بأسرها، وما معني أن تتسع الرئتان لتخزن عطور العالم وأريج الأرض بكل أحمالها، وأن تسرى فى البدن قشعريرة اللذة النادرة فتتوهج الحواس وتزدهر المشاعر، وتينع فى القلب نبتات الفرح العارم، وينفجر الجمال من كل ثقب فى الأرض، فتتسع النفس إلي حد لا يدرك.

استدار محمود إلي وسط الغرفة وأسند ظهره إلي سياج الشرفة الخشبى الأزرق. وتسارعت دقات قلبه وهو يستعيد لحظات خاطفة ليست من متع هذه الأرض، لحظات ممنوحة من أوساع زمنية أخري تستعصى علي أى قياس. وكان يدرى وهو يعيشها معها أنها هاربة لا محالة، وكأن النشوة التى تمنحه إياها متأتية من استحالة دوامها بالذات.

وسأل نفسه: ولم كل هذا الإصرار علي الإمساك بها؟ لم كل هذا الوجع حين لا ألقاها؟ وماذا أقول للمرأة التى تقاسمنى حياتى؟ كيف أشرح لها حالة الضجر التى تصيبنى كلما اقتربت منى؟ كيف أوصل لها رغبتى فى أن تتنحي عن طريقى وتتركنى أعيش وحدى جنتى الجهنمية؟ كيف أفسر لها أن صوتها يوتر أعصابى وأن مشاغلها تقرفنى، وأن عطرها يصيبنى بالغثيان، وأن وجودها فى حياتى خطأ فادح، وأن جهلها لمقامها عندى الآن هو أكثر فداحة؟

وفكّر فى غضب: زينب تعرف كل ما حدث ويحدث وتحدس بحسِّ الأنثي كل ذلك، وكل ذلك لا يعنيها. فقط يهمها الآن أن تزيح عن عالمى الأنثي الأخري. الأنثي التى أنجبت. وأنثاى هذه لا أقبل من يساوى منى فيها ولا زينب نفسها. ثم زفر وهو يحاولِ منع صدرِه من الانفجار.

لمِ نُجبر دوماً علي الاختيار الصعب؟

قَفز محمود إلي وسط الغرفة وأخذ يذرعها جيئة وذهابا. وأحس أنه حانق علي زينب بشكل مفاجئ: من هى حقيقة؟ وماذا تريد منى؟ ومن الذى أوقفها فى طريقى؟ كأنها قدر لعوب يترصّدنى! هل تحبنى؟ هل أحبتنى مرة؟ ماذا تريد؟ هلاكى؟ وبعد؟ وبماذا ستستفيد والعالم يعج بالرجال الذين يشبهوننى؟ عن أى متعة تبحث إذا كان الحب لا يطفئ النار التى تتأجج فى نفسها؟

كان بوده أن يطلبها فى الهاتف، ولكنه كان يخاف أن يسمع صوتها ويخاف أكثر أن لا يسمعه.

كان يعرف شرطها المجحف. وكان يعرف أنه لا يقدر عليه. وكان يعرف أيضا أنها قد حدست كل ذلك. وأنها الآن تنتشى وحدها بطعم اللذة المستحيلة.

تهاوي علي الأريكة وفتح جهاز التلفزة لينحشر مع ضحايا الدمار، وجرحي الحرب، فجرحه بعض من جراحهم، وعويله الصامت بعض من عويلهم. كل يبكى من فقد، ويصوغ ألمه بالشكل الذى يقدر عليه. ويسأل: لمَ؟ ولا أحد يجيب.

عروسية نالوتى، تماس، «عيون المعاصرة»، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٥، ص٢١ – ٢٤.

ينفجر الانتظار ذات مساء

مازالت المقاعد الحديدية داخل القفص المستطيل تحضن المسافرين وتلفظهم كالنواة بعد امتصاص شحمها ودمها.

حركة عاتية تعيد نفسها بكل طاقة العادة والتعود المدمر لقوة القذف والابتلاع.

يدخل المسافرون فى كل مرة قفص العادة يشدهم قطار السفر إلي مستقبل جغرافى آخر، يضمد القلق الثقيل، ويمسح غبار الوعى الواقف وقوف العمود الفقرى طوال ساعات عجاف.

علي المقاعد يجلس أناس فى انتظار القطار الذى يأتى متي عنَّ له أن يأتى . وأناس آخرون لم يجدوا مكانا علي الكراسى الحديدية فجلسوا علي الأرض المفروشة ببقايا الجرائد المتروكة وقطع من تذاكر منفوشة، تمر نسمة ساخرة جارحة فتحرك الخمول وتحدث خللا فى وحدة الصمت والانتظار . فتعلو همهمة. ويفرك البعض كفيه بحثاً عن حرارة تشغله مدة الارتقاب، وتينع فى الصدور رغبة فى التحدث إلي بعضهم البعض وشغل فراغات باردة مخيفة. فيتململ أحد الجماعة الجالسين علي المقعد الحديدى، ويبادر بالحديث فى شبه ارتباك يتوجس سوء تفاهم محتمل.

الأول – الجو متقلب فى هذه الأيام!.

الثانى – (يحدق فى وجه صاحبه طويلا): أشعرت بذلك أنت أيضا؟

الأول – أيعنى أنك أيضا...؟

الثالث – (فى لا مبالاة): ألا تري كيف تكوّرنا داخل معاطفنا؟

الأول – معك حق.

الثانى – أيؤلمك تقلّب الجو؟

الأول – بل يفزعنى، لأنه ينذر بعاصفة.

الثانى– ألا تتبرك بالعواصف؟

الأول – زوجتى لا تريد أن يبتلّ معطفى والعواصف تزعجها. لذلك يجب أن أكون بجانبها قبل التاسعة والنصف.

الثالث – قد يبطئ القطار!.

الثانى – قد يبطئ .

الأول – يعنى أنى سأصاب بالزكام؟

الثانى – إذا كنت مستعداً لذلك.

الأول – هل تحدثوا عن حملة محتملة ضد الزكام؟

الثالث – كلا فأعوان البلدية مهتمون بإعداد مشروع القضاء علي الجرذان داخل المدينة وخارجها.

الأول – أنا أمقت البلدية.

الثالث – وهل قلت لك إننى أحبها؟

الأول – آه صحيح!. كنت تقصّ على حكاية الجرذان، وكنت أقصّ عليك زكامى.

الثالث– لا تتهاون بزكامك فقد يصبح سرطانا.

الثانى– لا خوف فالسرطان فى كل مكان.

الأول– القطار أبطأ.

الثالث– أبطأ القطار.

الثانى– قد يلحقه السرطان.

الأول – القطار ؟!

الثاني – الرأس. رؤوسنا نحن

الأول- لا تحدثني عن الأمراض. إنها تخيفني.
الثالث: لا تهتم. فالمرض لم يعد له متسع من الوقت حتي يصل إلينا.
الأول- أما أنا فقد وصل إليَّ وأحدث في رأسي ثقباً كبيراً تدخل منه ريح السموم وتخرج.
الثاني- أنا مثلك. فبطني أصبح ككرة الملاعب المفلسة يتورم ويندمل كما يحلو لفضلات الأسياد التصرف فيه.



فك عليّ من ها الحكايات البايتة! قالك «فضلات أسياد» و ملاعب مفلسة» توه كي اللى باش نبني قصر فوق جبل وكيف اللى الناس في محطات الترينو تتفلسف بكل ها الرويق البارد يا ولادي قداش الواحد وقت اللى يكتب يولي بليد. ويحس اللى حتي عباد مسرحيتو يتمنيكو عليه.
الأول- حطيتو مريض براسو ياخي ضحك وقوّي الضحكة وقالي: والله ماصارها يا ولدي. عمري ما مرضت براسي ولا عرفت حاجة اسمها «كوراندار» المرض الوحيد اللى نعرفو عندي هو «العذر».
والثاني- مرضتو بالسيف بكرشو يمكن علي خاطر كلامي كيف الحجر، صعيب بلعانو علي الخوا ياخي عصم.
أما في الواقع صاحبنا الثاني ما مرض في عمرو كان ها الليامات بالكوليرا. وجرات جوفو ورد كل ما عندو في بيرو المدير ياخي طردو. ويظهر مشى للسبيطار. وقالوا: لا باس عليك، ما عندك شيء، كان شوية كوليرا ما تخافش وعلي كل حال هاو باكو كامل متاع «اسبيرين». وتوعدنا ما تقول لحد اللى ها النوع م المرض موجود، عندنا إحنا ناس شرفي ما يليقش بينا نمرضو بها المرض ويذا مرضنا نستر ما ستر الله. تقول انت ما هو المرض يجري كي الصاروخ وينجم يفني عدد كبير من العباد نقولك: عاد شبيه هو الكوليرا ما عندهاش حق علينا. الناس الكل تحسب وتصفي وتغربل. تقعد كان هي تري في العباد عمال تتزايد موش حاشمة وهي ساكتة ما تعمل شيء.
يا خويا شيء ياخو حقو في ها الدنيا. وانت إش يهمك في الأوخرين حتي تقولهم باللى صاير. تما هو بانقص خبزة وانقص جوجمة واللى يقلقك ياسر كيف نقعدو احنا كبار الحومة وانت ندخلوك معانا لا ازمة كرا ولا ازمة هناشر ولا ازمة كوميرس.
قداش الواحد وقت اللى يفكر مع نفسو يلقي سرحات ويحس اللى كل ما يكتب فيه عجمي ما يوصل لحتي عبد واللى يزيد ينرفز هو انك تكتب وتعرف مسبق انه ما هو باش يقراك حتي حد.
يقول القائل: عاد ماو قطع الورقة وكسر القلم وارتاح، وماتزيدش تحير لنا المواجع علي غير شيء.
- صعيب - صعيب ياسر. والكبدة مشومة. نعرف اللى الدنيا ماشية بي والا بلاش بي. لكن يا رسول الله ت ماو الواحد إذا ما ينجم يعمل شيء علي الأقل يسجل حضوره ويعدل كفة الميزان حتي تتبدل الأحوال بهكة والا هكة، لعل الكلمة اللى يقولها تطلع عندها سامعين.



الثاني- ذات ليل لم يصب جفني النوم، فجالت في خاطري مشاريع كثيرة،

تفور ما إن أفتح فمى لأقولها. فحبستها داخل جمجمتى وردمت رأسى تحت الغطاء.

وفى الغد عندما ركبت القطار المعتاد، التفت حولى جماعة من الأعوان المقنعين وربطوا يدى إلي الوراء ثم حملونى معصوب العينين وغطسوا رأسى فى وعاء من ماء مثلج مخلوط بمحلول الجافال، لا لشىء إلا لأنهم رأوا بواسطة الرادار علي رأسى قملة ثائرة تجول حرة في مسارب شعرى الغزير.

الثالث- حذار يا أخى من ترك القمل يجول علي سطح الرأس كل القوي مجندة ضد القمل وما شابه القمل.

الثانى- طبعا خاصة فى هذه الظروف التطهيرية.

الأول- ماذا يهمنى أنا من حملات البلدية ضد الأوساخ. المهم أن أعود قبل التاسعة والنصف.

الثانى- ولماذا فى هذا الوقت بالضبط؟

الأول- لأن زوجتى تنام فى هذا الوقت وتغلق الأبواب. زوجتى نظيرة البلدية تعبد النظام وتفتيش ما تبقي فى الجيوب ولا تفعل أى شىء لتسعف جروحى النهارية عندما أعود إليها مكلوم الخاطر مكسوره.

الثالث- إن كانت القضية شائكة إلي هذا الحد فلماذا تزوجت؟

الأول- إرضاء لمن أحب.

الثانى- والدك؟ والدتك؟ أم عمك؟

الأول- لا. البلدية.

تلفتت الرؤوس فجأة إلي ناحية الشمال وتعلو وجوه الحاضرين حيرة تساؤل وخوف ويقترب بعضهم من البعض شيئا فشيئا.

يهمس الأول: ما الذى حدث؟

الثانى- لابد أن هناك أمرا مهما يستدعى خروجهم فى هذا الوقت.

الثالث- لم يعودوا يستطيعون النوم. هناك شىء يقلقهم.

الأول- تراها البالوعات قد فاضت؟

الثانى- قد يكون إنما الغريب هو أنه أصبح يسمع أزيزا يشبه صفارة الخطر، فيطل سكان العمارة المقابلة من نوافذهم مدفوعين بقوة غريبة.

الثالث- لذلك هم يوصدون النوافذ ويطلقون الأنوار قبل التاسعة.

الأول- سمعت مرة عند مرورى مسرعاً من أمام باب العمارة أكثر من شخص يقىء أشياء مزعجة.

الثانى- هل فهمت شيئا؟

الأول- لا لم أفهم شيئا. كان الكلام يتجاوز مستوي تفكيرى لكنى أحسست شيئا مبهما نغص علىّ فرحتي الصغيرة.

الثانى- لو كنت فقط تفهم ما يقيئون.

الأول- أنت لا تعلم أنى مجرد عامل بسيط لا أفهم إلا صيغ الأمر والنهى الملقاة علىّ من طرف المساعد الذى يساعد مساعد حضرة المدير الذى لا يتكلم لغتى.



قداش أنانية فى الكاتب ديما يجب يخلى أبطاله تتكلم لوغتو وتعرف له بأفكارو. ياخى الأبطال ما عندهمش شخصية ولغة حية يتكلموها وواقع شعبى يستوحاوا منو أفكارهم؟ والا نسخايبو عملنا عليهم مزية كيف خليناهم يتكلموا بالفقهى. يا راجل ملا ذوق وملا قياس!

– توه عامل مكدود تاعب مريض، مروح لدارو. تحب بسيف تشدو بعد التسعة فى ها البرد. موش حرام إش قالك وإش قلت لك نحبوه يفكر شوية فى وضعيتو ونصبو لو شوية وعى من عندنا. محسوبك اللى هو قاعد يستني فيك باش توعيه واشكون كلفك عليه؟ ما الخدام اللى تحقرو وعامل روحك تعاون فيه موش فى حاجة ليك وقت اللى يلزم باش يتنرفز يقلب الدنيا سافلها علي عاليها، ياخى هو إش خلي وراه؟ ورثة ولا حرثة؟

أما قول لروحك يا سى الكاتب اللى ما تنجمش تقول كلمتك جهار ياخي جبت الخدام وخليتو يتكلم باسمك. ديمة تلقي عذر، باش تخبى راسك، علي كل هذا ما ياكلش مع الخدامة. ناس قويين وأصحاب فهامة.

نهار اللى يفدو من كلام الوكلة اللى ما نوبوهمش عليهم يعرفوا يغربلوا ويصفّوا ويطرحوا من الخطابات الطويلة جميع الجمل الإضافية والمركبة وما يخليوا كان الفعل والفاعل والباقى زايد فى زايد.



يصمت الأشخاص لحظة ثم ينطلق أحدهم فى قهقهة طويلة.

الثانى– أتدرون؟ عفوا من أين لكم أن تدروا؟ فى مرة ذهبت لمشاهدة فلم عظيم توجت به عشية من عشايا السبت الفارغة. كان بطله «زورو» شخصاً فوق العادة، صفقت له طويلا. كان كلامه يسحرنى لكم يسلب إرادتى.. يبتعلنى، فأجند كفى للتصفيق محموماً ملهوفا.

كنت مشدودا إليه طوال العرض حتي اكتشفت فى الأخير وعندما أسقطوا قناعه المسروق، اكتشفت أنه لم يكن إلا ذلك الوغد المراوغ الذى حظى بكل اشمئزازى فى اللقطات الأولي.

أردت عندها أن أبصق فى وجهه، لكن المسافة كانت بينى وبينه بعيدة فبصقت فى كفى ثم خنقتهما بين فخذى، وخرجت من القاعة، وأقسمت ألا أشاهد فلما من أفلام «زورو» المزور بعد ذلك.

الثالث– أنت أيضا تحب أفلام «زورو»

الثانى– أحببتها سنوات عديدة من عمرى

يا صاحبى كنت أكره كل من يزحف علي الأرض كنت أحتقر منزلة تحت الصفر التى عشت فيها طويلا، لذلك أعجبنى «زورو» لأنه الشخص فوق العادى الذى يطوع الحديد الصلب، ويتسلق الجبال ويعبر الأودية دون أن يسقط وعندما سقط فى آخر فلم شاهدته له اكتشفت أن كل تفوق «زورو» يعود إلي القناع الذى اغتصبه من صديقه بعد ما قتله.

وأصبحت منذ ذلك الحين أري «زورو» بوجهه الحقيقى: قزم له أبعاد الفئران.

الثالث– كم أفهمك يا صاحبى! من الصعب أن يصمد الإنسان أمام مشاهد المغالطة.

الثانى– صدقت لم أعد أومن بشىء، لذلك خيرت أن أكون بعيدا عن مكتب سيادة المدير حتي لا أباغت وجهه عاريا.

الثالث– علي كل أنا لا أحسدهم علي المكاتب التى يردمون أنفسهم فيها.. المفاجأة ترصدهم فى زجاج كل نافذة.

الأول– لكنهم يسكنون الطوابق العليا. والمفاجأة لا تصعد إلي تلك الحدود.

الثالث– المفاجأة تأتى من حيث لا تترقبها، وإلا لم تعد مفاجأة.

الأول– صحيح العلو بعد عجيب يجعلنى لا أخضعه للقواعد العادية التي تسير

بمقتضاها حركاتنا.

تصيح فى الأرجاء سيارة ما مولولة ساخطة فترتج «براكين الشوارع»، وتستفيق العمارات المتثائبة، فينهض أفراد الجماعة الذين كانوا قد احتلوا مكانا علي الكراسى الارتقابية الباردة فيعلو فى مساحات انتباههم سؤال.

الثانى- ماذا هناك يا تري؟

الثالث- الأمر أصبح محيرا.

الأول- ألا يحسن أن نغادر المكان، فالقطار أبطأ حقاً هذه الليلة.

الثانى- حتي لو أتي فأنا لن أرحل قبل أن أعرف

الأول- ألا تخاف المباغتة؟

الثانى- وماذا يهمنى ليس لى مسروقات أبحث أين أخفيها.

الأول- غير أنى لا أري شيئا مريباً فى الشوارع. كل شىء يبدو فى مكانه.

الثالث- الأفلام لا تصور حتماً فى الشوارع الرئيسية. علي كل، ماذا لو نقاطع هذه الليلة القطار ونمضى علي أرجلنا؟

الثانى- موافق فدمدمة القطار تكتم صيحات كثيرة قد تكشف لنا سرّ الحكاية الجديدة.

الأول- موافق أيضا فهدهدة القطار تبعث علي النوم فلا نسمع شيئا فى الخارج.

الثالث- فالسكة الحديدية تنثنى هاربة عن عالم يضج بحكايات تتوالد فى كل يوم ولا نعرف عن أحداثها شيئا إلا ما نراه فى الأفلام المقنّعة.

الأول- سنعرف بذلك ولو مرة كيف تصور الأفلام من الداخل وكيف تحرك الدمي.

الثانى- قد نصبح نحن أيضاً دمي نتحرك دون وعى منا.

الثالث- المهم أن نقوم بشىء يفصلنا عن رتابة أيامنا الماضية والحاضرة.

الثانى- معك حق إذا لم نستطع أن نفضح تشويه المخرجين لنصوص المسرحيات والأفلام فإننا علي الأقل نشاهد التركيبات عن قرب فلا ننخدع عند رفع الستار.

الأول- ولكن قد نقف عند هذا الحد ونبقي دوما مشدودين إلي حركة الكواليس فلا نستطيع القيام.

الثانى- وقد ننفعل ونسبّ المخرج ونخرج.

الأول- وقد يرمي بنا فى معقل المجانين. ولا يفهمون نوايانا ويسخرون منا جميعا حتي الذين من أجلهم قاطعنا القطار.

الثالث- المهم أن يكون هناك دوماً من يقاطع قطار سيره العادى.



حكاية الجماعة تفرح وعلي الحاضر المخنوق تمروح. لكن إش خص لو كان جاء كل واحد فى محطة ترينو ينحى العصابة من علي عينو. وعلي بعد مسافة يولى يشوف ويفرش الكوارت القديمة المزورة ويقطع التساكر اللى شراها قدام الخلاص بالمكشوف.

لكن وينو اللى يخاطر بخبزتو السودة.

ويرجع حقوقه ويلعن اليد الممدودة للطلبة مردودة.

عروسية نالوتى، مجموعة: البعد الخامس، الدار العربية للكتاب: ليبيا - تونس، ١٩٧٥، ص.١٢٠ - ١٣١.

نزيهة الجديد (تونس)

النار المهزومة

رَمَي اللَّيْلُ علَي عتَباتها طُولَهْ ،،،
زَفرت الأَشْجار الحُبْلَيَ ،،،
غادرَ القَيظ مسْكنَها ،
شكَرتْ اللَّيلَ وباستْ
جُذُوعَ الأَشجار
وكَانتْ كئيبةً الحبيبة ...
وكَانَ ... تَسلُل منْ قَلْبهَا المَسْروق
عنْد هبُوب الدَّمْعة فى مُقْلَتَيْهَا ...
نَحْنُ جميعًا نطلُبهَا
ولمَّا نَجتمعُ فى معْبَدهَا .
نُطْلقُ صَيحة العُشَّاق،، ونَرقُبُها
والدمْعُ فى الأَحْدَاقْ .
تُشْعلُ مصْبَاحها الزَّيْتيّ
وتَقْبَعُ فى رُكنها المنسىّ ...
نحنُ جميعًا نَطلُبْها..
نَفْحةً من صبْر وموْطنْا للذّكْرَي
نَطْلُبهَا الوكْر الذى تحضُنُه الأَغْصان
فلا يسْقُطُ منْ شَجرة .
كُلُّ الذّكْريَات تَسْتَمدُّ حرارتَهَا ،
منْ خرَائب المَاضى ومنْ لَفْح السَنوَات
فهات شفَتَيْك
أرسُمَهمَا علَى شفتَىَّ وَرْدَةً حمْرَاء
ووجْهك ،، أُوقدُ فيه شموعى
وأَفْتحُ قلَبى علَي القَلْعَة الحصْنْ
ودَعْنى أَسْكُبُ دمُوعَ الفرْحَة البكْر
علَى الرَّبْوَة ...
دعْني أُخلِّصُ دَمْعى
منْ قيْد هذى القرْية ...
من هذَا الحُزنْ...!
وَأَشهرْ المُزْنَ فىَ كُلِّ السَّاحات
وعلَى الجُدْرانْ.
وأُحبُّكَ جسْراً للعبُور المُبكّر
والإبحار.
فى اليومَ المُمْطر عادْ ....
فعادتْ إلي القلبَ المسروق الهوية بَسْمَتُهْ

زَغْرَدت الأَطْيَارُ ،
ووضَعَتَ الأَشْجَارُ حَمُولَتَهَا .
أَمَّا مَنْ كُنَّا نَطْلُبُهَا،
فصَادَفَهَا التَّيَّارُ رَافلَةً فِى البُؤْس
تَتَأَبَّطُ مَوْجَةً سَكْرَي ....
وعِنْدَ الصَّبَاح
وَجَدَ أَحَدُ الصِّبْيَة عَلَي الشَّطِّ جُبَّتَهَا
قالُوا: البَحْرُ اشْتَهَاهَا ...
تَسَاءَلَ الطِّفْلُ الذّى يَقِفُ عَلَي الضفّة ،
يتَلَهَّي بمَصِّ أَصَابِعِ يدِهِ اليُسْرَي:
لماذا يَتَطَارحُ هَؤُلاَءَ السَّطْوَةْ ؟
وَتَطْرَحُ الرِيحُ فِى تَجَاوِيفِ المُسْتَنْقَعِ ،
حيتَانِ البَحرِ ؟
ونَحْنُ ،
حِينَ يَسْتَدرِجُنَا إِلَي منْطقَةِ الإِعْصَارْ ،
البُرْكَانُ الثَائِرُ فِينَا،،
لاَ نَسمَعْ
وَحِينَ تُنَادِينَا خَطَايَانَا ،
نَهرَعُ إِلِي الوِجْدَان المُفْلِسِ نَسْتَجْدِيهِ ،
لحْظَةَ ذَوبَانٍ ..
وَالانْهِيَارُ آخرُ الخَطِّ يَفْصِلُ الرَّبْوَةَ
عنْ
مَمْلَكَةِ النَّارْ .... لِمَاذَا ؟..

نزيهة الجديد، ديوان: الرسم بمحار البحر، مؤسسة سعيدان للطباعة، سوسة، ١٩٩٢، ص ٣٨ - ٤١.

وفاء العمراني (المغرب)

فتنة الأقاصي

مُنْحَلَّةً فِى هذا الْغَمرِ الْبِدائِيِّ الْمُخْضَرّ
تُخَاصِرُنِى الْبَرِيَّةُ اللَّيْلِيَّةُ
وبِعُذُوبَةٍ مجَنَّحَةٍ
فَجْأَةً
تُضِيئُنِى قَدَمَاىَ ..

تَتَخَمَّرُ الْبِذْرَةُ عِنْدَ مِيَاهِ أَحَاسِيسَ نَادِرَةَ
انْبِجَاس ، وُرُوفٌ ، خُصُوبَة

هيَ ذي وَرْدَةُ الأقَاصِي
تَسْتَنْفِرُ اتِّقَادِي
تُوَشْوِشُ خُلْوَتِي
فِيمَا تَضْرِمُهَا جمَارِي الْغَافِيَةُ الْمُتبَقِّيَة
لِي الشُّفُوفُ، النُّسْغُ، الْوَهَجُ
وَالأَكْوَانُ كُلُّهَا... لِي
بَنَفْسَجٌ هَاجِعٌ، مَاءٌ، خَفْقٌ
وَصَبَاحَاتٌ تَنْهَمِرُ عَلَي الْعُمْرِ
بلاَ اسْتِئْذَان
مَا يَمْلِكُنِي لاَ أَعْرِفُهُ
مَا أَعْرِفُهُ لاَ أَمْلِكُهُ
أَقَلُّ مِمَّا أَبْغِي مَا يَنْبَغِي
وانْتِمَائِي، قَطْعًا،
لِمَا يَلِيقُ بِاسْتِقْبَالِي

مِنْ فَوْهَةِ التَّمَرُّدِ
غَذَّيْتُ ذَاكِرَتِي
مِنْ أَعَالِي الْبَوْحِ

عَمِيقًا
يَنْزِفُ عَقِيقُ أَبْجَدِيَّتِي
وَلِيَ مِنْ شَجَرِ الشَّمْسِ احْتِدامٌ
وامْتِدَادٌ
لِي، أَيْضًا، مَعَ الْحَيَاةِ صَفَقَاتٌ
أَشْجَعُهَا
تِلْكَ التِي رَفَاهَا الْقَلْبُ إلي الخَسَارَاتِ
كُلِّ الْخَسَارَاتِ

اَلأَسْوَدُ الْغَوَّايُ يُضَافِرُ اسْتِحَالاَتِي
كَمْ يَضِجُّ بِي... سِرِّي!
مُتْرَعَةً بِالصُّعُود
كُلَّ خَلْوَة
تُسْلِمُنِي فُصُولُ الْجَسَدِ إلي
جَسَدِي
هَلْ أُغَيِّرُ الْجِلْدَ ؟
هَلْ أُقِيمُ الْجِسْرَ ؟
وَكَيْفَ لِهَذَا الدَّهَشِ السِّرِّيِّ أَلاَّ يَقُودَ؟!
اَلرِّيحُ لاَ يَحْضُنُهَا سِوَي الْفَضَاءِ ...

قَسْوَةٌ أَنْ تُقِيمَ عَلَي ذُرَي القَصِيدَةِ
وَتُغَادِرَكَ شَهْوَةُ الْكِتَابَةِ !

بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَاءِ صَدَاقَةٌ لا تُنْسَي

(فِى شِبْه اسْتِقَالَةٍ عَاثِرَة
كَانَتْ تَرْكُدُ
كُلَّمَا حَنَّتْ
أَوْثَقَهَا بَيَاضٌ جَاثِمٌ عَلَى تَعَبِ أَيَّامِهَا
كُلَّمَا يَسَّرتْ
أَعْسَرَ شَيْقٌ خَرَائِطهَا
لَمْ تَكُنْ تُدْرِكُ أَنَّ فِي دفْتَرِ أَحْلاَمِهَا
صَفَحَاتٍ شَاغِرَةً ...)

الرَّغْبَةُ عَتَاقَةٌ نَيْزَكِيَّة
إِزْهَارٌ مُفْعَمٌ بِجَحَافِلَ مِنَ الاسْتِدْرَاكَات ..

مُتَدَثِّرًا بِتَفَاصِيلَ صَاعِقَة
مِنْ عَصْفٍ مَلَكِيٍّ أَجَلْتُهُ
غَمَّرَنِي اجْتِيَاحُهُ
لأُلاَ تَغَلْغُلِى

وَمِثْل بَنَفْسَجَة اخْتَزَنَت الضَّوْءَ
الزُّرْقَةَ
والطِّيبَ
تَهَيَّأتُ للرَّقْصِ عَلَي انْسِيَابِه
وجِهَتِى اللاَّحدٌ
والانْخِطَافُ نَبْضِي
سَيَرْتَدِى فِينَا أَرْوِقَتَهُ السَّحَابُ ..

أَسْتَعْذِبُ اسْتِشْرَاءَكِ أَيَّتُهَا الأَقَاصِى
أَمْنَحُكَ دِمَائِىَ
وَأَضْرِبُ لَك مَوْعداً
مع كُلِّ رَبِيعٍ مِنْ
جَسَدِى ..
أَمُوجُ بك
وَأَنْتِ الرِّيحُ
الشِّرَاعُ
البُعْدُ
الْمَسَامٌ
والطَّرِيقُ إِلَيْكْ

أَخفُّ أَخفُّ / يتَزَيَّا بِى الْهَوَاءُ
يُطَاوِلُنِيَ الْعُلُوُّ
يَهْدِينِى رَحِيلِى.. إِلَيْكْ

أَجْنحَةٌ / خَلاَئِقُ سَمَاوِيَّةٌ / مَعَارِفُ
أَحْوَالُ أَحْكَمَتْ دَلاَلَتِي
عَلَيْكَ ..

تَسْكُنُنِى الْمَسَافَةُ /
أَتَدَفَّقُ فِي الرَّشْحِ
أَقُودُ مُدُنًا، شُهُبًا، سَكَرَاتٍ
تَتَجَاسَرُ الْحَنَايَا
شَهَوَاتٌ تَنْفَجِرُ رُؤًي تَتَطَايَرُ
أَبْعَادٌ تُحْتَضَنُ
انْهِمَارٌ ، عَضَلاَتٌ ، مَرَافِقُ ، جَمْرٌ
تَرَنُّحٌ ، سَفَرٌ ، لُهَاثٌ ، جُمُوحٌ
عَتَبَةٌ
وَلِقِرَاءَاتِكِ أُبَّهَةُ الْعُبُور

ثَمَّةَ فِي التَّنَابُذِ فُسْحَةٌ لِلتَّأْسِيس
عَنَاقِيدُ الْقَلْبِ الْمُتَوَارِيَةُ تَلْهَجُ
بِاللاَّنِهَائِى

اَلنَّارُ تُقَعِّرُ كُلَّ تَسْطِيحٍ
وَحْدَهُ الإِبْحَارُ قَادِرٌ عَلَي الْمَحْوِ
وَفِى السُّفُنِ الْحَائِرَةِ مَا يُبَشِّرُ
بِالَمَوْجِ

اَلْمَجْدُ لِلتَّشَابُك
لَك أَيَّتُهَا الأَقَاصِى
يَا الأَجْدر .. بِى.

وفاء العمرانى، ديوان: فتنة الأقاصى، الدار البيضاء ١٩٩٧، ص ٣٨ – ٤٨.

الزهرة المنصورى (المغرب)

غفوة الماء

«لست فى حاجة إلي ماء كى أحيا، بل إلي
غبطة مؤجلة لجذورك الأخري»

حين تلفظني المدينة من شرخِ الأسوار
أحلم، كى أمنع عنك السقوط

فهرس المنتخبات: المغرب

المغرب العربى الكبيـر

(أ)
الدراسة

(ب)
المنتخبات

(ج)
البيبليوغرافيا

(ج)

ببيبليوغرافيا
الكاتبة فى الجزائر

أحلام مستغانمي (١٩٥٣ تم)شاعرة وروائية وباحثة جزائرية. ولدت في تونس. تقيم حاليا بين باريس وبيروت. حصلت علي الإجازة من كلية الآداب بالجزائر، ثم علي دكتوراه الدولة في علم الاجتماع من جامعة السوربون بباريس. مُنحت جائزة نجيب محفوظ للرواية لعام ١٩٩٨ عن روايتها ذاكرة الجسد. صدر لها: المرأة في الأدب الجزائري المعاصر (دراسة) ١٩٨١ .

الأعمال الإبداعية:

علي مرفأ الأيام (شعر)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٣
الكتابة في لحظة عرى (شعر)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٥
ذاكرة الجسد (رواية)، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣
فوضي الحواس (رواية)، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٨

جميلة زنير (؟ –)
قاصة جزائرية.

الأعمال الإبداعية:

دائرة الحلم والعواطف (قصص)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٣
جنية البحر (قصص)، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، ١٩٨٨

ربيعة جلطي (١٩٥٤ تم)شاعرة جزائرية. ولدت في بوعنان بالجزائر. تقيم حاليا في فرنسا. حصلت علي دكتوراه الدولة في الأدب الحديث. تعمل أستاذة محاضرة في الجامعة الجزائرية بوهران. تعد وتقدم برنامج «حواء والدنيا» بالإذاعة الجزائرية وبرنامج «عتبات» بالتلفزة الجزائرية. حصلت علي جائزة الشعر الخاصة بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالجزائر. صدرت لها قصائد بـ «السفير» لبنان، و«المعرفة» سورية، «الفصول الأربعة» ليبيا، و«آمال» الجزائر، و «أفكار» الأردن.

الأعمال الإبداعية:

تضاريس لوجه غير باريسى (شعر)، الكرمل، ، دمشق، ١٩٨١
التهمة (شعر)، مركز البحث والتوثيق والإعلام الجامعي، جامعة وهران، الجزائر،

١٩٨٤
شجر الكلام (شعر)، دار السفير، مكناس، ١٩٩١
كيف الحال؟ (شعر)، دار حوران، دمشق، ١٩٩٦

زهور ونيسي (١٩٣٦ تم   )قاصة وروائية جزائرية. ولدت فى قسنطينة بالجزائر، وتقيم حاليا بالجزائر العاصمة. حصلت علي الإجازة فى الآداب والإجازة فى الفلسفة وتابعت دراساتها العليا فى علم الاجتماع. تعمل فى التدريس والإعلام وانتخبت عضوة بالبرلمان. عضوة فى الحكومة الجزائرية لمدة ٥ سنوات، ابتداء من ١٩٨٢، حيث كانت أول أمرأة تتولي هذا المنصب. عضوة بالمجلس الوطنى لاتحاد كُتّاب الجزائر. عضوة المجلس العلمى لمركز الدراسات والبحث فى الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر. نشرت أعمالها فى الصحف التالية: «الثقافة» و «الأصالة» و «المجاهد» و «الشعب» و«الجيش» و«السلام» الجزائرية، وبالدوريات العربية التالية : «الحرية» و «الثورة» السورية، و«الشعب» و«التضامن» و«الجيل» و«حواء» و "Le Monde Diplomatique" و«الاغتراب الأدبى». حُولت بعض قصصها إلى فيلم تلفزيونى عام ١٩٨٤ . حصلت علي «وسام المقاوم» فى ثورة التحرير الجزائرية ووسام الاستحقاق الوطنى» و «وسام تقدير» فى الإعلام والثقافة. قدمها معجم لاروس الفرنسى باعتبارها أول أديبة جزائرية تكتب باللغة العربية.

الأعمال الإبداعية:
الرصيف النائم (قصص)، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧
علي الشاطئ الآخر (قصص)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٤
من يوميات مدرسة (رواية)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٩
الظلال الممتدة (قصص)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥
لونجه والغول (رواية)، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، سورية، ١٩٩٣
عجائز القمر (قصص)، مطبوعات دحلب، الجزائر، ١٩٩٥

زينب الأعوج (؟ تم   )شاعرة جزائرية. حصلت علي دكتوراه الدولة فى الآداب. وتعمل أستاذة باحثة فى الجزائر العاصمة. أسست وأشرفت علي إدارة سلسلة «دفاتر نسائية» التى تنجزها مجموعة بحث فى قضايا النساء، وقد صدر الكتاب الأول من هذه السلسلة عام ١٩٩١ . صدر لها السمات الواقعية فى التجربة الشعرية بالجزائر (دراسة) ١٩٨٥ .

الأعمال الإبداعية:
يا أنت!! من منا يكره الشمس؟ (شعر)، منشورات اتحاد الكتُاب العرب، دمشق، ١٩٧٩
أرفض أن يُدجَّن الأطفال (شعر)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١

عايدة خلدون (؟ تم   )قاصة جزائرية.

الأعمال الإبداعية:
ربيع... غجرية... ومطر (قصص)، بدون ناشر، مطبعة الجاحظية، الجزائر، ١٩٩٨

عمارية بلال [أم سهام] (؟ -)
قاصة جزائرية. ولدت بالمغرب. تقيم حاليا فى وهران بالجزائر. حصلت علي الإجازة فى الأدب العربى. عضوة اتحاد الكُتّاب الجزائريين. صدر لها: شظايا النقد والأدب (مقالات) ١٩٨٩ ، وجولة مع القصيدة (دراسة) ١٩٨٦ .
الأعمال الإبداعية:
علي الرصيف البيروتى (قصص)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦
زمن الحصار وزمن الولادة الجديدة (شعر)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٩
من يوميات أم على (قصص)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٠.

فضلاء الباهى (؟ -)
قاصة وروائية جزائرية.
الأعمال الإبداعية:
العليقى (رواية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥
دقت الساعة (قصص)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٦

مبروكة بو ساحة (١٩٤٣ تم)شاعرة جزائرية. ولدت فى تيهرت. درست الإعلام والصحافة فى القاهرة. تعمل مذيعة ومنتجة برامج.
الأعمال الإبداعية:
براعم (شعر)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٦٩

نادية نواصر (؟ -)
شاعرة جزائرية.
الأعمال الإبداعية:
راهبة فى ديرها الحزين (شعر)، مطبعة البعث، قسنطينة، ١٩٨١

نزيهة الزاوى (؟ -)
قاصة جزائرية.
الأعمال الإبداعية:
الطفولة والحلم (قصص)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥

نزيهة السعودى (؟ -)
قاصة جزائرية.
الأعمال الإبداعية:
الحب فى زمن الهارب (قصص)، دار البعث، قسنطينة، ١٩٨٣

(ج)
بيبليوغرافيا
الكاتبة فى المغرب

آسية الهاشمى البلغيثى [التلمسانى] (١٩٤٢ -)

شاعرة وكاتبة مغربية. ولدت فى تطوان. تقيم حاليا بالرباط. حصلت علي تعليمها فى : المركز الثقافى الفرنسى بتطوان- دبلوم فى اللغة الفرنسية عام ١٩٦٤، المدرسة العليا للأساتذة بتطوان عام ١٩٦٥، كلية العلوم القانونية والاجتماعية والاقتصادية بالدار البيضاء عام ١٩٧١، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس عام ١٩٧٥، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط-الدراسة المعمقة بشعبة الأدب القديم عام ١٩٧٦، دار الحديث الحسنية بالرباط عام ١٩٨٢، ثم ناقشت رسالتها بها عام ١٩٩٥ . زاولت مهنة التدريس بجميع المراحل والمستويات الابتدائية والثانوية. تولت إدارة مؤسسة ثانوية بالدار البيضاء لمدة عشر سنوات (١٩٦٨ تم١٩٧٨) ثم إدارة أخري بالرباط (١٩٨٥ تم ١٩٩٥) وإلي الآن. عملت ملحقة بديوان وزارة الدولة «القيادة العليا» (١٩٨٣ تم ١٩٨٥). عضوة رابطة علماء المغرب: المجلس الإقليمى بالرباط (تحمل لقب عالمة رسميا). عضوة منظمة الاتحاد الدولى لتنظيم الأسرة- المكتب الإقليمى للعالم العربى، فرع الرباط، لجنة المرأة. شاركت فى: تدريب القيادات النسائية العربية الحكومية والشعبية للجامعة العربية. تنشر قصائدها الشعرية بالصحف والمجلات الوطنية والعربية والدولية. تكتب باللغة الإسبانية، تجيد اللغتين الفرنسية والفارسية. صدر لها المجالس العلمية السلطانية علي عهد الدولة العلوية الشريفة ١٩٩٦، وتُرجم لها إلي اللغة الإسبانية ديوانها فجر الميلاد ١٩٨٩ .

الأعمال الإبداعية:

فجر الميلاد (شعر)، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٦
فلق الإصباح (شعر)، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٦

آمنة اللوة (١٩٢٦ تم)

قاصة وكاتبة مسرحية مغربية. ولدت فى الحسيمة بالمغرب. نشأت فى تطوان. وحصلت علي تعليمها الابتدائى والثانوى فى تطوان، وعلي الإجازة فى الآداب فى جامعة مدريد عام ١٩٥٧، والماجستير فى جامعة مدريد عام ١٩٦٥، ودكتوراه الدولة فى الآداب فى جامعة مدريد عام ١٩٦٨ . عملت فى التدريس ثم مديرة ومفتشة بالتعليم الثانوى، وتعمل حاليا أستاذة باحثة بالمعهد الجامعى للبحث العلمى بجامعة محمد الخامس بالرباط. شاركت فى عدة مؤتمرات ومناظرات وأعمال ثقافية واجتماعية ووطنية وقومية ودولية. وجهت سلسلة من الأحاديث الإذاعية لاستنهاض المرأة المغربية. نشرت مقالاتها وخواطرها بالمجلات المغربية: «المعتمد» و «الأنيس» و«دعوة الحق» و«المناهل». مُنحت جائزة المغرب للآداب عام ١٩٥٤ عن قصتها: الملكة خناثة.

الأعمال الإبداعية:
الملكة خناثة (قصة)، معهد مولاى الحسن، تطوان، ١٩٥٤
كتاب محمد أو إلي دار الأرقم (مسرحية مدرسية)، مجلة دعوة الحق، العدد الرابع، فبراير ١٩٦٨

ابتسام أشروى (؟ تم)شاعرة مغربية.ولد ت فى مدينة أصيلا.
الأعمال الإبداعية:
لعبة الظل (شعر)، منشورات جمعية قدماء تلاميذ ثانوية الإمام الأصيلى، أصيلا، ١٩٩٨

الزوهرة المنصورى (١٩٦١ تم)شاعرة مغربية. حصلت علي الإجازة فى الأدب العربى، وعلي دبلوم المدرسة العليا للأساتذة. تعمل أستاذة بالتعليم الثانوى. وهى عضوة فى اتحاد كُتاب المغرب وفى « بيت الشعر ».
الأعمال الإبداعية:
تراتيل (شعر)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، د.ت.

أمينة المرينى [فتاة المحيط] (١٩٥٥ تم)شاعرة مغربية. ولدت فى مدينة فاس، وتقيم بها حاليا. حصلت علي شهادة السلك الخاص- أدب عربى، وتعمل فى التعليم والإرشاد التربوى. وهى عضوة فى رابطة الأدب الإسلامى العالمية. مُنحت الجائزة الشعرية الأولي لولاية (محافظة) فاس سنة ١٩٩١، والجائزة الرابعة لمسجد الحسن الثانى سنة ١٩٩٤ .
الأعمال الإبداعية:
ورود من زناتة (شعر)، د.ن.، الدار البيضاء، ١٩٩٧

بهية الفيلالى أديب (؟ تم)شاعرة مغربية.
الأعمال الإبداعية:
ورقات من رحلة صامتة (شعر)، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩٤

ثريا السقاط (١٩٣٥ - ١٩٩٢)
شاعرة مغربية. ولدت فى مدينة فاس بالمغرب. عملت بالتدريس بمدينة الدار البيضاء. عضوة باتحاد كُتاب المغرب وبالقطاع النسوى بحزب الاتحاد الاشتراكى، وساهمت من هذا الموقع فى الدفاع عن قضايا المرأة وتعميم الاهتمام بوضعيتها. إنتاجها موزع بين الشعر وكتابة القصص الموجهة إلي الأطفال.
الأعمال الإبداعية:
مناديل وقضبان (رسائل السجن)، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٨

أغنيات خارج الزمن (شعر)، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، ١٩٩٠.
اللبوءة البيضاء وقصص أخري (قصص للأطفال)، منشورات دار الأطفال، الدار البيضاء، ١٩٨٨

ثريا ماجدولين (١٩٦٧ تم)شاعرة مغربية. ولدت فى مدينة سطات. حصلت علي الإجازة فى الأدب العربى عام ١٩٨٢، ودبلوم الدراسات المعمقة عام ١٩٨٨ . تعمل أستاذة للغة العربية بالتعليم الثانوى. عضوة باتحاد كُتّاب المغرب. لها دراسة نقدية لرواية الأنهار لعبد الرحمان مجيد الربيعى ضمن كتاب عبد الرحمان مجيد الربيعى روائيا. نشرت قصائدها بجريدة «الاتحاد الاشتراكى» بالدار البيضاء. بدأت تنشر منذ عام ١٩٧٨ بجريدة «المحرر».

الأعمال الإبداعية:

أوراق الرماد (شعر)، منشورات اتحاد كُتّاب المغرب، الرباط، ١٩٩٣

حبيبة الصوفى (١٩٥٣ تم)شاعرة مغربية. ولدت فى مراكش بالمغرب. حصلت علي الإجازة فى الأدب العربى، والكفاءة التربوية العليا فى اللغة العربية وآدابها. عملت أستاذة للغة العربية، وتعمل الآن فى شعبة البحث والتقويم بأكاديمية مراكش. لها مشاركات فى الملتقيات الأدبية والثقافية، وتنشر قصائدها فى المجلات والجرائد.

الأعمال الإبداعية:

فوق الورق (شعر)، تنمل للطباعة، مراكش، ١٩٩٦
دمعة الجيل الحزين (شعر)، دار وليلى، مراكش، ١٩٩٧
مرايا تعكس امرأة (شعر)، دار وليلى، مراكش، ١٩٩٨

حليمة زين العابدين (١٩٥٤ تم)كاتبة مغربية. ولدت فى مدينة مراكش. حصلت علي الإجازة فى اللغة العربية وآدابها من جامعة محمد الخامس عام ١٩٨١. تعمل أستاذة بالتعليم الثانوى. وهى عضوة فى جمعيات حقوقية ونسائية، وفى خلية الفريق التربوى لأكاديمية التعليم الثانوى بالرباط. لها مساهمات فى التأليف المسرحى. صدر لها: قراءة وإقراء النصوص السردية (دراسة).

الأعمال الإبداعية:

هاجس العودة (رواية)، منشورات الموجة، الرباط، ١٩٩٩

حنان درقاوى (١٩٧١ تم)قاصة مغربية. ولدت فى مدينة طنجة. حصلت علي الإجازة فى الفلسفة عام ١٩٩٥، وعلي دبلوم الدراسات المعمقة من جامعة محمد الخامس. تعمل أستاذة للفلسفة بأقسام الثانوية.

الأعمال الإبداعية:

طيور بيضاء (قصص)، البوكيلى للطباعة والنشر والتوزيع، القنيطرة، ١٩٩٧

خناثة بنونة (١٩٤٠ تم)قاصة وروائية مغربية. ولدت فى مدينة فاس بالمغرب. حصلت علي تعليمها بمدرسة المعلمات الابتدائية بالمعهد العراقى العالى بفاس، حيث تخرجت فيه عام ١٩٦٣. عملت أستاذة بالتعليم الثانوى، ثم عُينت منذ عام ١٩٦٨ مديرة لثانوية مدرسة ولادة بالدار البيضاء. عضوة باتحاد كُتّاب المغرب. عضوة فى أجهزة حزب الاستقلال. أسست عام ١٩٦٥ مجلة «شروق »، وهى أول مجلة ثقافية نسائية تصدر بالمغرب. لها مشاركات وحضور فى الملتقيات الثقافية والأدبية بالمغرب العربى. نالت جائزة المغرب للكتاب عام ١٩٧١ من وزارة الشؤون الثقافية، ووسام منظمة التحرير الفلسطينية تقديرا لنصرتها للقضية الفلسطينية ولتبرعها بريع مبيعات كتاب النار والاختيار فى المزاد لصالح منظمة التحرير الفلسطينية.

الأعمال الإبداعية:

ليسقط الصمت (قصص)، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٧

النار والاختيار (قصص ورواية قصيرة)، مطبعة الرسالة، الرباط، ١٩٦٨

الصورة والصوت (قصص)، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٧٥

العاصفة (قصص)، مطبعة الرسالة، الرباط، ١٩٧٩

الغد والغضب (رواية)، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨١

الصمت الناطق (قصص)، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، ١٩٨٧

ربيعة ريحان (١٩٥١ تم)قاصة مغربية. ولدت فى آسفى بالمغرب. تعمل أستاذة بالتعليم الثانوى. عضوة باتحاد كُتّاب المغرب، وانتخبت فى مكتبه المركزى دورة ١٩٩٣ تم ١٩٩٦ . تنشر قصصها بالصحف والمجلات المغربية. مُنحت جائزة أندية الفتيات بالشارقة لإبداعات المرأة العربية فى الأدب عام ١٩٩٨ عن مجموعتها : مطر المساء.

الأعمال الإبداعية:

ظلال وخلجان (قصص)، تنمل للطباعة والنشر، مراكش، ١٩٩٤

مشارف التيه (قصص)، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٩٦

مطر المساء (قصص)، أندية الفتيات بالشارقة ـ الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٨

شرخ الكلام (قصص)، وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٩

زهرة زيراوى (١٩٣٨ تم)قاصة مغربية. ولدت فى مدينة الدار البيضاء. تابعت دراستها حتي السنة الثانية بكلية الآداب. تعمل بالمسرح المدرسى للتعليم الثانوى. نشرت أعمالها فى الصحف والدوريات.

الأعمال الإبداعية:

الذى كان (قصص)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٤

نصف يوم يكفى (قصص)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٦

زهور كرام (١٩٦١ تم)روائية مغربية. ولدت في مدينة سطات. تعمل أستاذة جامعية. حصلت علي البكالوريا ١٩٧٩تم.١٩٨٠و الإجازة في الأدب العربي ١٩٨٤ تم ١٩٨٥ودبلوم الدراسات المعمقة في الأدب العربي الحديث، ودبلوم الدراسات العليا ودكتوراه السلك الثالث. وهي بصدد إعداد دكتوراه الدولة في موضوع «السرد الروائي النسائي العربي الحديث: قراءة في التاريخ والخطاب». كاتبة عامة لاتحاد كُتّاب المغرب فرع الرباط تم سلا ١٩٩٦ تم ١٩٩٩ . عضوة المكتب الوطني لمركز البحث والتواصل الثقافي، وعضوة في الهيئة المنظمة للمهرجان العربي للڤيديو في دورتيه الأولي والثانية، وفي هيئة تحرير جريدة «الكاتب »، وفي اللجنة الثقافية لجمعية «جسور تم ملتقي النساء المغربيات». شاركت في الدورة الأخيرة لمؤتمر أدباء وكُتّاب العرب بالدار البيضاء، يناير ١٩٩٠، وفي ندوة «الخطاب الإبداعي العربي بين الثوابت والمتغيرات». شاركت في العديد من المؤتمرات الوطنية والعربية والدولية داخل المغرب وخارجه. نشرت العديد من الدراسات النقدية حول الرواية. كتبت عمودين صحفيين بجريدة «أنوال» المغربية: عمود «شهرزاد» وعمود «قراءات في السرد النسائي العربي»، ونشرت مقالات في عدد من الدوريات.

الأعمال الإبداعية:

جسد ومدينة (رواية)، منشورات الغني، الرباط، ١٩٩٦
سفر في الإنسان (نصوص)، البوكيلي للطباعة والنشر، القنيطرة، ١٩٩٨

زينب فهمي [رفيقة الطبيعة] (١٩٤١ تم)قاصة مغربية. ولدت في الدار البيضاء . عملت مدرسة بالتعليم الثانوي، ثم مديرة لإحدي المدارس بالدار البيضاء. عضوة اتحاد كُتّاب المغرب منذ يونيو ١٩٦٨ . تُعتبر من رائدات القصة القصيرة بالمغرب، لكنها توقفت عن النشر منذ الثمانينيات بعد سلسلة من المقالات تناولت فيها جوانب من السيرة النبوية.

الأعمال الإبداعية:

رجل وامرأة (قصص)، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٩
تحت القنطرة (قصص)، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٧٦
ريح السموم (قصص)، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٧٩

سعاد الناصر [أم سلمي] (١٩٥٩ تم)قاصة وشاعرة وروائية مغربية. ولدت في تطوان . حصلت علي دبلوم الدراسات العليا في الآداب، وهي بصدد تحضير دكتوراه الدولة. تعمل أستاذة باحثة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان. نائبة رئيس «جمعية الامتداد الأدبي»، وعضوة عاملة في عدة جمعيات ثقافية واجتماعية. لها حضور ومشاركة في الندوات والملتقيات الثقافية والأدبية، ومساهمات في مجال الفن التشكيلي. نشرت أعمالها في عدة دوريات مغربية. صدر لها : الرحلة التطوانية إلي الديار الفرنسية للشيخ محمد بن عبد الله

الصفار (تحقيق ودراسة ١٩٩٥)، ودراسة بوح الأنوثة ١٩٩٨ .
الأعمال الإبداعية:
لعبة اللانهاية (شعر)، مطبعة الأمل، تطوان، ١٩٨٥
فصول من موعد الجمر (شعر)، مطبعة الأمل، تطوان، ١٩٨٦
إيقاعات فى قلب الزمن (قصص)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٤

سعاد بن داود (١٩٥٨ تم) شاعرة مغربية. ولدت فى الرباط. حصلت علي الإجازة فى الأدب العربى. تعمل مدرسة بالتعليم الأساسى. لها حضور ومشاركة فى الملتقيات التربوية والأدبية والمهنية. نشرت نصوصها الإبداعية بالجرائد والصحف المغربية والعربية. نالت جائزة أحسن إلقاء فى مهرجان سلا الشعرى عام ١٩٩٦، وجائزة الأسبوع الثقافى المصرى بمدينة خريبكة عام ١٩٩٧ .
الأعمال الإبداعية:
تضاريس الجسد الجريح (شعر)، مطبعة فيدبرانت، الرباط، ١٩٩٦

عائشة موقيظ (١٩٦٨ تم) قاصة مغربية. ولدت فى الجديدة. حصلت علي الإجازة فى الأدب العربى.
الأعمال الإبداعية:
البُوم (نص حكائى)، الرابطة للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٥

عزيزة أحظية عمر شقوراى (؟ تم) شاعرة مغربية.
الأعمال الإبداعية:
صحراء... حناء... زعفران (شعر)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٣
بوح طان طان (شعر)، منشورات الفنك، الدار البيضاء، ١٩٩٨

فاطمة الراوى (؟ تم) روائية مغربية. ولدت فى مدينة الدار البيضاء، وتقيم بها حاليا. انقطعت عن النشر منذ سنوات.
الأعمال الإبداعية:
غدا تتبدل الأرض (رواية)، أمبريجيما، الدار البيضاء، ١٩٦٧

فاطمة برودى (١٩٦٥ تم) شاعرة مغربية. حصلت علي دبلوم المعهد العالى للصحافة، وعلي دبلوم الدراسات العليا فى العلوم السياسية من جامعة الملك محمد الخامس بالرباط. تعمل حاليا بالتلفزيون المغربى.
الأعمال الإبداعية:
إبحار فى قلاع الروح (شعر)، د. ن. ، الرباط، ١٩٩٧

فريدة بليزيد (١٩٤٨ تم)قاصة وسينمائية مغربية. ولدت فى مدينة طنجة . حصلت علي البكالوريا فى الآداب عام ١٩٧٠، ثم انتقلت إلي باريس لدراسة السينما فى جامعة باريس الثامنة والمدرسة العليا للدراسات السينمائية، حيث حصلت علي الإجازة عام ١٩٧٤، وعلي دبلوم فى الإخراج عام ١٩٧٦ . شاركت فى عام ١٩٧٧ فى بعض الدورات التدريبية حول التخصصات السينمائية بباريس. كاتبة سيناريو ومخرجة سينمائية وصحفية. مُنحت الجائزة البرونزية بمهرجان عنابة بالجزائر عام ١٩٨٨ عن فيلمها «باب السماء مفتوح»، وجائزة أحسن سيناريو فى المهرجان السينمائى الوطنى الثالث بمكناس بالمغرب عام ١٩٩١ عن الفيلم نفسه، وجائزة أحسن سيناريو بالمهرجان السينمائى الوطنى الرابع بطنجة عام ١٩٩٢ عن فيلم «البحث عن زوج امرأتى».

الأعمال الإبداعية:

هوية المرأة (فيلم وثائقى)، ١٩٧٩
عرائس من قصب (سيناريو)، ١٩٨٠
باديس (سيناريو)، ١٩٨٦
باب السماء مفتوح (فيلم: سيناريو وإخراج)، ١٩٨٨
البحث عن زوج امرأتى (سيناريو)، ١٩٩٣
أمينة تروارى: امرأة الساحل (فيلم وثائقى)، ١٩٩٣
السوق السوداء (ريبورتاج)، ١٩٩٤
علي الشرفة (فيلم قصير: سيناريو وإخراج)، ١٩٩٥
سارق الأحلام (سيناريو)، ١٩٩٥

لطيفة باقا (١٩٦٤ تم)قاصة مغربية. ولدت فى سلا . حصلت علي الإجازة فى علم الاجتماع. تعمل مستشارة فى التوجيه بمكتب التكوين المهنى وإنعاش الشغل. عضوة باتحاد كُتّاب المغرب وباتحاد العمل النسائى وبالمنظمة المغربية لحقوق الإنسان. لها قصص منشورة بالدوريات المغربية. نالت جائزة اتحاد كُتّاب المغرب للأدباء الشباب عام ١٩٩٢ عن مجموعتها القصصية ما الذى نفعله؟

الأعمال الإبداعية:

ما الذى نفعله؟ (قصص)، منشورات اتحاد كُتّاب المغرب، الرباط، ١٩٩٣

ليلي أبو زيد (١٩٥٠ تم)قاصة وكاتبة مغربية. ولدت فى القصيبة. حصلت علي الإجازة فى اللغة الإنجليزية وآدابها من جامعتى محمد الخامس بالرباط وتكساس بأوستين، كما حصلت علي دبلوم فى الصحافة من المعهد الدولى للصحافة. منتجة وصحفية سابقة بالإذاعة والتلفزة المغربية. ملحقة بعدة دواوين وزارية سنوات ١٩٧١، ١٩٧٤، ١٩٨٢، ١٩٩١، وتترجم من الإنجليزية إلي العربية. صدر لها أمريكا الوجه الآخر، كما ترجمت محمد الخامس منذ توليه العرش إلي يوم وفاته من الإنجليزية إلي العربية، وتُرجم لها عام الفيل إلي الإنجليزية.

الأعمال الإبداعية:
بضع سنبلات خضر عن لندن (مذكرات)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٨
عام الفيل (قصص ورواية قصيرة)، دار المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٣
أمريكا الوجه الآخر (أدب رحلات)، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٨٦
الرجوع إلي الطفولة (سيرة ذاتية)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٣
ملكوم أكس (سيرة)، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦

ليلي الشافعي (١٩٦٠ تم)كاتبة مغربية. ولدت فى مدينة الرباط . تقيم حاليا بمدريد. حصلت علي الإجازة فى علم الاجتماع من كلية الآداب، جامعة محمد الخامس بالرباط، وهى بصدد تحضير دكتوراه الدولة فى العلاقات الدولية والمتوسطية بالجامعة المستقلة بمدريد. عضوة فى اتحاد كُتّاب المغرب، وانتخبت بمكتبه المركزى دورة ١٩٩٣ تم١٩٩٦ . عضوة فى بعض الجمعيات النسائية والحقوقية. نُشرت نصوصها ومقالاتها بجرائد «العلم» و«الموجة» و«الميثاق الوطنى» بالمغرب، وجريدة «القدس» بلندن، ومجلة «آفاق» التى يصدرها اتحاد كُتّاب المغرب.
الأعمال الإبداعية:
الوهم والرماد (نصوص إبداعية)، منشورات الموجة، الرباط، ١٩٩٤

مالكة الفاسى [باحثة الحاضرة ـ الفتاة] (١٩١٩ تم)كاتبة رائدة مغربية. ولدت فى مدينة فاس. وقعت بعض مقالاتها باسم «الفتاة» تارة وباسم «باحثة الحاضرة» تارة أخري. أول كاتبة بالمغرب، حيث بدأت تنشر مقالاتها وإبداعاتها منذ عام ١٩٣٥ . تلقت تعليمها بالكُتّاب المعروف باسم «دار فقيهة»، ثم علي يد والدها وزوجها الأستاذ الباحث المرحوم محمد الفاسى. ساهمت فى الحركة الوطنية، وكانت عضوة فى الهيئة النسائية لحزب الاستقلال. كانت المرأة الوحيدة الموقعة علي وثيقة ١٩٤٤ للمطالبة باستقلال المغرب. لها مقالات منشورة بالمجلات المغربية. صدر لها بالمجلات والصحف: «تعليم الفتاة» و«صوت الفتاة»، مجلة «المغرب » (١٩٣٨)– «حول تهافت الفتيات علي الليسيه»، ملحق جريدة «المغرب» للثقافة المغربية (١٩٣٨)، «تعليم المرأة»، مجلة «رسالة المغرب» (١٩٥٢)، «الفتاة المغربية بين مراحل التعليم»، مجلة «رسالة المغرب» (١٩٥٢)، كتاب نسائى خاص بالفتيات، ذكريات بمثابة سيرة ذاتية، نُشرت مسلسلة بملحق جريدة «المغرب» خلال شهرى مايو ويونيو ١٩٣٨ .

مالكة ـ مليكة العاصمى [ريم حسام] (١٩٤٦ تم)شاعرة مغربية. ولدت فى مدينة مراكش . حصلت علي الإجازة فى الأدب العربى، وعلي دبلوم الدراسات العليا، وهى بصدد تحضير دكتوراه الدولة فى الأدب. تعمل أستاذة جامعية وباحثة بالمعهد الجامعى للبحث العلمى، جامعة محمد الخامس بالرباط. عملت قبل ذلك مديرة لمؤسسة ثانوية، ومفتشة للغة العربية وآدابها بالتعليم الثانوى.

عضوة باتحاد كُتّاب المغرب، ومن مؤسسي فرعه بمدينة مراكش. رئيسة جمعية «صدي حواء» التى تُعد من أقدم الجمعيات النسائية بالمغرب. عضوة فى عدة جمعيات وهيئات ثقافية نسائية واجتماعية ونقابية. عضوة قيادية فى حزب الاستقلال. انتخبت نائبة لرئيس بلدية مراكش مدة ١٦ عاما. شاركت فى عدة مؤتمرات ثقافية واجتماعية وسياسية بالمغرب وخارجه، كما شاركت فى عدة مهرجانات شعرية مغربية وعربية ودولية. أصدرت جريدة «الاختيار» ومجلة بالعنوان نفسه. صدر لها المرأة وإشكالية الديمقراطية- قراءة فى الواقع والخطاب (دراسة سوسيو سياسية) ١٩٩١، جامع الفناء-جامع الكتبيين (دراسة حضارية أنثروبولوجية) ١٩٩٣، دراسة بعنوان: سؤال العصر (الذات والآخر) ٢٠٠٠ . تُرجمت لها بعض القصائد إلي اللغات الفرنسية والإسبانية والإيطالية والهولندية والصينية والمقدونية والفلامانية والألمانية والبرتغالية.

الأعمال الإبداعية:

أصوات حنجرة ميتة (شعر)، كتاب العلم، السلسلة الجديدة، الرباط، ١٩٨٠.

كتابات خارج أسوار العالم (شعر)، دار الشؤون الثقافية- آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٧

شىء له أسماء (شعر)، منشورات المؤسسة العربية للنشر والإبداع، الدار البيضاء، ١٩٩٧

مريم التوفيق (؟ تم)كاتبة مغربية.

الأعمال الإبداعية:

ذكرياتى فى الاتحاد السوفياتى (مذكرات)، دار الأمان، الرباط، ١٩٩٩

مليكة مستظرف (١٩٦٩ تم)روائية مغربية. ولدت فى مدينة الدار البيضاء. لم تتمكن من إنهاء دراستها الجامعية لظروف صحية منعتها أيضا من مزاولة العمل.

الأعمال الإبداعية:

جراح الروح والجسد (رواية)، د. ن.، مطبعة أكسون (Accent)، القنيطرة، ١٩٩٩

مليكة نجيب (١٩٥٩ تم)قاصة مغربية. ولدت فى مدينة أرفود . حصلت علي الإجازة فى الأدب العربى وشهادة الدراسات الجامعية من كلية الحقوق. تعمل منذ ١٩٧٦ بوزارة الوظيفة العمومية والإصلاح الإدارى. ساهمت خلال السبعينيات فى عدة أنشطة مسرحية، ولها اهتمام بقضايا الطفل والمرأة والمعاقين والسكن. من مؤسسات الاتحاد النسائى المغربى. انتخبت كاتبة عامة لرابطة جمعيات الأعمال الاجتماعية بالمغرب.

الأعمال الإبداعية:

الحلم الأخضر (قصص)، مطبعة فردوس، الرباط، ١٩٩٧

(ج)

ببيبليوغرافيا الكاتبة فى تونس

آمال مختار (؟ تم) روائية تونسية . تعمل صحفية، وتكتب المقالة والقصة والرواية.

الأعمال الإبداعية:

نخب الحياة (رواية)، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣

آمنة الوسلاتى الرميلى (١٩٥٨ تم) قاصة تونسية. ولدت فى سليانة. تقيم حاليا بسوسة. خريجة دار المعلمين العليا بتونس عام ١٩٨٢. حصلت علي شهادة الكفاءة فى البحث بجامعة تونس الأولي عام ١٩٩٠. تعمل أستاذة فى اللغة العربية بالمعهد الثانوى.

الأعمال الإبداعية:

يوميات تلميذ... حزين (قصص)، دار سحر للنشر، تونس، ١٩٩٨

صخر المرايا (قصص)، دار الإتحاف للنشر، تونس، ١٩٩٨

الزوهرة جلاسى (١٩٥٠ تم) قاصة تونسية. ولدت فى مدينة سوسة . تعمل أستاذة للغة العربية بالمعاهد الثانوية و الجامعية. أنتجت برامج إذاعية مكرسة لهواة الأدب. توقفت عن الكتابة أربع عشرة سنة، ثم استأنفت الكتابة والنشر فى الصحف والمجلات بتونس.

الأعمال الإبداعية:

انعكاسات عند الزاوية (قصص)، الدار التونسية للنشر،تونس، ١٩٩٠

جميلة الماجرى (؟ تم) شاعرة تونسية.

الأعمال الإبداعية:

ديوان الوجد (شعر)، مطبعة أوميقا، تونس، ١٩٩٥

ديوان النساء (شعر)، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، ١٩٩٧

حفيظة قارة بيبان [بنت البحر] (١٩٥١ تم) قاصة تونسية. ولدت فى بنزرت. حصلت علي شهادة البكالوريا (آداب كلاسيكية) وشهادة الدراسات الجامعية (سنتى المرحلة الأولي من الإجازة) من كلية الآداب، جامعة تونس. عضوة

باتحاد الكُتاب التونسيين. انتخبت نائبة لرئيس فرع اتحاد الكُتّاب التونسيين ببنزرت. عضوة بنادى القصة بتونس. تنشر أعمالها بالدوريات التونسية التالية: جرائد «الصباح» و«الصدي» و«الرأى العام» و«الصحافة» و «بلادى» و«الأيام»، ومجلات «الفكر» (قبل توقفها) و «قصص» و «الحياة الثقافية» و«الإذاعة» و مجلة «لوتيس». تكتب فضلا عن اللغة العربية باللغة الفرنسية. تُرجمت لها إلي الفرنسية والصينية قصص ضمن مختارات قصصية لأديبات عربيات.

الأعمال الإبداعية:

الطفلة انتحرت (قصص)، الدار البيضاء للكتاب، تونس، ١٩٨٣

رسائل لا يحملها البريد (قصص)، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٩

فى ظلمة النور (قصص)، منشورات مجلة قصص، تونس، ١٩٩٤

حياة الرايس (١٩٥٤ تم)قاصة تونسية. ولدت فى مدينة تونس . حصلت علي الإجازة فى الفلسفة. عضوة بنادى القاصات.

الأعمال الإبداعية:

ليت... هندا (قصص)، صامد، تونس، ١٩٩١

حياة بالشيخ (١٩٤٣ تم)قاصة وشاعرة تونسية. ولدت فى مدينة تونس . حصلت علي شهادة البكالوريا. عملت فى عدة وظائف عمومية ثم التحقت بالاتحاد النسائى التونسى حيث عملت فى مجلة «المرأة» وبالإذاعة التونسية. لها مساهمات فى الشعر وفى المقالة والتحقيق الصحفى وفى القصة والرواية. نشرت إبداعها بالمجلات التونسية. شاركت فى عدة ندوات وملتقيات أدبية بتونس وخارجها. عضوة بنادى القصة ورابطة القلم الجديد وباتحاد الكُتّاب التونسيين.

الأعمال الإبداعية:

بلا رجل (قصص)، مؤسسات ابن عبدالله للنشر، تونس، ١٩٧٩

وغدا تشرق شمس الحرية (قصص)، دار القلم، تونس، ١٩٨٣

حبك قدرى (شعر)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٩٠.

انتظار ألف سنة (شعر)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٩٠.

وكان عرس الهزيمة (قصص)، دار الأخلاء، تونس، ١٩٩١

خيرة الشيبانى (١٩٥٠ تم)قاصة تونسية. ولدت فى صفاقص . حصلت علي تعليمها بصفاقص وبتونس العاصمة. حصلت علي البكالوريا عام ١٩٦٧ والإجازة فى الفلسفة من كلية الآداب بتونس عام ١٩٧١ . عملت فى التدريس بالمعاهد الثانوية ومراسلة لبعض الجرائد والمجلات والإذاعات العربية. أُلحقت بوزارة الشؤون الثقافية، حيث أشرفت لمدة علي إصدار مجلة «الحياة الثقافية». وهى

عضوة باتحاد الكتاب التونسيين. تكتب المقالة الصحفية والنقدية والقصة القصيرة.
الأعمال الإبداعية:
الخيط الأبيض (قصص)، دار الرياح الأربعة، تونس، ١٩٨٦

ربيعة الفرشيشى (؟ تم)قاصة تونسية.
الأعمال الإبداعية:
الرجل الضباب (قصص)، دار الجيل الجديد، تونس، ١٩٩٢
فى تلك الليلة (قصص)، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٩٥

رشيدة التركى (؟ تم)قاصة تونسية.
الأعمال الإبداعية:
عصر الحنين (قصص)، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٠.

رشيدة الشارنى (؟ تم)قاصة تونسية. ولدت فى مدينة باردو، وتقيم بها حاليا. تشتغل بالتعليم. منحت عام ١٩٨٨ جائزة زبيدة بشير للإبداع عن مجموعتها القصصية الحياة علي حافة الدنيا.
الأعمال الإبداعية:
الحياة علي حافة الدنيا (قصص)، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، ١٩٩٧

ريم العيساوى (١٩٤٨ تم)قاصة تونسية. ولدت فى حمام الأنف. تخرجت فى دار المعلمين العليا بتونس. تعمل أستاذة بالمعاهد الثانوية. عضوة بنادى القصة وباتحاد الكُتّاب التونسيين.
الأعمال الإبداعية:
لماذا تموت العصافير (قصص)، منشورات مجلة قصص، تونس، ١٩٨٨

زبيدة بشير (١٩٣٨ تم)شاعرة تونسية. ولدت فى ساقية سيدى يوسف . تقيم حاليا بتونس. عملت بالإذاعة التونسية وأنتجت برنامج «أغانى للمستمعين». تُعتبر إحدي رائدات الشعر التونسى والتيار النسائى فى الأدب التونسى المعاصر. بدأت تنشر قصائدها منذ الرابعة عشرة من عمرها. وهى أول تونسية يصدر لها ديوان شعر. بعد حملة التشهير التى تعرضت لها فضّلت العيش فى عزلة. وتكريما لها أُحدثت جائزة باسمها للإبداع عام ١٩٩٤ .
الأعمال الإبداعية:
حنين (شعر)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٦٨

زكيـة عبـد الـقـادر (؟ تم) روائيـة تـونسيـة. ولـدت في مـدينـة تـونس . تـعمل أستـاذة للغة العربيـة.

الأعمـال الإبداعيـة:

آمنـة (روايـة)، منـشورات قلم، تـونس، ١٩٨٣

سميرة الكسراوى (١٩٥٠ تم) شاعرة تونسية. ولدت فى سرس .

الأعمـال الإبداعيـة:

بلاغـات شـعريـة فى الـرفض والحريـة والـرصاص (شـعر)، د. ن.، طـرابـلس، لـيـبـيـا، ١٩٨٢

ملحمة الموت والميلاد فى شعبى (شعر)، د. ن.، ١٩٨٣

شريفة عرباوى (١٩٥٠ تم) قاصة تونسية. ولدت فى تهالة. تقيم حاليا بتونس العاصمة. خريجة قسم اللغة الإنجليزية بمعهد بورقيبة للغات الحية بتونس. وهى عضوة بنادى القصة وباتحاد الكُتاب التونسيين.

الأعمـال الإبداعيـة:

الصعب (قصص)، منشورات الأخلاء، تونس، ١٩٨٣

شفيـقـة الساحلى (١٩٥٥ تم) قاصة تـونسيـة. ولـدت فى مدينـة تـونس . حصلت علي تعليمها الابتدائى بمدرسة الراهبات، والثانوى بمعهد نهج مرسيليا للفتيات. حصلت علي البكالوريا عام ١٩٧٥ . عملت سكرتيرة بإحدي الإدارات، ثم بوزارة الثقافة، فدار الكتب، فالإذاعة والتلفزيون. عضوة باتحاد الكُتّاب التونسيين. نشرت إنتاجها بالجرائد والمجلات الأدبية بتونس.

الأعمـال الإبداعيـة:

امرأة تعترف (قصص)، د.ن، مطبعة العاصمة، تونس، ١٩٨٤

عايدة عبد الحميد (؟ تم) قاصة تونسية.

الأعمـال الإبداعيـة:

اشتقت إليك (قصص)، منشورات بنعبد الله، تونس، ١٩٨٦

عروسيـة الـنـالـوتى (١٩٥٦ تم) قاصة وكاتبة أطفال تونسية. ولدت فى جزيرة جربة . حصلت علي الأستاذية فى الآداب والحضارة العربية وشهادة الكفاءة فى البحث. عملت بالتدريس فى المعاهد الثانوية بتونس بعد تخرجها فى الكلية. تعمل رئيسة مصلحة التشجيع علي الإبداع بوزارة الثقافة. تنتج برنامجا تلفزيا بعنوان «عيون الآداب». لها مساهمات إذاعية وصحفية متنوعة. عضوة باتحاد

الكُتّاب التونسيين ، وانتخبت فى هيئته المديرية خلال سنوات ١٩٩٢ تم ١٩٩٤ . لها عدد من المسرحيات المنتجة وسيناريو فيلم ومسلسل تلفزيونى من ١٥ حلقة. تُرجم لها إلي الإسبانية: مراتيج CERROJOS، ترجمة Rosario Moutorio Murello ـ ١٩٩٦ ، وقصص من مجموعتها البُعد الخامس ضمن أنطولوجيا بعنوان أصوات المرأة من تونس (قصص) وإلي الهولندية: مراتيج وتماس (روايات). نالت وسام الاستحقاق الثقافى عام ١٩٩٢ من وزارة الثقافة بتونس، وجائزة زبيدة بشير للإبداع النسائى عام ١٩٩٥، وجائزة أحسن عمل روائى لعام ١٩٩٥ من وزارة الثقافة بتونس. صدر لها دراسة بعنوان تمثلات الجسد فى الرواية التونسية المعاصرة.

الأعمال الإبداعية:

البعد الخامس (قصص)، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٥

جحا (سلسلة للأطفال) ، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٥

بسيبس (٣ كتب للأطفال)، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٨٢

مراتيج (رواية)، دار سيراس للنشر، تونس، ١٩٨٥

جزيرة التين والزيتون (كتاب للأطفال)، منشورات منظمة العفو الدولية، تونس، ١٩٩٤

تماس (رواية)، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٥

علياء بنت المنصف التابعى (١٩٦١ –   )

روائية تونسية. تلقت تعليمها بدار المعلمين العليا، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس، وحصلت علي الشهادات التالية: شهادة ختم الدروس بدار المعلمين العليا عام ١٩٨٣، وشهادة الكفاءة فى البحث بكلية الآداب بتونس عام ١٩٨٤. تعمل فى الصحافة وفى التلفزة. تمارس الترجمة والنقد. لها مساهمات فى الحقل الثقافى بتونس وخارجها، وتنشر مقالاتها بالعربية والفرنسية بالدوريات التونسية وفى IBLA بتونس وفى Le Monde و Quantara بباريس. حصلت علي الجائزة الكبري للإبداع عام ١٩٩١ من وزارة الثقافة التونسية.

الأعمال الإبداعية:

زهرة الصبّار (رواية)، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩١

فاطمة الدريدى (١٩٥٢ تم   )

شاعرة تونسية. ولدت فى مدينة تونس. انقطعت عن الدراسة فى السنة النهائية من التعليم الثانوى. اشتغلت بوزارة البريد ثم التحقت بالإذاعة التونسية موظفة ثم مذيعة برامج. التحقت بإدارة الآداب بوزارة الشؤون الثقافية وبالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خلال الثمانينات. لها مساهمات فى الشعر والخاطرة والقصة القصيرة والأغنية وأناشيد الأطفال. نشرت إنتاجها فى المجلات والجرائد التونسية والعربية. شاركت فى العديد من الأمسيات والمهرجانات الشعرية بتونس.

الأعمال الإبداعية:

ضحكات عيون باكية (شعر)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٧

فاطمة سليم (١٩٤٢ تم)قاصة تونسية. ولدت فى مدينة تونس .حصلت علي تعليمها بتونس العاصمة. حصلت علي شهادة التأهيل البيداغوجى من مدرسة المعلمات عام ١٩٦١، كما حصلت علي الإجازة من كلية الشريعة وأصول الدين عام ١٩٧٤ . عملت بالتدريس بتونس والخليج العربى. اشتغلت فى الحقل الصحفى باعتبارها مسئولة عن التحرير فى مجلة «المرأة» صوت الاتحاد التونسى. عضوة بنادى القصة وباتحاد الكُتّاب التونسيين. ذات حضور ومشاركة فى العديد من الندوات والمؤتمرات الخاصة بالمرأة وفى الملتقيات الأدبية بتونس وخارجها.

الأعمال الإبداعية:

نداء المستقبل (قصص)، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٧٢

تجديف فى النيل (قصص)، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٧٤

نساء وأقلام (قصص)، مطبعة الاتحاد التونسى للشغل، تونس، ١٩٩٥

فضيلة الشابى (١٩٤٦ تم)روائية وشاعرة تونسية. ولدت فى ٢٤ تاوزر . خريجة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس. تعمل أستاذة للغة العربية بالتعليم الثانوى. مُنحت جائزة ولاّدة للشعر عام ١٩٨٤ من المعهد الأسبانى العربى للثقافة بمدريد عن ديوانها الليالى تحت الأجراس الثقيلة، وجائزة أحسن ديوان شعرى صدر لامرأة باللغة العربية بتونس فى القرن العشرين.

الأعمال الإبداعية:

روائح الأرض والغضب (شعر)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣

الليالى تحت الأجراس الثقيلة (شعر)، د.ن، تونس، ١٩٨٨

الحدائق الهندسية (شعر)، د.ن.، تونس، ١٩٨٩

شماريخ (شعر بالعامية التونسية)، د.ن.، تونس، ١٩٩١

الإسم والحضيض (رواية)، د.ن.، تونس، ١٩٩٢

الكواكب المائية (شعر للأطفال)، د.ن.، تونس، ١٩٩٥

مياه نسبية (شعر)، دار أقواس للنشر، تونس، ١٩٩٨

الأفعوان (شعر)، د.ن.، تونس، ١٩٩٩

لمياء بلحاج (؟ تم)شاعرة تونسية.

الأعمال الإبداعية:

مرآة وامرأة والبحر (شعر)، د.ن.، تونس، ١٩٩٣

ليلي مامى (١٩٤٤ تم)قاصة تونسية. ولدت فى جربة . حصلت علي تعليمها فى تونس. حصلت علي الإجازة فى اللغة والآداب العربية، ثم تابعت دراستها بمعهد الصحافة. عملت فى الحقل الصحفى بالجرائد والمجلات. التحقت بوكالة

تونس تم أفريقيا للأنباء. أسست وأصدرت مجلة «فمينا» بالفرنسية المتخصصة فى شؤون المرأة، وذلك بين نوفمبر ١٩٧٤ وأغسطس ١٩٧٦ . نشرت إنتاجها بالجرائد والمجلات التونسية والعربية. شاركت فى العديد من الندوات والملتقيات ذات الصلة بالوضع الاجتماعى للمرأة. وهي عضوة باتحاد الكُتّاب التونسيين.

الأعمال الإبداعية:

صومعة تحترق (قصص)، مطبعة الاتحاد العام التونسى للشغل، تونس، ١٩٦٨

مسعودة أبو بكر (١٩٥٤ تم   )روائية وقاصة وكاتبة أطفال تونسية. ولدت فى صفاقس . لها مقال أسبوعى فى الملحق الثقافى لجريدة «الحرية» بعنوان «عقد المرجان» منذ عام ١٩٨٦ . مُنحت وسام الاستحقاق الثقافى لعام ١٩٩٧ .

الأعمال الإبداعية:

طعم الأناناس (قصص)، المنشورات الأطلسية، تونس، ١٩٩٤

ليلة الغياب (رواية)، دار سحر للنشر، تونس، ١٩٩٧

طرشقانة (رواية)، دار سحر للنشر، تونس، ١٩٩٩

شهامة نميل (قصص للأطفال)، دار الإتحاف للنشر، تونس، ١٩٩٩

ناجية ثامر [بنت الواحة] (١٩٢٦ تم ١٩٨٨)قاصة تونسية. ولدت بدمشق من أب تركى الأصل. حصلت علي تعليمها الابتدائي فى بعلبك بلبنان، والثانوى والجامعى بدمشق. استقرت بتونس بعد الزواج. عملت بالإذاعة التونسية كمنتجة للبرامج الأدبية والاجتماعية. كتبت المقالة والقصة القصيرة والمسرحية الإذاعية والرواية. كانت عضوة بنادى القصة وباتحاد دار الكُتّاب التونسيين ورابطة القلم الجديد. صدر لها مجموعة مقالات: المرأة والحياة عام ١٩٥٦، ودراسة بعنوان أسماء بنت أسد بن الفرات عام ١٩٧٨ .

الأعمال الإبداعية:

عدالة السماء (قصص)، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٥٦

أردنا الحياة (قصص)، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٥٦

سمر وعبر (قصص)، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٧٢

حكايات جدتى (قصص للأطفال)، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٣

التجاعيد (قصص)، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٨

نافلة ذهب (١٩٤٧ تم   )قاصة تونسية. ولدت فى مدينة تونس . حصلت علي تعليمها بتونس وحصلت علي شهادة البكالوريا وعلي الإجازة فى الحقوق وشهادتين من معهد الصحافة وعلوم الأخبار. تولت رئاسة مصلحة بشركة عجين الحلفاء والورق بتونس، كما عملت موظفة بوزارة الثقافة. مُنحت جائزة تشجيعية عن أول مجموعة قصصية لها وجائزة وطنية عن قصة للأطفال، كما مُنحت جائزة أحسن مجموعة قصصية صدرت بتونس خلال القرن العشرين. لها اهتمام بالترجمة ومساهمات شعرية.

الأعمال الإبداعية:

أعمدة من دخان (قصص)، دار صفاء للنشر والصحافة، تونس، ١٩٧٩
أحلامنا (ديوان للأطفال)، ترجمة عن الفرنسية، دار مليكة للنشر، ١٩٧٩
رحلة يبوسة ـ النجمة سينا (قصص للأطفال)، الشركة التونسية للتوزيع والدار التونسية للنشر ودار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٨٠
الشمس والأسمنت (قصص)، دار صفاء للنشر والصحافة، تونس، ١٩٨٣
مغامرات القرد مخماخ (قصص للأطفال)، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٨٦
الصمت (قصص)، دار البحث عن تبر الزمان، تونس، ١٩٩٣
الغابة السجينة (قصص للأطفال)، دار الجنوب للنشر، منظمة العفو الدولية، تونس، ١٩٩٤

نتيلة التباينية (١٩٤٩ تم) قاصة وروائية تونسية. ولدت فى مدينة تونس. تساهم فى إنتاج برامج إذاعية تخص هواة الأدب. تكتب القصة القصيرة والرواية ولها اهتمام بالرسم.

الأعمال الإبداعية:

الموت والبعث والحديث (قصص)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٩٠
طريق النسيان (رواية)، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، ١٩٩٣

نجاة العدوانى (١٩٥٨ تم) شاعرة تونسية. ولدت فى قابس. تقيم حاليا بتونس العاصمة. تخرجت فى معهد بورقيبة للغات الحية، قسم الإنجليزية عام ١٩٨٢. عملت فى الحقل الصحفى وفى الوكالة الفلسطينية للأنباء. تنشر إنتاجها بالجرائد والمجلات التونسية. شاركت فى العديد من الملتقيات والمهرجانات الشعرية بتونس وخارجها. عضوة باتحاد الكُتّاب التونسيين وبنادى القصة.

الأعمال الإبداعية:

فى كل جرح زنبقة (شعر)، د.ن. ، تونس، ١٩٨٢
جذور لسمائى (شعر)، دار العودة، بيروت، ١٩٨٦
هديل روح من فولاذ يتهدل (شعر)، نقوش عربية، تونس، ١٩٩٤

نزيهة الجدايد (١٩٥٧ تم) شاعرة تونسية. ولدت فى سيدى عمور. تعمل معلمة.

الأعمال الإبداعية:

الرسم بمحار البحر (شعر)، منشورات سعيدان، سوسة، ١٩٩٣

نعيمة الصيد (١٩٤٥ تم) قاصة تونسية. ولدت فى مدينة القيروان. حصلت علي تعليمها الابتدائى والثانوى بالقيروان، ثم تخرجت فى المعهد العالى للفن المسرحى بتونس العاصمة. تعمل أستاذة الفن المسرحى بالمعاهد الثانوية بتونس،

(ج)
بيبليوغرافيا
الكاتبة فى ليبيا

خديجة الصادق بسيكرى (١٩٦٢ –)

شاعرة ليبية. ولدت فى مدينة بنغازى. حصلت علي تعليمها الجامعى فى جامعة قاريونس – قسم اللغة الفرنسية. عملت كأمين مساعد لرابطة الأدباء والكتاّب الليبيين لعدة سنوات.

الأعمال الإبداعية:

ليل قلق (شعر)، دار الورد، بيروت، ١٩٩٢

خديجة محمود الجهمى (١٩٢١ – ١٩٩٦)

قاصة وباحثة اجتماعية ليبية. ولدت فى مدينة بنغازى، درست القرآن الكريم، قبل التحاقها بالدراسة النظامية. سافرت إلي مصر فى عام ١٩٥٢، وحصلت علي تعليمها الابتدائى والإعدادى بمدرسة عابدين المسائية بالقاهرة. بعد عودتها من مصر عملت فى المجال الإذاعى والصحفى. قدمت العديد من البرامج الإذاعية وكتبت عددا من الأغانى الليبية الشهيرة. ترأست لسنوات عديدة «جمعية المرأة» وأسست «مجلة المرأة» عام ١٩٦٥، ومجلة «الأمل» للأطفال عام ١٩٧٠..

الأعمال الإبداعية:

أمينة (قصص)، الدار الجماهيرية، طرابلس، ١٩٧٨

زاهية محمد على (١٩٦٤ – ١٩٨٦)

شاعرة وقاصة ليبية. ولدت فى مدينة المرج. حصلت علي تعليمها فى جامعة قاريونس – قسم الإعلام – كلية الآداب.

الأعمال الإبداعية:

قصص قصيرة (قصص)، الدار الجماهيرية، طرابلس ١٩٨٣

الرحيل إلي مرافئ الحلم (نصوص)، د. ن. ليبيا، ١٩٨٩

زعيمة سليمان البارونى (١٩١٠ – ١٩٧٦)

رائدة وقاصة ليبية. ولدت فى جادو بمنطقة الجبل الغربى بليبيا. وهي ابنة

المجاهد سليمان الباروني. حصلت علي تعليمها الابتدائي باللغة التركية في إسطنبول، ثم عادت إلي ليبيا، واستكملت دراستها في مجال اللغة العربية، شهدت مراحل جهاد والدها واستقرت بعد وفاته بمدينة طرابلس. عملت بعد استقلال ليبيا في مجال التعليم. نشرت إنتاجها الأدبي في عدد من الصحف والمجلات الليبية. حققت عدة أعمال تتعلق بسيرة وأشعار والدها. شاركت في مؤتمر المرأة الأفرو آسيوى) الذى عقد بالقاهرة عام ١٩٦٠.

الأعمال الإبداعية:

القصص القومي (قصص)، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٥٨

شريفة القيادي (١٩٤٧ تم) قاصة وروائية ليبية. ولدت في مدينة طرابلس. حصلت على الماجستير في الآداب في جامعة الفاتح عن رسالتها (رحلة القلم النسائي الليبي) عام ١٩٨١.

الأعمال الإبداعية:

هدير الشفاه الرقيقة (قصص)، الدار الجماهيرية، طرابلس، ١٩٨٣

كأي امرأة أخري (قصص)، الدار الجماهيرية، طرابلس، ١٩٨٤

مائة قصة قصيرة (قصص)، دار ألفا، ليبيا، ١٩٩٧

هذه أنا (رواية)، دار الحكمة، ليبيا، ١٩٩٧

بعض الهمس (قصص)، دار ألفا، ليبيا، ١٩٩٩

عائشة إدريس المغربي (١٩٥٦ تم) شاعرة ليبية. ولدت في بنغازي. حصلت علي الماجستير في جامعة قاريونس – قسم الفلسفة عام ١٩٩٦ . نشرت إنتاجها الأدبي في المجلات والصحف الليبية والعربية.

الأعمال الإبداعية:

الأشياء الطيبة (شعر)، الدار الجماهيرية ، طرابلس، ١٩٨٦

البوح بسر أنثي (شعر)، الدار الجماهيرية ، طرابلس، ١٩٩٥

أميرة الورق (شعر)، الدار الجماهيرية ، طرابلس، ١٩٩٨

فاطمة محمود (١٩٥٤ تم) شاعرة وقاصة ليبية. ولدت في مدينة طرابلس. حصلت علي تعليمها في معهد المعلمات، وعملت في المجال الصحفي بجريدة «الفجر الجديد» و«الأسبوع الثقافي» و«الجماهيرية». أصدرت مجلة «شهر زاد» في قبرص.

الأعمال الإبداعية:

ما تيسر (شعر)، الدار الجماهيرية، طرابلس، ١٩٨٥

فوزية شلابي (١٩٥٥ تم) شاعرة وروائية ليبية. ولدت في طرابلس الليبية. تشغل منصب أمينة اللجنة الشعبية للثقافة والإعلام والتعبئة. لها دراسات:

قراءات مناوئة (١٩٨٤) وقراءات عاقلة جدا (١٩٨٥) وفى الثقافة والحرب (١٩٨٤).

الأعمال الإبداعية:

فى القصيدة التالية أحبك بصعوبة (شعر)، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ١٩٨٤

صورة طبق الأصل للفضيحة (نصوص)، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ١٩٨٥

بالبنفسج أنت متهم (شعر)، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ١٩٨٥

فوضويا كنت وشديد الوقاحة (شعر)، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ١٩٨٥

رجل لرواية واحدة (رواية)، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ١٩٨٥

عربيا كان المتنبى (شعر)، د.ن.، د.ت.

لطفية القبائلى (١٩٤٨ تم) قاصة ليبية. حصلت علي تعليمها فى جامعة الفاتح – قسم الجغرافيا. تعمل فى مجال الإعلام. تولت مسؤولية تحرير مجلة «البيت» لعدة سنوات.

الأعمال الإبداعية:

أمانى معلبة (قصص)، الدار الجماهيرية، طرابلس، ١٩٧٧

مرضية النعاس (١٩٤٩ تم) روائية وقاصة ليبية. ولدت فى درنة الليبية. عملت مدرسة ومحررة بصحف «الفجر» و«الرقيب» و«الزمان» ومجلة «المرأة».

الأعمال الإبداعية:

شىء من الدفء (رواية)، دار مكتبة الفكر، ليبيا، ١٩٧٢

غزالة (قصص)، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع، ليبيا، ١٩٧٦

المظروف الأزرق (رواية)، منشورات الكتاب والتوزيع، طرابلس، ١٩٨٢

رجال ونساء (قصص)، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس، ١٩٩٣

مريم سلامة (١٩٦٥ تم) شاعرة وقاصة ليبية. ولدت فى مدينة طرابلس. حصلت علي تعليمها الجامعى فى جامعة الفاتح وتخرجت فى قسم اللغة الإنجليزية. تعمل مترجمة بقسم التوثيق والدراسات التاريخية بمشروع المدينة القديمة بطرابلس. نشرت إنتاجها الأدبي فى العديد من الصحف والمجلات الليبية والعربية.

الأعمال الإبداعية:

أحلام طفلة سجينة (شعر)، دار الفرجانى، ليبيا، ١٩٩٢

لا شىء سوي الحلم (شعر)، دار الفرجانى، ليبيا، ١٩٩٢

(ج)

بيبليوغرافيا
الكاتبة في موريتانيا

السيدة بنت أحمد (١٩٧٢ -)

شاعرة وقاصة موريتانية. ولدت فى الرشيد. تابعت دراستها بموريتانيا وحصلت علي البكالوريا فى الأدب العربى عام ١٩٩١، والإجازة فى الأدب العربى. تصدر صحيفة تحت عنوان «الشموع» وترأس تحريرها.

إمباركة بنت البراء [بات بنت البراء] (١٩٥٦ -)

قاصة وروائية وشاعرة موريتانية. ولدت فى المزرزرة. حصلت علي التعليم الأولى فى المحرزة، وعلي شهادة بكالوريا التعليم الثانوى عام ١٩٧٩ . حصلت علي الميتريز فى الآداب من المدرسة العليا للأساتذة عام ١٩٨٣، وعلي شهادة البحث المعمق من جامعة محمد الخامس فى الرباط عام ١٩٨٧ . عملت فى التعليم ومحو الأمية، ثم درّست فى الجامعة من ١٩٨٧ تم ١٩٩٠ . تعمل مستشارة بوزارة التنمية الريفية والبيئة. صدر لها كتابا البناء المسرحى عند توفيق الحكيم والمرأة فى المجتمع الموريتانى.

الأعمال الإبداعية:

ترانيم لوطن واحد (شعر)، د.ن.، طباعة المطبعة الوطنية، نواكشوط، ١٩٩١

حكايات جدتى (قصص أطفال)، د.ن.، د.ت.

الأظافر الحمراء (قصص)، د.ن.، د.ت.

العبور إلي الجسر (رواية)، د.ن.، د.ت.

خديجة عبد الحى (١٩٦٥ تم) قاصة وشاعرة موريتانية. ولدت فى الترازة. درست العلوم الشرعية واللغوية على يد والدها، ثم التحقت بالتعليم النظامى. فحصلت علي شهادة الدروس الإعدادية عام ١٩٨١، والبكالوريا فى الأدب ١٩٨٤، الميتريز (الأستاذية) فى الأدب العربى من المدرسة العليا لتكوين الأساتذة بنواكشوط ١٩٨٨ . عملت أستاذة بالتعليم الثانوى، ثم رئيسة لمصلحة المكتبات بوزارة الثقافة بموريتانيا. تكتب الشعر والقصة القصيرة، ولها مساهمات فى

المحتويا

المجلد الثالث

إشـارة

لما كان إعداد قوائم شاملة بالكتابات الإبداعية للمرأة فى البلدان العربية كافة مهمة صعبة بسبب قصور التوثيق، ونقص المصادر، وتضارب المعلومات بين مختلف المراجع، ترجو هيئة التحرير قرّاء الموسوعة موافاتها بأية إضافة أو معالجة لخطأ فى القوائم البيبليوغرافية. كما ترجو الكاتبات ودور النشر تزويدها بمعلومات عن الجديد من إبداعات المرأة العربية بعد عام ١٩٩٩، علي أن تكون هذه المعلومات موثقة بصورة من صفحة الغلاف أو المرجع المعتمد عليه، وذلك أملا في مراجعة القوائم وتحديثها في النسخة الإلكترونية وفى ملحق للنسخة الورقية.
يمكن مراسلتنا علي أى من العنوانين التاليين:

نـــور
٤ ش الأهرام، الهضبة العليا، المقطم ، القاهرة